

النَّيْسِيرُ فِي النَّفْسِيرِ

الجزء السادس

لَقَطَاتٌ - لَقَمَةٌ

تأليف

العالم الرباني الكبير فقيه القرآن

السيد بدر الدين أمير الدين الحوثي الحسني

رضوان الله عليه

تحقيق

عبدالله بن محمود القزويني محمد بدر الدين الحوثي



مؤسسة مصطفى الثقافية

التيسير في التفسير

تأليف العالم الرباني الكبير فقيه القرآن السيد/ بدر الدين بن أمير الدين الحوثي رضوان الله عليه
تحقيق: السيد/ عبدالله بن حمود العزي ، السيد/ محمد بدر الدين الحوثي

الطبعة: الأولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

جميع الحقوق محفوظة ©

قياس القطع: (١٦,٥ × ٢٤)

عدد المجلدات: (٧)

الصف والإخراج: مؤسسة المصطفى ﷺ الثقافية

إخراج وتنسيق/ علي بن حمود العزي

رقم الإيداع بدار الكتب اليمنية: (٢٠١٣/٣٢٥م)



مؤسسة المصطفى ﷺ الثقافية

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة المصطفى ﷺ الثقافية

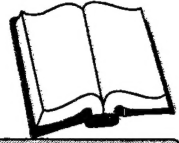
اليمن — صعدة

جوال: (٠٠٩٦٧-٧١١٦٦٤٧٥٩) - (٠٠٩٦٧-٧٣٦٩١٢٧٧) - (٠٠٩٦٧-٧١٣٧٢٦١٢)

بريد: hbbhd@gmail.com - almostafa.ve@gmail.com



التفسير في التفسير



سورة لقمان



سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

ابتداء تفسير (سورة لقمان) مكية

قال الشرفي: «أربع وثلاثون آية في المراقي والحجazi، وقيل: ثلاث في المصحف الحجazi والمكي» انتهى. نقلت هذا لأفسر قوله: «في المراقي» أي في المصحف العراقي والخلاف في عدد الآيات ليس معناه الخلاف في كلام السورة وإنما الخلاف في العدد باعتبار أن بعض المصاحف يعد آية لما هو في بعض آخر بعض آية، فيزيد عدد الآيات في مصحف وينقص في آخر، مثلاً يعد (الم) آية والآخر يعدها بعض آية.

ألا ترى أن من عد (الم) آية يكون عدد السورة عنده (أربعاً وثلاثين) وأن الذي جعلها بعض آية يكون عددها عنده (ثلاثاً وثلاثين) فهذا هو المراد بالخلاف في عدد بعض السور، وليس بين المصاحف خلاف في الكلام بزيادة ولا نقص فالبسمة ثابتة فيها، أي في المصاحف وإن اختلفوا أمي آية أم لا و(الم) ثابت فيها سواء عد ذلك آية أم بعض آية وقد حقق هذا في (البسمة) وفي (الم) وغيرها (صاحب الكشاف) في أوله.

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْم * تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ قد رجحت فيما مضى أن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الحروف التي يبنى منها الكلام ومعناه إن شاء الله أن آيات الكتاب بنيت منها، فكأنه قيل: تلك مادة آيات الكتاب الحكيم تحقيقاً لوحيه بحروفه وللتعجيز به فالإسناد مجاز كقول زهير: لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

﴿٣﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٤﴾ حال من المشار إليه مثل: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [مرد: ٧٢] فأيات الكتاب مبنية من حروف كلام العرب، حال كونها ﴿هُدًى﴾ يهتدي بها المؤمنون لمعرفة الحق إلى الصراط المستقيم، وهي لهم رحمة لأنهم بها ينجون من النار.

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا

وقوله: ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ أي للمتقين فالمتقون اتقوا الله باجتناب السوء والمحسنون ضد المسيئين، ولذلك صح تفسير المحسنين بالمتقين، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿هَلُمُّوا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] وتقارب نعتهم فقال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بل التفسير متوافق لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لا تقبلان إلا من المؤمن لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤] وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَّةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿..ذَٰلِكَ يَأْتِيهِمْ كَرَهُوٓا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] فصح أن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قد أفاد أنهم مؤمنون باللزوم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ من صفاتهم الفارقة بينهم وبين غيرهم لأن إيقانهم بالجنة يحدث الرغبة في أسبابها وإيقانهم بالنار يحدث الخشية من عذاب الله وضمير الفصل بين المبتدأ يفصل بينهم وبين غيرهم ممن يدعي اليقين بالآخرة دعوى لا يصدقها العمل فهو يفيد أن المحسنين هم الذين يوقنون بالآخرة فالقرآن الحكيم بما فيه من الحكمة هدى ورحمة لهم ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هذا القرار للمحسنين بعد ذكر صفاتهم، مثل القرار للمتقين في أول (سورة البقرة)

أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا

فالمحسنون ﴿٦﴾ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴿٦﴾ لأنهم يهتدون بالكتاب الحكيم في عقائدهم وأعمالهم ومعاملاتهم ﴿٧﴾ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧﴾ الفائزون بالخير الظافرون برحمة الله يوم القيامة الخالدون في جنة النعيم وهذا هو الذي ينبغي أن يعمل له كل عاقل ناصح لنفسه.

﴿٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ في (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴿٧﴾ «معناه: الغناء، والمغنيات» انتهى.

وفي (تفسير الشرفي): «وفي تفسير هذه الآية يقول الهادي عليه السلام: هذا إخبار من الله سبحانه عن ﴿٦﴾ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴿٦﴾ وهو الحديث: هو الغناء والملاهي كلها من شطرنج أو نرد أو وتر يضرب به أو شيء من الملاهي التي حرمها الله على عباده ومعنى ﴿يَشْتَرِي﴾ فهو يختار ويؤثر ويحتجى هذا اللهو على غيره من الخير ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معناه يشتغل ويشغل بذلك نفسه وعباد ربه [في نسخة (المصابيح): وعبادة ربه - وهو غلط] عما سوى اللهو من سبيل الله، وسبيله فهي طاعته واتباع مرضات، فأخبر الله سبحانه أن من الناس من يؤثر الشر على الخير يطلب بذلك التلهي في أرض الله بما يصدّه وغيره عن سبيل الله» انتهى.

وقوله عليه السلام: «بما يصدّه وغيره» هو تفسير على قراءة أهل المدينة: (لِيُضِلَّ) بضم الياء، وتفسير ﴿يَشْتَرِي﴾ بما ذكره عليه السلام، ينطبق على من اشترى مغنيتين من حيث أنه اختار غناءهما وآثره وإلحاقه الشطرنج والنرد والوتر بما هو لهو الحديث؛ لأن المعنى واحد.

وقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ عطف على كون القرآن الحكيم ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وكونهم ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٢٧] ويبين الفرق في الجزاء بين من يهتدي بكتاب الله ومن يؤثر الغناء ليضل عن سبيل الله، وقد شاع في هذا العصر الغناء وغيره من اللهو في وسائل الإعلام المختلفة وخاصة في هذا العصر، وأصله من الكفار ولا يبعد أن مهمتهم فيه هي إفساد المسلمين فالمسلمون كانوا منصورين على الكفار غالبين في كثير من الأرض فحاول إفسادهم الكفار بطرق مختلفة مثل إشاعة الربا والخمر والملاهي وبكثير من تزوين عادات الكفار التي يسمونها ثقافة حتى انحرف جمهور المسلمين عن كتاب الله وآثروا لهو الحديث وهوى النفوس فضعفوا وقوي عليهم الكفار وفي تصدير ذم الغناء في هذه السورة والتميز بين أهله وبين المحسنين ما يشير إلى شدة فساد الغناء وأنه ليس سهلاً.

وقد وافقه الحديث الذي رواه الإمام زيد بن علي عليه السلام في (مجموعه) عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من تغنى أو غنى له، أو ناح أو نيح له، أو أنشد شعراً أو قرضه وهو فيه كاذب، أتاه شيطانان فيجلسان على منكبيه يضربان صدره بأعقابهما حتى يكون هو الساكت» وروى عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغناء، فإنه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر» انتهى.

وقوله تعالى: ﴿بَغْيَرٍ عَلِيمٍ﴾ أي بجهله بسبيل الله، وقد كان ينبغي له لو استعمل عقله أن لا يحاول الصد عن سبيل الله قبل أن يعلم أنها حق أو باطل، لأنه أقدم على خطر عظيم لا يعتمد فيه إلا الجهل والهوى، وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ أي يتخذ سبيل الله هزواً، والاتخاذ أكثر وأشد من إحداث السخرية.

وكذلك على قراءة ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح (الياء) فليس يليق بالعاقل أن يتخذ اللهو وسيلة للضلال عن سبيل الله اعتماداً على جهله بأنها سبيل الله، وجهله بعاقبة ذلك وعلى قراءة الفتح في يتخذها يكون المعنى أنه يتخذ اللهو وسيلة ﴿لِيُضِلَّ﴾ هو وليتخذ سبيل الله هزواً وكون اللهو يستعمل وسيلة واضح لأن نفوس أهل الضلال تهوى اللهو وتكره الدين، فعند مناظرتهم بينهما يسخرون من الدين لأنه لا تهواه أنفسهم بل تنفر عنه، والغناء الذي يطربهم ويجذب لهم الفرح، فكان ذلك سبب سخريتهم من الدين لجهلهم بفائدة الدين وعاقبة الغناء.

أما على قراءة رفع ﴿يَتَخَذُ﴾ فهو معطوف على يشتري وهي لا تجعل اتخاذ سبيل الله هزواً متفرعاً على اشتراء ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ بل تجعله قريناً له قد يكون بسبب المناظرة المذكورة، وقد يكون لأي سبب آخر، فاتخاذها هزواً شأن أهل الفسق لأي سبب ﴿أُولَئِكَ﴾ أهل الصفتين على قراءة الرفع، وأهل اشتراء الحديث وما ترتب عليه على قراءة النصب ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يهينهم وذلك مناسب لسخريتهم من سبيل الله.

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي على ﴿مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ فالوعيد في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ على اشتراء ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ لما ترتب عليه وعلى اتخاذ سبيل الله (هزواً) على قراءة الرفع والوعيد في هذه الآية بشكل وعيد الغاضب هو وعيد على التولي عن آيات الله حين تلى عليه، والاستكبار عنها أو عن تلاوتها عليه.

فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ﴾ يتناول تلاوتها عليه احتجاجاً عليه بها ويتناول تلاوتها عليه موعظة، وتخويفاً أو لغير ذلك من وجوه النصح

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّتُ النَّعِيمِ ﴿١٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَقْصَىٰ فِي الْأَرْضِ

﴿وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ لكرامته لسماع آيات الله ولاستكباره، وقوله:
﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ يتناول المستكبر عن آيات الله، فهو يرى نفسه فوق أن يتبعها
أو يؤمن بها، ويتناول المستكبر عن تلاوتها عليه لأنه يرى نفسه فوق أن
تتلى عليه احتجاجاً عليه أو تذكيراً له أو تخويفاً أو ترغيباً في الطاعة لله أو
نحو ذلك، كل ذلك وأي ذلك وقع يأنف منه ويستكبر.

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ بيان لفرط إعراض هذا المستكبر وعدم
مبالاته بآيات الله.

ومثل ذلك: قوله تعالى: ﴿كَأَن فِي أُنْثَىٰ وَقَرَ﴾ أي ثقلأ أو صمماً وفيه
زيادة فائدة أن سبب عدم سماعه الممثل به علته كونه كالأصم الذي لا
يسمع أي كلام ولكن ذلك بالنسبة لتلاوة آيات الله عليه لا ضعف صوت
التالي ولا مجرد إدباره عن التالي بل بغضه لسماعها حتى كأنه أصم ﴿فَبَشِّرْهُ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
[النساء: ١٣٨] لأن فيه الوعيد وأضاف إليه التهكم بالمنذرين فدل ذلك على
زيادة الغضب عليهم لأن الوعيد وحده يدل على الغضب، فإذا انضاف إليه
التهكم دل على أن الغضب أشد أي أن عذابهم أشد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ
فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ﴾ لأنهم آمنوا بآيات الله فآمنوا بما دلت عليه من وعد الله
ووعيده وغير ذلك مما يجب الإيمان به، فهم ضد المذكورين في قوله تعالى:

رَوَّاسِي أَنْ تَعْمِدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ

﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ فقلوه تعالى: ﴿هَمْ جَنَّتِ النَّعِيمُ﴾ وعد الله لهم بالثواب ودل على بقاء الثواب لهم أبداً بقوله تعالى: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ لتعظيم الرغبة في الإيمان والعمل الصالح لأن ثوابهما سعادة أبدية.

وأكد تعالى وعده بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ فهو لا يتخلف لأن الله لا يخلف الميعاد لأنه عالم بما وعد به وأنه سيكون لأنه غني عن الكذب والتغريز سبحانه وتعالى مع أنه قادر عليه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ومن عزته إكرام أوليائه، ولذلك قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] وكذلك هو من حكمته.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَّاسِي أَنْ تَعْمِدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۚ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ هاتان الآيتان تردان على المشركين، وتدلان على بطلان الشرك من حيث دلنا على قدرة الله تعالى على كل شيء وعلمه بكل شيء وأنه خالق الناس وكل دابة فهو رب كل شيء لا شريك له في عباده.

ولذلك فالشرك باطل واضح البطلان لأن شركاء المشركين لم يخلقوا شيئاً باعترافهم فلا يملكون شيئاً لا من السموات والأرض والجبال ولا من الناس والدواب، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾

وكذلك الله الخالق الرازق المستحق على عباده أن يعبدوه ويشكروا أنعمه، بخلاف شركاء المشركين باعترافهم أن الله هو الذي ينزل الماء وينبت في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ وأن شركاءهم لا يرزقونهم فما بقي لهم عذر في عبادتهم وهذا في المشركين من العرب أهل الأصنام ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لأن ظلمهم يعدل بهم عن سواء السبيل لأنهم لا يخافون الله بل يتجرؤون على الضلال لأنهم لا يتمسكون بالعدل ولا يتقيدون بطلب الحق كما هو شأن كل ظالم.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أي ليس لها أعمدة تمسكها حتى لا تقع على الأرض لأن الله يمسكها بقدرته حيث خلقها مستقلة بقدرته وقوله تعالى: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ يبين أنه تعالى خلقها مستقلة ليس لها أعمدة فلو كان لها أعمدة لرأوها كما يرون السواري وأعمدة الخيام ولو فرض أن قوله تعالى: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ قيد وأنه تعالى خلقها بأعمدة ليست من جنس الأعمدة التي ترى لكان ذلك دليلاً على القدرة الخارقة لما يعرفه المخلوقون من قدرتهم مع دلالتها على أن أصنامهم العاجزة لا ينبغي لعاقل أن يجعلها أنداداً لله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ تشير إلى دلائل منها أن النباتات أزواج أي أصناف وأنواع كل صنف زوجان أو أكثر مثل أزواج الحبوب، وأزواج العنب، وأزواج التمر، وأزواج الرمان، وأزواج الخوخ.. إلى غير ذلك، وذلك دليل على أن الذي أوجدها جعلها أزواجاً بقدرته وعلمه، وذلك من إنعامه على عباده:

ومنهما: أن كل زوج منها كريم باعتبار نفعه للعباد ولذته، فالغذاء من الحبوب والفواكه مثلاً يكون فيه حاجة الإنسان للتغذية، ومع ذلك لذته بحيث يأكله بلذة ورغبة وذلك من كرم معطيه وهي مع ذلك ذات صور جميلة وأكثرها ذات رائحة مرغوبة.

الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

ومنها: أن كل صنف يفيد الدلائل كلها، وذلك لما فيه من دلائل القدرة والعلم والنعمة، وما في كل زوج منه من الخصائص مثل زيادة تغذية أو زيادة لذة أو خفة للبطن الضعيفة أو قوة شجرته على تحمل العطش إذا أبطأ المطر.. أو غير ذلك.

ومنها: أن الأصناف مقسمة بين البلدان فبلاد يصلح فيها التمر وبلاد يصلح فيها الرمان وغير ذلك.

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ هذا إشارة إلى المذكور من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ﴾ إلى آخر الآية ﴿فَأَرُونِي﴾ اجعلوني أراه إن كانوا خلقوا شيئاً ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي شركاء المشركين ماذا خلقوا وهم يعلمون أنهم لم يخلقوا شيئاً ولا يدعون لهم خلق شيء لأنها أصنام عاجزة فكيف تقدر على ما عجز عنه الأحياء المخلوقون ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ بالشرك وغيره ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ عن الصواب غواية عن الحق وقوله ﴿مُبِينٍ﴾ أي بين أنه ضلال.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان عليه السلام قد عرف بهذه الآية وما بعدها من حكاية بعض حكمته وأغنى ذلك عن ذكر نسبه، وذكره الشرفي قال: «ابن أخت أيوب، أو ابن خالته» انتهى المراد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ فسره قوله تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي إِلَى آخر الآية [النحل: ٦٨]. فإيتاؤه الحكمة هدايته لها لا مجرد قول ونزل ذلك منزلة القول كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٣﴾ وَإِنْ

﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي نفع الشكر للشاكر لأن الله تعالى غني عن طاعة المطيع ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ نعمة الله عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ لا يحتاج إلى شكره ولا ينقصه كفره ﴿حَمِيدٌ﴾ مستحق للحمد يحمده الملائكة والمؤمنون من غيرهم قال الشرفي - ونعم ما قال - : «حميد مستحمد إلى خلقه، أي حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد» انتهى.

﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنْ لِّأَبْنَيْهِ وَهُوَ يَعْظُهُرْ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ واذكر يا رسول الله ﴿إِذْ قَالَ لَقْمَنْ لِّأَبْنَيْهِ وَهُوَ يَعْظُهُرْ﴾ قال الراغب: «الوعظ: زجر مقترن بتخويف» انتهى المراد.

﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ الشرك بالله إثبات شريك لله في ربوبيته أو في ملكه بضم الميم أو حكمه أو في إلهيته، فأما شرك الرياء فهو خارج عنه وكذا شرك الطاعة إذا لم يكن من شرك الحكم.

وقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ حكم على الشرك بأنه ظلم عظيم؛ لأن الله تعالى هو الخالق الرازق فالمخلوق عبده المنعم عليه يجب عليه طاعة ربه وعبادته وشكر نعمته، فإذا جعل غير الله هو الذي يجب عليه طاعته وشكره، أو هو المستحق للاعتراف بأنه عبده أو جعل غير الله شريكاً في ذلك كان ذلك حيفاً وجوراً عظيماً.

وقد جعل بعضهم هذه الآية دليلاً على أن الظلم اسم للشرك وهو غلط فاحش، لأنه يصير معناها إن الشرك لشرك عظيم، وذلك يطل الوعظ بها والتعليل للنهي عن الشرك وهو أيضاً مجرد دعوى.

جَهْدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

﴿١٥﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ
أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ ﴿١٧﴾ أَمْرَانِ فِيهِمَا
بِمَا فسرهُ تعالى بقوله: ﴿أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ﴾ فالشكر لله واجب قبل
واجبهما لأنه الذي خلقهما وأنعم على العبد بهما وبعطفهما عليه وبما أعطياه
ولذلك لا تجوز طاعتهما في معصية الله لأن حق الله على العبد أعظم.

وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ تذكير بنعمتها على الولد وبِعظم
نعمتها حيث ربه في بطنها وأشركته في غذائها وفي بعض قوتها حين كان ينمو
في بطنها مستمداً منها بعض أعضائه ونموه، فكلما عظم في بطنها زادها ضعفاً
على ضعف لأنه ينقص من مادة عظامها فقد حملته حملاً وهناً لها على وهن
﴿وَفَصَّلَهُ﴾ أي فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ ترضعه فيهما، قال الشريفي: «أي هذه المدة
غاية الرضاع» وهو مشكل لأن هذه الآية الكريمة تفيد أنهما آخر الفطام،
فالأولى أنها حكاية للواقع من الأم حين كانت تفصله في عامين.

أما قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]
فهو بيان لحكم الله وشرعه ومقتضاها أن يكون الفصال عقيب الحولين لا
فيهما، وقوله تعالى: ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ حث على طاعة الله فيما وصى به، لأنه
يحاسب العبد حين يصير إليه ويجزيه بشكره إن شكر أو كفره إن كفر.

﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ أي وإن شدد الوالدان

فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ

عليك في إلزامك ﴿أَنْ تُشْرِكَ﴾ بالله ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فعدم العلم به كاف لقبح الإقدام عليه مع الجهل سواء كان الجهاد مشتقاً من الجهد بمعنى الطاقة أم المشقة فمعناه: المغالبة ومحاولة أن يغلباه حتى يضعف عن التمسك بالتوحيد والإخلاص ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ لأن حق الله عليك أعظم من حق الوالدين فاستمسك بدين الله ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ فأحسن إليهما وعاملهما بالرفق واللين في الدنيا فهي تنتهي عما قليل.

﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ من رجع إلي أي إلى الله وهذا تذكير بالقدوة في الدين أهل الرجوع إلى الله بعد الشرك لأن أكثر المنيبين إلى الله كانوا مشركين، فبالأولى أن لا تشرك بعد الإسلام ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجعك و مرجع والديك ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ﴾ فأعلمكم أو فأخبركم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يعني سبحانه وتعالى أنه عليم بما كانوا يعملون لا ينسى منه مثقال ذرة، فإذا كانوا قد نسوه فهو ينبئهم ويحاسبهم ويجازيهم يوم يفر الولد منهما ويفران منه وهذه الآية تبين للولد أن حق الوالدين عليه في الشكر لا يجوز طاعتهما في الشرك بل الواجب طاعة الله والإعداد للرجوع إليه فهو الذي ثوابه الجنة، وعقابه النار بخلاف الوالدين بل هما محاسبان ومجزيان وهذه الجملة في الوصية بالوالدين والشكر لله ثم لهما تخللت بين حكاية كلام لقمان عليه السلام لمناسبة عطفه على ابنه، وتوصيته له بالتوحيد وبما ينبغي له أن يتبعه فيه.

﴿يَبْنِيٰ إِنهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ إنها إن تقع سيئة أو حسنة ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ﴾ هذا على قراءة الرفع لـ ﴿مِثْقَالَ﴾ تك مضارع كان وأصله تكن وأما على قراءة نصب ﴿مِثْقَالَ﴾ فقال في (الكشاف):

مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي

«الضمير للهنة من الإساءة أو الإحسان» انتهى، فهي ضمير مبهم يفسره ما بعده مثل ﴿فَسَوَاءٌ مِنْ سَبَعِ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] قال في (الكشاف): «ومن قرأ بالرفع - أي رفع مثقال - فالضمير للقصة» انتهى، وضمير القصة في معنى ضمير الشأن إلا أن ضمير القصة مؤنث وضمير الشأن مذكر.

وقوله ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ أي الحسنة أو السيئة المفهومة من السياق وقال تعالى: ﴿وَأَنْ كَانَ مِثْقَلُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] فإن كانت ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ حجر عظيم تعبير عن خفافها بكونها ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ لا سبيل للعلم بها إلا الله علام الغيوب ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ فإذا كانت على حقارتها في السموات أي ظرفها السموات، فإذا قيل: أين هي؟

قيل: في السموات فهي خفية لاتساع السموات وكذا قوله: ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ ظرفها الأرض ذات الطول والعرض ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يوم القيامة إذا أحضرت الأعمال علمت كل نفس ما أحضرت ﴿يَوْمَ تُجَدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] فالإتيان بها إحضارها للحساب أي إظهارها في الكتاب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لطيف لما يشاء لا يصعب عليه شيء وإن صغر أو خفي خبير عالم بباطن كل شيء وخبره.

﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ هذا التعليم الثالث من لقمان لابنه أمره بإقامة الصلاة أي إتمامها بأركانها وشروطها في دينه وعلمه وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهما من النصيح لله والحب له والرحمة بعباده وأمره بالصبر على ما أصابه عموماً سواء كان بسبب الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، أو بأي سبب.

فمن الصبر: الثبات على الدين وإن أُوذي في الله، ومن الصبر: الصبر على الخروج من البلد لحفظ الدين، ومن الصبر: الرضى بالبلوى من الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦] وقد مر تفسيرها.

ومن الصبر أن لا يترك ما شرع فيه من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر لدفع أذية المأمور أو المنهي أو غيرهما فأما تركهما لخوف الأذية فهو ترك للصبر من حيث أنه ترك لسبب سببه ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي من معزومها، فإن كان المراد مما عزمه الله على عباده فالمعنى من واجب الأمور، وإن كان المراد من فوائد العزم وقوة الإرادة كما هو شأن أولى العزم فالمعنى من ثمرات عزم الأمور (من) في التفسير الأول للتبعيض، وفي الثاني للابتداء، وعزم الأمور في التفسير الثاني العزم فيها.

وفي قوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ إما إفادة أنه واجب أي إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصيبات فيفعل لوجوبه وإما إفادة أنه مستطاع وإن ثقل على العبد إنما يحتاج فيه إلى قوة الإرادة وثبات العزم فعلى العبد أن يوطن نفسه على العزم.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ قال في (الصحيح): «الصَّعَّرَ: الميل في الخد خاصة، وقد صَعَّرَ خده وصاعره أي أماله من الكبر» انتهى المراد. والخذ: شق الوجه الأيمن، وشقة الأيسر، كل واحد خد، وفي (تفسير الإمام زيد) «معناه: تعرض عنهم تكبراً».

وقوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ﴾ يتناول الكبير والصغير والقوي والضعيف، واللام بمعنى أن شق الوجه إذا صعره يكون مولياً لمن يكلمه وموجه إليه ومثل المكلم من هو بمنزلته.

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ قال في (الصحيح): «المرح: شدة الفرح والنشاط - ثم قال - وفرس ممراح ومروح: أي نشيط - ثم قال - وقال الأصمعي في قول أبي ذؤيب:

مصْفَقَةٌ مصْفَأَةٌ عقار شئامية إذا جليت مروح

أي لها مراح في الرأس وسورة يمرح من يشربها» انتهى.

وهذا البيت يُذكر بقول صاحب بن عباد في أرجوزته:

يَمْرَحُ مَنْ تُرَوَّى لَهُ مِنْ غَيْرِ سَكْرٍ وَثَمَلٍ

وهو يفيد: أن السكران يمرح، أي يفرح فرحاً شديداً وينشط في سكره وظاهر (الصحيح): أنهما معنيان شدة الفرح والنشاط، ولم يذكر الراغب إلا شدة الفرح والتوسع فيه.

أما في (لسان العرب) فقال: «المرح: شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره - ثم قال - : وقيل: المرح التبخر والاختيال وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي متبخرًا مختالًا» انتهى المراد.

وهذا تفسير المشي مرحاً سواء كان المرح شدة الفرح أو إفراط النشاط لأنه يبعث على المشي مرحاً، سواء كان مرحاً بمعنى الحال أي ذا مرح ومرحاً - بكسر الراء - أو كان بمعنى لأجل المرح، لأنه إذا كان الباعث على المشي شدة الفرح، أو إفراط النشاط كان الماشي متبخرًا، وهي مشية المتكبر المعجب بنفسه.

وقد يجاب عن هذا بأن مرحاً مصدر، فالظاهر أنه مفعول مطلق وذلك دليل لمن فسر المرح بالتبخر لأنه من صفة المشي ولكن لا يدل على تفسيره بمجموع التبخر والاختيال، وفي (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «يعنى بطراً وكبراً» انتهى.

مَشِيكَ وَأَغْضَضَ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١١﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ

قال في (الصحيح): «البطر: الأشر وهو شدة المَرَح وقد بطر بالکسر يبطر وأبطره المال» انتهى، وحكى الشرفي: «عن الهادي عليه السلام أنه قال: فهو: لا تمش في الأرض أشراً وبطراً ساهياً لا هياً» انتهى.

فظهر: أن تفسير الإمام زيد عليه السلام، مقارب لتفسير غيره للمرح إلا من فسره بالتبختر ووافقهم في ذكرهم الاختيال بقوله عليه السلام، وكبراً ومثله تفسير الشرفي، فإنه قال: «﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي مختالاً» انتهى.

ولا بد أن المرح من صفة المشي لأنه لو كان مجرد الكبر لما بقي لذكر المشي في الأرض فائدة، والتفسير بشدة الفرح له علاقة بالمشي من حيث أنه يستدعي التبختر فيكون مشيه معيياً وشدة الفرح قد اتفق عليه أكثر التفاسير ومنها التفسير بالبطر ولا بد من تفسير المرح بما يجعل المشي معيياً فهو المعبر عن الكبر والإعجاب بالنفس.

فأما قوله: «﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فلعله إشارة إلى صغره بالنظر إلى نسبته من ظهر الأرض وذلك يقلل مرجه كما قال تعالى: «﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾» [الإسراء: ٣٧].

وقوله تعالى: «﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾» أي كل متكبر كثير الفخر بأي سبب يفتخر به، والمختال مناسب لقوله: «﴿وَلَا تُصَغِّرْ حَدْكَ﴾» ولقوله: «﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾» أما الفخر الكثير فهو من شأن صاحب الكبر والإعجاب بنفسه فهو أيضاً مناسب لهما.

﴿١١﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضَضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٢﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ ﴿١٣﴾ وما بعده هو من توصية لقمان عليه السلام،

نِعْمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً^١ وَمِنَ النَّاسِ مَن تَجَدَّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا

والقصد في المشي: التوسط بين الإسراع والتثاقل، ﴿وَأَغْضَضَ مِنْ صَوْتِكَ﴾ بترك رفعه رفعاً شديداً.

ولذلك قال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ وإنكاره بسبب شدته على سمع الحاضر لديه، وهذا في غالب الأحوال، حيث لا حاجة لشدة رفع الصوت، فأما مع الحاجة فيحسن، مثل نداء العباس (يوم حنين): يا أصحاب الشجرة، للذين بايعوا رسول الله ﷺ في الحديبية تحت الشجرة وكانوا في حنين قد فروا فلما سمعوا النداء رجعوا وقاتلوا، وكذلك الأذان للصلاة حيث لا يوجد مكبر الصوت والأصل رفع الصوت بالأذان وكذلك في الخطبة لقوة الإنذار والتخويف عند الحاجة.

وقوله ﴿مِنْ﴾ للتبعض ومثل ما قلت في رفع الصوت يصح في سرعة المشي للحاجة في طلب أو هرب وفي (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: «معناه: تواضع فيه» انتهى، فالإسراع عند الحاجة لا ينافي التواضع.

وقوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أراد أن لا يرفع صوته كما ترفع الحمير وصور له شناعة الرفع الشديد لغير الحاجة، فأما الحمار فهو يحتاجه لأنه إذا ضاع على صاحبه في مرتع دله عليه صوته، وكذا إذا أخافه سبغ نهق فنبه صاحبه ليدفع عنه، وكذا ينبهه ليعلفه أو يسقيه، وقد يكون في مكان مغلق ليس فيه منفذ فلولا قوة صوته لما سمعه صاحبه، وغير ذلك من فوائده وقد أعطاه أحكم الحاكمين فلا يذم عليه ولأنه لا يعقل بحيث لا ينهق إلا في الحالات التي يحتاج فيها إلى الصوت الرفع.

هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ خطاب إما عام للناس كما يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ...﴾ [الحج: ٣] وإما خاص للكفار المشار إليهم في أول السورة.

والأول أرجح: أن الله أنعم عليكم بتسخير ما في السموات لمنافعكم، فالشمس نفعها ظاهر والقمر يتفجع به الساري وفيه حساب الشهور والسنين، والنجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، والجو للمطر، فالكل مسخر للإنسان يجري على ما سخره الله بحساب دقيق، فهو دليل على الله المنعم به على الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ أتمها وجعلها شاملة لمواضعها واسعة قال في (الصحيح): «وسبغت النعمة اتسعت وأسبغ الله عليه النعمة أي أتمها وإسباغ الوضوء إتمامه» انتهى.

وقال الراغب: «درع سابغ: تام واسع، قال الله تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ...﴾ [سبا: ١١] وعنه استعير إسباغ الوضوء وإسباغ النعم، قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ انتهى.

وفي (أساس البلاغة): «ثوب سابغ، وخرج وعليه سابغة، وهو صنع السوابغ... - إلى قوله -: وكمي مسبغ عليه سابغة ومن المجاز أسبغ الله علينا النعم... الخ.

﴿٢٣﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِقَبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٤﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا تَحْزَنْكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا

وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَةَ﴾ كالمشاهدات من الماء والطعام والثياب والبيوت ﴿وَبَاطِنَةً﴾ خفية تدل عليها منافعها كالحواس والقوى الباطنة وكدفع المصائب مثل الرعب في قلوب الأعداء والنعمة لها أصول وفروع ولا يطاق حصرها وهي تدل على المنعم وعلى قدرته وعلمه وكرمه، وغير ذلك من صفاته تعالى.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ كالملاحدة الجاحدين للخالق، وكالجاحدين لقدرة الله تعالى على البعث ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] فهذا من جداله في الله ﴿يَغْيِرْ عِلْمٌ﴾ يستفيده بالنظر في آيات الله ﴿وَلَا هُدًى﴾ من وحي الله وإلهامه ﴿وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ﴾ من كتب الله المنزلة على النبيين التي فيها النور لبصائرهم، فهو يجادل في الله بغير دليل لا عقلي ولا سمعي، مع أن دلائل الله نعمه على عباده وفي أنفسهم دلائل كافية لمن ينظر ويفكر والدلائل على الله لا تحصى ولكنهم يعرضون عنها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فهو الدليل الثابت بالعقل وفيه الهدى والنور للبصائر ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾ إضراب عما دُعوا إليه إلى التعصب للأباء ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أيتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان ذلك طاعة للشيطان يدعوهم بتزيين الشرك وغيره من أسباب النار ليورطهم في عذاب السعير، هذا سؤال لهم وإجابتهم نعم فعاقبتهم عذاب السعير وذلك هو الخسران المبين إن لم يتوبوا في دار الخيار.

مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

﴿١٤﴾ ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَنَقَبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ﴾ عطف على وعيد المتبعين لما وجدوا عليه آباءهم وهم مشركون ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ﴾ يخلصه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ توجهها إلى الله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فلا تكفي سلامتهم من الشرك بل لا بد مع ذلك من الإحسان وقد مر تفسيره عند ذكره في أول هذه السورة ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ تمثيل بمعنى فقد استمسك بسبب النجاة والعروة الوثقى تكون في الحبل ونحوه في شكل دائرة.

و ﴿الْوُثْقَى﴾ التي لا تنفصم ولا تنقطع بمسكها وهذا لأنه تمسك بإخلاص عبادته لله وإحسانه والسبيل إلى ذلك التمسك بالثقلين كتاب الله وعترته رسوله ﷺ ﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾ ترجع ﴿عَنَقَبَةُ الْأُمُورِ﴾ فالأمر فيها لله وحده وعاقبة الأمور ثوابها أو عقابها، فأمرها إليه وحده لا شريك له، ولذلك فهو يثيب ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢].

﴿١٥﴾ ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا تَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا تَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾ لا تخف ضعف دين الله وغلبة أعداء الله حتى يحزنك كفر من كفر، لأن الله تعالى سيظهر دينه ويعاقب أعداءه ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ إلى الله العلي العظيم العزيز الحكيم مرجعهم يوم القيامة لا إلى غيره ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ﴾ فنعلمهم يوم الحساب ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا لأنه لم يخف علينا ولا نسينا منه شيئاً.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَنَّمَا

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأخفى الأعمال الذي تخفيه ﴿الصُّدُورِ﴾ من العقائد ومن
النيات وغير ذلك، وهو مكتوم في الصدور لا يتجاوزها إلى الألسنة أو
غيرها فلا موقع لها إلا الصدور فهو تعالى عليم بها وسوف يحاسبهم بها بعد
أن ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ في محل الاختبار والمتاع نفع قليل وقد
وصف بأنه قليل فهو أقل من القليل، وذلك لأن الدنيا تنفى فتصير كأن لم
تكن كأنما كانت حلماء ثم الآخرة باقية يقابل الساعة في الدنيا أكثر من آلاف
السنين في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيََةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾
[الرعد: ٢٦] فكيف لا يكون متاع الدنيا قليلاً وعاقبته الخلود في النار.

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نلجئهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ولعل هذا الاضطرار
يكون بأن يساقوا إلى جهنم سوقاً عنيفاً أو بكثرة تخزياتهم على رؤوس أهل
المحشر من الملائكة وغيرهم وكثرة الاحتجاج عليهم والتقريع لهم ببيان قبح
ما قدموه من الجرائم وما تجرؤوا عليه من كفر نعم ربهم التي لا تحصى، وما
عاملوا به ربهم الكريم العلي العظيم الغني الحميد سبحانه وتعالى حتى
يرغبوا في التخلص من ذلك الموقف ولو إلى النار نعوذ بالله منها،
فاضطرارهم إليها عذاب يخزيهم قبل عذاب جهنم، ولعل وصف عذابها
بالغلظة لأن عليها ملائكة غلاظاً شداداً، ولأنه ليس لله فيها رحمة إنما هي
دار غلظة وغضب، فلذلك وصف عذابها بالغلظة كما وصفت عيشة أهل
الجنة بأنها عيشة راضية.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهم معترفون له بأنه خالقها فهو ربها المالك لها،

فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْهَارٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ

وأصنامهم لم تخلق شيئاً فلا تملك شيئاً ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على اعتراف هؤلاء المشركين بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنهم لا يتفكرون فلا يحصل لهم علم بأن الله ليس له ند وأن ما يعبدون من دونه لا يملكون شيئاً لأنهم لا يخلقون.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه خالقهم فهو ربهم لا يستحق غيره عبادة لأن العبادة خضوع يعبر عن عبودية الخاضع لمن يخضع له ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الغني عن كل شيء ومنه عبادة العباد وكل ما سواه محتاج إلى الله وهو الحميد المستحق للحمد والشكر سواء حمدوه أم لم يمدوه فلا نقص عليه من كفرهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

لكن هنا الحصر في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ إشارة إلى أن غيره ليس غنياً على الإطلاق ولا حميد على الإطلاق، فكل من سواه محتاج فلا يستحق العبادة، لأنه عبد ضعيف، ولذلك قال في عيسى وأمه ﷺ: ﴿كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] احتجاجاً على من يعبدهما، فهما محتاجان ضعيفان فهما مخلوقان مملوكان.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْهَارٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ﴾ لو برت كل قطعة من كل شجرة فجعلت كل قطعة قلماً

فكم تكون الشجرة الواحدة أقلاماً؟! وهذا يشير إلى كثرة ما يكتب بها، وإلى كثرة الكاتبين بها ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْحَارٍ﴾ وهي مداد فكتبت به كلمات الله وهي آياته القولية وآياته الكونية الدالة عليه المسبحة بحمده الدالة على سعة علمه وإحاطته وعظم قدرته وقهره لكل شيء فكتب كل فرد من ذلك لنفد المداد قبل أن تنفذ كلمات الله، لأن كل جزء من الكون آية واسمها أكثر من الجزء نفسه والمداد من الآيات والأقلام منها وأجزاء الأقلام حتى الخليئة الواحدة آية وحتى أجزاء قطرات البحار آيات، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عزيز غالب لا ينال حكيم يفعل ما هو حكمة وصواب ولا يفعل خلاف ذلك.

والراجع في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾: أن الضمير لما في الأرض من شجرة على فرض أنه أقلام والبحر مداده.

قال في (لسان العرب): «وَأَمَدٌ الدَّوَاءُ وَمَدَّهَا: زَادَ فِي مَائِهَا وَنَقَسَهَا [أي ومدادها] ومدَّها وأمدَّها جعل فيها مداداً وكذلك مَدَّ الْقَلَمُ وَأَمَدَهُ» انتهى المراد، وهو استفاد من غير (لسان العرب) إلا أنه صرح بالقلم وهو المراد.

فصح أن الضمير في يمدّه لما في الأرض من شجرة وهو أقلام وفي هذا فائدتان: الأولى: التصريح بمد البحر وإفادة أنه مداد في نفسه بخلاف جعل الضمير للبحر. الثانية: فائدة قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ كأن تفسيره مسكوتاً عنه، وكنت فسرته بقولي من ورائه، لأننا إن فسرناه من بعده أي من بعد ذهاب البحر كان اعتبار السبعة الأبحر مدداً له وهو معدوم لا يصح في اللغة،

وَاحِدَةً ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

ولكن تفسيره بقولي من ورائه لم أقتنع به؛ لأنه قليل الفائدة، أي ذكر من أين تمد البحر بل هو لا فائدة له، فالحمد لله الذي ألهمني جعل الضمير لما هو أقلام فاتضح به معنى من بعده، فقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْحَارٍ﴾ أي من بعد ذهاب البحر سبعة أنحار فهو قد أفاد أنها مداد تمد الأقلام من بعد البحر.

ألا ترى أنك لو قلت: مشى فلان من بعده فلان، أو شرب زيد من بعده عمرو لفهم اشتراكهما في المشي وفي الشرب، وقد قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُنَّاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [مود: ٧١] على قراءة رفع ﴿يَعْقُوبُ﴾ فقد أفاد أنه مبشر به، ولذلك قرئ بالنصب لأنها بشرت بهما.

قال الشرفي: «قال الحسين بن القاسم عليه السلام: وهذا القرآن جزء من كلمات الله نزل به إلى عباده رحمة منه لهم وعائدة بالفضل عليهم فليس يدرك باطن أغواره ولا يحاط بعجائب أسرارها - في نسخة (المصابيح): إمراره وهو غلط واضح - لأن تحت كل كلمة كلام متصل لا يحصى وعجائب عظيمة لا تستقصى فنحن على كل حال مقصرون عن أغوار بحوره منحسرون عن غايات أموره إلا أنا سنستجهد بقدر طاقتنا ونتكلم على قدر مبلغ عقولنا» انتهى، ومثل أول هذا الكلام كلام الإمام القاسم عليه السلام في معاني القرآن.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿مَا خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَلَا بَعَثَكُمْ﴾ بعد الموت ﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خلقها الله - عز وجل - ويبعثها أي الكل مثل الفرد في قدرة الله تعالى على خلقه وعلى بعثه وفي علمه به وتدبير أموره وغير ذلك من علمه بأحواله وأفعاله وأقواله وأسراره في ضميره.. وغير ذلك.

وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي

فلا بد من بعثكم، لأن الله تعالى يسمع ما تقولون ويرى ما تفعلون من حق أو باطل أو عدل أو ظلم أو إيمان أو كفر، وليس في الحكمة أن يجعل المسلمين كالمجرمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمسيء، فلا بد من بعثكم ليجزي الله كل نفس ما كسبت.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَتَجَرَّي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٦﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴿٢٧﴾ فبتدأ ظلمة الليل خلال ضوء النهار ﴿وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فبتدأ ضوء النهار خلال ظلمة الليل.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ﴾ تجري في بروجها ﴿وَالْقَمَرَ﴾ كذلك ﴿كُلُّ﴾ من الليل والنهار والشمس والقمر ﴿يَتَجَرَّي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أجله الله له بقدرته وعلمه ورحمته وفضله لأنها غير موجودة لذاتها فلا تبقى إلا بإبقاء الله لها في آجالها التي سماها لها.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ يَتَجَرَّي﴾ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] وفي هذا الزمان اتضح أن الليل والنهار يجريان على الأرض، ولذلك يكون بعض الوقت ليلاً عندنا وهو في (أمريكا) نهار، والعكس حين يكون بعض الوقت نهاراً عندنا في (اليمن).

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لأنه بكل شيء عليم، وقد دل على ذلك بآياته السمعية والعقلية فهو خبير بما نعمل عليم به ويخبره ومقدار حسنه أو قبحه ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الآيات ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ القدير العليم

الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا

المدير لأمر ما خلق ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ الذي لا ريب فيه كما دلت عليه هذه الآيات ﴿وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ﴾ أيها المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي من دون الله ﴿الْبَاطِلُ﴾ ليس إلهًا ولا ربا ولا مدبرا للأمر وإنما عبادته باطل مبين، وذلك بـ ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ القاهر فوق عباده الغالب على أمره ﴿الْكَبِيرُ﴾ المستحق للعبادة والتعظيم لا أصنامهم العاجزة الحقيرة فالله هو الحق وقوله الحق ووعدته الحق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿الْفُلْكَ﴾ السفائن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ لأنه سخر البحر والرياح التي تسوق السفائن على البحر فيسافر بها للتجارة ونقل حاجات الناس من بلد إلى بلد بنعمة الله على عباده فنعمته تعالى بتسخير البحر والرياح هي التي لأجلها أمكن السفر في الماضي، وفي الحال سخره بتعليمه للإنسان استعمال الديزل أو نحوه من المحركات في إجراء السفائن وغيرها.

كل ذلك ﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ وتيسيره لمواد السفائن ﴿لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على أنه الخالق المدير لأمر عباده ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ جري الفلك، أو هو وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، وتسخير الشمس والقمر ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ فالصبار على بلاء الله وعلى طاعته والشكور على نعم الله عليه ومنها نعمة الهدى بآيات الله هو الذي يتفكر في آيات الله ويتفهم كتابه فيعرف دلائل آيات الله.

نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣١﴾
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا

﴿٣١﴾ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ﴾ غشى أهل الفلك الموج الماء الكثير الذي يتموج بعواصف الرياح ﴿كَالظُّلَلِ﴾ حين يغشى أصحاب السفينة فيطلع على جانب السفينة أو على جوانبها من كل مكان، فحينئذ خافوا الغرق خوفاً شديداً، لأنهم في البحر إذا كثر الماء في السفينة أو امتلأت هوت في الماء وغرق أهلها، فلذلك اضطروا إلى الدعاء لله وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي المعاملة بالطاعة والدعاء ونسوا إذا كانوا مشركين نسوا شركاءهم لعلمهم أنها لا تنقذهم ولا ينقذهم إلا الله إن شاء فلذلك دعوا الله ونسوا ما كانوا به يشركون.

﴿فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ أنقذهم فخرجوا من البحر وصاروا في البر ﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ أخذ لقصد السبيل تارك للعدول عنه إلى الشرك والجرائم ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ كل غدار كفور لنعم الله عليه.

قال الشريفي: «قال الحسين بن القاسم عليه السلام: ختار: أي غدار خسيس لا وفاء له بعهده ولا تمام له في عقده قال الشاعر:

وبالملك الرحمن أحلف صادقاً وأقسم أنني ما خترت من العهد

وقال آخر:

وما أنا بالخَبِّ الخُثُور ولا الذي إذا استودع الأسرار يوماً أذاعها»

انتهى.

مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ الْوَلَدِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

وفي (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «كُلُّ حَتَّارٍ معناه: غدار». انتهى، وقال الراغب: «وكفر النعمة سترها بترك أداء شكرها ثم قال: والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في - جحود - الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً - ثم قال - : ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود» انتهى، وهذا يدل على أن الأصل في معنى الكفر كفر النعمة - ثم قال الراغب - : «والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يحدد الوحدانية أو النبوة أو ثلاثتها» انتهى.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ الْوَلَدِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ بطاعته والتوبة إليه ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا﴾ هو يوم القيامة يوم الجزاء لكل نفس بما كسبت ﴿لَا يَجْزِي﴾ أي لا يجزي فيه ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ قال الشرفي: «قال في (البرهان): يقال: جزيت عنك أي أغنيت عنك، والثاني لا يحمل قال الداعي: وأجزيت أمر العالمين ولم يكن ليجزى إلا كامل وابن كامل»

انتهى

قلت: البيت شاهد في الإجزاء وهو غير الجزاء، لأن أجزى فيه زيادة الهمزة ولعل الإمام (صاحب البرهان) يرى أن المعنى لا يختلف بالهمزة إلا في التعدية. قال الشرفي: «وقال الحسين بن القاسم عليه السلام: معنى ﴿لَا يَجْزِي﴾ لا يفدي عنه العذاب، قال الله سبحانه ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النِّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥] أي فداء مثله» انتهى المراد.

وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٦﴾

وفي (الصحيح): «وجزى عني هذا الأمر أي قضى، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] انتهى.

وفي (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «﴿لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾ يعني: لا يغني» انتهى، وهذا الذي صدره في (البرهان) والمعاني متقاربة والإغناء: هو كفاية أحدهم للآخر ما أهمه قال تعالى حاكياً: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧].

﴿إِنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ فقد وعد عباده بالجزاء يوم الحساب لتجزى كل نفس بما تسعى، فالتجاهل به أو جحده أو الغفلة عنه ليس من شأن العاقل لأنه خطر أعظم من كل خطر ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وقد غرت أما أحبوا العاجلة وتركوا الآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ والغرور - بفتح الغين - كثير الغر لغيره، لأن فعولاً من أمثلة المبالغة مثل ضروب، وفي (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «معناه: الشيطان» انتهى.

وغروره بالله: أن يمي الإنسان المغفرة من الله والرحمة أو يزين له المعصية أو يملأ قلبه غيظاً وغضباً بوسواسه وإغرائه أو أي وسيلة يخدعه بها، قال في (الصحيح): «وغره يغره غرورا خدعه، يقال: ما غرك بفلان أي كيف اجترأت عليه ومن غرك من فلان أي من أوطاك عشوة فيه» انتهى. وفي (لسان العرب): «غره يغره غراً وغروراً - ثم قال - : قال الأصمعي: ما غرك بفلان أي كيف اجترأت عليه».

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [النمل: ٦٠] «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ» تعليل للتحذير الماضي، لأن الله يعلم كل خفي،

حتى أنه يعلم متى الساعة أي القيامة، وهو الذي أعلم الناس أنها ستكون، وأعلمهم ما يكون فيها من الحساب والثواب، فعلمها شامل لكل شيء من أمرها عنده تعالى.

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ وذلك يدل على علمه بكل دقيق، لأن الغيث ينزل بقدر لا يسرع حتى يضر ولا يتفرق حتى تبطل الإغاثة به، وكذلك ينزل كأنه من غربال وكذلك يكون عذاباً صالحاً للشرب وسقي المراتع والحرث، فصانع قطراته ومدبر إنزالها للإغاثة عليهم بكل خفي وكل صغير وكبير.

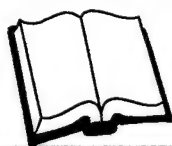
﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ [فصلت: ٤٧] وعلمه بما في الأرحام شامل له ولكل أوصافه قال الشرفي: «﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى ناقص أم تام أم عمر أم لا أشقي أم سعيد» انتهى. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ لأنه مستقبل ومحاط بقدرة الله وتدبيره لأمره فلو عزم على شيء فإنه لا يعلم العبد أيفعله أم لا، ولذلك يقول القائل: إن شاء الله وشرع لنا ذلك فلا يعلم الغيب مخلوق إنما الغيب لله ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ لأن هذا غيب لا يعلمه إلا الله علام الغيوب.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأسراركم ولا من غير ذلك ﴿حَبِيرٌ﴾ يعلم خبر كل شيء، وما بطن من أمره قال تعالى حاكياً: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] فعلينا أن نراقب الله تعالى في كل تصرف وفي كل فعل لا نعلم أحق هو أم باطل، وفي كل ترك كذلك كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وامسك عن طريق إذا خفت ضلالته» وقال عليه السلام: «(من التوفيق الوقوف عند الحيرة) وبالله التوفيق».

تم بحمد الله تحرير ما تيسر من تفسير (سورة لقمان)

والحمد لله على كل حال

التفسير في التفسير



سورة التَّجْوِذِ



سُورَةُ السَّجْدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي

ابتداء تفسير سورة الجرز (الم السجدة) وأكثرها (مكي)

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ قد مر في أول (سورة البقرة)
وغيرها ما يكفي في شأن هذه الأحرف.

﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ الراجع: أن (تنزيل)
مبتدأ أخبر عنه تعالى بقوله: ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كما في (سورة الزمر)
(و غافر) و (الجاثية) و (الأحقاف) في الإخبار بأن تنزيل الكتاب من الله.

و الراجع - أيضاً - أن قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبر أول ينفي عن
القرآن كونه مما يرتاب فيه أي يشك ويقلق منه أي ليس من شأنه ذلك، لأنه
حق واضح لمن نظر في الدليل على ذلك، وهو أنه كلام الله أصدق القائلين،
فهو كله صدق وحق.

ثم تلاه الإخبار بأنه ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المالك لهم الذي له الحكم
وحده عليهم والذي هو رحيم بهم والذي هو عالم بمحاجتهم إلى هداه والذي
يريد أن يعبدوه وأن يدعوهم إلى الحذر من إضلال إبليس وذريته وأن يقيم
عليهم الحجة به في إثبات رسالة محمد ﷺ وفي الإنذار بالآخرة وما فيها من
الجزاء وبغير ذلك لأنه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي يرجعون إليه يوم الدين،
فانزل القرآن بيانا للناس ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

﴿٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٦﴾ أَمْ ﴿٧﴾ إضراب إلى التعجيب من القائلين:

سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۚ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِّنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي

﴿أَفَرَأَيْتَهُ﴾ مع أنه الحق المبين، بل هو ﴿الْحَقُّ﴾ أي بل القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ﴾ الذي أنزله عليك يا محمد ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ أم القرى ومن حولها ﴿مَا أَتَنَّهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يندبرهم عذاب الآخرة فهم في أشد الحاجة إلى هذا القرآن لينقذهم من النار لتندبرهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْتَدُونَ﴾ من ضلال مبين هم فيه، أما (لعل) فيمكن أنها راجعة إلى قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾ أي راجياً أن يهتدوا.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۚ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ليس شركاؤهم فعلوا شيئاً من الخلق ولا من تدبير أمر العالم ومن فيه بل ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من النيرات أو من النيرات وغيرها ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي في مقدار ستة أيام يبين سرعة خلقه لذلك ليبين قدرته وأنه لا ند له، وذلك يبطل قول من زعم أنها أيام من أيام الله بزعمه وأن أيام الله كل يوم منه مقداره ألف سنة، أو نحو هذا الكلام.

وهذا خلاف ما تفهمه العرب من قوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ولا نسلم أن ما ذكره هو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وقوله تعالى في هذه السورة ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ كما يأتي بيانه إن شاء الله.

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بمعنى: ثم دبر أمر الخلق أو ثم تولى تدبير أمر ما خلق أو ثم أمر بما شاء أو نحو هذا مما هو شأن الملك وولاية التصرف، لأنه لما خلق كان إليه الأمر، لأنه له الخلق والأمر، كما قال تعالى في (سورة الأعراف) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿..أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [آية ٥٤].

يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿١﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾ الولي: الذي إليه تدبير أمورهم
وحياتهم وموتهم وأرزاقهم وغير ذلك، فهو الله وحده ولي ذلك ليس لهم من
دونه ولي فلا معنى لعبادة غيره بالدعاء والرجاء ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي ما لكم من
دونه من شفيع بمعنى ما لكم من شفيع له الحق في أن يشفع أو يستطيع أن
يشفع ولو بدون رضى من الله بالشفاعة ولا إذن، فهذا معنى ﴿مِّن دُونِهِ﴾.

بل لله الشفاعة جميعاً فلا تكون إلا برضاه وإذنه، كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ
مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِّن بَعْدِ أَن يَأْخُذَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ
وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] فإذا كان أمر الشفاعة إلى الله وحده لا شريك له فلا
معنى لطلبها من غيره أو رجاها إلا: بإذنه ١- لمن يشاء ٢- ورضاه ٣- أي
من بعد تمام الشروط الثلاثة، فرجاؤها من دون ذلك أمل خائب، ولذلك
فلا معنى لعبادتهم لشركائهم وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله بل ذلك من
ضلالهم المبين، ولذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ سؤال توبيخ لأنه قد
ذكرهم بما كفى.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِّنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ من أموره تعالى يقضيه بحكمة
في عاقبته يقضيه وينزل به ملائكة، كقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ
أَمْرِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢].

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ الأمر، وأفاد إنزاله قوله تعالى: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ إِلَى
الْأَرْضِ﴾ ولكن في الكلام إيجاز والذي يعرج إليه هو ما تعرج به الملائكة في

رجوعها من الأرض إلى السماء من أمر، مثل طاعتها لله في رجوعها، ومثل إخبارها بما شاء سبحانه ونقلها له إلى السماء من الأرض كإخبارهم بتبليغ ما بلغوا، وإخبارهم بأن الرسول من الناس قد بلغ ما أرسل به، وإخبارهم بمن آمن، أو بأن بعضهم قد آمنوا بالرسول، أو نحو ذلك من الأمر الذي أمروا أن يعرجوا به والنزول والعروج ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ بالنسبة إلى النزول والعروج ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لأنه اتسع لبلوغ مسافة خمسمائة في النزول ومثلها في الصعود أي الطلوع إلى السماء.

ولو كان المراد أنه ينزل ويطلع في ألف سنة، لكفى أن يقول: في ألف سنة مما تعدون مع أن جبريل عليه السلام ينزل على الرسول ويرجع إلى السماء مرات عديدة في مدة رسالة الرسول من الناس ولم يكن مدة رسالة محمد ﷺ إلا نحو ثلاث وعشرين فلو كان جبريل عليه السلام لا يرجع إلا بعد نحو ألف سنة لمكث في الأرض إلى ذلك التاريخ من أول ما نزل، وهذا لا نعلم أحداً يقوله، مع أن الله تعالى قد أفاد تنزل الملائكة من كل أمر في ليلة القدر كل عام فلا بد أنهم يرجعون في كل عام وإلا امتلأت الأرض بالملائكة، وأيضاً قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

فلو كانوا باقين في الأرض ألف سنة لنزل لهم رسول على مقتضى معنى هذه الآية، وإن كان بقاؤهم في الأرض لأمر الله لهم بالبقاء لا لأنهم يمشون مطمئنين، لأن المعنى واحد هو طول غيابهم عن السماء، لأن عمر الواحد من أمة محمد ﷺ أقل من ألف سنة واحتاجوا إلى رسول، فكيف لا يحتاج إليه من يمكث في الأرض نحو ألف سنة لأجل ما يستجد من الأمور لأن الشرائع تختلف باختلاف الأزمان والأحوال.

فظهر: أن ليس المراد إلا بيان سرعة نزول الأمر ورجوعه في يوم واحد وأن تقديره بألف سنة إنما هو تقدير معناه باعتبار ما وقع فيه.

قال الشرفي: «من ذلك قول الهادي عليه السلام - حيث قال - : معنى ﴿يُدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ فهو ينفذ ما يريد من الأمور من السماء إلى الأرض مع جبريل عليه السلام إلى أنبيائه (عليهم السلام) في أرضه ثم يعرج جبريل إليه من بعد إنفاذ ما أمر به في مقدار يوم فيقطع في مقدار ذلك اليوم ما لو كان مبسوطاً في الأرض لم يقطعه العالمون إلا في مسير ألف سنة ومعنى يعرج، فهو يصير إلى الموضع الذي بعث منه، وهو محل جبريل عليه السلام، وموضعه الذي يعرج إليه جبريل راجعاً» انتهى.

وجبريل عليه السلام يعرج في طاعة ربه، وإلى حيث ينتظر ما يأمره به ربه، ولذلك كان عروجه إلى الله، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي..﴾ [الصافات: ٩٩] لأنه ذاهب إلى حيث يعبد ربه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ..﴾ [النساء: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ من السنين التي تعدونها وهي السنون القمرية، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً أو تسعة وعشرون.

﴿ذَٰلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ..﴾ إلى آخر الآيتين هو ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ وقد دل على ذلك إحكام صنعه وتصرفه في السموات والأرض وتدبيره لأمرهما ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا ينال ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده ومن عزته ورحمته إرسال الرسل وإنزال الكتب فلم يهمل عباده ومن عزته إقامة الحجة وإنذارهم بالجزاء في الآخرة.

طِينٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ

﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١١﴾ أَي أَحْسَنَ صَنِيعٍ كُلِّ مَا صَنَعَهُ وَأَحْكَمَهُ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي لَا تَقَاسُ بِهَا قُدْرَةُ الْمَخْلُوقِينَ وَعَلَى عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ فَقَدْ أَتَقَنَ صَنِيعَ كُلِّ حَيْوَانٍ عَلَى مَا يَنَاسِبُ عَيْشَتَهُ وَصَنِيعَ أَجْزَاءِ أَعْضَائِهِ وَشَبَكَةَ عُرُوقِهِ الْمَصْرُوفَةِ لِدَمِهِ إِنْ كَانَ ذَا دَمٍ مِنْ بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَطَوْلِهِ وَعَرْضِهِ بَيْنَ عُرُوقٍ وَاسِعَةٍ وَعُرُوقٍ دَقِيقَةٍ تُوْدِي وَظَائِفُهَا إِلَى دِمَاغِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَغَيْرِهَا، كَشَبَكَةِ مَوَاصِيرِ الْمَاءِ الَّتِي تَصِلُ فِي الْمَدَنِ إِلَى كُلِّ بَيْتٍ وَإِلَى بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ، وَكَمَا قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ رحمته:

يا من يرى مد البعوض جناحه في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل

وكل حيوان قدر له رزقه الذي يوافق صنعه وعيسته وهده له وغير ذلك من لطيف إحكامه تعالى لما خلق وإتقانه لتدبيره، وكذلك صنعه سبحانه وتعالى للشجر وكثرة أجناسها وكثرة أنواع كل جنس وتدبيره لها تغذيها بما تمتصه عروقها من الأرض من الماء وما فيه من مواد غذائها، وجعله للمجاري في عروقها إلى أعوادها الغليظة ثم إلى أعوادها الدقيقة ثم إلى أوراقها وثمارها وفي الورقة الواحدة مجاري لغذائها.

وكذلك في الثمرة، وفي إتقان صنع الأعواد، وإتقان صنع الأوراق وإتقان صنع الزهور، وإتقان الثمار والفرق في الثمار عند ظهورها قبل طيها وعند وقت اقتطافها حين تطيب، فتكون طعاماً: كالحبوب، والفواكه، أو دواء: كبزر السماق وهو (العثرب) في لغتنا، وبزر قطونا وهو (بزر قطنة) في لغتنا والثوم وغير ذلك، وبعض الشجر تكون ثمرته في بطن الأرض كالزنجبيل وغيره، فسبحان الله الذي أحسن كل شيء خلقه وأحاط علمه بكل صغير وكبير، وهذا مثال لأن آياته يصعب حصرها في كل ما في الأرض فضلاً عن النيرات وما في السموات وما في البحار وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ وهو خلق آدم عليه السلام، وذلك من أوضح الدلائل على البعث ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ وهو ذريته ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ وهو المني خال عن الصورة والأعضاء بل هو ماء سائل وهي ﴿سُلَالَةٌ﴾ تنسل من العروق وغيرها أي تنفصل عند نزولها إلى الأنثى، وقوله: ﴿مَّهِينٍ﴾ صفة لهذا الماء أي حقير لأنه ضعيف كالمخاط وتغسل عنه الثياب إذا وقع فيها شيء منه والمهين مشتقة من المهانة لا من الهوان والذي من الهوان يقال فيه مهان، والمهين الحقير كما في الصحاح وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي سوى الإنسان بإتمام أعضائه الظاهرة كالرأس واليدين والرجلين والباطنة كالقلب والكبد والدماغ والعروق والعصب والمعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة.

وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ أي نشر فيه الحياة في أعضائه وأجزائها ومركزها القلب، قال الشرفي: «﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ عبارة عن إحيائه ودل بإضافة الروح إلى ذاته إنه خلق عجيب لا يعلم حقيقته إلا هو، كأنه قال: ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبعلمه» انتهى.

هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ يَتَوَفَّنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرُمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ

وقد قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] فأضافه إليه، ولم يقل: من ربي.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ كناية عن العقول التي في الأفئدة، والأفئدة جمع (فؤاد) ونعمة الثلاثة كل واحد منها تساوي مملكة فكيف وقد جمعها الله للإنسان، وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ واضح ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ومنهم: من ييحد بآيات ربه، ويكذب رسله، وينكر القيامة ﴿لَيَفْجُرْ أَمْلَهُ﴾ [القيامة: ٥].

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ مع وجود آيات قدرة الله وعلمه قالوا: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ سؤال منهم في معنى الاستبعاد والإنكار إذا ضلوا أي ضاعوا، بأن تحولت عظامهم تراباً وأجزاء صغيرة ضائعة في التراب أو تربت عظامهم تماماً فضاعت في بطن الأرض سألوا ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بعد أن ضللنا في الأرض نسوا أن الله خلقهم وخلق آباءهم من تراب ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ في موقف السؤال والحساب يوم القيامة بل هم به ﴿كَافِرُونَ﴾ جاحدون لا مجرد سؤال واستبعاد.

﴿قُلْ يَتَوَفَّنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ جنس من الملائكة أو فرد، لأن التوفي قد نسبته الله إلى الملائكة، قال تعالى: ﴿فَكَفِّفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧]

عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٢٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ

ولا تنافي لأن اسم الفرد يعبر به عن الجنس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ﴿الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ﴾ ليتوفاكم وتوفيهم أخذ أرواحهم لله، وكذلك لا ينافي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] لأنه بأمر الله وتمكينه يتوفاهم، فصحت النسبة إلى الله وإلى الملك، كقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَلِيلِكُمْ﴾ [التوبة: ١٤].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ إلى ربكم المالك لكم الذي حكم عليكم بأن ترجعوا إليه ليحاسبكم ويميزكم وتكون حالكم يومئذ كما يأتي في الآية التي بعد هذه، وهذا لأن الاحتجاج على قدرة الله وعلمه قد قطع عذرهم فما بقي إلا زجرهم بالوعيد.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ حال المجرمين الذين كانوا يكذبون بلقاء ربهم، لو ترى حالهم يوم يلقونه لرأيتهم في خوف شديد وغم شديد وذلة شديدة وخضوع لا يفيد يقولون: (ربنا أبصرنا) (ما كنا نجحد) (وسمعناه...) ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ يقولون ذلك وهم ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ وهم في موقف حساب ربهم لهم أو بعده قد حطمهم الخوف فنكسوا رؤوسهم قد أيقنوا بما وعد الله به لكن لم ينفعهم اليقين.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ هذا يفيد: إبطال سؤال المجرمين الذين طلبوا أن يرجعهم الله ليعملوا صالحاً، لأنهم قد أيقنوا وكذبوا إنما طلبوا

يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ^ط وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾
 إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ
 رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ
 يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٩﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا
 أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا

ذلك لأن الخوف قد اضطربهم ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْتَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]
 باضطرابهم إلى الهدى في الدنيا، وأغنى ذلك عن اضطرابهم بإبصار ما وعدوا
 وسمعه وإحضار جهنم وتقطيع السماء ونسف الجبال.

﴿وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾
 فهو الذي قضت به الحكمة، لأن الله تعالى مكنهم من الهدى باختيارهم
 وأرسل الرسل وأنزل الكتب، فما استحقوا جهنم إلا باختيارهم لأسبابها
 وبعد قطع العذر بإنذارهم فكذبوا النذير وتمردوا على الله.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ^ط وَذُوقُوا
 عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَذُوقُوا﴾ أيها المجرمون سوء مصيركم
 هذا ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ في الدنيا ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ فلم تستعدوا له بالإيمان
 والعمل الصالح، بل أطعتم عدوكم وعصيتم ربكم ﴿إِنَّا نَسِينَكُمْ﴾
 تركناكم ترك الناسي لكم في سوء العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الذي
 لا موت فيه بل بقاء لا نهاية له ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ جزاء لكم بما كنتم
 تعملون من الجرائم وفي هذا الإنذار ما يكفي من عقل.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا
 بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن

قُرَّةٌ أَعْيُنٍ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا أَهْلُ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ، لَا الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿أَفْتَرَاهُ﴾ فليس من شأنهم أن يؤمنوا، فقد مر في السورة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ومر ذكر الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وعلمه لتحقيق صدق وعد الله بالآخرة فما كان المتمردون ليؤمنوا بها إنما يؤمن بها وبغيرها من آيات الله، إنما يؤمن بها المستعدون للإيمان بنية صالحة وسلامة من الإصرار على القبائح، فقلوبهم سليمة من الرين، فإذا سمعوا آيات الله خضعوا لها فخرجوا خاضعين لله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧].

وقد مر في تفسير (سورة الإسراء) إنه سجود بمعنى السقوط خاضعين لله، ليس بمعنى السجود الشرعي؛ لأن السجود الشرعي ليس على الذقن واستعمال السجود في القرآن لغيره كثير، مثل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَابِقَةٍ﴾ [النحل: ٤٩] ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ..﴾ إلى قوله: ﴿وَالشَّجَرُ وَالدُّبَابُ﴾ [الحج: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠] لعله من هذه، لأنهم لم يكونوا قد تعلموا السجود الشرعي.

فظهر: أن الذي في قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ من هذا بمعنى سقطوا خاضعين لله إيماناً بآيات الله، وبما تضمن ذكره التذكير بها من الآخرة وما فيها، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا..﴾ إلى آخر الآيتين، ففيها تذكير عظيم للذين ﴿قَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ولكن المؤمنين هم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾.

أما هؤلاء فلا يخضعون إذا ذكروا بها، فهم لا يؤمنون بها خضوعاً لله ربهم الذي يذكرهم بما يلاقونه يوم يلقونه، ولعل هذا في العرب الذين إذا

سمعوا القرآن فهموه وفهموا أنه خارق للقدرة البشرية، فبهرهم فسقطوا خاضعين كما ﴿أَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠] والله أعلم، أو الحصر إضافي، كما بينت في أول تفسير هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ بعثهم الإيمان على ذلك فسبحوا نزهوا الله عما يصف المشركون أهل الضلال في الجاهلية وأصبحوا التسييح بحمد الله على نعمة الهدى بآيات الله وعلى سائر النعم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان ولا عن غيره من طاعة ربهم كما استكبر القائلون: ﴿أَيُّدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ فلم يؤمنوا بآيات الله فهذه ثلاث صفات للمؤمنين بآيات الله:

الأولى: خضوعهم ﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾.

الثانية: أنهم ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

الثالثة: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ في (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «معناه: تتنحى، وترتفع» انتهى.

ولعل هذا تفسير بالمطابق لأن الجفاء أقله إعراض ونبو عن المجفو يدل على الكراهة له أو لعله أراد وترفع لعلو همتها، قال في (الصحاح): «الجفاء: خلاف البر - ثم قال - : فتجافى جنبه عن الفراش: أي نبا» انتهى.

وفي (أساس البلاغ): «جفاني فلان: فعل بي ما ساءني» انتهى.

وفي (أمالي أبي طالب عليه السلام) في (باب فضل أهل البيت عليه السلام) في قصة وفاة محمد بن جعفر بن محمد عليه السلام: «فقال المأمون: تلك رحم مجفوة منذ مائتي سنة» انتهى.

وقال في (الصحيح): «نبا الشيء عني ينبو، أي تجافى وتباعد - ثم قال -: وفي المثل: «الصدق ينبى عنك لا الوعيد» أي إن الصدق يدفع عنك الغائلة في الحرب دون التهديد، قال أبو عبيدة: هو ينبى غير مهموز» انتهى. يعني ليس من النبا.

وفي (لسان العرب): «وجفا جنبه عن الفراش: نبا عنه ولم يطمئن إليه، ثم قال: وفي الحديث إنه كان يجافى عضديه في السجود أي يباعدهما وفي الحديث إذا سجدت فتجاف وهو من الجفاء البعد عن الشيء» انتهى.

فتحصل: أن قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ يفيد رغوبهم ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ بخلاف من يميل إليها، وفي الحديث: «ألا وإن من علامات العقل: التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود» ومعناه: الرغوب عن دار الغرور والإعراض عنها، فالتجافى فعل مقترن بأمر نفسي هو الرغوب عن المضاجع والمراد أنهم يقومون لعبادة الله في الليل، كما قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ أي من عذابه فالخوف يحركهم للدعاء بالمغفرة والنجاة من النار ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته وتوفيقه لحسن الخاتمة وللجنة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ مما أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يخص الحلال، ويبعث على الإنفاق، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَلِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] وذلك أن المنفق ينفق لله مما آتاه الله، وخصوصاً ما كان في سبيل الله، ومن الباعث على الإنفاق كونه وسيلة للتثبيت على صراط الله، وكون ثوابه مضاعفاً أضعافاً كثيرة، وخصوصاً الإنفاق في سبيل الله فالخوف يبعث على الإنفاق والطمع يبعث على الإنفاق.

كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي من ثواب تقر به أعينهم أي يسرهم وذلك في الآخرة وفي الجنة ينالون من الثواب ما ينتظرونه من الله، وما لا يخطر على قلوبهم في الدنيا، قال الشريفي: «قال في (البرهان): روينا عن آبائنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: إني أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ما أطلعتهم، فأقروا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ..﴾ الآية» انتهى، وقوله: (الآية) لعله من تصرف بعض الرواة.

وقوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تمام الترغيب فيما ذكره الله ورغب فيه، لأن تذكر الثواب العظيم يبعث المؤمن على الصبر على العمل الصالح.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ﴾ فالمؤمن يفعل الخير ويترك الشر يوالي أولياء الله، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر مع إخوانه المؤمنين، ويقوم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويطيع الله ورسوله، وأما الفاجر الخبيث فلا يتوقع منه ذلك، ولذلك اختلف جزاؤهم في الآخرة فلا يستوون في الدنيا فلا يستوون في الآخرة.

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ جمع جنة أعدت لتكون مأوى يأوي إليها أولياء الرحمن وهذه الجنات في الجنة كل جنة مجهزة بالمسكن الطيب والخور كما أفادته (سورة الرحمن) مع ما فيها من الفواكه والنعيم العظيم انظر (سورة الرحمن) ﴿نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أصل النزول ضيافة النازل كما قال:

فَمَا وَهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا
عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ
الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا

قال في (الصحيح): «النزل: ما يُهَيَأ للنزِيل» انتهى. وقال الراغب:
«والنزل: ما يعد للنازل من الزاد.. إلى قوله: وأنزلت فلاناً أضفته» انتهى.
ولعل تسمية الجنات ﴿نُزُلًا﴾ ليدل على إكرامهم لأن الضيافة يقصد فيها
إكرام الضيف، فأما جعل الزقوم والحميم نزلا فهو تهكم بأعداء الله كما في
البيت الذي جعل فيه قتال النازلين قراهم، وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب ما كانوا يعملون؛ لأنه جزاء به.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا
فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿فَمَا وَهُمْ﴾
أي في الآخرة ﴿النَّارُ﴾ فهو جمر جهنم ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا﴾ كلما حاولوا ﴿أَنْ
تَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ بتزحزحهم من أماكنهم مع ثقل السلاسل وشدة التحرك من جمر
إلى جمر ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ في أماكنهم ليقوا فيها ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾
وهذا عذاب نفسي إرجاعهم والقول ذوقوا عذاب النار ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ﴾ يحقق لهم أنه جزاء على جرائمهم التي سبب لهم الإصرار عليها
تكذيبهم بالجزاء ومن جرائمهم التكذيب فهو سبب العذاب من الجهتين وفيه
تحقيق أنه العذاب الذي وعدهم الله به فكذبوا وعده، كقوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ جَهَنَّمُ
الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن: ٤٣] فبين لهم صدق وعد الله تعالى.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ عذاب في الدنيا (أدنى) أي أقل من عذاب جهنم

بِأَيَّتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي

﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قبل العذاب الأكبر فيما بينهم وبين العذاب الأكبر وهو
عذاب جهنم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تعريضاً لهم على الرجوع إلى الله حيث يقبل
منهم إن رجعوا فجعل التعريض رجاء لأن الراجي يفعل السبب رجاء حصول
المسبب، كأنه قيل: رجاء أن يرجعوا، والمقصود أنه كفعل الراجي.

فقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ مجاز، ومن هذا العذاب ما حكاه الله
تعالى في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧٦]
وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
مُنْتَقِمُونَ﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ سؤال في معنى النفي، يفيد: أنه لا أظلم ﴿مِمَّنْ ذُكِّرَ
بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ لأن عبداً ذكره الله بآياته يدعو به إلى رحمته إلى السعادة الدائمة في
جنة الخلد وإلى النجاة من عذاب شديد دائم وأمر الله رسوله والمؤمنين بدعوته
إلى ذلك فأعرض عن التذكير، وأعرض عن آيات ربه التي تبين له صدق الإنذار
ووعده الله، فلا أظلم منه؛ لأنه عبد كفر نعمة ربه وكذب بآياته.

﴿إِنَّا﴾ أي الله ذو العظمة والجلال العزيز الحكيم ﴿مِنَ الْمُجْرِمِينَ
مُنْتَقِمُونَ﴾ إنا منتقمون من المجرمين كلهم بعذاب جهنم أو من المجرمين
المذكورين، كأنه قال تعالى: إنا منهم منتقمون، فأقام الظاهر مقام المضمّر
ليفيد: أن سبب الانتقام إجرامهم لأن الإجماع سبب العذاب، قال تعالى:
﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾ [الزمر: ٧٤] والانتقام: العقاب.

إِسْرَءِيلَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ يَهْدِي اللَّهُ كَمَ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ

﴿١٢﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فليس محمد بدءاً من الرسل ولا القرآن بدءاً من الكتب ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ﴾ يا رسول الله ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِّن لِّقَائِهِ﴾ في أنه نازل من عند الله، وأنت تتلقاه منه ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي الكتاب ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يهتدي به منهم من آمن به وتمسك به فذلك آيتناك القرآن هدى للناس.

﴿١٣﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي من بني إسرائيل بعد موسى ﴿أَيْمَةً﴾ متبوعين في الدين ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ على تحصيل العلم بالكتاب ومعانيه والعمل به ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على تعليم الناس وإرشادهم ﴿وَكَانُوا بِعَايَتِنَا﴾ كلها الكونية والسمعية ﴿يُوقِنُونَ﴾ يقيناً حملهم على العمل الصالح وعلى الصبر عليه وعلى ما يلقون من الأذى من أعداء الدين، فلذلك كانوا أهلاً للإمامة في الهدى، فذلك جعل الله من آل محمد كما جعل من بني إسرائيل رحمة للعباد يدعونهم إلى التمسك بكتاب الله، كما دعاهم الله ورسوله ﷺ، لأن حاجة هذه الأمة إلى الهداة بأمر الله مثل حاجة بني إسرائيل.

وقد قال تعالى في (آية القبله): ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قُلْ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤] فعم ذريته ولم يخص بني إسرائيل.

﴿١٤﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا رسول الله ﴿هُوَ﴾ وحده ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ فلا

يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ

عزيز ولا عيسى يتدخل في الفصل بينهم يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أجل الأهواء وحب الرئاسة مع وضوح الحق، كما قال تعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَلَعَهُمُ الْعِلْمَ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الجن: ١٧] فذلك هذه الأمة المخالفة لآل محمد القائمة ضد الأئمة الهداة منهم، سيحكم الله بينهم وبين آل محمد ﷺ، ومن هنا رجع الكلام في كفار قريش ومن حولهم.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يبين لهم صدق وعد الله لهم بالعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كثرة من قد أهلكنا من قبلهم ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ قال في (الصحيح): «والقرن من الناس: أهل زمان واحد، قال:

إذا ذهب القرن الذي أنت فيه وخلفت في قرن فانت غريب»

انتهى، فالقرون مثل: قوم نوح، وهود، وصالح.

وقوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ أي يمشي قريش ومن حولهم في مساكن قرون كثيرة أهلكها الله فيرون آثارهم وفيهم عبرة لهم، لأن سبب إهلاكهم هو تكذيبهم بآيات ربهم وما اتصل به وتبعه ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ هذا التذكير وما تضمنته هذه السورة من الإنذار والآيات الدالة على صدقه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي قد راوا ﴿أَنَا﴾ أي

صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

أن الله العظيم ﴿نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ في السحاب حتى يصل في الجوّ فوق ﴿الْأَرْضِ الْجُرْزِ﴾ فننزله إليها، و﴿الْأَرْضِ الْجُرْزِ﴾ خالية من النبات لتأخر المطر عنها، قال الشرفي: «أي الأرض اليابسة» وقال في (الصحيح): «أبو زيد: أرض جرز لا نبات بها، كأنه انقطع عنها أو انقطع عنها المطر» انتهى.

﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾ أي بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ وأنفسهم قدمت الأنعام ليحسن سياق الكلام مع الإيجاز، ولأن الأنعام تأكل قبل الناس من الزرع ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ببصائرهم لأجل ما قد أبصروه بأعينهم أو ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ذلك الذي يبصرون وهذا بعيد لأنه تكرر؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ فالصواب أنه ببصائرهم، وهذه الآية احتجاج على الكفار المنكرين للبعث، لاستبعادهم إحياء الموتى، فاحتج الله عليهم بنعمته عليهم الدالة على قدرته وعلمه وعلى أن الاستبعاد يبطل بقدرة الله تعالى.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٣١﴾ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي الفصل بين العباد وهو الحكم بالحق أي يوم القيامة استبعاداً منهم واحتجاجاً على المؤمنين بأنهم لا يعلمون متى الساعة أي أنهم لو علموها لعلموا وقتها، وهذا منهم باطل لأنه لا تلازم بين العلم بأنها ستكون والعلم بوقتها لأن الله أفادنا أنها ستكون ولم يخبرنا بوقتها وأرادوا بالجدال أن يبقوا على كفرهم قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرْ أَمَلَهُ﴾ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿[القيامة: ٥-٦].﴾

وسؤالهم هذا تكرر في القرآن ذكره وأجوبته متعددة منها هذا الجواب:
﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ كما أفاده تعالى في قوله:
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا...﴾ الآيتين، لأنه إيمان اضطرار فإذا أرادوا أن
ينتظروه ليؤمنوا به حين يروونه فلا ينفعهم إيمانهم إنما ينفع الإيمان في حال
الاختيار في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ بل يحكم عليهم بالعذاب دون أن
يمهلوا لحظة واحدة، وقد فسر يوم الفتح بفتح مكة وهذا بعيد؛ لأن من آمن
عنده نفعه إيمانه لو لم يكن إلا في الدنيا وأمهلوا أي انظروا فلم يعاجلوا
بالعذاب بل أجل إلى يوم القيامة.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿فَأَعْرِضْ﴾ يا رسول
الله ﴿عَنْهُمْ﴾ لا تقعد معهم بعد إبلاغهم وإقامة الحجة عليهم ﴿وَأَنْتَظِرُ﴾
يوم الفتح ليحكم الله بينك وبينهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ ليوم الفتح ، وإن
اختلف انتظارك وانتظارهم ؛ لأنهم ينتظرون لينظروا هل الوعد صدق
وأنت تنتظر إيمانا بوعد الله.

انتهى بحمد الله تفسير (سورة السجدة)



التفسير في النفس



سورة العنكبوت



سُورَةُ الْأَحْزَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ آتَقِيَ اللَّهَ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ

ابتداء تفسير (سورة الأحزاب) وهي (مدنية)

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ آتَقِيَ اللَّهَ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ آتَقِيَ اللَّهَ ﴿١﴾ تمهيد لما بعده من النهي والأمر، كالتمهيد بهذا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ والتمهيد به يفيد: أن العمل بما بعده من التقوى، فمن التقوى أن لا يطيع النبي ﷺ الكافرين والمنافقين، لأنهم أهل كذب وخداع يأمرون بالباطل، وينهون عن المعروف، كما قال تعالى في المنافقين: ﴿يُطْرَفُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧] وهذا تشجيع لرسول الله ﷺ على خلافهم وبيان أنه لا يحتاج إلى وفاقهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يدعوه إلى الثبات على أمر الله لأن الله يعلم أن الحكمة في ذلك وكذلك نهيه عن طاعتهم وأمره بما يأتي مبني على علم الله وحكمته التي اقتضت أن ينهاه ويأمره بما نهاه وأمره.

﴿٢﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّبِعْ ﴿٢﴾ أمر له ولأمرته باتباع ما يوحى إليه، ومنه القرآن وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ تنبيه لثلاث نساء فهو رقيب علينا إن اتبعنا أو لم نتبع.

اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٢١﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ

﴿٢١﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمورك وفي اتباعك لما يوحى إليك، ومخالفتك للكفار والمنافقين ومعنى توكل على الله اتخذه وكيلاً تكل إليه مهماتك لحفظك وتأيدك ونصرتك، ونحو ذلك يفعل من ذلك ما يشاء، فقد وكلت أمرك إليه ونعم الوكيل ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أعيدت للجلالة تنبيهاً على أن الوكيل هو الله الأعز الأكرم العليم القدير، فلا يخذلك وأنت عبده ورسوله قائم بأمره، ونظير هذا قول الشاعر:

على حالة لو أن بالقوم حاتماً على جوده لفضن بالماء حاتم

﴿٢٢﴾ ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ كانت الجاهلية فيها جهالات منها هذه الثلاث زعمهم أن ﴿لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وحكي ذلك عن اليهود وعن المنافقين، أنهم قالوا ذلك في رسول الله ﷺ، وزعمهم أن الزوجة التي ظاهر منها زوجها قد صارت أمه لأجل قوله: «أنت علي كظهر أمي» وزعمهم في الدعي أنه ابن للذي يدعى ابنه، وليس من ولده، فأبطل الله تعالى جهالاتهم كلها، وفصل الحكم في الظهار في (سورة المجادلة) وزاد تحقيقاً لنفي بنوة الدعي.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي لا حقيقة له ولا صحة، ويحتمل - أيضاً - أنه لا تعتقده قلوبكم ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ فالحق أنه ما جعل لرجل من قلبين في جوفه، وأن المظاهر منها ليست أما للمظاهر، وأن الدعي ليس ابناً لمن يدعي ابنه، ولم يلده والهدى هدى الله سبحانه وله الحمد على ما هدى.

فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦١﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو

﴿٦١﴾ ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ ادعوا أدياءكم لأبائهم لا لمن تبناهم لأنه رباهم هو أي دعاؤهم لأبائهم الذين ولدوهم أقسط أعدل وأحق عند الله فقولوا يا فلان ابن فلان للذي ولده لأنه الحق والصدق ﴿فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي فهم إخوانكم في الدين ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ فادعوهم إخوان وموالي، فهو يميزهم عند دعائهم مع أنه حق وصدق.

قال الشرفي: «قال في (البرهان): كما فعل المسلمون فيمن عرفوا نسبه وفيمن لم يعرفوا فالمقداد بن عمرو كان يقال له: المقداد بن الأسود بن عبد يغوث الزهري، فرجع إلى المدينة، ومن لم يعرف له نسب سالم مولى أبي حذيفة فنسب إلى ولأء أبي حذيفة» انتهى.

وصواب العبارة: كذلك فعل المسلمون لأنهم اتبعوا حكم الله، واشتهر استعمال الولاء لكثرة الموالى الذين كانوا عبيدا أو كان أب لهم عبداً فأعتقوه فصار ينسب إليه بالولاء أو إلى من ينسب إليه المعتق، مثل فلان الهاشمي مولاهم أي مولى بني هاشم لمن أعتقوه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ ﴿جُنَاحٌ﴾ أي إثم فلا إثم في الخطأ سواء كان قبل نزول الحكم أو بعده سبق به اللسان سهواً بسبب العادة عند الأولين مثلاً.

الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

والآية عامة وإن كان سبب الحكم فيها دعاء الأدعياء، ولكن يلزم في بعض الخطأ تكليف مثل دية أو أرش وفي ذلك حكمة أنه يؤدي إلى مزيد من الحذر حفظاً للنفوس فيما يفيد فيه الحذر من القتل أو الجرح، وقد كثر الخطأ في هذا الزمان من أهل السيارات المرعنين بها، ومن الجهل إهمال حكم الله فيه على الإطلاق، لأن من السواقين من لا يردعه عن الإسراع إلا خوف غرامة الدية، فإذا لم يخف كان تحميل قرابته أفضل ليردعه، وكذلك إسقاط نصيب أم القاتل أو أطفاله بغير حق ظلم، والإسقاط لمجرد السمعة وحب الفخر غير محمود، ولا يبعد أن له حكم الرياء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي من مخالفة حكم الله فهو الذي فيه الحرج على المخالف، والحرج في الأصل الضيق، سمي به الإثم لأنه ضيق على الآثم، وهذا لا يمنع المجاز إذا فهم أن المراد بتسمية الولد أو الابن مجرد اللطف به والعطف عليه، أو تسمية الأب الاحترام والتعظيم بمعنى أنه كالولد أو كالأب فهذا معنى آخر غير الممنوع، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ تأكيد لحكم الخطأ.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ له الأمر عليهم على الإطلاق،

وليس لهم خيار فيما أمر به، بل عليهم طاعته ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ محرمات عليهم كما يأتي في السورة إن شاء الله وهذا تشبيه بالأمهات لا يعم كل صفات الأم ولذلك لا يجوز النظر إليهن، ولا الدخول عليهن، والتشبيه يكفي فيه صفة ظاهرة مثل زيد أسد، زيد حاتم زمانه، زيد سيبويه زمانه، فلذلك لا يعم صفات الأم.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ ﴿مِنْ﴾ للبيان، وتقيد أولي الأرحام بكونهم من المؤمنين والمهاجرين لأن الكافر تنقطع الصلة بينه وبين المؤمن، وظاهره أن المهاجر لا ولاية بينه وبين قريبه الذي لم يهاجر، وهذا حين تكون الهجرة واجبة، ويكون الذي لم يهاجر باقياً في دار الكفر، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢] وهذه الأولوية بين أولي الأرحام أي القرابة في النسب تخرج الأخ بالمؤاخاة والحليف وسائر المؤمنين، وتعم التوارث وغيره، إلا في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وطاعة ولي أمر المسلمين.

قال الشرفي: قال في (البرهان): «سبب نزول الآية أن النبي ﷺ لما أراد غزوة تبوك أمر الناس بالخروج معه فقام قوم منهم فقالوا: نشاور آباءنا وأمهاتنا ونستأذنهم فأنزل الله ذلك فيهم، وبين لهم أنه أولى بهم منهم وكذلك من قام مقامه من خيار عترته فهم أولى بأمرته» انتهى.

والدليل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وليست ولاية أولي الأرحام ولاية أمر لأن ذلك يؤدي إلى تدافع الإمرة فيكون كل من الأخوين أميراً على أخيه، وذلك ليس المقصود في الآية هنا وفي (سورة الأنفال).

وَأَبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْأَلَ
الْصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَحْمًا
وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ

وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في القرآن حكم الله به وهذا تأكيد
للحكم، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ يدل على أن
الحليف قد بطل إرثه فلا يرث بالحلف بينه وبين المؤمن الميت وإنما له ما
أوصى به له بالوصية إذا كانت معروفًا بأن تكون من ثلث ماله أو الثلث إذا
لم يوص بغيره، والحكم في الحليف الذي كان الميت عاقده، وقال في مخالفته:
ترثني وأرثك قد نسخ بهذه الآية إذا لم يوص له الميت بشيء.

وأكد النسخ قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وما
كان في الكتاب فهو الذي يبقى وينسخ ما ليس فيه، ولعل سطره سبق في أم
الكتاب عند الملائكة ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ
صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ على التبليغ للشرائع
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليسأل الصادقين يعم الصادقين من
الأنبياء والصادقين ممن آمن بهم في إيمانهم وسؤالهم عنه بسؤالهم هل بلغ
النبي وهل آمن المبلِّغ واتبع صدقهم لأن النبيين بلغوا والمؤمنين الصادقين
آمنوا واتبعوا ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ بالأنبياء ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رَحْمًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ﴾ تذكروها ولا تنسوها فهي نعمة عليكم عظيمة تستوجب الشكر.

ثم يبين تعالى هذه النعمة بقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فنعمة إرسال الريح والجنود حتى رجعوا وكفى الله المؤمنين القتال، ونعمة رجوعهم خائبين لأن ذلك تجربة تثبطهم في المستقبل حتى لا يعودوا أو حتى لا يثقوا بكثرتهم إن رجعوا.

قال الشريفي: «فنعمة الله على المؤمنين دفع الأحزاب من غير قتال وما ذكر من إرسال الريح والإمداد بالملائكة وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف وقائدهم هو أبو سفيان، وغطفان في ألف، ومن تبعهم من نجد وقائدهم عيينة بن حصن، وعامر بن الطفيل في هوازن وصاقبهم - صاقبهم قاربهم - من اليهود قريظة والنضير، وخرج ﷺ في ثلاثة آلاف، وكان قد أشار عليه سلمان بالخذق، فجعله ﷺ بينه وبينهم، ومضى على الفريقين قريب من شهر ولا حرب بينهم إلا الترامي [بالنبل والحصار] حتى نزل النصر إلا [في نسخة (المصابيح): إلى - وهو غلط] ما كان من قتل عمرو بن عبد ود قتله علي عليه السلام [مبارزة] وقتل معه رجلان رمي أحدهما بسهم والآخر رضح بمحجار - كذا - بعد أن وقع في الخندق».

قال الشريفي: «وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ إشارة إلى ما فعل الله بهم من إرسال الريح عليهم وهي الصُّبَا ريح باردة في ليلة شاتية فأبردتهم وسفت التراب في وجوههم، وقلبت الخيام، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، فانهزموا من غير قتال. انتهى. وقوله تعالى: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ قال الشريفي: «ألفاً من الملائكة» انتهى المراد.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ فهو بصير بأعمال الكفار، ونياتهم فيها وبصير بأعمال رسول الله ﷺ والمؤمنين معه وبصير بما يعمل المنافقون والذين في قلوبهم مرض، كل أعمالهم يجعل ما يليق بها لأهلها.

فَوْقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا

﴿١٠﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١١﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ ﴿١٢﴾ أَيُّ الْجُنُودِ الْأَعْدَاءِ ﴿١٣﴾ مِنْ فَوْقِكُمْ ﴿١٤﴾ مِنْ أَعْلَى بِلَدِكُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴿١٦﴾ قَالَ الشَّرْفِيُّ: «﴿١٧﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ﴿١٨﴾ أَيُّ حِينٍ جَاءُوكُمْ، يَعْنِي: غُطْفَانٍ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي، مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ.

قال في (البرهان): جاء منه عوف بن مالك في بني النضير، وعيينة بن حصن في أهل نجد، وطلحة بن خويلد الأسدي وبنو أسد، وأبو الأعور السلمي ومعه حيي بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة [في (المصابيح) بالضاد - وهو غلط] مع عامر بن الطفيل، من وجه الخندق، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ يعني من أسفل الوادي من قِبَلِ الْمَغْرِبِ، وهم قريش، قالوا: ستكون حملة واحدة حتى نستأصل محمداً انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ عدلت عن حالتها الأصلية من شدة الخوف، وهذا في بعضهم، وكذا قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي من شدة الخوف، وهذا في معظم المسلمين ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ بسبب ما شاهدوا من كثرة الأعداء الذين أقبلوا من فوقهم ومن أسفل منهم فظنوا ظنونا مختلفة منهم من ظن أن الله قد سلطهم على النبي ﷺ ومن معه كما قتل الأنبياء من قبله، ومنهم من ساء ظنه بالله كما يأتي عن المنافقين، ومن المسلمين من ظن أن الله ابتلاهم بكثرة المهاجمين لهم ليبتلهم يصبرون أم لا، أو نحو هذه الظنون.

فأما رسول الله ﷺ فرجاءه في الله أن ينصره وإن كان لا يدري كيف يكون النصر لأن الله قد وعده أن يظهر دينه، ومثله في الرجاء أخوه الإمام علي عليه السلام وخاصة خالص المؤمنين معه، وكانت نيتهم صالحة لم تتغير وهمتهم الصديق في القتال وإنما يشق عليهم غلبة الخوف على من حولهم وتغير نيات بعضهم واضطرابهم وروي أن رسول الله ﷺ أرسل رسولاً لينظر حال الأعداء في حالة الريح الشديدة وقال له لا تحدث شيئاً فصار بينهم في الليل كواحد منهم، فسمع أبا سفيان يذكر حالهم من شدة الريح عليهم ويأمر بالرحيل، فرآه وقد ركب بعيه معقولاً فسدد الرجل قوسه ليرميه فتذكر قول رسول الله ﷺ لا تحدث شيئاً فتركه وهو يرى أن قد أمكنه قتله.

قلت: وتبين بذلك حسن سياسة الرسول ﷺ فإن هذا الرسول لو رمى أبا سفيان وقد هموا بالرحيل وفيه خلاص المسلمين من المهمة العظمى لو رماه سواء قتله أم لم يقتله لأضربوا عن الرحيل وحملهم الغضب على مباشرة القتال، وفي هذا من درس السيرة أن الواجب على المجاهدين الثبات على أمر قائدهم وفيه أن من الأصحاب من يُفسد على القائد أمره إذا لم يلتزموا طاعته.

قال الشرفي: «وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ كناية عن غاية الشدة والحنجرة: رأس الحلقوم.. قالوا: إذا انتفخت الرئة لفزع أو غضب أو غم ارتفعت فيرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة» انتهى المراد.

وفي (مفردات الراغب): «الحناجر: جمع حَنْجَرَةٍ وهي رأس الغلصمة من خارج» انتهى. وفي (الكشاف): «الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب» انتهى، ولعل في ذلك غلطاً من النساخ، والأصل - والله أعلم - وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب، لأن مدخل الطعام والشراب هو المري.

شَدِيدًا ﴿٦٨﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٩﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ

وفي (الصحيح): «الغلصمة: رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ في الحلق»
وفي (الصحيح) أيضاً: «وتقول هو مريء الجزور والشاة للمتصل بالحلقوم الذي يجري فيه الطعام والشراب، والجمع مَرء، مثل: سرير وسرر» انتهى.
ولعل هذا سبب غلط من ظن أن مجرى الطعام والشراب هو الحلقوم توهم أن الضمير له في قول (صاحب الصحيح) وهو مدخل الطعام والشراب، وإنما يعني المريء لأن السياق في تعريفه بالمريء وذكر الحلقوم عارض، والحلقوم هو مجرى الهواء في التنفس إلى الرئتين يفريه الذابح ويفري المريء.

ولفظ (لسان العرب): «والمريء: مجرى الطعام والشراب، وهو رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم الذي يجري فيه الطعام والشراب، ويدخل فيه ثم قال: وفي حديث الأحنف يأتينا في مثل مريء نعام المريء مجرى الطعام والشراب من الحلق» انتهى المراد.

وفي (لسان العرب): «الحلقوم: الحلق. ابن سيده: الحلقوم مجرى النفس والسعال من الجوف.. إلى قوله: وطرفه الأسفل في الرئة، ثم قال التهذيب: قال في الحلقوم والحنجور مخرج النفس لا يجري فيه الطعام والشراب المريء ونظام الذكاة قطع الحلقوم والمريء والودجين» انتهى.

فقوله تعالى: ﴿وَبَلَغْتَ أَلْقُلُوبُ الْحَنَاجِرِ﴾ يوافقه في المعنى قول الشاعر:
صارت نفوس القوم عند الغلصمت وكادت الحرة أن تدعى أمت

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ﴿هُنَالِكَ﴾ حيث اجتمعت الجنود وحيث المسلمون متوقعون لقتالهم ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا وامتحنوا.

فَارْجِعُوا^١ وَدَسْتَعِزُّونَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ أَلَنِي يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا^٢ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا

﴿وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ قال الشريفي: «أي أزعجوا وحركوا ازعاجاً شديداً، وذلك أن الخائف يكون قلقاً ومضطرباً لا يستقر في مكانه...» الخ. قلت: ينبغي أن يكونوا قدوة لكل مسلم فيثبت ولا تنزل قدمه من أجل الزلزال.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ قد أيسوا من النصر وساء ظنهم بالله فقالوا: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ﴾ حين وعد بإظهار دينه على الدين كله ﴿وَرَسُولُهُ﴾ إِلَّا غُرُورًا ﴿خدعاً لنا ليس صدقاً فقد قالوا كلمة الكفر، وهذا من أسباب الشدة على المؤمنين، ومثل المنافقين الذين في قلوبهم مرض لأنهم غير مؤمنين بل هم شاكون مرتابون في الرسول ﷺ والقرآن فقالوا مثل ما قال المنافقون، فدل ذلك على أنه لم يثبت إلا المؤمنون الصادقون في الإيمان وأنه لا يوثق بغيرهم.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَأْهَلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا^٣ وَدَسْتَعِزُّونَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ أَلَنِي يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ المنافقون والذين في قلوبهم مرض يجمعهم مرض القلوب واليأس من النصر فقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ﴾ راجع إلى الجملة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض ﴿يَأْهَلُ يَثْرِبَ﴾ أي يا أهل المدينة ينحصر بالدعوة أهل المدينة، لأنه يعتبرهم أصحابه ولأنه يريد فصلهم عن الرسول ﷺ والمهاجرين ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ هنا حيث قد خرج الرسول ﷺ والمؤمنون خارج المدينة والخنديق بينهم وبين العدو وقولهم: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ فيه قراءة بفتح (الميم) وقراءة بضمها.

الْفِتْنَةَ لَا تَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ

قال الشرفي: «لا مقام - بفتح الميم - المكان الذي يقام فيه، والمقام الإقامة - بضم الميم - يعني: لا مقام لكم على القتال» انتهى.

ومثله في (الصحيح) في تفسير ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: وأرادت أن يرجع أهل يثرب وأن مكانهم ليس مكان بقاء أو مكان وقوف، أو أن إقامتهم هنالك غير واقعة لأنهم يعتقدون أن العدو سيحولهم عنه إما طرداً وإما قتلاً ﴿فَارْجِعُوا﴾ واتركوا محمداً والمهاجرين.

﴿وَسْتَظُنُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين والذين في قلوبهم مرض يستأذن النبي ﷺ في العودة إلى المدينة ومغادرة موقع النبي ﷺ والمؤمنين يقولون معتذرين ﴿إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة نخشى أن يدخلها داخل من ظهورها إما سارق وإما مفسد وإما ناهب من العدو، فبين الله علام الغيوب كذبهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن محل الاستعداد للجهاد فراراً من الجهاد.

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ﴾ يثرب عليهم على المنافقين والذين في قلوبهم مرض، أو على الذين يستأذنون النبي ﷺ دخلها العدو ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ من جوانبها ﴿ثُمَّ سُلُوا الْفِتْنَةَ﴾ في المدينة وإثارة الحرب منها ﴿لَا تَوَهَا﴾ لطاوعوا العدو فيما سألهم، لأنهم يكونون قد انقلبوا معه وصاروا مطيعين له لخوفهم منه، وعدم مبالاتهم بالإسلام، وهذا يدل على أن من كره القتال مع أهل الحق فتركه خوفاً من العدو سيقاتل أهل الحق خوفاً منه.

فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا تَجِدُونَ

وقراءة ﴿لَا تَوْهَا﴾ معناه: أنهم يثيرون الفتنة طوعاً للعدو أما قراءة ﴿لَا تَوْهَا﴾ بمد الهمزة فمعناها: لآتوا العدو ما سألهم وأعطوه ما طلبهم من إثارة الفتنة وخدمة أهل الباطل بها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَلْبُثُوا﴾ أي بالفتنة أو بيشرب ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ لأن الله يحفظ رسوله ﷺ وينصره عليهم فيقتلهم أو يجلبهم عن المدينة، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَلَيِّنْ نَّصْرَهُمْ لِيُؤَلِّنَ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [الحشر: ١٢].

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَذْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ ﴿عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ توليهم هذا ﴿لَا يُؤَلُّونَ﴾ العدو ﴿الْأَذْبَرَ﴾ أدبارهم فقد نكثوا العهد لأنهم كانوا في مواجهة العدو مع رسول الله ﷺ والمؤمنين المنتظرين للقتال وهم يرون العدو ويраهم العدو ففرّ هؤلاء الذين كانوا عاهدوا برجوعهم عن ذلك الموقف إلى بيوتهم.

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ يوم القيامة لأنهم أضاعوه ولم يحفظوه فيطالبون به كما يدعون إلى السجود فلا يستطيعون فهو تقريع لهم وإظهار لنكثهم في موقف الحساب.

﴿قُلْ لَّن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذا راجع إلى قوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ﴾ في إفادته أنهم فروا.

﴿قُلْ﴾ للذين فروا وفائدة هذا لهم إن أطاعوا ولغيرهم ﴿لَّن يَنْفَعَكُمُ﴾ لن ينجيكم ﴿الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ فهو سواء الفرار من الموت والفرار من القتل، فالفرار لا يمنع الموت بل لا بد منه.

هُم مِّن دُورٍ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ
وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً

وهذا لأن الفرار يكون الباعث عليه خوف الموت وحب الحياة من غير
نظر إلى أن الفرار لقليل من الحياة بقي من العمر يحافظ عليه الهارب فهو لا
ينوي ذلك فمن أجل أن فراره لحب الحياة وكراهة أن يفارقها أمر الله رسوله
ﷺ أن يقول لهم لن ينفعكم لأنه لا بد لكم من الموت.

وأما قوله: ﴿وَإِذَا﴾ أي وإن فررتم ﴿لَا تَمْتَعُونَ﴾ إذا نجوتم من القتل
لأجل الفرار ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لا يستحق الفرار من أجله لأن من فر ﴿فَقَدْ بَاءَ
يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦] ثم هو عما قليل
ميت، فقد أساء على نفسه الاختيار بل لو كان يعيش إذا فر آلاف السنين ثم
يموت لكان قد أساء الاختيار لنفسه لأنه يصير إلى جهنم خالداً فيها أبداً
وتلك السنين قليل بالنسبة إلى الخلود الدائم.

﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ
رَحْمَةً وَلَا تَجِدُونَ هُم مِّن دُورٍ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿مَن ذَا الَّذِي
يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ من ذا الذي ينجيكم منه من ولي يتولى رعايتكم
وحفظكم فينجيكم أو نصير ينصركم فينجيكم منه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ أو
يرد رحمته إن ﴿أَرَادَ بِكُمْ﴾ ربكم ﴿رَحْمَةً﴾ وَلَا تَجِدُونَ هُم مِّن دُورٍ اللَّهِ
وَلِيًّا﴾ يغنيهم عن الله ويعصمهم منه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصركم من الله فأنتم
إنما تطلبون في قبضة الله فإن فررتم من القتال فلن تجدوا مهرباً من الله.

وفائدة قوله تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ التنبيه على أن باب التوبة مفتوح
لهم ما داموا في الحياة الدنيا في مقام الاختيار فلم يغلق عنهم باب رحمة الله
تماماً بل هم في دار الخيار بين أمرين إما سوء وإما رحمة.

عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ

فإن تابوا أراد بهم رحمة ولا يمنعها عنهم أحد، وإن لم يتوبوا فمصيبرهم سوء العذاب لأنهم في قبضته وأمرهم إلى الله وحده لأن أمر رسوله ﷺ إنما هو تابع لأمر الله ومن أمر الله، وفي هذه الآية وعيد شديد.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾ المشبطين عن القتال وعن حضور موقف الاستعداد للقتال.

قال في (الصحيح): «عاقه عن كذا يعوقه عوقاً واعتاقه أي حبسه وصرفه - ثم قال - : والتعويق: التثبيط» انتهى.

﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ قد يعلمهم الله، وهذا وعيد، ويظهر من السياق أن إخوانهم من الأنصار وهؤلاء القائلون من المتخلفين عن رسول الله ﷺ من أهل المدينة يقولون لإخوانهم المرابطين مع رسول الله ﷺ عند (الخنق) يقولون لهم بواسطة رسول أو عند لقاء من يدخل لحاجة من المدينة ويرجع إلى رسول الله ﷺ يقولون لهم: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ في المدينة أي تعالوا إلينا ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ هؤلاء القائلون ﴿لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يتخلفون عنه.

وقولهم: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ يريدون به صرف المرابطين مع الرسول ﷺ ليركوا المراقبة معه ويرجعوا إلى بيوتهم، فشان القائلين هو التخلف عن البأس إلا قليلاً وفي حال تخلفهم يدعون غيرهم إلى التخلف.

أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٧٤﴾ تَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ

﴿٧٤﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٧٥﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء عليكم بأنفسهم وأموالهم يكرهون أن يعينوكم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ﴾ يا رسول الله ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ مما في أنفسهم من الكراهة لك، لأنهم يعتقدون أنك سبب الخوف، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [النساء: ٧٨] ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ من أثر الموت عند معالجته وسكراته فيغمى عليه بسببه.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ﴾ هتكوا أعراضكم وضموكم ﴿بِاللِّسَانِ حِدَادٍ﴾ ذات قدرة على الذم وصفت بأنها حداد لأن هتك العرض يشبه السلخ فناسبه ذكر حدة اللسان، وذلك لأنهم كالشاكين لما وقع بهم من الخوف وبزعمهم أن سببه رسول الله ﷺ ومن معه فيذمونهم بغضاً لهم وعداوة لهم وللدین مثبطين بذلك عن نصرتهم.

وقوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ الذي هو نصر دين الله وجهاد أعداء الله الذي عاقبته خير الدنيا والآخرة لكن أعداء الله المنافقين والذين في قلوبهم مرض بخلاء على ذلك لا يجودون له ولا بكلمة من النصر والمعاونة فضلاً عن أن يجودوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ وهذا هو السبب الأصلي في كل عيوبهم وبخلهم بأنفسهم وأموالهم ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ لم يتقبل منهم حسنة واحدة لأن الإيمان شرط في قبول العمل، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ لأنه الحق والحكمة في إحباط أعمالهم، ولعلمهم كانوا مع تظاهرهم بالإيمان قد صلوا وأنفقوا قليلاً وقاتلوا قليلاً وذلك كله محبط.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣﴾ ﴿يَحْسَبُونَ﴾ أي ..المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ لأنهم تخلفوا في المدينة وربما كان تخلفهم في بيوتهم فلم يشاهدوا الأحزاب حين ذهبوا راجعين إلى بلدانهم فهم يحسبون الأحزاب ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لأن ذهابهم قبل أن يقاتلوا النبي ﷺ ومن معه أمر خارق بالنسبة إلى كثرة الأحزاب وقوتهم المادية وشدة عداوتهم لرسول الله ﷺ.

﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ مرة ثانية ﴿يَوَدُّوا﴾ أي المنافقون والذين في قلوبهم مرض يودوا ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ وهذا من خوفهم من الأحزاب، وكراحتهم للجهاد فيتمنون أنهم خارج المدينة بادون ساكنون في البدو يسألون وهم في البادية عن أنبائكم كيف حالكم مع الأحزاب، وهذا من جملة ما يتمنونه.

فقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ جملة حالية عاملها وصاحبها بادون الفعل وفاعله، أي بادون يسألون لأنهم يخافون ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا﴾ الأحزاب ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لكراحتهم للقتال والقليل إما لضرورة الدفاع عن بلدهم وإما لخوفهم من نزول القرآن في المتخلفين ومن عار التخلف عند المسلمين.

يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦٠﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا

﴿٦١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦٢﴾ في (الصحاح): «ولي في فلان أسوة: أي قدوة وائتمام» انتهى، فجعل من يتأسى به المتأسى هو الأسوة.

وفي (لسان العرب): «والأسوة والإسوة: القدوة، ويقال: اتسب به أي اقتد به، وكن مثله، الليث: فلان يأتسي بفلان أي يرضى لنفسه ما رضى به ويقتدي به وكان في مثل حاله، والقوم أسوة في هذا الأمر أي حالتهم واحدة إلى قوله: وتأسوا أي آسى بعضهم بعضاً قال الشاعر:

وإن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا وسنوا للكرام التتاسيا»

انتهى، وهذا البيت في (الصحاح) أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿حَسَنَةٌ﴾ ترغيب في التأسى به، لأن الأسوة قد لا تكون حسنة وقوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا﴾ بدل من قوله: ﴿لَكُمْ﴾ لأن من لا يرجو الله ليس يجب التأسى بل يكرهه، فالمعنى الخبر أن كل من ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يتأسى برسول الله، لأن كل مؤمن لا يرى نفسه أعز من نفس رسول الله ﷺ بل يجب أن يفديه بنفسه ورجاء الله تعالى رجاء فوائده الجهاد من الله مثل الهداية والنصر والثواب ورجاء اليوم الآخر رجاء رحمة الله فيه وثوابه والمراد المؤمن المتقي الذي يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه لتقواه لا المتمني بلا عمل ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ وهذه صفة المؤمن، والذكر النافع هو الذكر في النفس وبالقول كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَلِ..﴾ الآية [الأعراف: ٢٠٥].

إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١١﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٢﴾ لِّيَجْزِيَ

وكثرة الذكر عند المؤمن بسبب تعدد الأسباب وكثرتها فكلما زل ذكر الله وكلما تردد في أمر ذكر الله فتورع، وفي الصلاة وفي الدعاء.. وغير ذلك.

﴿١١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١٢﴾ الأَحْزَاب: هم أعداء الله ورسوله الذين اجتمعوا حول المدينة، وقد مر ذكرهم قريباً لما رأهم المؤمنون ﴿قَالُوا هَذَا﴾ أي مجيئهم هو ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ والآية هذه تدل على أن الله قد وعد المؤمنين من قبل أن الأحزاب سيجيئونهم ليقاتلوهم وفي الوعد فائدة لثلا يفجأهم مجيء الأحزاب، وليستعدوا استعداداً نفسياً ومادياً، ومن ذلك حفر الخندق حول المدينة حتى لا يدخلوها من كل جانب.

وقالوا ﴿صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لما رأوا الأحزاب ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ مجيء الأحزاب ﴿إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ لأنهم عزموا عزمًا صادقاً على جهادهم وأن لا يفروا منهم ووطنوا على ذلك أنفسهم تسليماً لأمر الله وانقياداً لحكمه، وذلك خلاف قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.

﴿١١﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٢﴾ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴿١١﴾ إما عهدهم في منى في العقبة أن ينصروا الله ورسوله، ويحفظوا رسول الله ﷺ مما يحفظون منه أنفسهم، وإما عهدهم بقولهم: سمعنا وأطعنا، قال تعالى: ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧].

وقد دخل في هذا العهد القتال مع رسول الله ﷺ فصدقوا القتال معه من ذلك قتال أمير المؤمنين وحمزة يوم أحد، ومن ثبت معهما يوم بدر ومعهما عبدة بن الحارث وغيره، وصدق ما عاهدوا الله عليه هو الثبات مع رسول الله ﷺ وصدق القتال حيث تناول العهد القتال وصدق الثبات يوم الأحزاب، فالصدق تحقيق ما عاهدوا الله عليه بالثبات عليه و الجد فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ ذكروا للنحب معاني منها: الحاجة ذكره في (لسان العرب) ولعل منه قول الشاعر:

ألا تسألان المرء ما ذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

فمن هذا نيلهم للشهادة في سبيل الله لأنها كانت حاجتهم قال في (لسان العرب): «وفي التنزيل العزيز: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ وقيل: معناه: قتلوا في سبيل الله فأدركوا ما تمنوا فذلك قضاء النحب - ثم قال - : وروى الأزهري عن محمد بن إسحاق في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ فرغ من عمله، ورجع إلى ربه هذا لمن استشهد يوم أحد ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ ما وعده الله تعالى من نصره أو الشهادة على ما مضى عليه أصحابه» انتهى.

فأما تفسير (النحب) بالموت، أو الشهادة، فإن تفسيره بالشهادة أقرب، من حيث أن المجاهد يراه واجباً عليه حتى النصر أو الشهادة وقد عد في (الصحيح) من معاني النحب الواجب.

ويناسب كون المراد بـ ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ استشهد ما رواه الحاكم الحسكاني: عن أبي إسحاق عن علي عليه السلام قال: «فينا نزلت ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ..﴾ الآية، فأنا والله المنتظر وما بدلت تبديلاً، وذكر الحاكم الحسكاني مثله عن ابن عباس.

اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٩﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا

والحاصل: أن الشهادة أرجح المعاني في الآية يؤكد أن المقصود الشهادة
كون السياق في فضل الذين صدقوا فالشهادة هي الفضيلة أما الموت فليس
فضيلة ولو كان المراد الموت على ذلك لكان مقتضى السياق أن يقول:
فمنهم من قضى نحبه على ذلك كما تقول مات على ذلك فيكون مدحاً أما
مات وحدها فلا.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾ لثباته على عهده فهو يريد أن يثبت على
ما عاهد الله عليه حتى يقضى نحبه فهو ينتظر قضاء نحبه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا
بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ تحقيق لثباتهم على العهد فلم يبدلوا أي تبديل، لا قليل ولا
كثير بخلاف غيرهم ممن قد سارع إلى التبديل في وقعة الأحزاب في السنة
الخامسة والقرآن ينزل والرسول حاضر.

﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨٠﴾ تعليل لهذا الابتلاء العظيم
للمؤمنين وغيرهم وهو تمكين الكفار وتركهم يجتمعون لقتال المسلمين
جموعاً كثيرة فكان هذا ابتلاء ليجزي الله الصادقين لما عاهدوا الله عليه
ثواباً عظيماً بصدقهم ويعذب المنافقين بنفاقهم وجرائمهم كلها في الآخرة
عذاباً عظيماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾
[النساء: ١٤٥] إِنْ شَاءَ أَنْ يَعْذِبَهُمْ، وذلك إذا ماتوا على نفاقهم، فأما إِنْ تَابُوا
واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فهو لا يعذبهم، فقد بين تعالى ما يشاءه
في (سورة النساء) [آية ١٤٥، وآية ١٤٦].

خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿غَفُورًا﴾ كثير المغفرة ﴿رَحِيمًا﴾ شأنه أن يرحم وهذا فتح لباب التوبة لثلاثا يقنط المنافقون، وقد بين تعالى رحمته في قوله: ﴿وَإِذَا جَلَعْتَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلُوبًا سَلَامًا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ﴾ ردهم عن قتال المؤمنين فرجعوا إلى بلدانهم، والمراد بالذين كفروا الأحزاب المتقدم ذكرهم ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ باقياً غيظهم في نفوسهم من بعد بدر وأحد ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ إنما حملوا مشقة السفر وغرمه وعناء الرياح وتخريب الخيام، ونحو ذلك كل ذلك لم يوصلهم إلى خير إنما حملوا ذنوبهم ورجعوا خائبين لم يبلغوا أملهم.

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة والرعب الذي دخل قلوبهم حتى ضعف عزمهم ورجعوا، ومن أسباب رعبهم قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام لعمر بن عبد ود الذي كان فارسهم البطل، ومن بطولته اقتحم بفرسه الخندق، وتحدى المؤمنين فقتله أمير المؤمنين مبارزة.

قال الشريفي: «وقال الهادي: [﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾] بأخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، أفضل المستشهدين فقتل عمرو بن عبد ود وكان عماد المشركين وفارس المتحزبين فانهزم بقتله جمع الكافرين، وفل الله حدّ المبطلين» انتهى.

فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦١﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٦٢﴾ يَتَأَيَّهَا

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ تشجيع للمجاهدين في سبيل الله لأنه جعل نصرهم ورد أعدائهم مما تقتضيه قوته وعزته، فهو كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].
﴿٦١﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ظَهَرُوهُمْ الَّذِينَ عاونوا الأحزاب من أهل الكتاب فكان حضورهم مع الأحزاب وانضمامهم إليه في استعدادهم لقتال الرسول ﷺ والمؤمنين مظهرة، لأنها معاونة ولو شاء الله لذكرهم بأسمائهم ولكن القرآن درس للآخرين كما هو للأولين يذكر محل الاعتبار، وما تبنى عليه الأحكام، فقال ﴿الَّذِينَ ظَهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ لم يبق لهم حرمة مع عداوتهم لله ولرسوله ﷺ والمؤمنين وإن كانوا من أهل الكتاب، بل كان ذلك أبلغ في الحجة عليهم أنزلهم ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ التي كانوا متحصنين فيها لم تنفعهم حصونهم كما قال تعالى: ﴿وظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ولذلك تسمى صياصي من حيث امتناعهم بها من عدوهم.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ حتى ضعفوا عن القتال ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ لأن رسول الله ﷺ حاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ، وحكم سعد بحكم الله فيهم قتلهم، قال الشريفي: «قال في (البرهان): حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ الذي نزل به جبريل عليه السلام بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم وعلى أن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، وأرسل بهذا الحكم سعد بن معاذ، ولم يكن لسعد فيهم حكم» انتهى.

النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٦٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

يعني ليس صحيحاً أنه حكم من نفسه وهو لا يعلم حكم الله، وإنما كان سعد قد عرف حكم الله ورسوله فحكم به وأما نزول اليهود الذين هم (بنو قريظة) وهذا الكلام فيهم خاصة فالمشهور أنهم لما أربعهم الحصار نزلوا على حكم سعد بن معاذ.

وقال الشرفي في قول الله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ قال: «هم الرجال البالغون» ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ هم النسوان والصبيان» انتهى. ولم يذكر الشرفي في الذين ظاهروهم من أهل الكتاب إلا بني قريظة، وقد ذكر الله قصة بني النضير في (سورة الحشر) لكن قيل: إنها كانت في سنة أربع قبل (وقعة الخندق) فصح: أن الذين ظاهروهم المراد بهم: (بنو قريظة) فقط دون (بني النضير).

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ﴿أَرْضَهُمْ﴾ بلدهم التي فيها ديارهم ﴿وَدِيَرَهُمْ﴾ جمع دار وهي الجامع للبيوت، فالبلد تحتوي على دور، والدار يشتمل على بيوت ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ يعم المنقول وغيره من النخل والحراث سواء في بلدهم أم في خارجها، وأورثكم ﴿أَرْضًا لَمْ تَطَّعُوهَا﴾ بتسليطكم على بني قريظة أو به وبرجوع الأحزاب عنكم لأنكم قويتهم وقويت هيبتكم في قلوب أعدائكم بنصر الله لكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ فهو قادر على أن يورثكم أكثر من ذلك وأكثر وهذا تشجيع وإفادة لهم زيادة في رجاء التمكين في الأرض أكثر مما ظنوا.

وَالْدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٦﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٧﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ

﴿٢٦-٢٧﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكُ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا﴾ الإرادة اختيارها على الآخرة بأن يكون المهم عندهن مطالب الدنيا وزينتها لا الدين والصبر عليه ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ بنفقة العدة ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ بالطلاق ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ مصحوباً بالإحسان والمجاملة والتسريح إرسالهن إلى أهلهن ضد الإمساك.

﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ﴾ رضاه ورحمته ﴿وَرَسُولَهُ﴾ طاعته والبقاء معه ﴿وَالْدَارَ الْآخِرَةَ﴾ بإيثار السعي للآخرة على أغراض الدنيا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ﴾ سواء كن المحسنات كلهن أو بعضهن وقد مر معنى الإحسان في أول (سورة لقمان) وفائدة هذا القيد أن يعلمن أنه لا يكفي اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة بل لا بد من الإيمان والاستمرار على ذلك حتى يختم لهن بالإحسان فبذلك يكون اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة صادقاً وفائدة أخرى أن الثواب في الآخرة جزاء الإحسان لا لمجرد اختيارهن للرسول ﷺ وصبرهن معه، ولا لكونهن نساء النبي.

﴿٢٦﴾ ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ تحذير من الفاحشة فأبي واحدة قامت عليها بينة ﴿بِفَاحِشَةٍ﴾ وقعت منها فإنه ﴿يُضَعَفُ﴾ عذابها، وظاهره في

صَلِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣٤﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٥﴾ وَقرن في بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

الدنيا والآخرة ففي الدنيا تجلد ثلاثمائة جلدة وفي الآخرة يضاعف لها عذاب جهنم إن لم تتب ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي تعذيبها عذاباً مضاعفاً ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ لأنه لا يرحم أهل الكبائر من أن يعذبهم، والمضاعفة للشيء أن يزداد عليه ضعفه أو أضعافه أو ضعفه مثله في المقدار.

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ [النساء: ٣٤] قال الراغب: «القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع» انتهى. وهذا هو الظاهر من السياق لأنه في القنوت جعله ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فهو طاعة مستمرة مع الخضوع ﴿نُؤْتَهَا أَجْرَهَا﴾ ثوابها ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ فهو مضاعف ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فينفق عليهن الرسول ﷺ ويأتيهن رزقهن من دون أن يخدمن الناس بل وهن باقيات في بيوتهن وقد كانت نفقتهن أو بعضها تجري لهن مما ترك رسول الله ﷺ بخير وإنما منعت منه بنته، ومنع عصبته، وفائدة وعدهن بالرزق بعد رسول الله ﷺ: أنهم قد حرم نكاحهن لغيره بعده، فإذا وثقن بالرزق ذهب عنهن وسواس الشيطان.

﴿يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ تأكيد للنداء الأول وتنبيه لهن وتوجيه لأذهانهن إلى ما يقال لهن من نهى الله وأمره.

الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى^١ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^٢
 إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١١﴾

وبيانه: أنهم لسن كغيرهن من النساء أي الزوجات لأنهن زوجات الرسول ﷺ لا بد لهن من صيانة أنفسهن والتحفظ على عرض الرسول ﷺ من المنافقين الطامعين في هتك عرضه الشريف، فهنا تحذيرهن بالوعيد وبالترغيب في طاعة الله ورسوله ﷺ وتحذيرهن من سبب طمع المنافق وإلزامهن بالبقاء في بيوتهن، كل ذلك صيانة لهن من الفاحشة لعظم الخطر فيها على المسلمين.

فقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ نهي عن القول الذي فيه خضوع للمخاطب مثل أن تقول: نفسي لك الفداء، أو أي خدمة تطلبها مني ﴿وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ليس فيه خضوع ولا هو مستنكر عليكم بل هو كلام مألوف معروف ليس فيه لين ولا تهمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَيْتَيْنَّ﴾ مثل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [النساء: ٥٩] ومثل: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فالمعنى أن التقوى إن اتقين تبعتهن على رعاية الفرق بينهما وبين غيرهن والعمل بموجبه.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى^١ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^٢﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١١﴾ ﴿وَقَرْنَ﴾ (الواو) للعطف على الأمر الماضي والنهي.

وقوله تعالى: ﴿قَرْنَ﴾ أمر مثل (خفن) ومثل (قلن) أي اجلسن في بيوتكن صيانة لهن عن مخالطة الرجال، وتحصيناً عن أطماع المنافقين ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ تَبَرُّجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى ﴿التبرج: ظهور المرأة بزيتها وبدون حجاب.

﴿الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قال الشرفي: «﴿تَبَرَّجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى﴾ ما بين آدم وبين نوح» انتهى. حكاه عن (البرهان) ولعل هذا إنما هو تقبيح للتبرج، وتذكير بما كان في الجاهلية الأولى بسبب التبرج من جعل المرأة معرضة للفساد غير مصونة عنه لغلبة الجهل على أهل ذلك الزمان.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أمر تأكيد لما أفاده قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنَّ تُرِدْنَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ﴾ وإيجاب بالأمر لطاعة الله ورسوله في الصلاة والزكاة وفي كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ التفات إلى أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ هذه التوصيات الكثيرة من قوله: ﴿قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ﴾ ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ صيانة لكم من الرجس؛ لأن عرض نساء النبي عرضكم أهل البيت بيان للمخاطب ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً﴾ كاملاً محققاً وقد دل حديث الكساء على أن أهل الكساء الخمسة مخاطبون بهذا الخطاب أو هم المخاطبون في آية التطهير من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ وعلى طهارتهم من الأرجاس و(حديث الكساء) مشهور برواية المحدثين وغيرهم.

وقد أورد الطبري في (تفسيره) جملة من أسانيده، والطبراني أكثر منه رواية، وجمع الحاكم الحسكاني رواته من الصحابة ومن بعدهم في (شواهد التنزيل) وزاد المحقق عليه في (حاشيته) تحريماً.

وقد أورد الإمام القاسم بن محمد عليه السلام من ذلك ما فيه الكفاية، وكذا ابنه الحسين بن القاسم عليه السلام في (شرح الغاية) فنكتفي بذلك لأن (الاعتصام) مطبوع وكذلك (شرح الغاية) و(شواهد التنزيل) ويؤكداه تذكير الضمير في الآية، وإفراد البيت بخلاف ما قبلها وما بعدها.

وَاذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ

﴿٦﴾ ﴿وَاذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿وَاذْكُرْتَ﴾ أي تذكر ﴿مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ لتثبتن على تقوى الله، لأنهن يسمعن في بيوتهن تلاوة رسول الله ﷺ أو غيره أو يتلون هن في بيوتهن بعضهن على بعض ﴿مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ من دلائله ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، واجتناب ما يعاب وإلى رجاحة العقول واجتناب السفاهة.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ ومن لطفه بعباده أنزل الآيات والحكمة في كتابه الذي يتلى عليكم ﴿خَبِيرًا﴾ بأعمال العباد وباطن أعمالهم وبغير ذلك فراقبه في كل عمل، فهذا التأكيد عليهن سببه مكاتنتهن من الرسول ﷺ وهذا يؤكد أن المراد بالبيت بيته إلا أن الخطاب لما كان نازلاً عليه عدل عن صيغة الغيبة فلم يقل عن أهل بيت الرسول إلى خطاب الرسول وأهل بيته فقال: ﴿عَنْكُمُ﴾.

وبين المخاطبين بقوله: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فإن كن من أهل بيت الرسول دخلن وإن لم يكن من أهل بيته خرجن، وقد احتج بحديث الكساء على خروجهن واختصاص الخمسة أهل الكساء باسم أهل البيت، مع أن كلام زيد بن أرقم يفيد: أنهم لسن من أهل بيت رسول الله ﷺ حقيقة بل مجاز بقوله: «ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده» وهو عربي اللسان.

وحديث بريرة - وهي مولاة عائشة - يفيد: أنها لا تحرم الصدقة عليهن؛ لأنها لو حرمت عليهن حرمت على مواليهن كما تحرم على الهاشميين ومواليهم تبعاً لهم؛ لأن الولاء لحمه كلحمه النسب.

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ هَذَا حَثٌ وَتَرْغِيبٌ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَنِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ دَاخِلَاتٍ فِيهِ دَخُولًا أَوَّلِيًّا، فَهُوَ تَأْكِيدٌ لَطِيفٌ لِّمَا مَرَّ فِيهِنَّ ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ قَدْ قَرَّرْتُ فِيْمَا سَبَقَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِسْلَامِ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَاجْتِنَابُ الشِّرْكِ.

انظر الآيات من (آل عمران) [آية: ١٨ و ١٩] ومن (سورة البقرة) [آية: ١٣١]، وآية ١٣٢، وآية ١٣٣ ولا خلاف أن من شهد الشهادتين يقال له: مسلم قبل أن يقوم بفرائض الإسلام، وذلك لأنه تبرأ من الشرك بقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله» ودخل في عبادة الله وحده بقوله: «وأشهد أن محمداً رسول الله».

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ مر تفسيرهم ودل القرآن في مواضع منه على أن المجرمين ليسوا مؤمنين، وقوله تعالى: ﴿وَالْقَانِثِينَ وَالْقَانِثَاتِ﴾ القنوت المستمر: هو الطاعة والخضوع، فهو أنسب لاسم الفاعل.

وقوله تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ إما الصادقين في إيمانهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] ﴿وَالصَّادِقَاتِ﴾ من كان إيمانها يدعوها إلى الجهاد في سبيل الله لو أمرت به كما أمر الرجال، وإما الملتزمين للصدق، والأول أرجح.

﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على طاعة الله وعلى ما ابتلاهم به ﴿وَالْخَاشِعِينَ﴾ لله تعالى المتذللين له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْكُفَّارَ﴾

مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ

لَمْ يَأْمُرْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ [آل عمران: ١٩٩] ومن الخشوع المستمر الخشوع في الصلاة.

﴿وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ﴾ يصدق على الفريضة والنافلة وروي أن رسول الله ﷺ وعظ النساء فقال: «تصدقن تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم» فافاد أن التصدق من أسباب التوفيق، كما أفاده قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ بالفرض والتطوع بصيام أيام البيض أو غيرها، وهذا لأن الصائمين ظاهره الاستمرار وقد روي في صيام شهر رمضان وستا من شوال أنه صيام الدهر أي أنه مثله في كثرة الثواب، وكذا روي في صيام شهر رمضان، وأيام البيض من كل شهر، والله أعلم، والتخريج للحديثين في (الاعتصام) تأليف الإمام القاسم بن محمد عليه السلام وهو مطبوع. ﴿وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ﴾ أي من غير الأزواج والملوكات لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦].

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ بالقلب واللسان، ويدخل فيه الذكر باللسان إذا غفل القلب ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يحتمل لأهل الصفات المذكورة الجامعين لها، ويحتمل أهل كل صفة، وهو مقيد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٧] وغيرها كما مر.

وقال الشريفي في (المصاييح): «وروي أنه لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل، قال نساء المؤمنين: فما نزل فينا شيء، فقال تعالى في الجامعين والجامعات لهذه الطاعات ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾» انتهى.

يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ

﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٧﴾ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَوْجِبَهُ وَحَكَمَ بِهِ فَلَيْسَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ الْخِيَارُ إِنْ شَاءَتْ عَمِلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَإِنْ شَاءَتْ خَالَفَتْ، وَلَا حَقَّ لَهُمْ فِي الْخِيَارِ، بَلْ إِنْ أَطَاعُوا فَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ خَالَفُوا عَصَوْا فَضَلُّوا ضَلَالًا مُبِينًا، لِأَنَّ ﴿مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ غُيِّبَ عَنْ الصَّوَابِ غُيَاةٌ بَيْنَةٌ، وَعُدِلَ عَنِ الْهُدَى، وَمَنْ ضَلَّ فَلِنِإِذَا يَضِلُّ عَلَى نَفْسِهِ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا﴾ [النساء: ٩٢] فهو نفي المناسبة لإيمانه ونفي لكونه يستقيم منه، فكذا في قوله تعالى: ﴿يَكُونُ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ كأنه لا يتصور أن يكون له الخيار، وهذا نفي للخيار مؤكد.

﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ وَادَّكَرَ ﴿إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بِالْهُدَى لِلْإِيمَانِ وَتَيْسِيرَ مِلَازِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وهو زيد بن حارثة كما قد ذكر الله اسمه، وذكر الوصف هنا دون الاسم
بيِّن كرم رسول الله ﷺ حيث لم يسكت عنه ليطلق امرأته مع أن رسول الله
ﷺ أنعم عليه بالتربية له والهداية إلى الحق، وهي أعظم نعمة فلولاً أنه ﷺ
فوق الناس في الكرم لكان يكفي منه أن يسكت ويترك زيداً وما اختار لنفسه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَخَشَّى النَّاسَ﴾ يفيد: أنها قد خطرت ببال رسول الله
ﷺ إذا طلقها زيد، وقضى رغبته فيها أن يتزوجها رسول الله ﷺ لكنه
يخشى الناس لأنهم ما زال في أنفسهم أثر اعتقاد الجاهلية أن المتبنى ابن
فيكون في رأيهم كأن رسول الله ﷺ تزوج امرأة كانت زوجة ابنه، فحاذر
كلام الناس فيه وإن كان باطلاً.

﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ فتطيعه، وتترك محاذرة الناس، فأما ما يروى: من
أنه كان قد رآها وهي في عقدة زيد بن ثابت فأعجبته حتى شغل قلبه في
ذلك الحين، فهذا لا يفيد القرآن، ولا يؤمن أن يكون مما يروى لبني أمية في
بني هاشم وإن كان هذا عند أهل العقول لا يعاب عليه، إذا لم يتعمد النظر
إليها أو لم يكن قد حرم النظر إلى الأجنبية غير المخطوبة؛ لأن أثر النظر ليس
اختيار حيثئذ لكن ما يحتاج إلى الاعتذار فالسكوت عنه أولى إذا لم يكن في
القرآن، واحتمل أن يكون مكذوباً على رسول الله ﷺ لغرض منافق، مع
أن من البعيد المخالف للمروءة والحياء أن ينظر رسول الله ﷺ إلى امرأة
أجنبية متعمداً وهو يعلم أنها مزوجة، ولو كان قبل تحريره.

والذي يرجح أن الله تعالى أخطر زواجه بها بباله ليطل عادة الجاهلية في
اعتبار المتبنى ابناً وليس ابناً في نفس الزواج؛ لأنه ما كان يذهب أثرها من نفوس
المسلمين إلا بوقوع ما ينافيه من رسول الله ﷺ فقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ
زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ تक्रماً وحذراً من كلام الناس إذا طلقها وتزوجها هو ﷺ.

فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ

فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ حين قد طلقها زيد وذهبت عنه الرغبة فيها ولم يبق له فيها حاجة، والوطر: الغرض، والحاجة. في (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ الوطر: الحاجة والأرب، وزيد هو زيد بن حارثة الكلبي - رضي الله تعالى عنه - مولى النبي ﷺ انتهى، وقال له: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ فعليك أن تنفذ حكم الله، ولا تخشى الناس.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا﴾ أي من زينب ﴿وَطَرًا﴾ أي حاجة ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ لاستغناء زيد عنها حين لم يبق له فيها وطر، ثم ذكر الحكمة في ذلك، فقال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ بشرط ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ فهذا لإعلاء كلمة الله، وإبطال كلمة الجاهلية، فبعد رسول الله ﷺ لا يرى مسلم في مثل ذلك الزواج عيباً أو سبباً لقالة المسلمين، فأما أعداء الإسلام فلا يهم المؤمن كلامهم.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ عند رسوله والمؤمنين، وأمره حقيق أن يفعل، ومن شأنه ذلك، ويحتمل: أن المراد وتم ما أمر الله به من زواج زينب والأول أرجح.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ من ضيق فلا إثم عليه ولا عار ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ فيما أوجب الله له وحتمه، لأن الله تعالى لا يفرض إلا ما فيه الحكمة وهو الصواب، لأنه أحكم الحاكمين.

اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ سنة الله سننها في الذين خلوا من قبل سننها من قبل فيهم فكل نبي لا حرج عليه فيما فرض الله، وهذا يعم كل ما فرض الله له مثل زواج تسع وزواج نبي الله سليمان عليه السلام، فيما حكى أكثر من ذلك بكثير.

قال الشرفي: «وقد كان لداود عليه السلام مائة زوجة وثلاثمائة سرية [أي جارية مملوكة مخصصة للنكاح] ولولده سليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية» انتهى. قال في (الصحيح): «والمهيرة: الحرة» انتهى.

فهي هنا الزوجة الحرة بل ولعل الزواج من مفهومها، وهي مشتقة من المهر، والله أعلم. فليس على أنبياء الله ولا غيرهم من حرج فيما فرض الله لهم، وإن كان شيئاً غير مألوف من قبل، قال الشرفي: «قال في البرهان: والسنة الطريقة المعتادة» انتهى.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ مثل: ﴿عَلَى الْمَوْسَىٰ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] في قراءة - فتح الدال - فأمر الله قدر محدود ليس فيه إفراط ولا تفريط، بل مقدر تقديرًا محكمًا ففي التكاليف ذلك، ومنها: تشريع نكاح طليقة المتبنى، ومنها: تزويج النبي ﷺ بتسع، ومنها: تكليف الرجال بالجهاد، والتشريع للنساء بالحضانة للأطفال في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وغير ذلك.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ﴾ في تبليغ الرسالات، وفيما كلفوا به فلا يخالفون حكمه.

ءَامِنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ

﴿وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فيبلغون رسالات الله على رغم الكفار والمنافقين، لا يمنعهم خوف أحد ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ يحاسب عباده فيخشونه لأنه حسيبهم ولا يبالون بغيره ولا يرضون حسيباً غيره يراقبونه في تصرفاتهم وأعمالهم.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ لا زيد بن حارثة ولا غيره من رجال المخاطبين، فأما الأطفال فقد كان ﷺ أبا ابنه إبراهيم، وأبا الحسن والحسين من ابنته فاطمة، كما كان عيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام وقد كتبت في هذا الموضوع كتاباً فيه تسعة فصول في تثبيت أن الحسين أبنا رسول الله ﷺ عنوان الكتاب (الذرية المباركة) ففيه كفاية لمن أنصف فليراجع.

﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ أي ولكن كان محمد رسول الله ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فهو رسول وهو نبي لا نبي بعده، فلا بد من أئمة هدى تقوم مقام الأنبياء يحددون الدين كلما أشرف على الضياع ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فتشريعه حق ليس يغيره غفلة ولا نسيان لأن الله بكل شيء عليم.

﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أَذْكُرُوا اللَّهَ ﴿بقلوبكم وألستكم﴾ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿وكلمات الذكر لله كثيرة ومنها الدعاء والاستغفار وتذكير الناس بالله وذكر الدلائل على الله، والتحميد والتكبير والتلهيل وقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله عند البلوى، والحمد لله عند النعمة، وأستغفر الله عند الزلة، وغير ذلك.

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٢﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٤﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ

وخصّ الله تعالى من ذلك التسييح فقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً﴾ في أول النهار ﴿وَأَصِيلًا﴾ في آخره، ومن الذكر: (سبحان الله) تقولها ثلاثاً وثلاثين (والحمد لله) ثلاثاً وثلاثين، (والله أكبر) أربعاً وثلاثين بعد كل فريضة وعند النوم، وكذلك قراءة (آية الكرسي) بعد كل فريضة وغير ذلك، وكثرة الذكر لله شكر على نعمة الدين كما يشير إليه قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ في (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ معناه: هو الذي يرحمكم وتدعو لكم ملائكته وقال معنى ﴿يُصَلِّي﴾ يبارك عليكم» انتهى.

وكل هذا صحيح فهو تعالى يرحم المؤمنين بما ينزل من آيات القرآن لهدايتهم وإرشادهم وبيارك عليهم بإنزال آيات القرآن المبارك الموصوف بالبركة في أربع آيات ولعل هذه الآية تلفت أنظار المؤمنين إلى ما مضى في هذه السورة من إرشاداتهم وفي غير هذه السورة ليشكروا نعمة الهدى ويتمسكوا بما تنزل لهم من الرحمة والبركات التي تخرجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهدى.

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ كل المؤمنين من الأولين والآخرين فمن رحمته الإرشاد والهدى ومن رحمته اللطاف ومن رحمته الدفاع عن الذين آمنوا إذا قاموا لنصر دينه وغير ذلك.

بِاٰذِنِهِ وِسْرَاجًا مُّنِيرًا ﴿١١﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿١٢﴾ وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ

﴿١٤﴾ ﴿حَيْثُ هُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ﴿حَيْثُ هُمْ﴾ مَنْ رُبُّهُمْ ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ أَيِ عَلَيْكُمْ أَوْ لَكُمْ، أَيِ أَمَانٍ فَلَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ تَكْرِيمًا لَهُمْ بِمَا صَبَرُوا وَهُوَ الثَّوَابُ.

﴿١٥﴾ ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِاٰذِنِهِ وِسْرَاجًا مُّنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ﴿شَهِيدًا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] فَهُوَ شَهِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا شَهِدَهُ مِنْ جَرَائِمِ الْعَصَاةِ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ ﴿وَنَذِيرًا﴾ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ بِعَذَابِهِ.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ تَدْعُو الْعَالَمِينَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهِ وَاهْدِي إِلَيْهِ ﴿بِاٰذِنِهِ﴾ بِمَعُونَتِهِ وَتَيسيره لِذَلِكَ الْعَمَلِ الشَّاقِّ بِسَبَبِ مَحَارِبَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ لِدَعْوَتِهِ ﴿وِسْرَاجًا مُّنِيرًا﴾ لِبَصَائِرِ مَنْ يُؤْمِنُ وَيَتَّبِعُ وَهَذَا تَشْبِيهُهُ بِالسَّرَاجِ الَّذِي يَنْيرُ لِلْبَصَرِ ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ عَطَاءٌ جَزِيلًا وَخَيْرًا كَثِيرًا وَهُوَ يَعْطِي الثَّوَابَ وَالتَّفْضِيلَ فِي الْآخِرَةِ، وَالنَّصْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ مِنَ التَّمَكِينِ لَهُمُ وَالْغَنَائِمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ تَأْكِيدٌ لِّمَا مَرَّ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَلَعَلَّهُ لِيَتَرَبَّعَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ بِالتَّوَكُّلِ وَعَدَمِ الْمَبَالَاةِ بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا حَاجَةَ لَهُ فِي طَاعَتِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ حَافِظُهُ وَنَاصِرُهُ عَلَيْهِمْ.

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْشُوهُنَّ. فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿١٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي

وقوله تعالى: ﴿وَدَعَا أَذُنَهُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] وقد أمره الله بجهادهم في (سورة التوبة) و (سورة التحريم) لدفع الكفر، ولدفع الطعن في الدين.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ تأكيد للدلالة على فائدة التوكل على الله، وهذه السورة تفيد: أن قد استعد رسول الله ﷺ لجهاد الكفار.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْشُوهُنَّ. فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ إِذَا نَكَحْتُمُ تَزَوَّجْتُمْ بِالْعَقْدِ ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْشُوهُنَّ﴾ قبل أن تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ لأن مهمة العدة حفظ النسل فتعتد ليتبين إن كانت حاملاً منه قبل أن تتزوج غيره، فإذا لم يكن جامعها لم يحصل فيها هذا المعنى فحكم الله أن لا عدة عليها، فأما الخلوة فلا توجبها وإنما تعتد احتياطاً لحق الله لئلا يكون قد جامعها، ولم يكف إقرارها بعدم الدخول لاحتمال أنها تدعيه لتسارع إلى الزواج بدون عدة ولا كفى إقراره لاحتمال أنه يريد التخلص من نفقة العدة، فلذلك لا يكفي إقرارهما بعدم الدخول بل تؤمر بالعدة احتياطاً.

وقوله تعالى: ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ بمتاع مثل بدلة كسوة بقدر حال الزوج كما مر في (سورة البقرة) وقوله تعالى: ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ بترك الجفاء وحسن القول وإذا كان أهلها ببلد بعيد جعل لها مركوباً وأصحابها من يحفظها وإذا رحم لها وبذلك يكون إرسالها حسناً.

ءَاتَيْتَ أَجُورَهُ. وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُ. وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ قال الشرفي: «قال في (البرهان): وهذا من أدل الدليل على أن هذه الآية ناسخة؛ لأنه لما نزل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ ولم يكن عنده يومئذ في حباله من بنات عمه، ولا من بنات خاله امرأة فلما جاء إحلال من ذكرنا كان ذلك حكماً مستجداً ناسخاً لنهي تحريم النساء له» انتهى.

قلت: هو نسخ في محل التخصيص فقط، وهو مؤكد لتحريم غير المخصص لأنه لو كان وَاللَّيْسَ بِهِ قد حل له بعد التحريم أن ينكح من النساء ما شاء كما روي لما كان في تخصيص المذكورات فائدة.

وقوله تعالى: ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ قيد للتحليل يخرج من لم تهاجر معه فهي باقية على أصل التحريم، وقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً﴾ أي وأحللنا لك امرأة مؤمنة معينة.

قال الشرفي: «قال في (التجريد): وفي المرأة التي ﴿وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أقوال أحدها: أنها أم شريك، والثاني: أنها خولة بنت حكيم، ولم يدخل النبي ﷺ بواحدة منهما، وذكروا أن ليلى بنت الحطيم وهبت نفسها له فلم يقبلها وعن ابن عباس أنها ميمونة بنت الحارث وعن الشعبي أنها زينب بنت خزيمة، وقال الهادي عليه السلام: هذه الهلالية وهبت نفسها للنبي ﷺ فأجاز الله ذلك له من دون المؤمنين» انتهى المراد.

قال الشرفي: «قال في (البرهان): وروينا عن آبائنا عن زين العابدين عليه السلام أنها أم شريك بنت جابر وهبت نفسها للنبي ﷺ فتزوجها من وليها» انتهى. فظاهره: أنها حلت له ﷺ بالهبة بشرط إن أراد النبي ﷺ ﴿أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ فإن لم يرد ذلك لم تحل له.

وقوله: ﴿أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ لم يقل: أن ينكحها وأصل المعنى يطلب نكاحها والمفروض أنها تحل له بالهبة فالراجع: أن المعنى أن يطلب نكاحها من وليها تطبيقاً لنفسه وبدون مهر ولا جهاز كما مر في الرواية عن زين العابدين عليه السلام، فالتخصيص للنبي ﷺ بحل الواهبة نفسها باق لكن بشرطه.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ مما حصل لك غنيمة بالجهاد، ولعل مارية قد صارت من أزواجه كصفية في كونها صارت من أزواجه وقوله ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنَ الدُّنْيَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي هذه التي وهبت لا تحل لأحد من المؤمنين بالهبة امرأة ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من المهور وتحديد أكثر الزواج لهم بأربع وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإستبراء وخلوص الأمة لمالك واحد، وأن لا يتزوجها حر إلا بشروط مذكورة في (سورة النساء) والله أعلم، وقال الشرفي: «يعني: يحللن من غير عدد محصور [أي بالملك] ولا قسم مستحق» انتهى.

تُرْجَى مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَن ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أحللنا لك ما ذكر في هذه الآية لكي لا يكون عليك ضيق، ولعل ذلك من أجل قوله تعالى: ﴿لَا يَجُلُ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٢] فرفع الحرج بتأكيد إحلال التسع وإلحاق بنات عمه وبنات عماته ومن ذكر بعدهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ قال الشريفي: «ثم قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ للواقع في الحرج إذا تاب رحيمًا بالتوسعة على عباده» انتهى.

﴿تُرْجَى مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَن ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ قال في (الصحيح): «أرجيت الأمر آخرته» انتهى المراد.

فمعنى ﴿تُرْجَى مَن تَشَاءُ﴾ تعزّلها عنك ﴿وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ تضم إليك في مبيت أو قيلولة، قال الشريفي: «قال الهادي عليه السلام: معنى ﴿تُرْجَى﴾ فهو تترك وتقصي من شئت منهن ﴿وَتُؤَيِّ﴾ أي تضم إليك من تشاء أي تدعو وتخلو بمن أحببت منهن ذلك أن الله أمره أن ينحيهن كلهن عنه إلى دار معتزلة عنه، ويكون هو في داره على حدة فإذا أراد منهن واحدة أرسل لها فدعاها، وإذا لم يرد واحدة أرجاها وكان ذلك أحب إليهن، وأقرّ لأعينهن من أن يغشى واحدة إلى منزلها أكثر مما يغشى منازلهن فعرفه الله سبحانه ما فيه الرشد له ولهن» انتهى.

لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٧﴾ يَتَأْتِيهَا

وما روي: «أنه ﷺ كان إذا تزوج بكراً أقام عندها سبعا وإذا تزوج ثيباً أقام عندها ثلاثاً» محمول على حالة الأعراس، أو كان ذلك قبل تحريم النساء عليه، وما روي: «أنه كان يطاف به في مرضه في نوبة كل واحدة ثم استأذنهن وهو في بيت عائشة مريض أن يبقى فيه فأذن له» محمول على حالة المرض خاصة ليمرضه - والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فتشريعه هذا أوفق للقلوب وأرفق ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ عليمًا بكل شيء ومنه الحكمة في التشريع حلماً لا يعجل بالعقوبة.

﴿٥٧﴾ لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٨﴾ لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ۖ أَي زيادة على ما أحل لك.

وظاهر كلام (البرهان): أن هذه الآية مقدمة على قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ..﴾ فإذا كان كذلك، فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ..﴾ إلى آخرها فيها نسخ تخصيص، أما إذا كان (آية التحريم) هي المتأخرة، فالمعنى: لا يحل لك النساء من بعد أن أحللنا لك أو ما أحللنا لك من نسائك وبنات عمك.. إلى آخرها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ فلو ماتت واحدة أو طلقها لم يكن له ﷺ أن يبدلها إلا بإذن جديد، كما يفيد قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ..﴾ [التحريم: ٥] إلى آخرها.

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٨﴾

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ هو استثناء في الآيتين للجواري السريات، وفي هذه الآية أطلق ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ ولم يقيده ولعل قوله تعالى: ﴿مِمَّا أَفَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ ليس تقييداً إنما سببه أن الجواري التي كانت عنده من مما أفاء الله عليه، والتكليف هنا خاص برسول الله ﷺ وهو أعلم بمراد الله منه. فاما تكليفنا فقد أحل الله لنا المملوكات على الإطلاق أي غير مقيد بالفيء ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ فلا يخفى عليه من أطاع ولا من عصى، فعلى العباد أن يراقبوه.

﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ﴿بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ البيوت التي هي ملكه، ومنها بيوت أزواجه تضاف إليهن

لأنهن ساكنات فيها نهى الذين آمنوا عن دخولها إلا على شرط محدود صيانة لها عن سفاهة السفهاء نهوا من أجل النساء صيانة لهن، وفي ذلك إبطال لمكر المنافقين ومحاولتهم الإفساد بينه وبين بعض نسائه أو إدخال الشر عليه من طريقتهم ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في الدخول والإذن مصدره الرسول ﷺ وإنما يكفي أن يبلغ عنه مبلغ ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ ليس الإذن إلى غيره.

﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾ غير منتظرين ﴿إِنَّهُ﴾ نضجه وصلاحه للأكل بل لا تدخلوا إلا عند حضوره صالحاً للأكل، وفائدة هذا أن لا يطول بقاؤهم في البيت إذا دخلوا قبل وقت الأكل للطعام ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا﴾ لتأكلوا، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا..﴾ [الجمعة: ١٠] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَلُّوا..﴾ [المائدة: ٢].

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ عن بيوت النبي ﷺ وجوباً ﴿وَلَا﴾ تبقوا ﴿مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ﴾ يحدثكم به الرسول ﷺ أو غيره، والاستئناس هنا محاولة ما يأنسون به للبقاء شبه رخصه بإذن أو قرينة فهو مثل مستأذنين في البقاء إلا أن مستأنسين أعم من المستأذنين لأنه يدخل فيه القرينة وهي قد تكون بسوط الحياء أو غلطاً منهم مثل أن يجعلوا ترك الأمر بالخروج قرينة. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ البقاء المفهوم من ﴿وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ﴾ ﴿كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ﴾ لأن الوقت ليس وقتكم ولكم وقت آخر يخرج فيه إليكم، فبقاؤكم يؤذيه لأي سبب من أسباب بقائكم.

وقد فسروه: بأنه كان يريد أهله قبل أن يحين وقت الصلاة فإذا بقوا فوتوا عليه ذلك، وقد أبهم القرآن السبب غير بقائهم؛ لأن المهم كونه يؤذي النبي ﷺ

لا معرفة لما يؤذيه بقاءهم ﴿فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ﴾ أن يخبركم أنه يؤذيه أو يأمركم بالخروج ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أن يأمر به فقد أمركم بذلك لأن الحق خروجكم وترك اللبث.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ توضيح لبقاء النهي عن الدخول ولو سألوهن متاعاً بل يسألونهن من وراء حجاب بينهن وبين السائل، والمتاع: الحاجة مثل شربة ماء أو شيء من الماعون أو طعام لجائع مسكين.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ أي ترك الدخول إلا بإذن على شرطه المذكور، وترك السؤال لمتاع إلا من وراء حجاب أو الإشارة إلى الأخير أطهر لقلوبكم من خطورة الشهوة لمن وإضرار السوء وقلوبهن كذلك.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بمخالفة هذه التكاليف أو غيرها أو بغير سبب، وهذا يمنع أذية المنافقين تعللاً بهذه التكاليف ﴿وَلَا أَنْ تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ أي حين يكون ﷺ قد فارق الحياة الدنيا فهن حرام على أمته، ولعل السر في ذلك أن الذي يليق بالمؤمن أن تكون رغبته في بقاء الرسول ﷺ حياً وحرصه على ذلك شديداً والرغبة في نكاح أحد أزواجه من بعده تعارض ذلك والله أعلم. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ النكاح المذكور ﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ وهو أحكم الحاكمين كان عنده وفي حكمه عظيماً شديد القبح من أكبر الكبائر.

﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا﴾ مما في نفوسكم من حديث نفس أو عزم على أمر أو ظن أو تردد أو أي أمر كان في النفس فأظهرتموه ﴿أَوْ خُفِّفُوا﴾ فلم تظهروه يعلمه الله فيحاسبكم به

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيْ ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَاءِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فلا يخفى عليه شيء، ولعل الآية تشير إلى ما وقع في نفوس المنافقين تجاه الأحكام المذكورة المتعلقة بنساء النبي ﷺ.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيْ ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَاءِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِينَ اللَّهَ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ دُخُولِ بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ صِيَانَةً لِّنِسَائِهِنَّ وَحِفْظًا لِّدِينِهِنَّ، لِأَنَّ الْأَجْنِبِيَّ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِنَّ وَلَيْسَ مُؤْمِنًا قَدْ يَزِينُ لَهُنَّ الْبَاطِلَ وَالنِّسَاءَ ضَعَافَ الْعِزْمِ.

ثم استثنى من الآية التي مضت أفراداً معينين، فقال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيْ ءَابَائِهِنَّ﴾ أي أن يدخلوا بيوتهن ﴿وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ كذلك ﴿وَلَا إِخْوَانِهِنَّ﴾ وهي نعم الأخ لأبوين، والأخ لأب، والأخ لأم ﴿وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ﴾ وهي كذلك في عموم الإخوان ﴿وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَاءِهِنَّ﴾ وهن المسلمات، وهذا يؤكد أن الحجاب كان لحفظ الدين مع صيانة النساء عن التهمة، والمرأة الكافرة أضرت على المسلمة من الرجل وأقدر على التأثير فيها بتزيين الباطل أي نوع منه، وبرمي الإسلام بالتضييق على المرأة وأنها لا تستطيع الاستمرار على الحجاب وغير ذلك مما يوحي إليها الشيطان.

قال الشريفي في (المصابيح): «قال المرتضى عليه السلام: فدل على أن ثم نساء ممنوعات أن يبدن زينتهن لهن فحظر عليهن أن يبدن زينتهن عند غير نسائهن، ومعنى نسائهن فهو أهل ملتهن» انتهى المراد.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾

ولعل كلام المرتضى عليه السلام في تفسير (آية النور) حيث قال تعالى: ﴿أَوْ
 نِسَائِهِنَّ﴾ [آية ٣١] فاما (آية الأحزاب) التي نحن في سياقها فلم يذكر فيها إبداء
 الزينة، بل منع الدخول عليهن والضرر فيه كما ذكرت ونساء النبي ﷺ كن
 قدوة للنساء، فلو فسدن أثر ذلك في غيرهن ونساء النبي ﷺ مأمورات
 بالبقاء في بيوتهن والمسلمات يخرجن فهى المسلمات عن إبداء زيتهن سواء
 في الطرقات أم في بيت من البيوت، ولهذا فينبغي التفهم للفرق بين الآيتين
 مع أن حكم نساء النبي ﷺ في تحريم إبداء الزينة حكم سائر المؤمنات
 لأنهن داخلات في عموم (آية النور).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قال الشرفي: «عن المرتضى
عليه السلام - ثم قال -: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الإماء اللواتي لسن من
 أهل ملتهن ولم يسلمن بعد» انتهى المراد.

وقوله: «ولم يسلمن» يعني إماء المسلمات فقد دخلن في عموم نساتهن
 والأولى أن الآية عامة للكافرات والمسلمات من الإماء لا تخص الكافرات
 لأن دخول المؤمنات في نساتهن لا يمنع دخولهن في عموم ما ملكت أيماهن.

وقوله تعالى: ﴿وَأَتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فحافظن على طاعته فيما ظهر وما بطن
 ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ فهو شهيد على ما تفعلن
 والشاهد هو الحاكم.

﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا
 عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ تَعْلِيلٌ لِلْأُمُورِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا لِنِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ

وغيرهن والتكاليف المتعلقة بهن، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الراجح: أنها من الله وملائكته صلاة زائدة على الصلاة على المؤمنين.

وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ فهي من الله تعالى رحمة وبركات مستمرة كثيرة تدخل فيها اللطاف وعصمة وتشريف له ولكل ما يتصل به وتستمر في حياته وبعد وفاته، ومن ذلك ما كان من بركاته في الطعام لأهل الخندق وأصله قليل، وفي الماء الذي نبع من بين أصابعه، وغير ذلك فأما صلاة الملائكة عليه، فالراجح: أنه دعاؤهم بذلك فذكر الله نفسه وملائكته قدوة للمؤمنين فرتب عليه أمره للذين آمنوا فقال: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وفي ذلك تعظيم للصلاة عليه، وتعظيم له عليه السلام.

وقوله: ﴿وَسَلِّمُوا﴾ أي عليه حذف؛ لأنه قد دل عليه ذكره في المعطوف عليه، مثل: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ ولو كان المراد غير ذلك لذكر، فقيل: وسلموا لأمر الله تسليماً فأما تقدير ما لا يدل عليه السياق فهو خلاف الظاهر.

وفي (أمالى المرشد بالله عليه السلام) [ج ١/ ص ١٢٣] أسند إلى عنبسة بن سعيد، عن الإمام الشهيد أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ جاء رجل فقال: يا رسول الله قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فأخذه بيده ثم قال: «اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد» فذكر الخمس صلوات - ثم قال -: «خذها يا علي خمساً فإنك من أهلها» انتهى.

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ

ورواية «قد عرفنا السلام عليك فكيف نصلي عليك»؟ مشهورة، رواها البخاري في (جامعه) وغيره من المحدثين، وهي تدل على أنهم فهموا من الآية: وسلموا عليه تسليماً.

وأما تخريج الحديث وفيه قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» فقد بسط فيه الشرفي في (المصايح) عند ذكره لهذه الآية، وكذلك جمعت منه جملة وافرة في كتيب عنوانه (أحاديث مختارة) وظاهره: أن الصلاة على آل معه جزء من الصلاة عليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ قال الشرفي: «قال في (البرهان): ومعنى ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ يؤذون رسوله فجعل أذى رسوله أذى له تشريفاً لمزيته [تحتمل لمنزلته] وتشبيهاً لكللمته» انتهى باختصار.

قلت: لما كان رسول الله رسولاً بدين الله كان الطعن فيه طعنأ في رسالته وردا لآيات الله الدالة على صدقه، لأن تحقيره تحقير لما جاء به عن الله فأذاه راجع إلى ما جاء به من عند الله، فصح اعتباره أذى لله تعالى، وهو سبحانه يستحيل عليه التأذي وجعل عذابهم مهينا مناسب لتكبرهم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ بالكذب عليهم ونسبة ما لم يفعلوا إليهم، يدخل فيه قذف المحصنات بما لم يفعلن، ويدخل فيه رمي النواصب للإمام علي عليه السلام بقتل عثمان.

الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَ ۚ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾ * لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنًا﴾ بالكذب على المؤمن أو المؤمنة
﴿وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ بينا؛ لأنهم آذوا المؤمن أو المؤمنة بغير حق فقد احتملوا
جرميتين معا.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلْبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ قال
الشرقي عن (البرهان): «والجلباب: هو ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها» انتهى.

وقال في (لسان العرب): «والجلباب: القميص، والجلباب: ثوب أوسع
من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل: هو ثوب
واسع دون الملحفة تلبسه المرأة، وقيل: هو الملحفة، قالت جنوب أخت
عمرو ذي الكلب ترثيه:

تمشي السور إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهن الجلابيب

وقيل: هو ما تغطي به المرأة الثياب من فوق كالملحفة، وقيل: هو الخمار -
ثم قال -: وفي (التنزيل العزيز): ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ قالت
العامة الجلابيب الخمار، وقيل: جلباب المرأة ملاءتها التي تشتمل بها
واحدتها جلباب، والجماعة جلابيب، وقد تجلببت وأنشد:

والعيش داج كنفا جلبابه ... البيت.

وقال آخر:

مجلب من سواد الليل جلباباً ... البيت.

- ثم قال -: والجلباب - أيضاً - الرداء» انتهى.

قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا
 يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا
 تَقْتِيلًا ﴿٧﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا ﴿٨﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا

فالأظهر: أن الجلباب أكبر من الخمار، فقوله تعالى: ﴿يُدْنِيَنَ عَلَيْهِنَ مِنْ
 جَلْبَابِهِنَّ﴾ أي يسترن بها أعالي أبدانهن مع ستر أسافلها بالأزر أو غيرها
 ﴿ذَلِكَ﴾ التستر ﴿أَدْنَى﴾ أي أقرب ﴿أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ أنهن مسلمات ﴿فَلَا
 يُؤَدِّنَ﴾ بتعرض الفساق من المنافقين والذين في قلوبهم مرض وغيرهم لهن،
 ولعلهن قبل ذلك كن يجعلن الجلابيب على رؤوسهن فأمرن بإرسالها على
 أبدانهن فاعتبر تقريباً للجلابيب على أبدانهن.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ أنهن مسلمات بتسترهن الذي لم
 يكن معهوداً، وهذه صيانة للمسلمات، وإبعاد لهن عن التهم إذا خرجن
 لحاجتهن.

﴿لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الَّامْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي
 الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا
 ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ
 لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الَّامْنَفِقُونَ﴾ عن النفاق وما يتفرع عليه من
 الإفساد بين المسلمين ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ عن هذا المرض وما تفرع
 عليه من الإفساد بالإرجاف وغيره ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ عن
 الإرجاف فيها ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم حتى يخافوك ويتشردوا.

يُذَرِّبُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٣١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٣٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ

﴿ثُمَّ لَا تَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يخرجون هارين ﴿مَلْعُونِينَ﴾ مطرودين مبعدين من الخير ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا﴾ أينما ظفرت بهم أخذوا ﴿وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ لأنهم قد استحقوا النفي والقتل؛ لأنهم محاربون لله ورسوله ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ عادة الله ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ من المنافقين ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الأديان الماضية والذين في قلوبهم مرض منهم والمرجفون ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فعقوباته في الأولين تقع على الآخرين هي أو مثلها والمرجفون أهل الكلام الذي يخوفون به المسلمين من عدوهم ويضعفون به عزم بعضهم على الجهاد.

قال في (لسان العرب): «الرجفان: الاضطراب الشديد، ثم قال الليث: أرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس» انتهى.

ثم قال في (لسان العرب): «وأرجفوا: خاضوا في الفتنة والأخبار السيئة» انتهى. وفي (القاموس): «في رجف وأرجفت الناقة .. إلى قوله: والقوم خاضوا في أخبار الفتن ونحوها» انتهى.

واكحاصل: أنهم أهل الأخبار المسيية للاضطراب يفتنون الناس بالتخويف ولعله مأخوذ من ارتجاف القلوب، أو على تشبيه اضطراب نياتهم بالارتجاف.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُذَرِّبُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى هي بالتحديد؟

وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١١﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿١٢﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ

﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ علمها كله ما يكون فيها ومتى تكون، وكل شأنها ﴿وَمَا يُذَرِّيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ لأنك لا تدري متى هي فلعلها تكون قريباً وأنت لا تدري، وفيه إشارة إلى قربها لأنها أمر عظيم تأتي بأمر عظيم فقربها وبعدها بالنظر وبالنسبة إلى عظمتها، ألا ترى أنه يقال: أن القمر تقترب من الشمس، وليس المراد مثل اقتراب أحدنا من الآخر.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ طردهم وأبعدهم من رحمته بسلب التوفيق والألطف وإرسال الشياطين عليهم، قال في (الصحاح): «اللعن: الطرد والإبعاد من الخير» ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ناراً ملتهبة في جهنم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿لَا تَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ باقين فيها أبداً لا يموتون ولا يخرجون ﴿لَا تَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يتولى صلاح أمرهم وإنقاذهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم ويخلصهم بالنفوذ والقدرة الغالبة سبحانه الله.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾ لعله ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨] فهي تمر على أمكنة مختلفة غير مستوية فتقلب وجوههم عند المرور عليها يمينا وشمالاً ووسطاً على جمرها ﴿يَقُولُونَ﴾ عند تقلب وجوههم: ﴿يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ لأن النجاة من ذلك كانت في طاعة الله ورسوله يتمنون ذلك نادمين لفواته.

مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتِمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٢٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٢٩﴾ يَتَأَيُّهَا

﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ ﴿سَادَتَنَا﴾ أشرافنا الذين كان لهم فينا سيادة وشرف مثل من ساد بالسخاء وإكرام الضيف وإطعام الجائع وإغاثة الملهوف، وتفريج كربة المكروب ﴿وَكُبَرَاءَنَا﴾ أهل العزة بكثرة الأعوان إما لكثرة المال وإما لمنصب ويطلق اسم السيد على من ساد قومه بالملك أيضاً ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ الذي هو سبيل النجاة أضلونا عن سبيل الله فأضللناه بسبب طاعتنا لهم.

﴿٢٩﴾ ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَامْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتِمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَامْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ من أجل إضلّالهم لنا ﴿وَالْعَنَتِمْ﴾ واطردهم وباعدهم من الخير طرداً وإبعاداً كثيراً وهذا لغضبهم على المضلين لهم لأنهم كانوا سبب دخولهم النار.

﴿٣٠﴾ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ﴾ لا تؤذوا نبيكم بالكذب كما آذى موسى قومه بالكذب عليه.

وقد أبهم القرآن ماذا قالوا في موسى، فلا نتعاطى تفسيره بنقل غير صحيح لعله من أخبار اليهود، أما الهادي عليه السلام، فحكى عنه الشرفي ما حاصله: ترجيح أنهم آذوا بقولهم في العجل: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِي﴾ [طه: ٨٨] وليس بعيداً.

﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ﴾ أي برأ الله موسى ﴿مِمَّا قَالُوا﴾ فيه ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الواو) ليست (واو العطف) وإنما هي مثل (واو الاعتراض) وهي

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٨﴾ إِنَّا

كثيرة في القرآن الكريم، والخلل في تسميتها (واو الاعتراض) وهي غير خاصة بالاعتراض، وكان موسى عند الله وجيهاً له جاه وشرف عند الله، فهو مجاب الدعوة وأذيته جرم كبير.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿سَدِيدًا﴾ مصيباً للصواب غير عادل عنه في شيء من معناه ومحله ووقته بل هو سليم من كل عيوب الكلام الراجعة إلى معناه أو مكانه أو زمانه أو ما يقترن به سواء كان خبراً أو إنشأً ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ يعنكم على أداء ذكره وشكره وحسن عبادته فحفظ اللسان إلا من السديد مما يذهب السيئات، كالصلاة والصدقة ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ قال الشريفي: «الكبائر بالتوبة والصغائر باجتناّب الكبائر» قلت: قد تضمن الدلالة على التوبة باللزوم قوله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ لأن صلاح العمل يتوقف على التوبة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] فلا يصلح العمل مع الإصرار على الكبائر فساد الكلام من أسباب التوبة كما هو سبب لصلاح العمل، وفي الحديث الشريف «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ فاز بالجنة والنجاة من النار وذلك الفوز العظيم.

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٦﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ

﴿٧٦﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿الْأَمَانَةُ﴾
ما أودعه الإنسان من قدرة العلم والإيمان والقدرة على اختيار الهدى على
الضلال، وذلك بالعقل الفارق بينه وبين الحيوان وبه يقدر على إصلاح أمره
بخلاف الجنون فهو نعمة على الإنسان عظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]
لكنه مع كونه نعمة عظيمة يُعجب بها الإنسان ويُحبها خطر عظيم لما ترتب
عليها من التكليف الذي يترتب عليه الجزاء.

فبين الله له هذا الخطر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ خفن منها خوفاً كان
سبباً لامتناعهن عن قبولها، وهذا تمثيل لبيان الخطر وهو أنه أمر لا تتحمله
اختيار السموات والأرض والجبال، وهذا كقوله في بيان عظم قدرته وكونه
لا تقاس على قدرة المخلوق ﴿قُلْ أُنَبِّئُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي
يَوْمَيْنِ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
إِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ الآيات [نصلت: ٩-١١].

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ لحبه لقوة المعرفة ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لغفلته عما
يترتب عليها من الجزاء وإعراضه عن شكرها وعن القيام بحقوقها ﴿جَهُولًا﴾
لغفلته عما يترتب عليها وجهله بعاقبتها في حال قبوله لها وهذا بالنظر إلى
أكثر الناس، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] ويدل على
تخصيص المؤمن من هذا قوله تعالى في تعليل هذا: ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ جزاء على كفرهم لنعمة الله، ولولا العقل ما صح تكليفهم ولا وجب عليهم الإيمان ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ولولا العقل ما صح وجوب الإيمان عليهم، ولا صاروا به إلى الثواب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ أي وليتوب الله إما بالألطاف والتوفيق لحسن الخاتمة حتى صاروا إلى الثواب، وإما بإدخالهم الجنة، وسمي الثواب توبة عليهم كما سمي رحمة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فلذلك كتب على نفسه الرحمة، وقبول التوبة منذ حملهم الأمانة من أول التكليف ويبقى ذلك ما بقي التكليف.

انتهى تفسير (سورة الأحزاب)

والحمد لله رب العالمين



التَّيْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ



سُورَةُ سَبَأٍ



سُورَةُ سَبَأٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ

ابتداء تفسير (سورة سبأ) وهي (مكية)

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ على ملكه، قال الشرفي: «قال في
(البرهان): يعني الذي خلق ما في السماوات وما في الأرض وملكه» انتهى،
وفي نسخة (المصابيح): «ومليكه» وعندي أن الصواب: وملكه أي أنه ملكه؛
لأنه خلقه، فهو محمود على أن ملكه بخلقه له، وهو محمود في ربوبيته.
وقوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ يفيد: أنه ربهم وحده ﴿وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾ كذلك فبطل بذلك شرك المشركين كما يأتي إن شاء الله بيانه في
تفسير (سورة فاطر) ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ كما قال تعالى بعد ذكر سوق
أهل النار إليها وأهل الجنة حتى صاروا فيها: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] فهو الحمد على قضائه يومئذ بين عباده،
وذلك يدل على أن القيامة حق.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فكل ما يكون منه حكمة، فهو حق وصواب وليس فيه
غلط في التدبير فخلقه لعباده حق واستعبادهم حق وإرسال الرسل حق وكتب
الله كلها حق ﴿الْخَبِيرُ﴾ فلا يخفى عليه نفس عند البعث ولا يخفى عليه عمل
عامل ولا قوله ولا اعتقاده ولا نيته فلا يعجز عن حساب عباده على ما كان
منهم من كبير أو صغير أو ظاهر أو باطن ولا يعجز عن إعادة أحد ولو كان
من الأولين من عهد آدم لحفائه فلا يعجز عنه لاستحالة تراباً وضياعه في
الأرض كما لا يعجز عن خلق أي نفس لأنه على كل شيء قدير.

مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْزُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

﴿٦٠﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْزُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٦٠﴾ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ﴿٦٠﴾ مَا يَدْخُلُ فِيهَا فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ لَغِيَابُهُ فِيهَا بَلْ هُوَ سَوَاءٌ هُوَ ﴿٦٠﴾ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴿٦٠﴾ فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ زُرْعَةٌ نَبَتَتْ فِي قَفْرَةٍ ﴿٦٠﴾ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴿٦٠﴾ مِنْ مَلَكٍ أَوْ مَطَرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ﴿٦٠﴾ وَمَا يَعْزُجُ ﴿٦٠﴾ وَمَا يَطْلُعُ ﴿٦٠﴾ فِيهَا ﴿٦٠﴾ مِنْ مَلَكٍ أَوْ جَنِّيٍّ يَخْتَطِفُ خُطْفَةً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٦٠﴾ فَهُوَ يَمْلِكُ عِبَادَهُ وَيَرْزُقُهُمْ مَعَ عِلْمِهِ بِأَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ [الكهف: ٥٨].

﴿٦١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ وَقَالَ ﴿٦١﴾ عَطَفَ عَلَىٰ أَوْصَافِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ قِيلَ: وَمَعَ هَذَا قَالَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لَأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ فَلَجْهَلُهُمْ بِاللَّهِ جَزَمُوا بِأَنَّهَا لَا تَأْتِيهِمْ وَلَوْ عَرَفُوا اللَّهَ مَا اسْتَبَعَدُوهَا فَضَلًا عَنِ الْجَزْمِ بِنَفْيِهَا.

﴿قُلْ﴾ يَا رَسُولَ ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ السَّاعَةُ لِأَنَّهُ ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ﴾ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿لَا يَبْعُدُ وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ﴾، قَالَ فِي (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «معناه: لا يَغِيبُ عَنْهُ» انتهى.

أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ
أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٢﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ

ومثله في (مصابيح الشرفي) وغيره أي أن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴿وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي في علمه سبحانه ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢] فبطل بذلك استبعاد الكفار بقولهم: ﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] واستبعاد فرعون بقوله: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١] وكذلك استبعادهم لإحاطة علم الله سبحانه بكل صغير وكبير من أعمال البشر.

قال الشرفي: «قال القاسم بن إبراهيم عليه السلام: لا يتوهم أن الحفظ منه تعالى في كتاب من الكتب، وأن اللوح لوح من خشب، فإنما يراد بها وبمثلها: إحاطة الله بعلمه كله؛ لأن حفظ ما يحفظ الآدميون ما يوقعون في الكتب ويكتبون، فمثل الله ذلك لهم من علمه وحفظه بما يعرفون» انتهى المراد.

﴿لَيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لتأنيكم الساعة بما فيها من ثواب للمؤمنين وعقاب للكافرين ﴿لَيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لأنه ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠] وهم يموتون قبل أن يجزيهم فلا بد من الساعة ليجزئهم.

﴿أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم لأنهم توابون لا يصرون على كبيرة ﴿و﴾ لهم ﴿رِزْقٌ﴾ في الجنة ﴿كَرِيمٌ﴾ فيه تكريم لهم، وقوله ﴿أُولَئِكَ﴾ يفيد: تعليق الثواب على إيمانهم وعملهم وأنه السبب.

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿٦﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجَزٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴿٧﴾ سارعوا بالجدال في آيات الله لثلاثين يوماً منها أحد فمهم مكذبون بها ومفسدون لغيرهم ﴿أُولَئِكَ﴾ أي أهل هذا الباطل ﴿هَمْ عَذَابٌ مِنْ رَجَزٍ﴾ من جنس عذاب غزير ﴿أَلِيمٌ﴾ فهو مهين لهم ومؤلم المأساة شديداً.

﴿٦﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿٧﴾ علماء بني إسرائيل علموا أن هذا القرآن هو الحق، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧] وفي هذه الآية توضيح أنهم علموا أنه الحق لأنه أنزل إلى محمد ﷺ من ربه، فعلموا أولاً أنه أنزل إلى محمد من ربه.

ولذلك علموا ثانياً أنه الحق ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ لأن كلام الله حق وصدق وهدى إلى الصراط المستقيم ﴿صِرَاطٍ﴾ الله ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا ينال بل هو القاهر فوق عباده الغالب على أمره الفعال لما يريد ﴿الْحَمِيدِ﴾ المستحق للحمد المحمود في السماء والأرض.

﴿٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ مبالغاً من الذين كفروا في تكذيب النذير الذي أُنذِرهم نارا تُلْطَى فجعلوا كلامه من العجائب الغريبة ﴿يُنْبِئُكُمْ﴾ يخبركم ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بعد أن تمزقوا في بطن الأرض كل ممزق لشدة البلاء ومصيركم تراباً وعظاماً قد قطعكم البلاء فحيثما تصيرون في خلق جديد.

بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

﴿٨﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٩﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴿٩﴾ كأنه أنذرهم مستحيلاً غير ممكن في قدرة الله تعالى فرددوا أمره بين أن يكون تعمد الكذب على الله وبين أن يكون به جنة فهو يخلط في كلامه ويخبر بما لا يكون. فقد أمعنوا في الكفر بالآخرة، ورد الله عليهم بقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾.

فأفاد أنهم ضالون فكلامهم هذا من ضلالهم، وأفاد أن سبب ضلالهم تركهم الإيمان بالآخرة فلو آمنوا بها لبعثهم الإيمان بها على النظر وترك الإعراض وعلى ترك التكذيب للرسول ﷺ وعلى العمل الصالح؛ لأن الخوف من النار الذي يحصل للمؤمن بها يبعث على الحذر من أسبابها فتبين أن ترك الإيمان بالآخرة سبب للضلال البعيد لأن الفاجر والظالم لا يخاف عقوبة فيتجراً على العظائم كتكذيب الرسول والجدال في آيات الله.

وأفاد أن ترك الإيمان بالآخرة سبب للعذاب مستقل وما يترتب على ترك الإيمان بها أسباب آخر، ولعل هذا هو السر في تقديم ذكر العذاب قبل ذكر الضلال ليدل على أنهم في العذاب لأجل تركهم الإيمان؛ لأنه علق الوعيد عليه، ومعنى كون الضلال بعيداً أنه بعيد عن الهدى للحق بينهما مسافات ومراحل.

﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ هذه الآية الكريمة رد آخر على المكذبين بالآخرة

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يٰجِبَالُ اُوبِى مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۚ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ اَنْ اَعْمَلَ سَبْعَتِ وَقَدْرٍ فِى السَّرْدِ ۚ وَاَعْمَلُوا صٰلِحًا ۚ اِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْلِمْنَا رِيحَ غَدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ۚ وَاَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ إلى ما يدهم على قدرة الله تعالى من خلق الله له ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ تحت قدرة الله تعالى إن شاء أبقاه صالحاً وإن شاء خسف بهم الأرض أو أسقط عليهم قطعاً من السماء فقد استحقوا ذلك فهوت بهم الأرض أو طحتهم قطع من السماء تتساقط عليهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ تدل على أن الله قادر على إعادة المخلوقات بعد إفنائها يعرف ذلك كل ﴿عَبْدٍ مُّنبِيٍّ﴾ راجع إلى الله نائب إليه فقلبه صالح لمعرفة آية الله سليم من رين الكفر والجرائم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يٰجِبَالُ اُوبِى مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۚ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۚ اَنْ اَعْمَلَ سَبْعَتِ وَقَدْرٍ فِى السَّرْدِ ۚ وَاَعْمَلُوا صٰلِحًا ۚ اِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فضلاً تفضلنا به عليه عطاء منا غير واجب له، وفسر هذا الفضل فقال تعالى: ﴿يٰجِبَالُ اُوبِى مَعَهُ﴾ رجّعي معه الصوت حين يقرأ (الزبور) أو حين يدعو الله ويستغفره، أي جعلنا الجبال ترجّع معه الصوت ﴿وَالطَّيْرُ﴾ معه ﴿وآلنا له الحديد﴾ جعلناه له لئناً يعمل به ولا يحتاج في عمله إلى النار.

﴿اَنْ اَعْمَلَ سَبْعَتِ﴾ تفسير للمقصود بتلين الحديد له لأنه تعبير عن حكمة في إلاته له وهي أن يعمل دروعاً سابغات أي شاملات للبدن تحفظه من السيوف وغيرها ﴿وَقَدْرٍ فِى السَّرْدِ﴾ تقديرأ يحصل به المقصود الذي هو حفظ البدن من السلاح في ذلك الزمان ومقصود آخر وهو أن لا تثقل بسبب كونها حافظة فهي جامعة للوصفين الحفظ والخفة بالنسبة للدروع التي كانت تعمل.

قال الشرفي: «قال في (البرهان): وإنما كانت قبل ذلك صفائح» قال الشرفي - أيضاً - : «وقال الهادي عليه السلام: معنى ﴿مِنَّا فَضْلًا﴾ فهو نبوتنا التي آتيناه ووحينا وما جعلنا في الجبال والطير من التأويب في الجبال ومقارنة الطير له، وما أَلْنَا له من الحديد، وما علمناه من عمل السابغات وهديناه له من التقدير في السرد حتى عمل جُنُنًا تقيه البأس وتُفَلُّ عنه حَدَّ بغاة الناس، ومعنى ﴿أَوْبَى﴾ فهو ما جعل الله في الجبال من التأويب وهو الذي تسميه العرب - أيضاً - الصدى شيء لم يكن قبل داود عليه السلام، وأن الله جعله في ذلك الوقت وقدره لكرامة داود ثم أبقاه إلى اليوم فيها، ليكون ذلك ذكراً لما أكرم الله تعالى به داود عليه السلام، والله أعلم بذلك وأحكم.

ومعنى ﴿وَالطَّيْرُ﴾ فهو رَدَّ على الأمر [قوله: رَدَّ على الأمر: لعله يعني عطف على ﴿يَنْجِبَالُ أَوْبَى﴾] والمعنى [ومعنى] أمره الطير فهو إلهامه إياها ما أراد من مقارنة داود واحتواشها عليه وكيونتها قربه كل طائر يصوت بصوته الذي جعله الله له مع صوت داود - صلى الله عليه وسلم - فكان داود يبكي ويدعو الله ويناجيه ويناديه والجبال فتأوب وتردّ مثل صوته وكلامه عليه والطير يصوت من حواليه حتى بلغ - صلى الله عليه وسلم - إرادته من رضى ربه، وإخلاص التوبة إلى خالقه، ورجوع كرامة الله إليه وحلولها من الله سبحانه لديه.

ومعنى أَلْنَا الحديد له، فهي خاصة كان الله خصه بها، فكان الحديد يلين له كما يلين الشمع بلا نار ولم يكن الحديد يلين لأحد قبله إلا بالنار فلان له بلا نار ثم هداه لعمل السابغات، والسابغات فهي الدروع الطوال الساترات، ومعنى في السرد أي قدر في تأليف الحِلَقِ بعضه إلى بعض وتسويته وتقدير ثقبه وسَمَره فكان عليه السلام أول من عمل الدروع وهدى إلى عملها ووفق لتقديرها، انتهى ما نقله الشرفي هنا من تفسير الإمام الهادي عليه السلام.

الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢٨﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٢٩﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمَهُمْ عَلَىٰ

وقوله تعالى ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ لعل الخطاب له ولأهله ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أتيكم عليه بقدره لعلمي به وبمقداره في الحسن وكثرته ونحو ذلك.

﴿وَلَسَلِّمَنَّ الْرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسَلَّنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢٨﴾ وَلَسَلِّمَنَّ أَيَّ وَسَخَرْنَا لِسُلَيْمَانَ ﴿الرِّيحَ﴾ عطف على المعنى من تسخير الجبال والطير لداود ﴿غُدُوها﴾ سفرها أول النهار ﴿شَهْرٌ﴾ أي مسافة شهر ﴿وَرَوْاحُها﴾ سفرها من بعد الظهر ﴿شَهْرٌ﴾ تسافر بسليمان ومن معه ﴿وَأَسَلَّنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ جعلنا له معدن القطر أي معدن النحاس سائلاً كما يسيل الماء فكان عيناً جارية، قال الشرفي: «في (البرهان): أسال له عين القطر من صنعاء ثلاثة أيام كما يسيل الماء» انتهى

﴿وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ وسخرنا لسليمان من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه بتمكينه وإقداره لهم ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ أي من الجن ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ عن أمر الله جل جلاله ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ عذاب النار المسعرة وهي نار جهنم فهي تصلح لتعذيب عصاة الإنس والجن ولو عصى ربه الملك لعذب بها، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٢٩﴾ يَعْمَلُونَ أَيَّ الجن

﴿لَهُ﴾ أي لسليمان ﴿مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيبَ﴾ مواضع عباده ينفرد فيها، كما قال تعالى في زكريا: ﴿فَنَلَّاتُهُ الْمَلَائِكَةَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ..﴾ [آل عمران: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ [مريم: ١١] ﴿وَتَمَثَّلَ﴾ جمع تمثال، ولعلها تماثيل أشجار أو غيرها وهو مجمل في حقنا، لأن الله تعالى قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾ ولا ندري ما يشاء من التماثيل.

﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ قال الشرفي: «قال الهادي عليه السلام: والجفان فهي هذه الجفان المعروفة التي فيها الماء والطعام فكانت تنحتها له من الصخور وتعملها من الصفر [أي النحاس] على ما ذكر الله من العظم والكبر» انتهى المراد.

وقوله تعالى: ﴿كَالْجَوَابِ﴾ أي أنها واسعة، فهي في اتساعها كالجواب، إما كالحياض الواسعة التي يجمع فيها الماء لتشرب منه الأنعام، وإما كالحفر في الأرض الواسعة.

وقوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ أي يعملون له ما يشاء من قدور راسيات، قال الشرفي: «قال الهادي عليه السلام: فالقدور هي البرام التي يطبخ فيها فكانت تعملها من الصفر على غاية ما يكون من العظم حتى كانت راسيات، والراسيات هي التي لا يحركها لكبرها إلا الخلق الكثير فهي لثقلها راسية على أرضها ثابتة في مكانها قائمة بأثافي مفرقة [الأثافي: أحجار يجعل عليها القدر ليوقد النار تحتها] فيها توقد النار من تحتها ومن حولها إذا أريد أن يطبخ فيها شيء، فلثباتها مكانها سميت راسيات إذ كانت في المكان لثقلها متروكات» انتهى

وقوله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ أي اعملوا صالحاً شكراً على نعم الله عليكم فالعمل هو الذي خلقتكم له ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ وقد كان داود وسليمان عليهما السلام من الشاكرين، و(الشكور) من صيغ المبالغة مثل (الشكار) قال الشرفي: «وهو دليل على أن العبادة تؤدي للشكر» انتهى

مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي

﴿فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَهَمَ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ
تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي
الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قال الشرفي: «فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ﴾
أي أوقعناه على سليمان والزمناء إياه وحتمناه عليه» انتهى، قال الراغب:
«القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً» انتهى.

﴿مَا دَهَمَ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ أي أخفينا موته لحكمة في إخفائه
حتى أظهرته دابة الأرض، وهي الأرضة التي تأكل الخشب ﴿تَأْكُلُ
مِنْسَأَتَهُ﴾ عصاه التي يضرب بها، قال في (الصحيح): «والمنسأة: العصي،
يهمز ولا يهمز وقال في الهمز:

أمن أجل حبل لا أباك ضربته بمنسأة قد جر حبلك أحبالاً»

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي سقط لأنه كان معتمداً على العصي فانكسرت العصي،
وقد لبث ميتاً معتمداً عليها فلم تعلم الجن أنه ميت إلا حين خَرَّ ﴿تَبَيَّنَتِ
الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

قال الشرفي في (المصابيح): «﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا
لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أي تبينت الجن عند ذلك أنهم لو كانوا يعلمون
شيئاً من الغيب لعلموا بموته فلم يلبثوا في العذاب من العمل والكد منذ
مات إلى أن خَرَّ حتى قطعت الدابة منسأته، والمنسأة: فهي العصي التي كان
متكئاً عليها قائماً إليها مستنداً من الجدار إليها قد وضعها في صدره وشد
عليها بكفه [لعل أصله بكفيه، والله أعلم] وهو قائم في محرابه ثابت في
مقامه، فأتاه الموت وهو على تلك الحال فلم يزل حتى كان ما ذكر من الخبر
عنه ذو العزة والجلال ذكره الهادي عليه السلام» انتهى.

مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُٗ
 بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ
 بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ
 جَزَايَنَّهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

لأنهم إنما استمروا في الكذب والعمل أو في الحبس لهيبة سليمان وجهلهم
 بموته. فلذلك لبثوا أي بقوا في العذاب المهين المذل لهم فرحم الله سليمان
 لقد كان شاكراً لنعمة الله عليه حتى قبضه الله إليه.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ
 رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُٗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ ﴿لِسَبَإٍ﴾ أي ذرية سبأ ﴿فِي
 مَسْكِنِهِمْ﴾ التي في مأرب ﴿ءَايَةٌ﴾ تدلهم على ربهم ليعبدوه وحده ويشكروا
 نعمته، والآية التي في مساكنهم هي ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ لعله بمعنى
 عن يمين مساكنهم وشمالها تشرب من سد مأرب فتثمر لهم ثمرات ﴿كُلُّوا مِنْ
 رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ كان الله تعالى حين يعطيهم يقول لهم: ﴿كُلُّوا مِنْ رِزْقِ
 رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُٗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ يخرج نباتها صالحاً مثمراً بإذن ربه فاشكروا
 له ﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ لا يعاجل على الزلات فيغير نعمته على أهل البلدة.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن ذكر ربهم وعن طاعته وعن شكره واتبعوا إبليس
 فاستحقوا تغيير نعمتهم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَلْبَسُ اللَّهُ لَم يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا
 عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] فيغير الله تعالى نعمتهم، كما قال
 تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ
 أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَايَنَّهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجْزِي
 إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ﴿الْعَرِمُ﴾ هو عرم سد مأرب - والله أعلم - تهدم فنزل ماء السد

الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي
وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنْ

بقوة فدمر عليهم ولم تبق لهم الجنتان، بل بدلوا بهما أشجاراً من الأراك والأثل
﴿وَشَيْءٌ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وسمي (جنتين) مشاكلة، والأكل هو ثمر بعض
الأراك، والسدر: يسمى في اليمن علباً وعرجاً، قال في (الصحيح): «الخمط:
ضرب من الأراك له حمل يؤكل» انتهى

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ﴾ بإرسال سيل العرم ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ النعمة ﴿وَهَلْ
نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ فلو لم يكفروا لما غير الله نعمتهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا
فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا
وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ لما ذهبت نعمتهم التي كانت في مساكنهم صاروا يطلبون
الرزق من بلاد فلسطين أو الشام كله، وجعل الله بين بلدهم وبين الشام
قرى ظاهرة وقدر فيها السير لتقارب القرى.

﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ في القرى الظاهرة ﴿لَيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ سواء ساروا فيها
ليلاً أو نهراً فلا يخافون وإن كرروا السير فيها فالسفر سهل من هذه الناحية،
ولكنهم ما كانوا يألفون الأسفار وكانوا متنعمين في مساكنهم فكبر عليهم
حالهم وتتابع أسفارهم ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ باعد بين رحلاتنا
بتحصيل الرزق في الرحلة لما يكفي مدة طويلة نستريح فيها من السفر
﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فلم يتوبوا إلى ربهم وإنما جدوا في الكسب وطلب الرزق.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدث الناس بقصتهم ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ تفرقوا في البلدان العديدة تبعاً لطلب الرزق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ من ذلك دلالتها على الخالق الرازق المتفضل على عباده، ودلالتها على أنه يجازي متى شاء ويمهل ولا يهمل، وقوله تعالى ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لأنه أسلم قلباً من الرين فهو أقرب إلى معرفة الآيات لأنه صبار على طاعة الله تعالى وعلى ابتلائه شكور على أنعمه.

﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كان ظنه أنه يغويهم فصدق ظنه فيهم فأغواهم فاتبعوه ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لم يتبعوه، والذين صدق عليهم ظنه هم غير الفريق المستثنى، والإستثناء إنما هو من قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾.

﴿٢٣﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾ فلم يتمكن من إغوائهم بالقوة والقسر وإنما مكنه الله من إغوائهم بالاختيار لتمييز ﴿مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ فلا يطيع الشيطان، لأنه يخاف عذاب الله ممن هو من الآخرة في شك فلا وازع له من طاعة الشيطان ليجزي الله المؤمن ثواباً والمتبع للشيطان عقاباً، ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا رسول الله ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فلا يضيع أجر المؤمنين ولا يترك مثقال ذرة من جزاء الظالمين.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ * قُلْ مَنْ

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ﴾ ﴿قُلِ﴾ يا رسول الله للمشركون من قومك ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أمر تهديد، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [نصفت: ٤٠٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٩] وقال الشريفي: «على سبيل التهكم» انتهى.

﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي زعمتموهم آلهة من دون الله، ثم بين وجه التهديد فقال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا يدل على أن المشركون جعلوهم مالكين لهم مع الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ٩٤].

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ﴾ وما للذين زعمتم من دون الله ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا﴾ أي في السماوات ولا في الأرض ﴿مِن شِرْكٍَ﴾ فهم لا يملكون مثقال ذرة خالصاً ولا مشاركين فيه ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ﴾ ما الله منهم من ظهير أي معين سبحانه وتعالى فكل شيء محتاج إليه ولا يحتاج إلى شيء.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ هذا رد على المشركين الذين قالوا في شركائهم أنهم شفاعوهم عند الله، فإذا لم يأذن الله بالشفاعة للعبد لم تنفع العبد الشفاعة، فأمر الشفاعة لله وحده ليس لأحد أن يتدخل فيها، ولو فرض أن عبداً تدخل بالشفاعة بدون إذن لما نفعت شفاعته، وعلى هذا فلا معنى لاتخاذ المشركين الشفعاء لأن أمر الشفاعة ليس إلى العبد حتى يجعل شفيعاً من شاء، وإنما هو ضلال مبين.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ لأن الحكم لله يومئذ وحده فلا يتساءل الملائكة عن قول أحد غير الله إنما يتسائلون: ماذا قال ربكم؟ ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ أي قال الحق لأنه يقضي يومئذ بالحق ولا شفاعة يترك بها الحق.

فأما قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: أزيل الفزع عن قلوبهم، فإنهم لا يتسائلون إلا بعد زوال الفزع عن قلوبهم، والراجع: أن الضمير للملائكة الذين كان بعض المشركين يعبدونهم، وها هنا سؤال: كيف يفزع الملائكة وهم لا يعصون الله؟

قلنا: قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُفِّعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ...﴾ الآية [النمل: ٨٧] فالفزع طبعي عند أهوال القيامة، ولكن أولياء الله ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ﴿وَهُمْ مِنْ فُزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] ففزع المؤمن يعقبه الأمن سريعاً.

وها هنا سؤال آخر: كيف صح في عدل الله؟ قلنا: كما صح الموت.

وسؤال آخر: كيف صح الابتلاء في الآخرة وهي ليست دار عمل؟ قلنا: ليس ابتلاء ولكنه مثل الموت وقد صرح القرآن بفزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ما تقولون في معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ لمن الضمير؟.

إن قلت: للملائكة أو للمؤمنين، أو قلت: الضمير للمشركين، فكيف يزال الفزع عن قلوبهم وهم حطب جهنم؟!

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَىٰ الْكِبَرِ﴾ ﴿أَعْلَىٰ﴾ القاهر فوق عباده ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم جلالة.

يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٣٦﴾ قُل لَّا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ

﴿١٣٦﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ قُلِ اللَّهُ ۗ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذا سؤال ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ ومشركوا العرب مقرون أن الله هو الذي يرزقهم وأن شركاءهم لا ينزلون لهم مطراً ولا ينبتون لهم زرعاً فالحق لله تعالى وحده.

وقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي أن أحدنا ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ إما نحن وإما أنتم، فانظروا لأنفسكم فقد جاءتكم الآيات الدالة على أنكم في ضلال مبين، وليس الأمر بالسهل بل هو صدق النذير والعذاب الكبير، ومثل ذلك يمنع العاقل ويزجره عن الإعراض وعدم المبالاة.

وهنا سؤال عن الرزق من السماوات إن كان المطر فهو من الجو، فكيف قال تعالى: ﴿مِّنَ السَّمَوَاتِ﴾؟

والجواب: أن المطر ينزل لكل بلاد من سمائها، فالجمع بهذا الاعتبار - والله أعلم - كما يجمع الماء إذا كان اعتبار يستدعي جمعه فيقال أمواه.

وسؤال: كيف قال: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ ولم يقل: (وإياكم) مع أن كلا من الفريقين يصح أن يقال فيه: أنه إما على هدى أو في ضلال؟

والجواب: إن ﴿أَوْ﴾ تفيد أحد الشئتين، فهي أنسب لأن الكلام في فريقين مختلفين ولو قال وإنا وإياكم بالواو لأوهم عدم الخلاف، ونظيره قول الشاعر:

لنفسى تقاها أو عليها فجورها .. البيت

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ قُلْ تَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ
الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ

وهو جواب على من قالت فيه: أنه فاجر، فكان معنى جوابه: لنفسي
تقاه: إن كنت تقياً، أو عليها فجورها: إن كنت فاجراً، ولو قال: لنفسي
تقاه وعليها فجورها ما أفاد الترديد بين الأمرين.

وسؤال: لماذا قال: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ ولم يقتصر على أن يقول وإنكم
لعلى هدى أو في ضلال مبين؟

والجواب: أنه لا يفيد فائدة ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ لأن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ
إِيَّاكُمْ﴾ يفيد أن أحد الفريقين بسبب محل النزاع بيننا، وجعل الفرض في
أحد الفريقين بدون تعيين غاية الإنصاف والحث على النظر.

وقوله تعالى ﴿مُبِينٍ﴾ يدل على تعيين الضال في الواقع، لأنه إذا كان
مبيناً كان صاحبه متعيناً لا تردد فيه.

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فاتركونا
وشأننا فإنكم غير مسئولين إن أجرمنا عما أجرمنا كما أنا غير مسئولين عما
تعملون، والموصول إسمياً أو حرفياً هنا بمنزلة (اسم الشرط) أعنى: أنه إنما يفيد
الفرض والتقدير لا وقوع صلتها كـ (اسم الشرط) في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ
مِنْكُمْ يَفْجَشْهُ مُبَيَّنَةً يَضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ﴾ [الأحزاب: ٣٠] وكان المشركون قد
غضبوا من التوحيد فخطابهم بهذا في أول الإسلام هو المطابق لمقتضى الحال.

﴿قُلْ تَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾
﴿تَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ المالك لنا في موقف السؤال والحساب يوم القيامة، كما

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ ثم يحكم بيننا ﴿بِالْحَقِّ﴾ لأن قوله الحق ﴿وَهُوَ الْفَتْحُ﴾ الذي يحكم بين عباده لأن له الملك فيحكم بينهم ليجزي الله الحق ثواباً والمبطل عقاباً ﴿وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ﴾ فلا يغلط في الحكم ولا ينسى.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله للمشركين ﴿أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ﴾ وهذا تحقير لهم وتنبيه على أنه لا وجه لإلحاقهم بالله ﴿شُرَكَاءَ﴾ وإنما هي مجرد أسماء سموها، ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ أي قل: كلا ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ كلا زجر لهم عن الشرك ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الذي لعزته لا يرضى أن يكون عباده شركاء له ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يحكم بما هو خلاف الحكمة وليس من الحكمة جعل عباده شركاء له سبحانه وتعالى بل هو رب العالمين وحده لا شريك له.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد إلا رسالة كافة للناس تكفهم عن الشرك والضلال كله، بشيراً للمؤمنين نذيراً بعباد شديد للكافرين، فكيف يزعم المشركون أن الله تعالى يشاء الشرك ويرضاه.

قال الشرفي: «وحق البناء على هذا أن يكون للمبالغة كالراوية والعلامة» انتهى، وهو بنا على أن ﴿كَافَّةً﴾ حال من المفعول به وصاحبه ضمير الرسول ﷺ أي أن الرسول كافة، والمعنى: وما أرسلناك إلا كافاً لكن زيدت (التاء) للمبالغة.

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا

وعندي: أن الآية مرتبطة بما قبلها في سياق واحد ونظيره ما في (سورة الزمر) وغيرها من الرد على المشركين، وكذلك في (سورة الأنعام) و (سورة النحل) إلا أن الكلام هنا موجز.

ولا فرق بين أن يكون كافة وصفاً للرسالة أو للرسول ﷺ ولا حاجة إلى إخراج الآية عن سياق ما قبلها وجعلها بمعنى تعميم رسالته ففي ذلك آيات غير هذه مثل ما في (سورة الأعراف) من قوله تعالى: ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿..وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥٦-١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون أنا ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً، فبعضهم كافرون بالرسالة وبعضهم جاهلون بحكمة الرسالة المذكورة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي ينذرنا محمد أي القيامة وقولهم: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يريدون إن كنتم صادقين في إنذارنا هذا الوعد فأخبرونا متى؟ كأنهم يقولون: من علم أنه واقع لا بد أن يعلم متى هو؟ وهذا منهم باطل لأن علمنا بوقوعه إنما هو لأن الله وعد بوقوعه ولم نعلم متى هو لأن الله تعالى لم يخبرنا متى هو فلا تلازم.

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ هو واقع بكم وإن جحدتم وله موعد عند الله لا يتأخر عنه ولا يتقدم قبله، وقد أجاب عنه في (سورة الملك).

بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۖ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَلْأَخْنُ صَدَدْتُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ

﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَلْأَخْنُ صَدَدْتُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿عِنْدَا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ وقد علموا أنه معجز، وإلا فلماذا لم يأتوا بسورة من مثله وهو يعجزهم وإنما اكتفوا بقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولا بالكتاب الذي بين يديه الذي هو مصدق له. أعرض عن الإجابة على عنادهم، ووجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ هؤلاء المعاندين في موقف السؤال في القيامة وقد عظم الأمر عليهم، وعلموا أنه لا ينج إلا المؤمنون فأراد المستضعفون أن يحمل المستكبرون بعض عذابهم فجادلوهم قائلين: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴿جَاهِدِينَ لِدَعَوَاهُمْ﴾ ﴿أَلْأَخْنُ صَدَدْتُمْ﴾ رددناكم وحولناكم ﴿عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ وهذا سؤال إنكار وجحود أرادوا أن الهدى وهو القرآن قد جاءهم فلو كانوا صالحين لآمنوا كما آمن المؤمنون لأنه الهدى لا يكفر به إلا المجرمون ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ فنبأ من إجرامكم.

بِاللَّهِ وَنَجْعَلْ لَهُ أُنْدَادًا ۖ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي

﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلْ لَهُ أُنْدَادًا ۖ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا ﴿٣٩﴾ غلبهم المستكبرون بقوة مال وأنصار فانقادوا لهم واتبعوهم وقد كان يمكنهم التخلص منهم بهجرة أو غيرها فقالوا لهم يوم القيامة ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بل مكرهم المستمر في الليل والنهار وخداعكم لنا هو الذي صدنا عن الهدى ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلْ لَهُ أُنْدَادًا﴾ فبأمرهم ضللنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ وذلك بمحمد قدرته على البعث ﴿وَنَجْعَلْ لَهُ أُنْدَادًا﴾ نعبدها من دون الله، وهذا معظم الجدل وله بقية ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ﴾

[غافر: ٤٨].

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ لفرط العداوة بينهم ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ فهي ندامة شديدة ولكن لفرط العداوة أسر المستضعفون الندامة في موقف الحساب، كما قال الشاعر:

وتجلدي للشامتين أريهم أني لربب الدهر لا أتضعضع

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ يحتمل أن الضمير للمستضعفين ويحتمل أنه لهم وللمستكبرين معاً، كما قال تعالى فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الأغلال القيود في الأعناق ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ أي لا يجزون ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا انه سؤال بمعنى النفي.

قَرِيَّةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٦﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ

﴿١٦﴾ وَمَا أُرْسِلْنَا فِي قَرِيَّةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ ﴿مُتْرَفُوهَا﴾ أهل الثروة الذين بسط الله لهم النعمة فصاروا أهل رئاسة وأتباع وصاروا أهل كبر في صدورهم فإذا جاءهم الرسل قالوا: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ استكباراً ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ﴾ من الرسل وأتباعهم ﴿أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ كأنهم ظنوا أنهم أولى بالرسالة من الرسل الفقراء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ كما أنا أكثر أموالاً وأولاداً فلو بعثنا لما عذبنا لأننا أهل حظ وبخت جيد دائم.

﴿١٨﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿إِن رَّبِّي﴾ الذي أرسلني ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ لمن يشاء فلو شاء بسط لي ولو شاء قدر عليكم رزقه، فالبسط والتقدير تبع مشيئته لا تبع البخت ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فكم غني لا يعلم أن الله هو الذي بسط له رزقه.

﴿٢٠﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا ﴿٢٢﴾ نَحْنُ أَهْلُ حِطِّ وَنَحْنُ لَا نَعَذَّبُ

لأنه لو كان يعذبنا ما أعطانا أكثر مما أعطاكم، أجاب الله عنهم في الأولى بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي..﴾ وفي الثانية بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾.

وقوله: ﴿زُلْفَى﴾ بمعنى قرابة، وفيه تعميم لنفي التقريب، كأنه قيل وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا أي تقرب - والله أعلم - ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ لكن من آمن وعمل صالحاً ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا﴾ فبين الفرق بأن صاحب المال والولد لم يعمل ما يستحق به الجزاء فلا معنى لماله وولده بخلاف من آمن وعمل صالحاً فإنه يستحق الجزاء فتقريبه جزاء لعمله ولذلك فله جزاء الضعف.

قال الشرفي: «أي جزاء المضاعفة الكبيرة وليس المراد أن يكون الجزاء مثل المجزي فقط، قال الزجاج: معناه جزاء الضعف الذي عرف الحسنه بعشرة أمثالها، ومثل هذا في (البرهان)» انتهى

قلت: الراجح أن المعنى جزاء ضعف ما عملوا، لأن الحسنه بعشر أمثالها فالؤمن يجزى على الحسنه جزاء عشر حسنات. ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ أي المؤمنون العاملون صالحاً ﴿هُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي يجزون بما عملوا جزاء الضعف ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ وهذه سعادة خارجة عن الجزاء مضافة إليه لأنهم آمنون من كل شر لأن الشر يختص بمن عمل سوءاً ولم يغفر له فالؤمنون لهم غرف وهو من الثواب، وإنما الخارج عنه سلامتهم من الخوف، ولهذا قال تعالى في السابقين: ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤] بعد ذكر ثوابهم، ثم قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥] فلم يجعله من الجزاء. و﴿الْغُرَفَاتِ﴾ الغرف.

فَءَايَتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٩﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كَرَّمْنَاكُمْ بِإِيَابِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ

﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿مُعْجِزِينَ﴾ يجادلون في آيات الله ليغلبوا المؤمنين بأن يعجزوا عن إبطال شبهتهم فمعنى ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مغالين من العجز.

﴿يَسْعَوْنَ﴾ يسارعون بالجدال في آيات الله ﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذا المنكر ﴿فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ محضرون في جهنم لا يغيبون عنها.

﴿٢٩﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٠﴾ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ المؤمنين وغيرهم كلهم عباده ليس الغنى خاصاً بالكفار ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي لمن يشاء وتقدير الرزق خلاف البسط.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ فهو الذي يرزقكم خلفاً مما تلف ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ خيرهم رزقاً يعطي ولا يمل ولا يخشى نفاد ما عنده، وعطاؤه من الحبوب يكون في جدتها، وهكذا الفواكه وغيرها من الثمرات من المأكولات وغيرها، والمعادن، وكل ما أخرج لنا من الأرض، وكذلك ماء المطر وغيره يكون طهوراً، أما ما يعطي المخلوق فقد يكون ناقصاً، وهو بخلاف ما وصف به عطاء الله، مع أنه من عطاء الله أجراه على يده.

بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا

﴿١٦-١٧﴾ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنِّي أَمْكُرٌ كَانُوا
يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْتْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ
أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾

﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ يحشر المشركين ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ
أَهْتُولَاءِ إِنِّي أَمْكُرٌ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ نقول للملائكة ليحيوا بالتبرئ من عبادة
المشركين كسؤال عيسى عليه السلام: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]
﴿أَهْتُولَاءِ﴾ المشركين ﴿إِنِّي أَمْكُرٌ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ لا يعبدون إلا إياكم.

﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة ﴿سُبْحَنَكَ﴾ عن أن يكون لك شريك ﴿أَنْتَ وَلَيْتْنَا
مِنْ دُونِهِمْ﴾ أنت معبودنا ومحبوينا من دونهم فنحن منهم براء ﴿بَلْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ إبليس وذريته فيطيعونهم بعبادة غير الله ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ﴾
بالجن ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ يعبدونهم بالتقريب إليهم ويعتقدون فيهم علم الغيب
والنفع أو الدفع من دون الله، يؤمنون بهم أي بأنهم على ما يعتقدون فيهم.

﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي يوم نحشرهم وهو يوم البعث ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا يملك الملائكة للمشركين ولا المشركون للملائكة نفعاً ولا
ضرراً، لا يقدر على نفع ولا على ضرر حتى الشفاعة لا يملكون النفع
بها، ونفي الملك نفي لما كان المشركون يعتقدونه فيه من أن لهم مكانة
يستطيعون بها من التدخل بنفع أو دفع لمن عبدتهم من دون اعتقاد أن ذلك
لهم إن مكنهم الله وأذن لهم.

إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ للذين ظلموا يعم المشركين الذين ظلموا بالشرك وغيرهم، كما قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩] وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ جزاء لظلمكم ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩] أن يعذبوا بالنار ﴿الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ فذوقوا جزاء تكذيبكم بها، وهذا يؤكد أن قوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعم كل ظالم بأي جريمة كانت، مع أن المشركين دخلوا في هذا السياق والمكذبون بآيات الله فلذلك كذبوا بالآخرة دخولاً أولاً.

﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَإِذَا تَتَلَّى﴾ عطف على ذكر عذابهم وقصبتهم التي يصيرون إليها يوم القيامة، ومقتضاها أن يطلبوا النجاة من ذلك المصير بالنظر في آيات الله عند سماعها حتى يعلموا أنها الحق ويؤمنوا بها ولكن أمرهم خلاف ذلك فإذا تلى عليهم آيات الله التي تعجزهم أن يأتوا بسورة من مثله فلا يفعلون.

بل ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ أي محمد ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ دخل لهم الشيطان من طريقة التعصب لآبائهم فسارعوا إلى طاعته، ولم يفكروا أن المهم إنقاذ أنفسهم من عذاب النار.

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾
 وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ ما صدكم عما كان يعبد آبائكم
 ودعوتكم إلى عبادة الله وحده ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ صرف وتحويل عن الحق إلى
 الباطل ﴿مُفْتَرًى﴾ على الله، وقد سمعوا آيات الله لكنهم ﴿جَحَدُوا بِهَا
 وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بآيات الله قالوا ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا
 سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فعاندوا الحق عناداً مبيناً فقد سمعوا القرآن وعلموا أنه خارق
 بحكمته وأحكامه، وأنهم لن يأتوا بسورة من مثله، لأنهم عرب والقرآن
 عربي لكنهم لم يجدوا ما يقدرحون فيه به فقالوا: سحر يأخذ القلوب بطريقة
 السحر، وزادوا مبين أي بين واضح أنه سحر عناداً منهم وكذباً وظلماً.

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾
 حجة دامغة لمكابرتهم فهم أميون في ضلال مبين يعبدون الأصنام ويعبدون
 الجن ويحرمون بخرافات من عندهم كما بين الله تعالى في (سورة الأنعام)
 ويدفنون البنات وهن في الحياة بلا ذنب وقد فصل الله تعالى في كتابه ما
 كانوا عليه من الضلالات.

ثم مع ذلك قد طال عهدهم بالنبوة نبوة إبراهيم وإسماعيل فغلب عليهم
 الجهل واستحوذ عليهم الشيطان، ومع ذلك يكابرون فيكذبون رسول الله
 ويكذبون بآيات الله وهم في أشد الحاجة إلى كتاب ورسول ليخرجوا من
 الظلمات إلى النور فلا كتب عندهم من الله إلا القرآن وهم مكذبون به ولا
 رسول قبل محمد لينذرهم عذاب جهنم وينقذهم من جاهلية جهلاء.

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ ثُمَّ تَذْكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْمِ كَوْنٍ

﴿١٥﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٥﴾ قال الشريفي: «فقال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وثمره فهذا إخبار من الله تبارك وتعالى لنبينا ﷺ بما كان من الأمم كان قبل قريش ممن بعث الله إليهم الرسل فكذب كما كذبت قريش فنزل بهم من نعم الله ما نزل بهم فأخبر عنهم سبحانه تخويفاً وإعذاراً وإنذاراً إلى قريش ليحذروا ما نزل بغيرهم قبل أن ينزل بهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ﴾ أي الأمم الماضية من طول الأعمار وقوة الأجساد يريد بذلك بأن [قوله بأن لعل الأصل أن] قريشاً لم تنل في المقدرة والجدّة وسعة الأموال والطاعة معشار ما أوتي الذين أخذوا بتكذيب رسلهم. ذكره الهادي عليه السلام انتهى، قال الراغب: «ومعشار الشيء: عشره» انتهى ومثله في (الصحيح).

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فكيف كان نكيري على المكذبين لرسلي من الذين كانوا من قبل قريش. قال في (الصحيح): «والنكير والإنكار تغيير المنكر» انتهى، وقال الراغب: «ونكرت على فلان وأنكرت، إذا فعلت به فعلاً يردعه» انتهى، ولعل كلام الصحاح أصح، وإنما جعل النكير إنزال العذاب مجازاً، كقول حاتم: هكذا فزدي أنه... يعني نحر الإبل

يعني هكذا فصيدي أنا، لأنهم كانوا يفصدون عرقاً من الإبل إلى إناء ينزل فيه الدم، ثم يجعلونه على النار، ثم يأكلونه. ويحتمل: أن النكير تغيير المنكر ولو بإنزال العذاب فيكون حقيقة والمعنى واحد أو متقارب.

يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمٌ

﴿١٦﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله للكفار الذين إذا تتلى عليهم آياتي بادروا إلى التكذيب ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ﴾ عن هذه المبادرة بالتكذيب ﴿أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ﴾ بمصلحة واحدة هي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ إذا سمعتم آياته تنهضوا وتتجهوا لله وحده لا تقوموا لغيره وهذا بالنية والعزم ﴿مِثْلِي﴾ اثنين اثنين يتناجيان بما يتفكران به ﴿وَفُرَادَى﴾ فرد فرد ليتفكر وحده لا ينازعه أحد.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في هذه الحالة فيما سمعتم من آيات الله فقد علمتم أنها خارقة لا يقدر البشر على مثلها فتفكروا فيها أنه لا بد أنها من الله لأنها لو كانت من محمد لقدر البشر على مثلها فإذا كانت من الله فلا بد أنه أنزلها بالحق فالخير لنا أن نتبعه.

﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ الذي تعرفونه معرفة تامة ما به ﴿مِّنْ جِنَّةٍ﴾ بل هو كما تعلمون راجع العقل، فإنما الذي يستحق الإعراض عما يقول هو المجنون فأما العاقل المنذر لكم فلا أقل من أن تتفكروا فيما جاء به حتى إذا بان لكم صدقه آمنتم به لتتقوا العذاب الشديد ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ عذاب جهنم ففكروا مثني وفردى. وفائدة الإنفراد أن لا يراقب المجتمع الذي يدعوا إلى الكفر فتكون مراقبته مانعة من القيام لله.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ إن سألتكم مالا فهو لكم، كناية

الْغُيُوبِ ﴿١٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿١٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٢١﴾

عن كونه لا يسألهم مالا مع بقاء المعنى الحقيقي كما هو شأن الكناية، فما سألتكم من أجر فهو لكم من ذلك المودة في القربى نفعتها لكم لأنها تلازم التمسك بهم والإقتداء بهم بعد إخراج الجاهل والفاجر لأنهما غير مقصودين في آية المودة وإنما هي في الصالحين ﴿إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ لأنه الذي أرسلني ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فهو شهيد علي وعليكم بما يعمل كل منا.

﴿١٨-١٩﴾ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَـمُ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه إلى الأنبياء وهو الوحي والآيات فيدفع به الباطل ﴿عَلَمُ الْغُيُوبِ﴾ إن ربي علام الغيوب فلا ينسى ولا يخطئ، بل كل قوله حق ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ من الله فالحق يغلب الباطل، لأن الحق هو الخير والعاقبة له ﴿وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ﴾ خيراً ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ خيراً، الإبداء: تحصيل الشيء ابتداء، والإعادة تحصيل الشيء عائداً بعد الفناء.

﴿٢٠﴾ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿إِنْ ضَلَلْتُ﴾ كما تزعمون ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ لا أضرب إلا نفسي ولا أضركم ﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ﴾ فبما يوحى إلي ربي، فهو الذي هداني ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ سميع فهو يسمع ما أقول مما أطلب به هداه ويسمع ما تقولون، قريب يجيب دعائي حين أدعوه، أما من تدعونهم من دون الله فلا يسمعون ولا يجيبون دعاءكم، ولعل قوله: ﴿إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ تعريض بهم؛ لأنهم ضالون فضلاهم على أنفسهم.

وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٦﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٧﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ ﴿٥٨﴾

﴿٥٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا ﴿٥٦﴾ يوم القيامة ولعله عند الحكم عليهم في موقف الحساب ومحاولة الملائكة لأخذهم إلى النار ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ لا يفوتون بهرب أو غيره ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قبل أن يبعدوا في الفرار، فلو تراهم في ذلك الفزع لرأيت أمراً عظيماً.

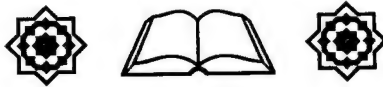
﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ﴿٥٧﴾ باليوم الآخر لأننا أبصرنا وسمعنا ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿أَنَّى لَهُمُ﴾ من أين لهم ﴿التَّنَافُشُ﴾ التناول المطلوبهم وهو النجاة من النار بهذا الإيمان ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ لأنهم في الآخرة في محل الجزاء لا في محل التوبة المقبولة فتناول التوبة لا سبيل إليه.

﴿٥٨﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٨﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ﴿٥٨﴾ باليوم الآخر ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ حين كانوا في الدنيا يضرهم الكفر وينفعهم الإيمان لو آمنوا ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يرمون بالكلام الغيب الذي لا علم لهم به ولا سبيل لهم إلى العلم به يقذفون به ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن معرفة الحقيقة ليس بمكان إطلاع على مغيب بل هو بعيد عنه كقولهم لا تأتينا الساعة.

﴿٥٩﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ ﴿٥٩﴾ هذا راجع إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا...﴾

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ فهم يشتهون أن تقبل توبتهم ويشتهون أن يرجعوا إلى حالة التكليف والعمل، ويشتهون أن يقبل منهم عذر ولكنه حيل بينهم وبين ما يشتهون على الإطلاق، فقد فاتتهم النجاة وفاتتهم الجنة وفاتهم كل خير حتى شرب الماء البارد، وهذا السياق في الكافرين بمحمد ﷺ وبما جاء به.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ من الماضين الذين كفروا برسولهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ﴾ بسبب أنهم كانوا في شك مريب مقلق لا تطمئن معه أنفسهم فسهل لهم اتباع هواها والإعراض عن هداها، فقد كانوا في شك مريب من صدق النذير الذي كان ينذرهم عذاب الآخرة، وكان هذا الشك يريبهم، لأن نفوسهم تكره أن يكون صادقاً فأقلقهم الشك فيه، ولكنهم استحقوا به عذاب الآخرة وإن يحال بينهم وبين ما يشتهون؛ لأنهم حين شكوا لم ينظروا في صدق النذير، بل أعرضوا وقد سمعوا آيات الله تتلى عليهم، فنعوذ بالله من الضلال، والحمد لله الذي هدانا للإسلام.



التيسير في التفسير



سورة فاطر



سُورَةُ فَاطِمَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ
مَّثْنَى وَثُلثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ الحمد لله على أن خلق
السموات والأرض لما خلقهما له من الحكمة والنعمة على أهلها ﴿١﴾ جَاعِلِ
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴿١﴾ بوحيه إلى الأنبياء، فهي نعمة عظيمة لأن الهدى للبشر، أو
للبشر وغيرهم بواسطة الوحي بإرسال الملائكة، ونعمة الهدى أكبر النعم.

﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ﴾ وصف لقوله: ﴿رُسُلًا﴾ فكان الله تعالى جعل لهم أجنحة
ليعدهم للرسالة إلى الأنبياء ﴿مَّثْنَى﴾ اثنين اثنين وهذا لعدد من الملائكة، لكل
واحد جناحان اثنان ﴿وَتُلُثَ﴾ لعدد آخر من الملائكة لكل واحد ثلاثة أجنحة
﴿وَرُبْعَ﴾ لكل واحد أربعة أجنحة ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ إما زيادة عدد
الأجنحة وإما غير ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فخلق الملائكة كيف شاء
وجعلهم أصنافاً لأنه على كل شيء قدير، وهذا من الغيب الذي يؤمن به
المؤمنون أعني إثبات الملائكة، وصفتهم المذكورة ورسالتهم.

﴿٢﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ أَي راحة
﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فقد أرسل رسوله رحمة فلم يستطع المكذبون رد رسالتهم،

هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٢﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ

وأنزل الكتب فلم يقدرُوا على إبطائها، وهدى أوليائه فلم يقدر المبتلون أن يضلّوهم ونصرهم فلم يدفع نصره أحد، وكذلك أنزل الأمطار وأصلح النبات ونزل البركات ولا حصر لنعمه الله، وهي تكون رحمة وابتلاء، وتكون ظاهرة وتكون باطنة كشرح الصدر والقناعة والرضا بضيق الحال.

وقد تكون النعمة عذاباً لأهلها لأنهم كافرون، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥] ﴿وَمَا يُمَسِّكُ فَلَا تُرْسِلُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فالخير كله من الله رحمة لعباده، ولا خير من غيره إذا لم يكن منه أرسله على يد عبده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقد مر الاحتجاج على أن الخير من الله وإن كان فعلاً من العبد، ولا تنافي على ما حققته عند قول الله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [آية: ١٣] من (سورة القصص) ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فهو الغالب على أمره لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وكله العطاء والمنع بحكمة الله ليس شيء منه خارجاً عن حكمة الله تعالى، فهو الذي يرجى ويخشى بحق، ولا إله إلا هو يدعى لكشف المهمات وإنزال الخيرات هو الذي بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فاعبدوه وحده شكراً على نعمته ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سؤال في معنى النفي، لأن المخاطبين مقرون أنه لا خالق إلا الله، ينزل المطر وينبت به ما يحتاجه الإنسان من النبات وما تحتاجه الأنعام، كما فصله تعالى في (سورة النحل) وغيرها.

تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَّ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لأنه الخالق لكم الرازق لكم، وكل ما سواه عباد أمثالك لا يخلقون الناس ولا يخلقون أرزاقهم ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ فمن أين توفكون وأنتم تؤمنون بهذا فتشركون به من لا يخلق ولا يرزق، من أين تصرفون عن الحق إلى الباطل؟ لأن الإله من يستحق العبادة، وبعبارة أخرى المعبود بحق والعبادة هي الخضوع على معنى الاعتراف بالعبودية والاعتراف بالعبودية لا يحق إلا للخالق الرازق فلماذا لا معنى لعبادة غير الله بل هي الباطل الذي لا شك في بطلانه ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ حين تقول لهم ما أمرت أن تقوله يا رسول الله ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فتأس بهم ولا يحزنك كفرهم.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فارجع أمرك إليه وتوكل عليه لأنه لا يخفى عليه صغير ولا كبير من حالك ولا يغفل عنك طرفة عين وهو يرعاك أتم الرعاية، وعلى كل مؤمن أن يرجع أمره إلى الله لأنه في رعايته، وهو اللطيف بعباده، الرؤوف الرحيم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] ﴿وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

فعلى عباده أن يرجعوا أمورهم إليه لأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وهذه مثل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢] أو هذه أعم فيرجع المؤمن أمره إلى الله في حاجاته كلها، ومنها المتنازع فيه يرجع إلى حكم الله فيه.

إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ قد وعد الله بالحياة الآخرة وما فيها من الجزاء للمؤمن والفاجر وهنا يعظ الناس عن الاغترار بالعاجلة حتى يمضي العمر على غير إعداد عمل صالح وتوبة نصوح، فتكون العقابة عذاباً وندامة، ويحذر من الشيطان بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ قال الشريفي: «أي الشيطان وغيره من كل ما يغر ويخدع...» إلخ.

والحياة الدنيا تغر بمطالبها وأغراضها التي تستميل الحب للحياة العاجلة، ويهوى أغراضها، فإذا اغتر بها أقبل عليها وترك الإعداد للآخرة، ولعل الاغترار كله ينحصر في ما سببه الحياة الدنيا، وما سببه الشيطان، لأن طول الأمل سببه الأمان، ويحتمل: أن يعتبر طول الأمل سبباً ثالثاً داخلاً في الغرور، فحذر الله من الدنيا ومن الغرور لأن وعده حق أي وعده بالعقاب والثواب لأن الاغترار يوقع في العذاب ويفوت الجنة، والخسران فوات الجنة، وأعظم منه الخلود في النار.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فاحذروه ولا تصدقوه في غروره ووسواسه ووعدته وأمانيه بل عاملوه معاملة العدو، وعودوا بالله منه لأنه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ الذين يطيعونه، وهم كثير يتشايعون على الباطل، ويتعاونون على الإثم والعدوان ﴿لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وهذه أشد العداوة فالعدو الذي يريد أن يوقع الإنسان في سبب من أسباب الموت هو دون هذا العدو الذي يريد أن يورط الإنسان في سعي جهنم.

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾
وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا

﴿٩﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٩﴾ هذا القول الفصل فلا تقبلوا من الشيطان أمانيه بل اعملوا لإنقاذ أنفسكم من العذاب الشديد والفوز بالمغفرة والأجر الكبير.

﴿٨﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ هذه الآية كالتفريع على الآيات التي قبلها من أول السورة من الحجة والإعذار إلى الناس والإنذار والموعظة، أولها سؤال إنكار في معنى النهي ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ فآثره على هدى الله تحزن عليه وقد استحب العمى على الهدى، لا تحزن عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فلو شاء الله لهدى الناس جميعاً ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وقد تركهم وشأنهم لأنه لا يريد الجلاء أحد إلى الإيمان إنما يريد أن يؤمن به من آمن اختياراً ولا يشاء الله إضلال إلا من اختار الضلال فيخذه عقوبة له.

﴿٩﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ ﴿٩﴾ إن إرسال الرياح دليل على مرسل أرسله وعين نوعه لأن الرياح قد تكون من الجنوب إلى الشمال أو من الغرب إلى الشرق أو على عكس ذلك ﴿فَتَثِيرُ سَحَابًا﴾ أصل الكلام فأنارت سحباً لكن جاء على حكاية الحال، وهذا اختصار والأصل فتثير غباراً ترفعه فيجعله سحباً.

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٦٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ

﴿فَسَقَنَهُ﴾ أي فساقه الله جاء بضمير القائل العظيم ولا أرى أن يقال في
الله المتكلم وإن صح المكلّم لأنه ليس في القرآن ولا أعلمه في السنة المتكلم
بعبارة التفعّل ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ قد أماته الجذب وتأخر المطر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾
أي بمائه ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وهذا إيجاز عجيب لا يكاد يشعر به السامع.
ويحتمل ﴿بِهِ﴾ بالسحاب نفسه بعد جعله ماء أي بعضه وذلك بأن يكون
صنع الماء من أجزاء السحاب في بعض الحالات كما أنه يكون من البحر في
بعضها ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء للأرض ﴿النُّشُورُ﴾ للأموات يوم القيامة فهذا
تقريب لفهم إمكان النشور مع أنه دليل على قدرة الله تعالى.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ
أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ وهي ضد الذلة ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾
مجتمعة لا يشاركه فيها أحد وإنما يعتز المؤمنون المجاهدون في سبيل الله بعزة
الله يجعل لهم عزة بنصره ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يتقبله من المؤمن هو لا
يتقبله غيره و﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ذكر الله وتلاوة كتابه ومن ذكر الله توحيده
وتسبيحه وتنزيهه من الظلم ومن كل نقص وغير ذلك من الواجب
والمستحب والعمل الصالح يرفع المؤمن يرفع قدره، والعمل الصالح المتقبل
هو ما كان مع التقوى وأهمه الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، ولا يقبل
الجهاد مع ترك الصلاة وهي ممكنة أو غيرها من الفرائض فهذا يبين للمؤمن
طريقة العزة الممكنة.

تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورٌ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ ومنها مكر الكفار والمنافقين ضد المؤمنين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة أو في الدنيا والآخرة ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورٌ﴾ يبطل.

قال الراغب: «البوار: فرط الكساد ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد، كما قيل: كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك» انتهى.

وهذه السورة (مكية) نزلت قبل الأمر بالجهاد، ولو صرح بالجهاد فيها لكان دعوة إليه قبل وقته، فلعل هذا هو سبب تركه مع أنه بعد تشريعه وفرضه على المؤمنين من العمل الصالح كما أن الذين يمحرون السيئات من المنافقين في عهد الرسول ﷺ في المدينة وبعده في كل مكان وكل زمان داخلون في الذين يمحرون السيئات قد شملهم الوعيد في هذه الآية.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ في هذه الآية الدليل على قدرة الله تعالى وعلمه وهي ترد على منكري البعث ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أولكم الذي تناسلتم منه، ويخلق غذاءكم من تراب تمتصه الزروع والنباتات مع الماء ثم يكون الغذاء دما ثم يكون نطفة - والله أعلم.

وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لَبَتُّغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

ثم خلقكم من نطفة علقه وطور خلقكم حتى ﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ فهو يعلم الحمل في أول علوقه ويعلم الوضع أينما كان على سعة الأرض وكثرة أهلها ﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي في علم الله سبحانه لا ينسى تاريخ ولادته ولا عدد أيامه طالت مدته أم قصرت.

قال الشرفي: «وفي (البرهان): يعني أن زيادة العمر ونقصان عمر الآخر عند الله يسير» انتهى، ولعل فيه سقطاً، والأصل علمه عند الله أو إحصاؤه عند الله يسيراً ونحو هذا.

وهنا سؤال: كيف رجع الضمير في عمره إلى المعمر؟

والجواب: أن الأشكال نشأ من جعل (معمر) بمعنى (طويل العمر) فأما إذا قلنا: (معمر) أي أعطي العمر سواء طال أم قصر فلا إشكال.

قال الراغب: «والعمر والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة - ثم قال -: والتعمير إعطاء العمر بالفعل أو بالقول على سبيل الدعاء» انتهى، وعلى هذا للمعمر معنيان، وقد جمع بين المعنيين في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ أما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ﴾ فلعل النقص قلة مدة العمر بالنسبة إلى المعمر، ويحتمل: النقص بالخرم والأول أرجح فكل ذلك لا يقع إلا وهو في كتاب أي في علم الله سبحانه لا ينساه ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لأنه عالم الغيب لا يحتاج إلى تفكير ولا بحث.

تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ

﴿١٢﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ
وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ
مَوَازِيرَ لِيَتَبَتَّغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي عطف آيات
تدل على الخالق المنعم على آيات و ﴿الْبَحْرَانِ﴾ الملتقيان حول البلدة المسماة
البحرين وهما مختلفان في الذوق لأن خالقهما خالف بينهما لأنه يخلق ما يشاء
﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ في (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «معناه: أعذب
العذب ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ معناه: أملح الملوحة» انتهى.

ولعله سقط منه، والأصل: أملح ذي الملوحة فيه مرارة مع الملوحة، وهو
الراجح؛ لأن وصف العذب بالعذب يدل على زيادة العذوبة، كما أن
وصف العذاب بأنه أليم يدل على زيادة في الألم ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ من العذب
والمالح ﴿تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ مع اختلافهما يعيش السمك في كل منهما
فنأكل من السمك لحماً طرياً. قال الراغب: «أي غضاً جديداً» انتهى، وفي
(لسان العرب): «وطراً: إذا تجدد» انتهى، فالطري: حديث عهد باصطياده،
وهو لذيد غذاء نافع ما دام جديداً، وإذا تأخر تغير ريحه وصار يعاف إذا لم
يجعل في ثلاجة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ قال الشريفي: «وهي اللؤلؤ
والمرجان» انتهى، ولا يتعين أن يكون اللؤلؤ من كل منهما والمرجان من كل
منهما بل يجوز أن يكون من أحدهما حلية ومن الآخر حلية أخرى كأن
يكون المرجان من أحدهما واللؤلؤ من الآخر.

الْمَلَكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ

وقوله تعالى: ﴿تَلْبُسُونَهَا﴾ يدل على أنها لا يختص بها النساء، ولا يتعين أن كلاً من اللؤلؤ والمرجان ليس خاصاً للنساء، بل من كل يستخرج حلية يلبسها الرجل وهي غير متعينة إذا كان اللؤلؤ والمرجان يستخرج كل منهما من البحرين، فإن كان أحدهما يستخرج من كل دون الآخر تعين الذي يستخرج من كل أنه الذي يلبسه الرجال - والله أعلم.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ أي السفائن ﴿فِيهِ مَوَاحِرُ﴾ تشق الماء في جريها عليه لثقلها وحفظها من النزول المغرق لأهلها، ولذلك تهيأ السفر بها في البحر مع ثقلها سواء كان ثقلها وهي فارغة أم هي مشحونة أثقلها ما فيها ﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالسفر في السفائن لتطلبوا من فضل الله الرزق وغيره، وهذه تدل على أن حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة..» ليس الحصر فيه إلا إضافياً أي لا تشد للصلاة أو الاعتكاف أو نحوه، ومع هذه الآية نظائرها، كقوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ..﴾ [النحل: ٧] الآية ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله في البحر فالنعم تعريض على الشكر؛ لأنها اختبار للعبد أي شكر أم يكفر، وهي مع ذلك آيات تدل على الخالق المنعم وعلى أنه قادر على البعث.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ يدخل الليل ﴿فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فترى في آخر النهار السواد يطلع من المشرق كأنه يشق ضوء النهار، ويطلع الفجر كأنه يشق ظلام الليل ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ﴾ تجري في منازلها فيكون الصيف والشتاء.

يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ

﴿١٤﴾ سَحَرُ ﴿الْقَمَرِ﴾ تقطع منازلها فتكون الشهور ﴿كُلُّ﴾ من الليل
والنهار والشمس والقمر ﴿تَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إما يوم القيامة وإما آجال
الليل والنهار فالليل يجري لأجل ينتهي فيه ويعقبه النهار والنهار يجري
لأجل ينتهي فيه ويعقبه الليل، والشمس تجري في كل منزلة لأجل مسمى
وتنتقل منها حتى يكون الصيف لأجل والشتاء لأجل، كل ذلك تقدير
العزیز العليم.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذي دلت عليه هذه الآيات التي هي: خلقكم من
تراب، ثم من نطفة.. وما ذكر بعدها إلى آية الليل والنهار، ذلكم الله ربكم
المالك لكم ولكل شيء ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ يحكم ما يريد له وحده الملك دون
غيره، لأنه رب كل شيء، وما سواه مملوك له ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أيها
المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ أي ما يملكون شيئاً
والقطمير في الأصل: غشاء نواة التمر أرق من القرطاس، وهي كناية تقليل
فقد جعلتموهم شركاء فيكم وهم لا يملكون شيئاً.

﴿١٥﴾ ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا
يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لأنهم جماد لا يسمع، فالذي يعبد أهل مكة ومن حولهم
جماد فإن كان الملائكة مرادين في الآية فهم لا يسمعونهم لبعدهم عنهم
وكراحتهم لدعائهم ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لأنهم لا يقدرُونَ على
ما تطلبون منهم سواء جمادهم وغيره، ومنهم من هو بريء من شرككم.

يَخْلُقُ جَدِيدٌ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلَتِهَا لَا تُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ لا يشكرونه بل يتبرؤون منه، فليس لكم في الشرك فائدة، إنما هو ضلال مبين ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ والله هو الخبير بكل شيء قد نبأكم في الذين تدعونهم نبأ كافياً للمنصف والخبير بالشيء إذا نبأك عنه هو الذي لا يخطي الصواب بخلاف الجاهل.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أُنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ﴿أُنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ لأن خيركم منه حياتكم وصحتكم وقوتكم ورزقكم وغير ذلك فاستشعروا حاجتكم إليه لتقربوا إليه، وتحذروا ما يسخطه وتدعوه ولا تنسوه ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ هو الغني على الإطلاق، فهو الغني عنكم وعن عبادتكم وهو الحميد المستحق للحمد فاشكروه واذكروه.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ لأنه غني عنكم قادر على إذهابكم فاخشوه وتوبوا إليه ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فهو قادر على أن يستبدل منكم بخلق جديد كما أهلك الكافرين من الأمم الأولى واستبدلهم بخلق جديد ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ما إهلاككم صعباً عليه، لأنه غني عنكم فدعوتكم إليه إنما هي كرم ورحمة ونعمة وتفضل، ولا الخلق الجديد صعباً عليه، ولا الجمع بين الأمرين عزيز.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلَتِهَا لَا تُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ قال في (الصحيح): «والوزر: الإثم، والثقل، والكاره، والسلاح، قال الشاعر:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا»

انتهى. وقال: «والكاره: ما يحمل على الظهر من الثياب» انتهى.

وقال الراغب: «والوزر: الثقل.. - إلى قوله - : ويعبر بذلك عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل» انتهى، وهذا أرجح، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١] ولعل الشاعر عبر عن تكاليف الحرب بأوزارها لثقلها وصعوبة إعدادها، ولذلك عد منها الخيل.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ أي لا تحمل ثقلاً هو الذنب ﴿وَأَزْرَةً﴾ حاملة ثقلاً ﴿وَزَرَ أُخْرَى﴾ ثقل أخرى الذي هو ذنوبها لا يحمل منه شيء، والثقل معنوي، لأن الذنب يثقل على المذنب يوم القيامة لخوفه من العذاب بسببه فيعتبر الذنب ثقلاً عليه لأنه كاره له يود لو أن بينه وبين الذنب أمداً بعيداً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ لو كان الداعي إلى حمله ذا قربي أو المدعو ذا قربي كالوالد والولد وكالأخوين ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ إنما تنذر الذين يخشون ربهم أي إنما يقبل الإنذار ويتنفع به الذين يخشون ربهم، لأن الخوف يبعثهم على النظر والتفكير، فيتبين لهم إذا فكروا فيما جاء به من الآيات يتبين لهم صدقه، فيؤمنون، ويطيعون الصلاة اتباعاً للنذير. ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ عمله لنفسه لا يعمل لغيره، ولو كان ذا قربي، والتزكي: أن يكون طيباً أي متقياً لله.

﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ مصير حامل الوزر ومصير المتزكي إلى الله يوم الحساب لتجزى كل نفس بما عملت.

الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ

﴿٢٠﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢١﴾ قال الشرفي في (المصابيح): «قال الهادي إلى الحق عليه السلام: هذه أمثال ضربها الله تعالى للحق والباطل والدين والكفر، فجعل الباطل والمبطل كالأعمى والظلمات والحرور والأموات، وجعل الحق والمحقين كالبصير والنور والظل والأحياء؛ ليعتبر بذلك المعتبرون» انتهى. قال في (الصحيح): «والحرور: الريح الحارة» انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ وهو - أيضاً - تشبيه للمؤمن والكافر، لأن المؤمن فيه حياة الإيمان والعلم بالله ورسوله واليوم الآخر والكافر فاقد لذلك أو كالفارق للعلم، وقد قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَلَحِيتُهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي بالهدى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ أي يهدي من يشاء فيسمع سماع قبول وإيمان ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ من في القبور مجاز وهو على تشبيه الكفار المصيرين المعرضين الذين بعدوا عن الإيمان وغلب عليهم الخذلان بمن في القبور الذين لا يُسْمِعُهُمْ لأنهم أموات، ومحبوبون بالتراب، وفائدة هذا أن ييأس الرسول ﷺ من إيمانهم فلا يتعب نفسه في محاولة إصلاحهم أو هذه من فوائده.

رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ

﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴿إِنَّا﴾ الضمير لله - عز وجل - وفيه إشارة إلى أنه الغالب على أمره العزيز الحكيم، لإرساله لمحمد لا يغيره كفر من كفر، ولا إعراض من أعرض ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ رسالة بالحق، لأنها بالحكمة من رب العالمين الذي له الحكم في عباده لرسول أمين يبلغ الرسالة، ويصبر على تكاليفها، ويشكر نعمة الله عليه، كما قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ ثم قال: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ فالأمة في أشد الحاجة إلى إرسالك ليهتدي بك من يهتدي وتكون قاطعة لعله من كفر ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وما من أمة إلا أرسل الله لهم نذيراً حتى توفي بينهم، والأمة مثل العرب ومثل بني إسرائيل وعاد وثمود وغيرهم، ولا يشكل أن الأمم قد تهلك قبل رسولها مثل قوم نوح وعاد وثمود؛ لأن الهلاك يخص المكذبين وينجو منه الرسول والذين آمنوا، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٢-١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ﴾ عطف على ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ﴾ فليس تكذيب الرسل دليلاً على بطلان الرسالة، لأنهم جاءوا بالبيانات الدالة على صدقهم ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾.

قال في (الصحيح): «الزُّبْر الكتابة - ثم قال - : والزُّبُور - بالفتح - الكتاب، وهو فعول بمعنى مفعول، من زَبَرْتُ، والزُّبُور كتاب داود عليه السلام» انتهى. وفرق الراغب بين الزُّبُور والكتاب، فقال: «وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له: زُبُور» انتهى.

﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي من الكتب فعبّر بالكتاب عن الجمع قالوا: لأن أصل الكتاب مصدر، فكذلك هنا، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٢١٣] أي الكتب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فلعله معنى الكتاب المنير، لأنه جامع لما يحتاج إليه فهو ينير للناس أي يهديهم، فأما تفسير الكتاب المنير: بالتوراة، فهو بتوهم أن الكتاب مفرد والراجح: أنه عام للكتب، وأفرد ﴿الْمُنِيرِ﴾ كما أفرد الضمير في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ...﴾ [البقرة: ٢١٣] فقال: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ ولعل السبب: أن الكتب جنس واحد، أو أن لفظ الكتاب مفرد، أو لكونه عاماً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أهلكتهم وفي (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «معناه: عاقبتهم» انتهى، وهو أنسب للسياق؛ لأن الإهلاك قد لا يكون عقوبة - والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَتْ تَكْبِيرُ﴾ إنكاري للمنكر وتغيير له وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إما أنه سيق له الكلام من قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ﴾ فيكون معنى ذلك: وإن يكذبوك فإنني أعاقبهم كما عاقبت الذين كفروا قبلهم وإما أن يكون سياق الكلام لتسلية الرسول ﷺ بذكر أن الرسل الماضين أسوة له في ذلك.

ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ ﴿٦٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
كَذَٰلِكَ ۖ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٦٨﴾

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جاء تبعاً لذكر تكذيب من كذب بالرسول، وإن يكذبوك فتأس بمن كذب قبلك، ولا يؤثر في رسالتك تكذيبهم كما لم يؤثر في رسالتهم تكذيب قومهم، فذكر العقاب لهم لئلا يتوهم متوهم أنهم أهملوا، وهو نوع من البديع يسمى (الإدماج).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ۚ كَذَٰلِكَ ۖ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب من صنع الله ومعنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، وهي تستعمل في الشيء العجيب ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ماء واحداً هو المطر.

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ الضمير لله الذي أنزل هذا القرآن ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي بالماء النازل من السماء ﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كالعنب مختلفاً أسود وأبيض وأحمر والتمر وغيرهما ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ خطوط ذوات ألوان مخصوصة وهي أجزاء من الجبال ﴿بَيَضٌ﴾ كالمرج والبرق ﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ مختلف ألوان البيض وألوان الحمر ﴿وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ﴾ وهي خطوط من الجبال أجزاء شديدة السواد بصنع الله الفعال لما يريد.

قال في (الصحيح): «وإذا قلت: غرايب سود، تجعل السود بدلاً من الغرايب؛ لأن توكيد الألوان لا يتقدم» انتهى، ومثله في (لسان العرب) وقد

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ﴿١٦﴾ لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ

قال في الصحاح: «تقول: هذا أسود غريب، أي شديد السواد» انتهى. ومثله في (لسان العرب) وزاد: «والغريب غيب بالطائف شديد السواد انتهى». وقال الراغب: «وغرايب سود، قيل: جمع غريب، وهو المشبه للغراب في السواد» انتهى.

وفي (تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام): «معناه جبال سود، والغرايب: هي السود، ويقال: أسود غريب» انتهى. وقال في (لسان العرب): «وفي الحديث «إن الله يغيض الغريب» هو الشديد السواد، وجمعه غرايب، أراد الذي لا يشيب وقيل: أراد الذي يُسَوِّدُ شبيهه» انتهى.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ مختلف ألوانه ﴿وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ بيض وحمرة وغرايب سود ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وهو حث على التفكير في آيات الله لتحصيل العلم بالله واليوم الآخر وتحصيل الإيمان الراسخ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فيخشاه العلماء لأنه عزيز يعاقب المجرمين ﴿غَفُورٌ﴾ يغفر لأهل الخشية يخشونه فيتوبون ويستغفرونه فيغفر لهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴿يَقْرَؤُونَهُ لَأَن فِيهِ هُدًى وَالنُّورُ يَهْدِي لِّلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ، وفي تكرار تلاوته كل يوم تذكر ما فيه من الهدى والمواظ.

الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٦﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا
الَّذِينَ كُتِبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ

وقد روي عن الإمام القاسم بن محمد عليه السلام: «أنه أوصى أولاده بتلاوة القرآن كل يوم لو لم يقرأ الواحد إلا جزأين في اليوم» هذا معناها.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كانت صلاتهم كاملة بفروضها وشروطها وفي أوقاتها
﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحلال ﴿سِرًّا﴾ لأنهم مخلصون لله يطلبون
فضل الإنفاق في السر ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ حيث يحتاجون إلى إعلان الإنفاق
لأسباب كتسليم الواجب إلى الإمام أو نائبه، وكالتصدق الذي يتعاون فيه
المتصدقون ويقتدي بعضهم ببعض ﴿يَرْجُونَ﴾ أن يتجروا بأعمالهم
الصالحة ﴿تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ﴾ لن تبطل ويخسر أهلها بل هي ﴿تَجَرَّةٌ﴾ رابحة أي
يرجون أن أعمالهم سبب للثواب المضاعف فهم راغبون فيها، و ﴿لَّنْ تَبُورَ﴾
تجارتهم بل سيوفون أرباحهم ورأس مالمهم.

﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿أَجُورُهُمْ﴾ يحتمل: أنه
الثواب على الحسنة بعشر أمثالها، ويزيدهم من فضله نعيما زائدا على
الثواب، وهذا أقرب، ويحتمل: أجورهم الحسنة بمثلها ويزيدهم تضعيفها
حتى يتم لهم على الحسنة عشر أمثالها أو أكثر إلى سبعمائة ضعف، كما قال
تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ
كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمَثِلُهَا﴾ [يونس: ٢٧] ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم فلا ينقص
عليهم بسبب سيئاتهم المغفورة ﴿شَكُورٌ﴾ فلذلك يثيبهم ثواباً عظيماً.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ
اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿وَالَّذِي﴾ عطف على الترغيب في تلاوة كتاب الله

وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٦﴾ جَنَّتْ
عَدَنٌ يَدْخُلُونَهَا مُجَلَّدُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ لأن الله أوحى كتباً إلى من
قبله، وهذا كتاب أوحاه إلى محمد ﷺ.

فمن الكتب (التوراة) أوحاها إلى موسى، ومنها (الإنجيل) أوحاه إلى
عيسى، ومنها (القرآن) أوحاه إلى محمد ﷺ فهو الذي أوحاه إلى محمد منها
ﷺ ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فتلاوته من يتدبر آياته تهدي إلى
الحق، فهو ترغيب في تلاوته لأنه الحق مصداقاً لما قبله من كتب الله تعالى
تأكيد لأنه الحق ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ فأنزل القرآن يبين لهم الحق
لأنه خير بأنفسهم وقلوبهم خير بها وبكل شيء وبما يهديهم ويفهمونه
بصير بهم في تعليمهم وإرشادهم وفي تدبير أمورهم.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ
لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ﴾ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ الراجح: أنه عطف على قوله تعالى: ﴿جَلَاءُتُهُمْ
رُسُلُهُمْ يَالْبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ لَدُنْ رَبِّهِمْ عَذَابٌ﴾ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن
﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ لورثة الكتاب؛ لأنهم أصلح له من غيرهم
فمنهم من ينصره على المكذبين به بالسيف ويتبعه ويتمسك به في كل شيء،
ويجعله حاكماً على غيره، ومقديماً في الاستدلال على غيره.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر أو غيره، وقدمه لعله ليشرح ثواب
السابق بالخيرات قبل شرح عقاب الظالم لنفسه، وليبين أن ليس معنى إيرات
الكتاب إلا إنزاله فيهم قبل غيرهم، لا أن كل من أورث الكتاب متبع له،
وذلك أن القرآن نزل أولاً بمكة والسورة هذه بمكة.

والذين اصطفاهم قد بينه الحديث المشهور في كتب الحديث «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

ومعنى هذا الاصطفاء: اختيارهم لجعل الرسالة فيهم فكان بنو هاشم الصفوة من الصفوة، وبنو هاشم: هم الذين أخذوا الكتاب بقوة، فقاتلوا الكفار وكانوا أول من برز يوم بدر، وقتل منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة، وقتال علي عليه السلام بقوة في بدر، وأحد، وخيبر، والأحزاب، وحنين، أشهر من نار على علم.

وبنو هاشم قد صدق عليهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ بلا إشكال لأن الرسول منهم ﷺ ودعوى غيرهم يحتاج إلى دليل مع بعد إرادة غيرهم لأنهم كانوا أول أعداء الإسلام، وأشدّهم عداوة له مع كثرتهم، ولو كانوا مرادين لكانوا هم الظالمون لأنفسهم، فلا فضل لهم إنما الفضل للسابق بالخيرات، والمقتصد. والمقتصد اتبع قصد السبيل، ولم يبلغ درجة السابق.

والسابق بالخيرات بإذن الله بهدأته والطفه ومعونته المجاهد في سبيل الله الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر، الصابر على الشدائد في نصر دين الله من أول الإسلام أولهم رسول الله ﷺ ثم الإمام علي عليه السلام ثم هذا حذوه في السبق بالخيرات أئمة الهدى من ذريته فأما قول من قال: إنهم أمة محمد فلا حجة له إلا أن الأمة مكلفة باتباعه، وهذا يعم الكافر والمسلم ولا يبقى المصطفى منه، والآية تفيد الاصطفاء الذي هو اختيار الصفوة من الأمة، وحكى الشريفي وغيره إجماع أهل البيت عليه السلام على: أن الآية هذه فيهم، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الإشارة إلى السبق بالخيرات فهو الفضل الكبير باعتبار ثوابه.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾^ط
 ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا﴾^{٢١}
 ﴿فِيهَا لُغُوبٌ﴾^{٢٢} وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا

﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُنحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾^ط
 وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا
 لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا
 يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿جَنَّتْ﴾ بدل اشتغال من الفضل الكبير بين معناه
 لأن السبق سببها ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾ إقامة وأمن ﴿يَدْخُلُونَهَا يُنحَلِّونَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ﴾ كثيرة ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ حلية لعلها تكون في أيديهم وأمر
 الآخرة تخالف أمور الدنيا فيصلح في الجنة ما لا يصلح في الدنيا، ولذلك
 فيها خمر لذة للشاربين.

وذكر تعالى الحلية هذه هنا وفي (سورة الحج) وهي في (سورة الحج) بعد
 قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج: ١٩] وسياقها يرشد إلى أن السابقين
 بالخيرات مقدمون في هذا الوعد ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وهو - أيضاً - صلح
 لأهل الجنة ولا يصلح للرجال في الدنيا وخصت هذه الآية من نعيمهم
 الحلية واللباس، ولعل السر في ذلك - والله أعلم - أن أيديهم ضربت
 بالسيف في سبيل الله، وأجسادهم تعبت في سبيل الله، ومنها ما غشيه دم
 الشهادة في سبيل الله، فكان كما قال الشاعر:

تردى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر

﴿وَقَالُوا﴾ وهم في الجنة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ وكانوا في
 الدنيا لحقهم حزن ألا ترى إلى ما لحق الإمام علياً من الحزن والأسف من
 تناقل أصحابه عن الجهاد حتى صاروا يُغزون ولا يغزون وحتى قال لهم:
 «لقد ملأتم صدري قبحاً».

تُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ ﴿٦﴾ وَهُمْ
يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ

وكذلك ما نال الحسن والحسين عليهما السلام بذلك السبب بعينه، وكذلك ما نال
أئمة الهدى بعدهم، بسبب تغلب أهل الباطل المفسدين في الأرض، وتخاذل
المسلمين عن نصره الحق، وقلة أهل الجد والصدق، وظهور الباطل والجور،
فلما صاروا في الجنة استراحوا وذهب الحزن، وتحقق نصرهم بتعذيب
أعدائهم في جهنم.

﴿إِنَّا رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ غفر لنا؛ لأنه غفور ﴿شُكُورٌ﴾ فاثابنا على القليل
النعيم والملك الكبير الدائم ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ جعلها لنا وطناً نبقي
فيها أبداً ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ وإحسانه وكرمه ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ عناء ومشقة
في عمل وكد، وقد فسروا (النصب) بالتعب ولعله باعتبار مشقة العمل، ألا
ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧] تحمل مشقة العمل بالعبادة،
واللغوب: التعب باعتبار الفتور والضعف عن العمل، وأثر مشقته.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بنعمة الله
نعمة الهدى الذي أنزله فيهم وكل نعمة عليهم أو كفروا بالكتاب الذي
أورثناه المصطفين أو المعينان معا هما المراد، وهذا في الظالم لنفسه لأن الله
تعالى قد ذكر ثواب السابق بالخيرات وهذا عقاب الظالم لنفسه، وكان في
ذلك الوقت أبا لهب، والدليل على أن المراد الظالم لنفسه قوله تعالى:
﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ﴾ فدل على أن الذين كفروا ليس المراد به كل
كفور بل خاص لحق بكل كفور.

نُعَمِّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ

وقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ لا يحكم عليهم بالموت فيموتوا
أو لا يقضى عليهم ينهى لهم أجل فيموتوا والأول أقرب لأنه يفيد أن الحياة
والموت بيد الله، وقد جعلهم لا يموتون في جهنم ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ
عَذَابِهَا﴾ بأي طريقة يحصل بها التخفيف ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾
يخلد في جهنم لا يموت فيها ولا يخفف عنه من عذابها.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ﴿يَصْطَرِّخُونَ﴾ من الصراخ وفيه دلالة على شدة
الاعتماد فيه، قال في (الصحيح): «(الصراخ: الصوت)» انتهى.

ويدل على أن الصراخ: الصياح قول الشاعر:
كشفت لهم عن ساقها وبدا من القوم الصراخ

قال الشرفي: «(وهو الصياح بجهد وشدة)» انتهى.

قلت: الدلالة على الجهد والشدة من جهة الدلالة على المبالغة في الصياح
ومحاولة أقصاه لقوة السبب الباعث على الصياح ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ أي من
نار جهنم إلى دار عمل ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ لأنهم كانوا
يدعون أن ما هم عليه صالح فلم يقتصروا على قولهم نعمل صالحاً لأنهم
لا يريدون ما كانوا يزعمون أنه صالح ولأن ما عملوا قد حبط وهذا يقرب
إلى أن معنى كفرانهم كفران نعمة الله أعم من الجحد لآيات الله لأنه لم يقل
هنا مثل ما حكى تعالى في (سورة الأنعام): ﴿يَا لَيْتَنَّا نُرْذِ وَلَا نُكَلِّبُ يَآئِلَتِ رَبَّنَا
وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] وفائدة ذلك: أن تعم آية الظالم لنفسه الكافر
والفاسق بغير الكفر.

الْصُّدُورِ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا ۚ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ﴾ أي قد عمرناكم عمراً يمكنكم فيه أن تتذكروا؛ لأنها مدة واسعة ولكنكم أعرضتم ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ ينذركم عذاب جهنم فأعرضتم فلم يبق لكم عذر ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ فما لهم من نصير يدفع عنهم بأي وسيلة.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿غَيْبِ السَّمَوَاتِ﴾ ما هو غيب في السموات غيب عند أهلها وغيب فيها عن أهلها ﴿وَالْأَرْضِ﴾ وما هو غيب في الأرض غيب في حق أهلها وغيب فيها محبوب فيها عنهم فهو سبحانه عالم بما سيكون من عذاب وثواب وغير ذلك، وعالم بمقدار ما يستحق الظالم وما يستحق المؤمن ﴿إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الخفي في الصدور، الذي يكتُم فيها ولا يظهره قول ولا دليل فهو عالم بنيات عباده وعقائدهم وظنونهم لأنه علام الغيوب.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا ۚ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ قال الشرفي في (المصابيح): «قال في (البرهان): والخلف: هو التالي للمقدم» انتهى المراد، فمعنى ﴿خَلَائِفَ﴾ كل أناس خلف لمن قبلهم والخطاب للناس، أي الله الذي جعل هذا القرن خلفاً لمن قبلهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فعليكم أن تعبدوه وتشكروه على نعمه في الأرض التي أعدها لأهلها ﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾ نعمة الله أو كفر بالله ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ لأن إثمه عليه وحده.

خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ لا يزيدهم عند ربهم ﴿إِلَّا مَقْتًا﴾ قال في (الصحيح): «(مقته مقتاً: أبغضه) انتهى المراد، قال تعالى: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠] وفسره الشريفي بالعقاب انتهى. لأن العقاب غاية البغض كما أن الجنة رحمة الله لأوليائه ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ لأنه يفوتهم في الدنيا الحياة الطيبة ويفوتهم في الآخرة كل خير.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله للمشركين ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ مقدمة للكلام فيهم والسؤال عنهم ﴿أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ فما كانوا يدعون لهم خلق شيء من الأرض بل يقولون أن الله خلقها وخلق السموات ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أم شاركوا في خلق السموات فهم شركاء فيها، وكذلك يقولون أن الله هو الذي خلق السموات فليس لهم شرك لا في الأرض ولا في السماء وهذا تذكير لهم أن شركاءهم إنما هم عباد أمثالهم ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾ نأذن لهم فيه بالشرك فهم على بينات من كتاب من الله وهذا لا يدعونه بل هم مقررون أن لم يؤتوا كتاباً من الله، وإنما يقولون وجدنا آبائنا لها عابدين بل وعد بعضهم بعضاً أنهم لن يبعثوا فلم يخافوا عقاباً من الله ﴿بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ خادعاً له أي ما يعد بعضهم بعضاً إلا غروراً لهم وهذا من الظلم ولكونهم ظالمين ارتكبوا ظلماً إلى ظلم.

يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٦﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٧﴾ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا تَحِيقُ

﴿١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٦﴾ هذه حجة على المشركين، فالله هو الذي يمسك السموات والأرض كلا في مكانه ﴿١٦﴾ وَلَئِنْ زَالَتَا ﴿١٦﴾ من أمكتهما ﴿١٦﴾ إِنَّ أُمْسَكَهُمَا ﴿١٦﴾ ما أمسكهما ﴿١٦﴾ مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ ﴿١٦﴾ لا شركاء لهم ولا غيرهم لأن الله - جلّ جلاله - هو القادر على ذلك وعلى كل شيء، وليس لعباده إلا قدرة محدودة قدرها لهم أما شركاءهم التي هي الأصنام فلا تقدر على شيء فضلاً عن إمساك الأرض والسموات ﴿١٦﴾ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٦﴾ فلذلك لم يعجل بإزالة الأرض بسبب ظلم الأكثر من أهلها بل أمسكها لهم وهم يعصونه لأنه حلِيم غفور ومن مغفرته أن لا يعاجلهم بالعذاب كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الكهف: ٥٨].

﴿١٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٧﴾ قال الشرفي: «قال في (البرهان): هم قريش أقسموا قبل أن يبعث الله رسوله ﷺ حين بلغهم أن أهل الكتب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم، وحلفوا بالله جل اسمه يميناً ﴿١٧﴾ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ أي نبي ﴿١٧﴾ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴿١٧﴾ أي من كذب الرسل من اليهود والنصارى وغيرهم، ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿١٧﴾ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٧﴾ عن الحق وبعداً منه» انتهى.

الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿١٢﴾ أُولَٰئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ

قال في (لسان العرب): «[قال] ابن عرفة: الجهد بضم الجيم الوسع والطاقة والجهد [بفتح الجيم] المبالغة والغاية ومنه قوله عز وجل ﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ أي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيها»، انتهى.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ لم يقسموا بغيره لأنهم كانوا كالموجهين كلامهم في هذا إلى الله تعالى، فكان المناسب لذلك أن يحلفوا به ولا يحلفوا بشركائهم والله أعلم. والنفور من الشيء: الانزعاج منه، واعتبر نفورهم زيادة لأنهم على باطل من الشرك وغيره فأضافوا إلى باطلهم النفور من النذير والتكذيب بآيات الله.

﴿١٢﴾ ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ ۚ وَلَا تَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بالنذير استكباراً أظهره ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ المكر بالنذير وبما جاء به وهو مكر سيء لأنه باطل ومدافعة للحق بتدبير ما يبطله بحيلة، قال الراغب: «المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة».

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ سؤال يتضمن النفي أي ما ينتظرون بتركهم للإيمان ومكرهم السيئ ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي سنة الله في الأولين، وهي إمهالهم إلى أجل ثم إهلاكهم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ لن يبدل الله سنته بمعاملة مخالفة لها كترك الكفار يعملون ما شاءوا ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ يجعل الهلاك لغير المجرمين الذين كذبوا بآيات الله وإنزاله بمن لا يستحقه لأن الله تعالى عزيز حكيم.

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿١١﴾ وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١٢﴾

﴿١١﴾ أولَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿١١﴾ ﴿أولَمْ يَسِيرُوا﴾ سؤال بمعنى النفي بمعنى أنهم قد ساروا ورأوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم قال تعالى: ﴿وَلْيَنْظُرُوا لَتَمْثُلُنَّ لَهُمْ مَثَلًا﴾ [الصافات ١٣٧: ١٣٨] فقد رأوا آثار المهلكين قبلهم، وكانوا أشد من قريش قوة لم يدفعوا عن أنفسهم بقوتهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ لأنه الغالب على أمره القاهر فوق عباده ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿قَدِيرًا﴾ على كل شيء، ومن جملة ذلك: إهلاك من أراد إهلاكه.

﴿١٢﴾ وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١٢﴾ ﴿وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الجرائم أي يعاجلهم بالهلاك ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ أي الأرض التي هم عليها ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ لا من البشر ولا من الدواب على اختلاف أنواعها وهذا يفيد: أن وجود الحيوانات تابع لوجود البشر.

﴿وَلَسَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجل إنزال العذاب بمن يعذبه في الدنيا، وأجل الكل ليوم الحساب ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فقد كان بصيراً بإهلاك الأمم وإنجاء الرسل والذين آمنوا وما زال ولا يزال بعباده بصيراً، والحمد لله رب العالمين.

تم تفسير (سورة فاطر) بحمد الله



التفسير في التفسير



سورة يس



سُورَةُ الْيُسُوفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يس (الياء) و(السين) من حروف المعجم سواء كانا من أسماء النبي ﷺ كما روي، أو كانا مثل بقية الحروف في أوائل بعض السور، وهذا الأظهر إذا لم تصح الرواية.

﴿٢﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ لأن وجه إعجاز القرآن حكمته الخارقة، لأنه فائق في حكمته وإحكامه، فاقسم بالقرآن الحكيم الدال على رسالة النبي ﷺ.

﴿٣﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ أكد أنه من المرسلين لأن الجاهلية استغربوا دعوى الرسالة، فأفاد أنه واحد من المرسلين، وأن الله قد أرسل قبله رسلاً فلا وجه لاستغرابهم، و(اللام) تأكيد.

﴿٤﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هذا خبر ثان أي إنك على صراط مستقيم فمن اتبعك فقد اهتدى.

﴿٥﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أي نزل العزیز الرحيم، لأن عزته ورحمته تقتضي إنزال القرآن لإقامة الحجة على الناس، وأن لا يهملهم فيفسدوا في الأرض ويتظالموا، فكان من مقتضى عزته الإنذار والوعد بالعقاب لمن ظلم، وهذا ما تضمنه القرآن الكريم.

﴿٦﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ إِنَّا جَعَلْنَا

أَعْنَقِيهِمْ أَغْلَلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٦٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٦٩﴾ وَسَوَاءٌ

المشركين نذير، لأن هؤلاء أحوج من آبائهم الأولين الذين ابتدعوا الشرك؛ لأنهم ورثوا الشرك من آبائهم، كما قال تعالى: ﴿لِتَنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] فهو يبين أنهم أحوج إلى النذير، ولا ينافي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] لأن الأمة ليست عبارة عن القرن الواحد.

ألا ترى أن أمة محمد ﷺ كفاها نذير واحد وهو رسول الله ﷺ ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ﴾ في أشد الحاجة إلى النذير واقتضت الحكمة إنذارهم لثلاث يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ هذا في المتمردين الذين استحقوا الخذلان وصاروا في بعد عن الإيمان بسبب تمردهم وعنادهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لبعدهم عن الإيمان بسبب عنادهم وإعراضهم عن النظر وتمردهم فكان من الضروري إقامة الحجة عليهم بإرسال الرسول ﷺ وإنقاذ الآخرين الذين ليسوا مثلهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَقِيهِمْ أَغْلَلًا﴾ الأغلال: جمع غل وهو القيد، وقوله تعالى: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ أي الأغلال عريضة تبلغ الأذقان أو متعددة تملأ العنق وترفع الذقن إلى فوق ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ أي مستمرون في رفع الأذقان إلى جهة فوق، والراجع في هذا: أنه تمثيل، كأنه قد جعل بينهم وبين الإيمان حواجز كمن كان في عنقه غل أو أغلال تمنعه عن النظر إلى الطريق عند رجليه، هذا من الموانع والممانع الثاني قوله تعالى:

عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٩﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ
الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٩٠﴾ إِنَّا

﴿١٨٩﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا
يُبْصِرُونَ ﴿١٩٠﴾ لأن السد حایل بينهم وبين الرؤية لما أمامهم وما خلفهم وقوله:
﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أغشيناهم: جعلنا عليهم غشاء من فوقهم، وكل هذا مجاز
عن خذلانهم وبعدهم عن طريق الحق فهو من التشابه، كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

وحكى الشرفي في (المصاييح): عن الهادي عليه السلام أنه قدر في الآية همزة
الإنكار، وقال: إن المعنى: إنا جعلنا في أعناقهم، إنكار لما زعموا من قولهم.

وحكى الشرفي عن الحسين بن القاسم أنه قال: «أن معناه: أنا سنجعل في
أعناقهم أغلالاً، كما قال - عز وجل - حاكياً: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا
رُبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] وهم لم يقولوا ذلك بعد وإنما أراد سيقولون: يا مالِك»
انتهى [المصاييح ج ٤ ص ٩٧].

والمقصود: أن قلوبهم لا تهتدي إلى الإيمان، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا
تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿١٩٠﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩١﴾ إن العاقل
المستعمل لعقله إذا سمع النذير خاف أن يكون صادقا فحمله ذلك على
النظر في صدقه فيما يكون معه من الآيات فأداه ذلك إلى الإيمان، أما هؤلاء
المخذولون فإنهم لا يخافون أو لو خافوا لم يزالوا معرضين بمنعهم الكبر
والحسد فكان الإنذار وعدمه سواء عندهم.

نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٧﴾

﴿١٦﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴿١﴾ إنما تنذر الإنذار الذي يفيد وينفع من اتبع الذكر القرآن ﴿وَحْشَى الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ﴾ بالغيب وهو غائب عن الآخرة وما يكون فيها، لأنه قد آمن بالآخرة وما فيها من الجزاء، فهذا الذي نفعه الإنذار، وما أحسن هذا النظم قال: ﴿وَحْشَى الرَّحْمَنِ﴾ ليدل على أن شأنه الرحمة وإنما يعذبهم بذنوبهم.

وقال: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ لأن الآخرة وما فيها غائب عمن هو في هذه الحياة الدنيا، ولكن من آمن بوعد الله خشى الرحمن ﴿فَبَشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ وهذا من حسن النظم أيضاً لأنه يدفع الوهم أن يكون الإنذار لنهي عن اتباع الذكر مغفرة لذنوبه التي ارتكبها قبل الإيمان، ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ على إصغائه إلى النذير ونظره في صدقه وإيمانه ﴿كَرِيمٍ﴾ لأنه أجر عظيم يدل على كرم الله.

﴿١٧﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴿١﴾ أي أن الله سبحانه وتعالى هو القادر على ذلك دون غيره، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ وهو العالم بما فعلوا ولا ينساه، وعبر عن ذلك بالكتابة والمقصود أنه لا ينسى ما قدموا كقوله تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

﴿وَأَثَرَهُمْ﴾ لأنها من سعيهم سواء كانت آثاراً حسنة أو آثاراً سيئة، والمقصود هنا: ما فعلوه وبقي بعد موتهم مثل كتاب نافع أو كتاب ضار مفسد وما سبب له ذلك الكتاب من هدى أو ضلال فهو من آثارهم قد علمه الله ولا ينساه ليجزيهم به يوم القيامة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي في كتاب بين واضح.

﴿١٤﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا عَلَيْنَا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ

﴿١٩﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٠﴾ اذْكُرْ لَهُمْ قِصَّتَهُمْ لِيَعْتَبَرُوا بِهَا.

﴿٢١﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا ﴿٢٢﴾ اذْكُرْ ﴿٢٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبُوا الرُّسُولِينَ فَعَزَّزْنَا بِرَسُولٍ ثَالِثٍ، معناه قوينا أمرهم برسول ثالث.

﴿٢٥﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴿٢٦﴾ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ وَاحْتَجُّوا لَذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿٢٧﴾ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴿٢٨﴾ يعني: أنهم لا يصلحون للرسالة وليسوا إلا بشرًا، ولا يصلح عندهم للرسالة إلا الملائكة، كما قال قوم عاد وثمود: ﴿٢٩﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴿٣٠﴾ [المؤمنون: ٢٥] ﴿٣١﴾ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴿٣٢﴾ جحد للرسالة ونفي لما جاءت به الرسل ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿٣٥﴾ وهذا تطور منهم إلى التصريح بتكذيب رسلهم.

﴿٣٦﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿٣٧﴾ لم يقابلوا كلامهم بالجفاء، بل حققوا لهم بأنهم رسل كما قالوا أول مرة: ﴿٣٨﴾ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿٣٩﴾ وأكدوا في هذه المرة بقولهم: ﴿٤٠﴾ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿٤١﴾ وقولهم: ﴿٤٢﴾ رَبُّنَا يَعْلَمُ ﴿٤٣﴾ بمنزلة القسم، لأنهم لو كانوا كاذبين لكانوا قد كذبوا على الله في قولهم: ﴿٤٤﴾ رَبُّنَا يَعْلَمُ ﴿٤٥﴾.

﴿٤٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴿٤٧﴾ أي إذا لم تؤمنوا لم يضرنا كفركم لأنه ليس علينا إلا إبلاغكم وليس علينا أن تؤمنوا ﴿٤٨﴾ الْمُبِينُ ﴿٤٩﴾ البين الواضح حتى لا يكون لهم عذر.

مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ ؕ إِنْ ذُكِّرْتُمْ ؕ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُومُ آتِبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ آتِبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا

﴿١٨﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَهَّرْنَا بِكُمْ ؕ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ حاولوا إسكاتهم بالقوة لما فقدوا الحجّة.

﴿٢٠﴾ قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ ؕ إِنْ ذُكِّرْتُمْ ؕ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٢١﴾ طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ أي شؤمكم معكم وهي ذنوبكم وجرائمكم وشرككم فالنحس عليكم من أنفسكم ﴿إِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ (الهمزة) للإنكار عليهم كيف يتطهرون بأن ذكروا بالله ليرجعوا إلى الحق، وهذا هو الهدى لا يستحق التطير والتشاؤم به ﴿إِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ تطيرتم بمن ذكركم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ولذلك تطيرتم بمن دعاكم إلى الخير. والإسراف: إكثار المعاصي.

﴿٢٢﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴿٢٣﴾ سَارِعٌ إِلَىٰ أَمْرِهِمْ بِاتِّبَاعِ الرِّسْلِ، أي سارع يحث الخطى بسرعة لشدة إيمانه بالله، وخطورة الحال ومعرفة بالواجب المتحتم عليه في الأمر بالمعروف، فلم يستجز التأخر ولرغبته في طاعة الله سارع، والسعي هو الإسراع في المشي، وأقصى المدينة: أبعدا. ﴿قَالَ يَنْقُومُ آتِبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ سارع إلى أمرهم باتباع الرسل.

﴿٢٤﴾ آتِبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴿٢٥﴾ ما عليكم من اتباعهم لأنهم لا يطلبون منكم أجرا فيثقل عليكم الإيمان بسبب الغرم ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ أي الرسل مهتدون فإن اتبعتموهم اهتديتم.

أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرَدِّنِ
الرَّحْمَنُ بَصِيرًا لَا تَغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿١٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿١٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ
قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١٧﴾

﴿١٢﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴿﴾ كيف لا أعبد الذي فطرني خلقتني
فهو ربي المالك لي الذي يستحق أن أعبده ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بمعنى: أنهم لا
يرجعون إلا إليه يوم القيامة.

﴿١٣﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بَصِيرًا لَا تَغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ
شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴿﴾ الهمة للإنكار بمعنى كيف
أأخذ آلهة من دونه لا يدفعون عني بشفاعتهم شيئاً ولا ينقذوني بقوتهم من
ضرر أراده ربي، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ لأن من شأنه الرحمة لولا أن العبيد
يستحقون الضر لعصيانهم وتمردهم.

﴿١٤﴾ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿﴾ إن اتخذت من دونه آلهة والمعنى يبين لهم
أنهم في ﴿ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وهذا من الأساليب الحسنة في الدعوة حيث لم
يصرح بضلالهم مباشرة بل وجه اللوم لنفسه، والمقصود قومه ليفهموا أنهم
في ﴿ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿١٥﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿﴾ وهنا صرح بإيمانه وأظهر عدم
مبالاته بما يمكن أن يجلبه ذلك عليه من الويلات، وأكد لهم ذلك بقوله:
﴿فَاسْمَعُونِ﴾ إعلاناً لإيمانه، وهو يريد أن يسمعوا أنه قد آمن.

﴿١٦﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴿﴾ المعنى خلى الباري بينهم وبينه فقتلوه ففاز
بالشهادة ودخل الجنة ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

﴿ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ

﴿يَمَا غَشَرَلِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرُمِينَ﴾ وهذا يدل على فضل الشهادة وعظمة الشهيد أنه لا يزال حياً، وقد تمنى أن يعرفوا مصيره لكي يؤمنوا أو ليغيظهم.

﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ لأنهم أحقر من أن ينزل عليهم جندا من السماء وما كنا منزلين أي ليس من شأننا إنزال جند عليهم.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾
 إلا صيحة واحدة رجفت الأرض بهم مثل صيحة ثمود ﴿فَإِذَا هُمْ
 خَمِدُونَ﴾ قد هلكوا وذلك بسبب جرمهم في حق المؤمن الذي قتلوه وما
 قدمت أيديهم من الجرائم.

﴿يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ قال في (المصايب): «قال محمد بن القاسم رحمته الله: وقول الله: ﴿يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ كلمة من وعيد الله منبئة عن شدة الوعيد مفزعة؛ لأن العرب إذا أخبرت عن الأمر المفزع المخوف العظيم فلم يفهمه من تجربته عنه أو كذب به قالوا في التنبيه بأبلغ الوعظ والتكليم: يا حسرة عليك، وبإندامة لك إذا ما حل بك ما كذبت به مما حذرناك فرأيتك بالمعينة». إلى آخر كلامه في [المصايب ج ٤/ ص ١١٠].

قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ بيان لسبب حسرتهم يوم القيامة لأنهم لم يكتفوا برفض الإيمان بل أضافوا التكذيب للرسول ولا اكتفوا بالتكذيب بل زادوا الاستهزاء فعظمت عليهم العقوبة فاستحقوا العذاب العظيم وهو سبب حسرتهم وندامتهم.

أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ
لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿١٧﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَمِيَّةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿١٨﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ
الْعُيُونِ ﴿١٩﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿الْمُيْرَوَاتِ﴾ في الدنيا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ﴾ أي أنا قد
أهْلَكْنَا قُرُونًا كَثِيرَةً قَبْلَهُمْ لَأَن إِهْلَاكَ الْقُرُونِ دَلِيلٌ عَلَى الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، لِأَنَّهُ
لَمْ يَخْلُقْهُمْ عَبَثًا وَلَا خَلَقَهُمْ لِيَكُونُوا حَشَوًا لِلْقُبُورِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] معناه: حَشَوًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ.

وقوله ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ دليل على أن الموت ليس بعده رجعة
وإنما ينتظر بأول الناس آخرهم.

﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ﴾ كل المذكورين مجموعون ﴿لَّدَيْنَا﴾ في موقف
الحساب ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للسؤال.

﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ﴾ دليل على قدرته تعالى على البعث ﴿الْأَرْضُ الْمَمِيَّةُ
أَحْيَيْنَاهَا﴾ وقد تكرر في القرآن الكريم الاحتجاج على الكفار المنكرين
للبعث أحتج عليهم في سور عديدة بإحياء الأرض بعد موتها، ليدل على
إحيائهم بعد موتهم، كإحياء الأرض بعد موتها ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ﴾ دليل على قدرته ودليل على نعمته فما كان يليق بجاهلهم أن
يكذبوا رسله ويكفروا نعمته.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ وجعلنا أي وجعل في
الأرض بعد أن أحيانا بالمطر الجنات من النخيل والأعناب، وخص بالذكر

سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٦٧﴾

النخيل والأعناب؛ لاحتوائهما على مواد طبية مهمة وضرورية للجسم أكثر من غيرها كما هو مذكور في كتب الطب، إضافة إلى كثرتها وانتشارها في معظم البلدان العربية، مع ما فيهما من الآيات العجيبة الصنع الدالة على قدرته تعالى ونعمته ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ تسقى الجنات فتخرج الثمر.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ لم تعمله أيديهم بل الله أوجد تلك النعمة ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ لأن فطرتهم تدلهم على قبح كفر المنعم، وأن ترك الشكر يعاب، فلما ذكروهم نعمته وبخهم بقوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ سبحانه تنزيه لله سبحانه عما قالوا، وهذا التنزيه في مقابل استبعاد الكفار لقدرته على الإحياء بعد الموت ﴿الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ أصناف المخلوقات كلها على كثرة المخلوقات وتعدد أنواعها، فهو الذي نوعها بقدرته تعالى كلها الجمادات والحيوانات والشجر فلا يستبعد منه إحياء الموتى ولا تقاس قدرته على قدرة المخلوق ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من البشر الذي خلقهم وجعلهم أزواجا ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من المخلوقات التي لم يعرفها الأولون الذين كانوا في وقت نزول القرآن.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ هذه آية عظيمة فيها دلالة على قدرة الله العظيمة على الإتيان بالليل وسلك النهار، إي إزالة النهار وفصله عنه بتغييب الشمس عن المكان الذي يأتي فيه الليل.

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٩٨﴾ وَالْقَمَرَ
قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿١٩٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٠٠﴾ وَآيَةٌ

﴿١٩٨﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي وآية لهم الشمس فهي من دلائل قدرته حيث تجري في منازلها التي تأتي عليها في عام واحد وكل منزلة ثلاثة عشر يوماً عدا الذراع فهو أربعة عشر يوماً، وهكذا تجري على الدوام حتى تصل إلى مستقر لها تنتهي إليه عند القيامة ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ لأن تقدير مرورها بمنازلها في أوقاتها المحددة، تبقى في كل منزلة العدد المحدود لا يتخلف تقدير عظيم يدل على قدرة عظيمة، ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا ينال، ﴿الْعَلِيمِ﴾ بكل شيء لأن هذا دليل على علمه، من إحكام الصنع وإتقانه فهو دليل على أنه عليم بكل شيء، لأن مثل ذلك لا يكون إلا من عليم، كما أن إجادة الكتابة لا تكون إلا من عليم بالكتابة.

﴿١٩٩﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ وهذه أيضاً آية عظيمة وتدل على قدرة كبيرة حيث يزيد الهلال حتى يتم، ثم ينقص حتى يكون ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ والعرجون القديم: هو عذق التمر الذي تقادم عهده بعد قطعه من النخلة حتى تغير لونه حتى صعبت رؤيته.

﴿٢٠٠﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ لأن القمر تقطع المنازل الثمان والعشرين في شهر، والشمس لا تقطعها إلا في سنة، فقدر الباري سير الشمس على هذا التحديد ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ كذلك لأن الله سبحانه جعل النهار يأتي بعد الليل والليل بعد النهار، ولا تسبق الليلة الثانية فتأتي قبل أن يمر نهار بين الليلتين هذا تقدير من الله محكم لا يتخلف إلى يوم القيامة.

هُمَّ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الشمس والقمر والليل والنهار حيث تشرق الشمس على ما يقابلها من الأرض فيكون النهار على ذلك المقابل والليل على الجهة الثانية ثم تنعكس المسألة بدوران الأرض، فيكون الليل والنهار كما قال تعالى: ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ [الأعراف: ٥٤] في تتابع كل واحد يخلف الآخر، أما الشمس والقمر فهما يسبحان في فلكيهما إلى يوم القيامة، فينعكس ذلك على الأرض بما فيه مصلحة للإنسان في كل أمور الحياة.

﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ قال في (المصابيح): «عن محمد بن القاسم رحمته الله: وكذلك فهو الله الذي حمل البشر في الفلك والبحر وعلى مثل ذلك من الدواب الحاملة لهم في البر وقد قيل في الخبر: إن الذي مثل بالفلك هي الإبل، وقد تسميها العرب سفن البر وتشبهها بها قرنها الله عز وجل بالسفن في ذكرها فقال: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلِّ تُحْمَلُونَ﴾ [غانر: ٨٠] فهذا فيما ذكر الله من قوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

وما نرى - والله أعلم - أن الله أراد بقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ إلا ما حمل وأقل من الدواب كلها الإبل وغير الإبل غير أن للآبال ما لها في الحملان من الفضل و﴿الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ فهو المملوء المثقل، وهو الله المنعم المفضل الحامل لذرياتهم، والذريات - والله أعلم - فهي الذرة والمذروء والمكثر من جماعتهم، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي تَرَأَوْنَ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك: ٢٤] يعني بـ(ذراكم): كثركم ونشركم.

مِّنَّا وَمَتَّعْنَا إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا

وكذلك إذا قيل: ذرية فإنما يراد جماعة مكثرة مذرية والواحدة من الجماعة المكثرة المذرية ذرية، والشتان: ذريتان، والثلاث: ذريات فكان هذا - والله أعلم - دليلا لمن يعقل ويفهم على أن الذريات هي الجماعات منكم الذريات المكثرات، لأنه لو كان مخرجها في الذكر إنما يراد بها الذراري دون الآباء لكننا نرى أكثر من يركب السفن إنما هم الأكابر لا الذراري الأصاغر الضعفاء» انتهى المراد [المصايح ج ٤/ ص ١٢١].

ويمكن - والله أعلم - أن المراد بحمل الذرية حمل الأولين الذين نجوا من الغرق في سفينة نوح؛ لأن نجاة الآباء من الغرق سبب بقاء الذرية واستمرارها فكانه حمل الذرية في الفلك المشحون فالآية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١].

﴿وَإِنْ كُشِّتْ نَفْرَقُهُمْ﴾ تذكير بنعمة الله وبيان أنه حملهم في البحر بقدرته ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ الصريح: المغيث للصارخ، ولعله يشير سبحانه وتعالى إلى شركاء المشركين ليذكرهم أن شركاءهم لا ينقذونهم إذا أراد الله أن يغرقهم، ليدل على أنهم ليسوا بأهله.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ فحملهم في البحر ولا نفرقهم ﴿وَمَتَّعْنَا إِلَىٰ حِينٍ﴾ فمتعهم إلى حين انتهاء آجالهم، فهذه آيات عظيمة تدل على قدرته سبحانه وتعالى ونعمته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ اتقوا شر ذنوبكم المستقبل والماضية فليتوبوا من الماضي، وفي المستقبل كلما أذنبوا تابوا ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ توسلا وتوصلا إلى رحمته.

﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا

﴿٤٦﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٧﴾ معرضين عنها من حين تأتيتهم لا ينظرون فيها أصلاً فهو إعراض مستمر عن كل آية، يعني: أنهم لا يفكرون أولاً ثم يعرضون بل يبادرون للإعراض من حين تأتيتهم، وهذا شأنهم لأنهم يكذبون الرسل كما أفاده في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ الآية.

﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾ ولعلهم كانوا يؤمرون بالإنفاق من أجل حاجة الضعفاء والمساكين إلى الطعام. قال الشريفي في (المصابيح): عن محمد بن القاسم عليه السلام: «فأجابوا فيما دعاهم الله إليه من إطعام الفقير والإنفاق جواب اللئام البخلاء الجاهلين مثلهم، واحتجوا على النبي ﷺ ومن دعاهم إلى ذلك من المؤمنين بلا حجة لهم فيه فقالوا: ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ وجهلوا أنما دعاهم الله إلى إطعام الفقراء محنة لهم بذلك واختبار وبلوى ليجزيهم الله في إطعامهم والإنفاق في ذلك مما رزقهم الجزاء الأوفر، الذي هو أطيب وأعظم مما أنفقوا وأزكى وأكبر، وقد علم النبي ﷺ والمؤمنون - إذ هم لهم إلى الإنفاق داعون - أن الله أقدر القادرين على إطعام الفقراء المعسرين فذكر الله ما كان من ترك الإنفاق من جواب الكافرين ليكون المؤمنون لمثل معصيتهم فيما أقروا به حذرين» انتهى من [المصابيح: ج ٤/ ١٢٦].

صَيِّحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١١﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٢﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ

﴿١١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ أي هذا الوعد الذي هو القيامة والجزاء بالجنة والنار أخبرونا متى يكون ﴿١٣﴾ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ أنه سيكون؟ فهم يرون المدعي لذلك إنما يدعي علم الغيب، ولم يلتفتوا إلى أنه إنما أنذرهم بالوحي من الله تعالى ولم يدع علم الغيب.

﴿١٥﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١٦﴾ مَا يَنْتَظِرُونَ بهذا الإعراض والتكذيب بالقيامة بعد وجود الآيات إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يختصمون على أمور دنياهم ويتشاجرون عليها غافلين عن اليوم الآخر.

﴿١٧﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴿١٨﴾ لأن الصيحة أخذتهم فأبطلت نطقهم وقوتهم فلا يستطيعون الكلام، وهكذا نلاحظ أن المشرف على الموت يكون في نفسه أشياء تهمة يجب أن يوصي بها فلا يتمكن حينئذ. كذلك هؤلاء لا يستطيعون توصية لأن الصيحة أخذتهم بسرعة، ﴿١٩﴾ وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ كذلك لأن الصيحة قد أخذتهم فلا عودة بعدها إلى الأهل.

﴿٢١﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿٢٢﴾ وبعد أخذهم بالصيحة المذكورة التي أهلكتهم ذكر الصيحة الثانية التي تأتي لإخراجهم من القبور ﴿٢٣﴾ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٢٤﴾ يسرعون إلى موضع الوقوف والسؤال حيث يسألهم الله تعالى، ويحاسنهم ويحكم فيهم ويأمر بهم إلى الجنة أو إلى النار.

الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٨﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَبِكُهُونَ ﴿٦٠﴾ هُمْ

﴿٥٧﴾ قَالُوا يَنْوِيلُنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٨﴾ جعلوا بقاءهم في القبور - حيث لا يسألون ولا يحاسبون - كأنهم في رعدة ﴿٥٩﴾ قَالُوا يَنْوِيلُنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟ استنكروا بعثهم من القبور وفزعوا، فقالوا: ﴿يَنْوِيلُنَا﴾ ثم تذكروا أنه الوعد الذي كانوا يوعدون، وكانوا لا يؤمنون به، فقالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي الذين كانوا ينذرونهم لكنه تصديق لا ينفعهم.

﴿٥٧﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحدة أخرجتهم من القبور وأحضرتهم في موقف العرض والسؤال والحساب والفصل بين العباد، وهو معنى قوله: ﴿لَدَيْنَا﴾ ويعتبر حضوره سبحانه بوحيه وسؤاله وفصله بين العباد فهو يعتبر حاضراً في ذلك الموقف.

﴿٥٩﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ لَا تُظَلَمُ ﴿٦٠﴾ أي لا ينقص عليها شيء تستحقه من الثواب، ولا يزداد عليها شيء من العقاب، بل يجازى كل بما عمله.

﴿٥٩﴾ إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَبِكُهُونَ ﴿٦٠﴾ اليوم يعني أنه يسارع بهم إلى الجنة في ذلك اليوم، مشغولون بالتنعم في الجنة، ولا مكان للفراغ عندهم فهم طوال الوقت ينتقلون بين نعيمها فمن نعيم إلى أسنى منه. ﴿فَبِكُهُونَ﴾ في حديث مؤنس، وسرور وتنعيم فهذا هو ما به يشتغلون.

وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَايِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ

﴿٥٦﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ وهذا يدل على وجود الشمس إلا أنها لا يباشرهم شعاعها لكثرة الأشجار وكبرها فهم في ظلال ﴿٥٧﴾ عَلَى الْأَرَايِكِ مُتَّكِئُونَ الأريكة: هي المكان الممهد الموطأ. وقيل: السرر في الخيام.

﴿٥٨﴾ هُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ لهم في الجنة فاكهة، وهي هنا اسم جنس يطلق على جميع أنواع الفواكه، ﴿وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ ما يستدعون ويطلبون.

﴿٥٩﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ لهم ما يدعون ﴿سَلَّمَ﴾ سليم من كل عيب ومن كل مضرة، فهي لذيدة لا يتبعها ضر ولا يوجد فساد في الفاكهة فهي سلام من كل محق، لأنه وصف للنعيم خالص ﴿قَوْلًا﴾ مفعول مطلق أي أقوله قولاً قائم مقام الفعل أي قلنا هذا الوعد قولاً ﴿مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾.

﴿٦٠﴾ وَأَمْتَنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ انعزلوا عن المؤمنين في جانب حتى يكون المؤمنون وحدهم والمجرمون وحدهم، أهل الجرائم وهي الذنوب قال في قصيدة زهير:

تُغْفَى الْكُلُومُ بِالْمُثْنِ فَأَصْبَحَتْ يَنْجَمُهَا مَن لَيْسَ فِيهَا بِمَجْرَمٍ

أي يسلم الدية من ليس فيها بمذنب.

﴿٦١﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَلَمْ أَعْهَدْ أَي أَقْدِمُ إِلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا والتقديم في القول يسمى عهداً، يقال: عَهِدَ إِلَيْهِ بِكَذَا ﴿أَنَّ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ إما طاعته مطلقاً، حيث جعلت طاعته بدلاً من عبادة الله، وإما

جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ

طاعته في الشرك، والأول أرجح، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ فلا ينبغي أن يطاع ويعبد، وقد أخبرنا في الدنيا أنه لنا عدو مبين بين العداوة أشد من كل عدو، لأنه يريد إدخالنا النار ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ قِيم لا عوج فيه.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ هذا من بقية الاحتجاج والتوبيخ للمجرمين ﴿جِبِلًّا﴾ خلقاً كثيراً.

قال في (المصاييح): عن محمد بن القاسم عليه السلام: «وأهل اللسان فلا يمترون في أن الجبل: القرون» انتهى.

فالجبل كثير وكثر الكثير بقوله تعالى: ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ ثم احتج عليهم بالعقول، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ وتبعون عهدي وتؤمنون بكتبي ورسلي.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ دلالة على أنها قد أحضرت حيث يرونها، وهم في موقف الحساب، كقوله تعالى: ﴿وَحِيَاءَ يَوْمَئِذٍ يَجْهَنَّمُ﴾ [الفجر: ٢٣] حيث يرونها ويسمعون صوتها ﴿الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا توعدهم الله وحذرهم منها وأنذرهم.

﴿أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بمعنى جزاء على الكفر، وهو هنا محتمل أن يكون كفر النعمة، أو كفر الرفض لله ولرسوله، لأنه هنا قد عم المجرمين، حيث قال: ﴿وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾

﴿١٥﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ ﴿١٥﴾ حين يميثون إلى جهنم نختم على أفواههم في حال ويتكلمون في حال أخرى ﴿١٦﴾ وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ ﴿١٦﴾ تشهد عليهم، ﴿١٧﴾ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ فتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون من المعاصي التي كانوا يفعلونها في الدنيا.

﴿١٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ هذا عائد إلى قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ للدلالة على أن جداولهم في شأن الآخرة جرم عظيم ﴿لَطَمَسْنَا﴾ ما حول أعينهم عليها حتى يغطي أعينهم. ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ حرصاً على أن يصلوا إلى الصراط ليهتدوا به؛ لأن أبصارهم قد حجبت، أما الصراط فعندهم أنهم يحسونه بأقدامهم؛ لأن الصراط: هو الطريق المعبود، قال الشاعر:

دعسنا أرضهم بالخييل حتى تركناها أذل من الصراط

﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ وقد طمس الله على أعينهم.

﴿١٧﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ ﴿١٧﴾ لمسخناهم حَوْلْنَا خلقهم إلى خلق قبيح عقوبة لهم ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ حيث هم مجادلون في الآخرة، لأن المسخ يجعلهم عاجزين عن المشي إلى أي جهة، أو يميثهم أو يجعلهم جماداً ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ إلى أي جهة كانوا يريدون ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى أهلهم، فقد أخذهم المسخ مكانهم.

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا

﴿١٨﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴿١٨﴾ ننكسه: نحول جسده عن حالته التي كان عليها في شبابه إلى حالة الضعف والكبر، لأنه كان في حالة شباب وقوة عالية ثم انتكس إلى حالة دنية وضعيفة، دلالة على أن الله سبحانه وتعالى متصرف في الإنسان يتصرف فيه كيف شاء، فالمعمر كان في البداية طفلاً، ثم شاباً، ثم كهلاً، ثم شيخاً، قال الشاعر:

فمن عاش شب ومن شب شاب ومن شاب شاخ ومن شاخ ماتا

فالباري سبحانه وتعالى الذي يتصرف في الإنسان من بداية خلقه طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم يميتة، كذلك هو الذي يتصرف فيه بعد الموت لأنه على كل شيء قدير، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنه قادر على بعثكم بعد الموت، وهذا رد على القائلين ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿١٩﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴿١٩﴾ وهذا من جملة الرد على القائلين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لأنهم كذبوا بالقرآن وقالوا: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] أي الرسول، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ لأنه لا يستطيعه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ هذا القرآن الذي زعموا أنه شعر ما هو إلا ذكر تذكرا لمن يخشى ﴿وَقُرْآنٌ﴾ يقرأه الناس ﴿مُبِينٌ﴾ بين واضح مفهوم المعاني، وهذا يرد على من زعم أنه رموز لا يفسرها إلا الإمام أو الشيخ عندهم.

﴿٢٠﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴿٢٠﴾ يعني هذا القرآن لتنذر من كان حياً حي القلب، لا تزال فيه القابلية للإيمان والهدى، بخلاف قلوب الكفار المعاندين المتمردين الذين يستحقون الخذلان، فقلوبهم كأنها ميتة لكثرة ذنوبهم، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾
وَهُمْ فِيهَا مَنْتَفِعُونَ وَمَشَارِبٌ أَفْلاَ يَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

﴿وَبَحِّقُ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ نَحَقٌ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ؛ لَأَنهَا قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِالْقُرْآنِ الْمُبِينِ فَحَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، وَهِيَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَهُمْ فِيهَا مَنْتَفِعُونَ وَمَشَارِبٌ أَفْلاَ يَشْكُرُونَ﴾ هذا من جملة الرد على القائلين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أولم يروا حين جادلوا في الحياة بعد الموت واستبعدوا قدرة الله عليه، بين أن لهم في الأنعام آية تدل على قدرته التي لا تقاس على قدرة المخلوقين، لثلاث يستبعدوا البعث بعد الموت، وبين لهم فيها نعمته عليهم، ففيها منافع كثيرة، وأعداها وذلّلها وجعل منها ركوبهم كالإبل التي جعلها مهياة للركوب والسفر الطويل وتحمل شدة الحرارة والبرودة والصبر عن الماء وقتاً طويلاً وغير ذلك من التهيئة، وكل هذا التذليل حيث جعلها مخالفة للسباع، ومنافعها متعددة ففي سورة النحل بين كثيراً منها، مثل نعمة اللحوم والجلود والأصواف والأوبار وغيرها، فكفروا نعمة الله بتكذيب رسله، والجحد بآياته والإشراك به وغير ذلك.

﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ مما تولينا صنعه وإتقانه بأيدينا وهذا تحقيق لكونه تولى صنعه بقدرته، وهو دليل على أنه قادر على كل شيء، لأنه خلقها وخالف بينها وبين صنع الحيوانات الباقية لتكون نعمة للإنسان ﴿أَفْلاَ يَشْكُرُونَ﴾ أنعم الله تعالى بل كفروا حيث كذبوا رسله وجحدوا آياته.

ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا

﴿٧٤﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٥﴾ واتخذوهم من دون الله آلهة لعلهم ينصرونهم على أعدائهم.

﴿٧٥﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴿٧٦﴾ هذه فيها رد عليهم، بأن آلهتهم عاجزون لا ينفعون ولا يضرون، ﴿٧٧﴾ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٨﴾ المشركون قد جندوا أنفسهم لحماية آلهتهم فكيف تنفعهم بينما هم محضرون حولها لحمايتها لعجزها عن أن تدفع عن نفسها أي سوء.

﴿٧٦﴾ فَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ من تكذيبهم بالآخرة، وشركهم وجحدهم بآيات الله، وتكذيبهم لرسله، فلا يحزنك قولهم، بل كل أمرهم إلى الله، لأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون، ومرجعهم إليه.

﴿٧٧﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ ﴿٧٨﴾ هذه الآية تجمع أمرين أولاً: الدلالة على أن الله رب الإنسان ومالكة، لأنه الذي خلقه فهو إلهه لا إله له غيره، ثانياً: الدلالة على أنه سبحانه قادر على إحياء الإنسان وخلق النشأة الآخرة كما أنشأه المرة الأولى، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ بين الخصومة لأنه مجادل في توحيد الله تعالى، ومجادل في قدرته على بعث الإنسان بعد الموت.

﴿٧٨﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَضَرَبَ ﴿٧٩﴾ وهذا المثل في استبعاد الإعادة بعد الموت ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أنه خلقه في النشأة الأولى، وهي دليل على قدرته على إعادته بعد الموت.

الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٧٧﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ بَلَىٰ ۖ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٩﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٠﴾

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ هذا رد على قولهم: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ وهو رد عظيم وبأسلوب حكيم. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ وهذا رد أيضاً لأنه دليل على أنه لا يستبعد في قدرة الله تعالى شيء، فهو يرد على استبعادهم قدرة الله على البعث بعد الموت حيث بين أنه جعل من الشجر الأخضر والذي ليس مظنة أن تشتعل منه النار التي هي ضد الماء، ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ توقدون النار متى شئتم.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ بَلَىٰ ۖ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ كذلك فيه رد على استبعادهم البعث بعد الموت؛ لأنه بين فيه أنه قادر على خلق السموات والأرض، فكيف يستبعد منه أن يقدر على إعادة مثل الإنسان في الصغر والقلة بالنسبة للسموات والأرض ﴿بَلَىٰ﴾ إنه قادر على أن يخلق مثلهم ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الذي خلق كل شيء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء فلا يخفى عليه كيف يخلق.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال الشرفي في (المصابيح): «عن محمد بن القاسم عليه السلام: هذا خبر من الله - جلَّ جلاله - وإفهام لعباده، وتبيين أنه لا يعاني من أراد خلقه من الخلق والصنع والأمور

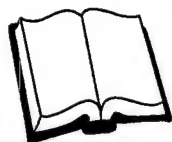
بمعاناة كلفة ولا مزاوله كف ولا بنان، إذ هو متعال عن أن يوصف بأعضاء، وغير شبيه بالإنسان، وإنما أمره إذا أراد خلقاً أو شيئاً أن يقول له في أسرع من لمح البصر: كن، فيمثل كائناً» انتهى من [المصاييح: ج ٤/ ص ١٤٨].

يعني: أن إيجاده له إذا أراد شيئاً أوجده بلا كلفة ولا عناءٍ بأيسر ما يكون حتى كأنه أمره أن يكون فكان، فعبّر عن إيجاده بأمره أن يكون.

﴿فَسُبِّحْنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ سبّحانه عما يقول المشركون وعما يقول المنكرون للبعث والمبطلون؛ لأن بيده ملكوت كل شيء، ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وحده لا ترجعون إلى غيره دليل على أنه لا شريك له، فيرجع إليه المشركون الذين يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].



التفسير في التفسير



سورة الضافات



سُورَةُ الصَّافَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّلَاتِلِيَّاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا

﴿١﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّلَاتِلِيَّاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ قال الشرفي رحمه الله في (المصابيح): «قال الهادي عليه السلام: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ الملائكة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ومعنى (صافون) فهو وقوف صفوفاً لله تعالى عابدون» انتهى.

وقال - أيضاً -: «قال الهادي عليه السلام في: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ الملائكة أيضاً الزاجرات للخلق عن معاصي الله الخالق بما تنزل به من أمر الله ونهيه ومؤكدات فرضه».

وقال - أيضاً - في (المصابيح) في قوله تعالى: ﴿فَالَّتِلَاتِ ذِكْرًا﴾: «قال الهادي عليه السلام: فهي الملائكة أيضاً التي تتلوا وحى الله على أنبيائه وتنزل بزواجر آياته لأنبيائه» انتهى المراد.

وقوله: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ جواب القسم.

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّلَاتِلِيَّاتِ ذِكْرًا﴾ هذه أوائل السور بعضها يكون تفسيرها مشكلاً، لأنها تأتي بشكل الإبهام الذي هو لتعظيم الأمر مثل هذه ومثل: (المرسلات) و(النازعات) ونحوها والعرب يستعملون هذا الإبهام لتعظيم المقسم به فقال: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ وهي هنا الملائكة على ما فسرهما به الإمام الهادي، وقال الله: ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾.

﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ ذكر الله تتلوه على الأنبياء حين تبلغه يمكن أن يكون أخص، أو حين تتلو الذكر أعم حين تتلوه في السماء، وذكره يكون بمعنى القرآن، ويكون بمعنى الكتب كلها المنزلة ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ قسم يمين من الله أن الإله واحد، وهذا يرد على النصارى لأنهم جعلوا الإله ثلاثة فرد عليهم أنه واحد.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ كذلك هو الذي خلق السموات وخلق الأرض وجعل المشارق لا يقاس به أحد من عباده ويجعلون أندادا له لأن هذا خطأ كبير في جعل أنداد لا تقدر على شيء ويجعلونها آلهة، وهو الذي خلق السموات على عظمها وكبرها وبُعدها، وكذلك الأرض وخلق ما بينهما النجوم والشمس والقمر..

الشمس والقمر تأتي في أوقات محدودة وأماكن محدودة ونسبها محدودة من الأرض حتى جاءت المشارق تبعاً لذلك ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ المشارق هذه آية عظيمة لأن الشمس تشرق في الصيف من أماكن والشتاء من أماكن. ولها حدود محدودة لا تختلف على ما قدر لها الباري سبحانه وتعالى لأنها تأتي في ثمان وعشرين منزلة كل ثلاثة عشر يوماً في منزلة، كل يوم درجة من المنزلة لا تختلف، تشرق منها، فكانت المشارق هذه آية عظيمة، وكذلك مواقعها وهذا من دلائل قدرته، ودلائل إلهيته يعني هو الرب سبحانه.

فيذا كان هو الرب فهو الإله لأن الإلهية معناها أننا عباد له، نعبده اعترافاً بأننا عباده، نخضع له اعترافاً بأننا عباد له مملوكون له، فكانت العبادة مترتبة على الربوبية، والربوبية سببها أنه الذي خلقنا ورزقنا فهو المالك لنا.

زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾
لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَهُمْ
عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَن حَظِيَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

﴿٦﴾ إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ السماء الدنيا هي أدنى
السموات إلى الأرض بمعنى: أقربهن إلى الأرض ﴿بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ لأنها
تنير في أقطار السماء.

﴿٧﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ وجعلنا الكواكب حفظاً من كل
شيطان مارد لأنه إذا حاول استراق السمع من السماء يرمى بشهاب من
الكواكب، وشيطان مارد مَرَدٌ على الشر ألفه واعتاده.

﴿٨﴾ لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ بسبب هذا
الحفظ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ﴾ وهم الملائكة ﴿وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ
جَانِبٍ﴾ يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء، فكلما حاولوا
استراق السمع رمتهم الملائكة بالشهب.

﴿٩﴾ دُحُورًا ۖ وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ ويقذفون من كل جانب دحوراً أي
طرداً لهم عن استراق السمع، والدحور: الدفع بعنف ﴿وَهُمْ عَذَابٌ
وَاصِبٌ﴾ أي وللشياطين عذاب السعير وواصب أي دائم.

﴿١٠﴾ إِلَّا مَن حَظِيَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ استثناء من قوله
تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ﴾ يبين أنهم لا ينالون مما يحاولون إلا
الشيء القليل النادر من كلام الملائكة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ رمي به،
ثاقب الثقب: الخرق يثقب الظلام بنوره أو يثقب الشيطان بناره.

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنَّا خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾
 بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً
 يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
 وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ

﴿١١﴾ فَاسْتَفْتَيْهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنَّا خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ
 أي فاسألهم أهم أشد خلقا قال الشرفي في (المصابيح): «قال الهادي عليه السلام:
 معنى ﴿أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ يقول من الملائكة والجن وغير ذلك ممن خلقناهم
 أشد خلقا وأعظم أمرا وأبين في القدرة من خلق الإنسان ثم أخبر سبحانه
 بالذي خلق منه الإنسان من هذا الطين اللازب فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ
 لَّازِبٍ﴾ واللازب فهو الطين العلك الشديد الالتصق» انتهى المراد.

﴿١٢﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ بَلْ عَجِبْتَ يَا
 رسول الله من تمردهم وعنادهم وتكذيبهم بآيات الله مع وضوحها
 ويسخرون يستهزؤون بالمؤمنين ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ بالإنذار بالآخرة ﴿لَا
 يَذْكُرُونَ﴾ لأن قلوبهم قاسية، وآذانهم غير صاغية.

﴿١٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٥﴾ يطلب بعضهم من بعض السخرية
 والاستهزاء بالآيات.

﴿١٦﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ أي ما هذا أي القرآن إلا سحر
 مبين بين في زعمهم أنه سحر.

﴿١٨﴾ أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٩﴾
 إنكار على رسول الله ﷺ حين أنذرهم بالوحي إنهم لمبعوثون أنكروا هذا
 القول توصلاً إلى تكذيبه في الرسالة جملة، وليس في هذا القول فحسب،

﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءَ تَكْذِبُونَ ﴿٢١﴾ * أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ﴿٢٥﴾

فقالوا هذا القول: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ لأنه إذا طالت المدة على الميت بين التراب استحال بعض عظامهم إلى تراب فعندهم أن هذا بعيد، وفي الحقيقة أنهم خلقوا من التراب ﴿أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ وهذا إنكار منهم ﴿أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ يعني إما نحن أو آبائنا فقولهم: إن الرسول ﷺ يقول تارة أنهم يبعثون، وتارة أخرى آبائهم يبعثون، وهذا من التكذيب الذي يضللون به.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ قل يا رسول الله نعم أي نعم أنتم تبعثون أنتم وآبائكم ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون أذلاء راغمون.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الزجرة: الصيحة، واحدة مثل: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣] ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ قد خرجوا من قبورهم أحياء.

﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ وهنا دلالة على أنهم قد صاروا إلى الويل وإلى الهلاك والعذاب الشديد ﴿هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾ أي يوم الجزاء وقد قدموا لأنفسهم السيئات وهذا يوم الجزاء يجزون بما قد أساءوا.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءَ تَكْذِبُونَ﴾ أي يقال لهم هذا يوم الفصل، الفصل بين العباد ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءَ تَكْذِبُونَ﴾ أي في الدنيا.

﴿* أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ احشروا يؤمر الملائكة بحشرهم إلى صراط

بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٢﴾
 قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٣﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾

البحيم أي طريقها، والذين ظلموا هم المجرمون وأزواجهم نساؤهم اللاتي على طريقتهن ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ أصنامهم يعذبون بها؛ لأنها تنقلب جراً كما قال تعالى: ﴿وَقَوَّعْنَا النَّاسَ وَالْحِجَارَةَ﴾ [البقرة: ٢٤] ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي سقوهم في الصراط المؤدي إلى الجحيم.

﴿وَقَفَّوهُمْ﴾ أي سألوهم عن ديارهم ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ وقفوههم عند وصولهم إلى جهنم والله أعلم، وهذا السؤال مفسر بقوله تعالى:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ وهذا سؤال تبكيت وبيان أنهم لم ينفع بعضهم بعضاً ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ وهو إضراب عن السؤال إلى الإخبار بأنهم مستسلمون ذلة وخضوعاً.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ لأنهم قد أيقنوا بالعذاب فالتبعون يتبرؤون من التابعين لئلا يحملوهم بعض عذابهم، والتابعون يريدون أن يحملوهم بعض العذاب.

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ قال الشريفي في (المصابيح): «عن الهادي عليه السلام: ومعنى ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ أي تأتوننا عن الأمر اليمون المبارك الذي فيه لو اتبعناه اليمن والنجاة كنتم تأتوننا دونه أي تغووننا في تركه فهذا معنى إتيانهم عنه أي دونه يصرفونهم منه وينأون بهم عنه» انتهى المراد. ومعنى هذا: أنهم يمحرون بهم بالتغريب عليهم.

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لأنكم لو كنتم مؤمنين لما اتبعتمونا ولا قبلتم منا.

وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٢١٩﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٢٢٠﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٢٢١﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٢٢﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٢٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَيَقُولُونَ أَيُّنَا لَتَارِكُوا إِلَٰهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٢٢٥﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢٦﴾ إِنَّكُمْ لَذَٰبِقُونَ

﴿٢١٩﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ أي ما كان لنا في غوايتكم من سلطان أي لم نغوكم بالقهر والغلبة بل كنتم قوما طاغين، يريدون أنهم طاغون من أنفسهم.

﴿٢٢٠﴾ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَٰبِقُونَ﴾ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ وجب علينا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَٰبِقُونَ﴾ كلنا الطرفان التابع والمتبوع فأغويناكم لأنكم اتبعتمونا فغويتم كما غوينا، كما قال في (سورة القصص): ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ [القصص: ٦٣].

﴿٢٢٢﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ الطرفان ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم يدخلون جهنم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ فلم ينج التابعون.

﴿٢٢٣﴾ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ كذلك يجازيهم ربهم ذلك الجزاء.

﴿٢٢٤﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي يأنفون من التوحيد لشدة حبهم لأصنامهم.

﴿٢٢٥﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هذا من أسباب عذابهم ﴿أَيُّنَا لَتَارِكُوا إِلَٰهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ بمعنى: كيف نترك آلهتنا لأجل النبي ﷺ ويسمونه شاعراً، يريدون أن القرآن ليس إلا شعراً، وهذه دعوى فقط، وتارة يقولون: مجنون،

الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٣١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٣٢﴾ فِي

لا يوجد توافق بين الجنون والقرآن المحكم الذي عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، فهذا من أسباب عذابهم، حين سموا النبي ﷺ شاعراً، وحين سموه مجنوناً، وهو ما جاء إلا بالحق، ورد الله عليهم:

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جاء بالحق المطابق لما جاء به المرسلون من قبله.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ يقول هذا للمشركين أنهم لا بد أن يذوقوا العذاب الأليم، عقوبة الشرك، عقوبة الجرائم الكبيرة، الكفر بالرسول، الكفر بالقرآن، الكفر باليوم الآخر، الكفر بلقاء الله، كلها أسباب لعذابهم -نعوذ بالله-

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا العذاب الذي لا بد منه ليس إلا بسبب أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فليسوا بمعذبين لأن الله نجاهم؛ لأنهم مخلصون، ما عملوا الجرائم التي توجب العذاب.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿أُولَئِكَ﴾ عباد الله المخلصين، حين يقول: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي أهل هذه الصفة المخلصين لأنهم طاهرون من الجرائم ﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ في الآخرة، في الجنة رزق معلوم، كأنه بمعنى: شيء مقسوم محدود معلوم لهم في الجنة يكونون عالمين به وعارفين له.

جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١١﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿١٠﴾ بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٩﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴿٨﴾ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٧﴾

﴿فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ الفواكه هذه رزق عظيم، فواكه الجنة لا يقارن بها فواكه الدنيا، فالفارق كبير جداً فواكه الدنيا تعجب الإنسان بالأخص إذا كانت قد أينعت وهي - أيضاً - متفاضلة بعضها أفضل من بعض، فكيف بفواكه الجنة التي أعدها الله ليلتذ بها أولياؤه فتلك نعمة كبيرة لأهل الجنة ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ لهم كرامة تشريف وتعظيم مقابل طاعتهم لله.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ كأن الغرف لها أبواب كبيرة واسعة يرى الواحد صاحبه في غرفته كل واحد في غرفة على سرير، ويرى صاحبه على سرير في غرفته متقابلين حتى يفرح الواحد بمكان صاحبه، لما يراه فيه من النعيم العظيم.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ لهم خدم يخدمونهم يقربون لهم كل شيء يطوف عليهم هؤلاء الخدم ﴿بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ هذه الكأس خمر ﴿مِّنْ مَّعِينٍ﴾ ليست صنعة يد، ولا تخمير بل عين تنبع في الجنة، عين تجري.

﴿بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ ﴿بَيَّضَاءَ﴾ في لونها ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ ما فيها ما يكره بل يتلذذ بشربها كأنها إشارة إلى أنها نزيهة من معائب خمر الدنيا، ولا فيها ضرر.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما فيها غائلة مهلكة أو ضارة مثل خمر الدنيا قد تسبب لمرض مهلك حين تقطع الكبد ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ ما تأتي بنزيف إما دم أو غيره، بمعنى: منزّهة من عيوب خمر الدنيا.

وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ

﴿٤٨﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ هذه الحور ﴿قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ﴾ لا تنظر إلا إلى زوجها تحبه وترغب فيه، لا تنظر إلى غيره، ﴿عَيْنٌ﴾ جمع عيناء، والعيناء: واسعة العينين، وذلك من محاسن النساء.

﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ ﴿٤٩﴾ في بياض أجسادهن ﴿مَّكْنُونٌ﴾ مصون ليس عليه غبار ولا غيره يغطي بياضه.

﴿٥٠﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ عندما استقر أهل الجنة في سعادتهم وراحتهم وسرورهم أقبلوا يسأل بعضهم بعضاً، وقد فسر في (سورة الطور) سبب فوزهم بالجنة في قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [آية: ٢٥٠] إلى قوله: ﴿.. إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾ [آية: ٢٨].

﴿٥١﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يعني في الدنيا كان معي قرين صاحب يقول:

﴿٥٢﴾ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ هل صدقت أنا سنبعث بعد الموت.

﴿٥٣﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ أيجازينا ربنا ونحن قد صرنا تراباً وعظاماً؟ مدينون من الدين، بمعنى الجزاء على الأعمال.

﴿٥٤﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ عرض على أصحابه في الجنة أن يطلعوا معه لينظروا مصير ذلك القرين السيء.

كِدْتَ لَتْرِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَمِيَّاتٍ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا آلَؤُلَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ

﴿٥٥﴾ فَأَطْلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ رأى صاحبه الذي كان يقول: أءنك لمن المصدقين وإذا به في المكان المستوي من الجحيم.

﴿٥٦﴾ قَالَ تَاللَّهِ ﴿٥٧﴾ هَذَا يمين فيها تعجب ﴿٥٨﴾ إِنَّ كِدْتَ لَتْرِدِينَ ﴿٥٩﴾ قد كنت أوشكت على غوايتي في الدنيا يوم كنت تقول لي: ﴿٦٠﴾ أَأَنتُكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٦١﴾ كِدْتَ لَتْرِدِينَ ﴿٦٢﴾ أي لترديني وتهلكني معك.

﴿٥٧﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي ﴿٥٨﴾ لأنه هداني وثبتني ﴿٥٩﴾ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٠﴾ معك في جهنم ويستمر في خطابه يقول له:

﴿٥٨﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَمِيَّاتٍ ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا آلَؤُلَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٦٠﴾ يعني هل اتضح لك الآن بطلان هذا الكلام وأنه ليس بصحيح، الآن تكشف الحقائق.

﴿٦٠﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ النجاة من النار، والمصير إلى الجنة النعيم.

﴿٦١﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٢﴾ لمثل هذه السعادة التي صار فيها أهل الجنة والتي وصفها بهذه الصفة هي التي تستحق أن يعمل لها الإنسان ويتعب وينشط ويمجد ويجتهد للوصول إليها لأنها هي التي تستحق التعب والعناء.

﴿٦٢﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا ﴿٦٣﴾ النزول هو ما يقدم للضيف عند وصوله من الأكل والشراب ونحوه ﴿٦٤﴾ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٥﴾ نعوذ بالله هي طعام أهل النار.

﴿الْجَحِيمِ﴾ ١٤ ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ١٥ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا كِلُونَ مِنْهَا فَمَا لَكُمُ مِنْهَا الْبُطُونُ﴾ ١٦ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ١٧ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ ١٨ ﴿إِنَّهُمْ أَلَفُوا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ ١٩ ﴿فَهُمْ عَلَى

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ عذاباً للظالمين (الفتنة) هنا العذاب قال: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾.

﴿١٤﴾ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ بقدره الله سبحانه القادر على كل شيء أنبتها في أصل الجحيم بين الجمر والنار المتوقدة جعلها تنبت. ﴿١٥﴾ ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ طلعها ثمرها قبيح في شكله مثل رؤوس الشياطين التي يتصورها الإنسان غاية في القبح وسوء المنظر مثل قول امرئ القيس يصف سهامه:

أيقطني والمشرقي مضاجعي
ومسونة زرق كأنياب أغوال

﴿١٦﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أهل النار ﴿لَا كِلُونَ مِنْهَا﴾ من هذه الشجرة شجرة الزقوم ﴿فَمَا لَكُمُ مِنْهَا الْبُطُونُ﴾ نعوذ بالله يعتقد أنه إذا ذاقها مرة فلن يعود إليها مرة أخرى لشدة مرارتها لكن لا.. لا بد أن يأكل ويأكل حتى يملأ بطنه وهي تغلي في بطنه كما يغلي الماء الساخن.

﴿١٧﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ يشرب على الزقوم جرعات من الحميم تنزل الزقوم، والشوب خلط يمازج ويخالط الزقوم مع الحميم في البطن كما يشرب الإنسان الماء على الخبز، والحميم يقطع الأمعاء نعوذ بالله.

﴿١٨﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ يرجعون حينما يفرغون من ذلك الطعام الأليم يعودون إلى العذاب ليس المعنى انتقالاً من مكان لآخر بل هو انتقال من حالة إلى حالة.

ءَاثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٩﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعِمَ الْمُجِيبُونَ ﴿١٢﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿١٤﴾ وَتَرَكْنَا

﴿١٥﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ فِي الدُّنْيَا.

﴿١٧﴾ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿١٨﴾ يهرعون: يسرعون في اتباعهم من غير أن يعرفوا أهم على حق أم على غير حق لم يبالوا باتباعهم الباطل، فأشركوا ووقعوا في الجرائم العظمى التي استحقوا بها العذاب.

﴿١٩﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠﴾ على هذه الطريقة قبل هؤلاء الضالين ضل قبلهم أكثر الأولين.

﴿٢١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٢﴾ أرسل الله رسلا يندرونهم، فليس لهم يوم القيامة حجة يقولون أنه ما نبههم ولا حذرهم فقد حذر وأنذر.

﴿٢٣﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٢٤﴾ عاقبة شديدة لأنه قد أنذرهم سبحانه وقطع حجتهم فصاروا في جهنم.

﴿٢٥﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٦﴾ أما هم فقد نجوا من العذاب، وصاروا في سعادة دائمة لأنهم أخلصوا لله دينهم وعبدوه ولم يشركوا به.

﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعِمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٢٨﴾ حين نادى ربه قال: ﴿أُنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ [النمر: ١٠] دعا الله بعد مدة طويلة بقي فيها ينذر قومه يحذرهم ويمجاهم ويتوسل بكل الوسائل لهدايتهم فلم ينفع معهم كل ذلك ولم يستجيب له إلا قليل ثم دعا الله أني مغلوب فانتصر.

﴿٢٩﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾ لأنه كرب عظيم حين نزل الغضب - نعوذ بالله من غضبه - أمطرت السماء بماء منهمر من فوقهم وتفجرت الأرض عيوناً من تحتهم فالتقى الماء وغرقوا.

عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ

﴿٧٧﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ ذُرِّيَّةَ نُوحٍ ﴿هُمُ الْبَاقِينَ﴾ من بني آدم، كما قال في آية أخرى: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] قالوا: إنهم ستة أنفار آمنوا معه ثلاثة من أولاده، وثلاثة من غيرهم.

﴿٧٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ تركنا على نوح هذه الكلمة في الآخرين كرامة له وهي: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ يسلم عليه كل العالمين.

﴿٨٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨١﴾ جزاء عاجل في الدنيا وجزاء آجل في الآخرة، وتمثل إحسانه في طاعة الله وإحسانه في دعوته لقومه عندما بقي ينذرهم ويخوفهم، وصبر عليهم صبرا جميلاً، وهذا إحسان كبير لو ساعدوه وسوف يظهر لهم في الآخرة أنه كان محسناً إليهم عندما كان يدعوهم إلى الله ولم يطيعوه.

﴿٨٢﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٣﴾ هذا السبب الأول الذي به استحق الجزاء وهو أساس الخير كله: الإيمان.

﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٥﴾ قومه الذين لم يكونوا معه في (السفينة).

﴿٨٦﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٧﴾ إبراهيم الخليل من شيعه نوح، لأن دعوتهم واحدة ودينهم واحد، وإن لم يلتقوا لأنه تأخر إبراهيم عن زمن نوح وسمي (شيعه) لأنه سائر على خطه وداعي إلى دعوته.

لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَكَآءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا

﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٧﴾ اذكر إذ جاء، كأنه حين هاجر، أو حين توفي - والله أعلم - وكلمة ﴿سَلِيمٍ﴾ تعني: أنه طاهر سليم من كل عيب.

﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ما الذي تعبدونه يسألهم سؤال المنكر لأنهم يعلمون أن معبوداتهم لا تنفع ولا تضر وأنها ليست بشيء.

﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ أَيْفَكَآءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٩٢﴾ إِنْكَآءَ: يعني قلباً للحقائق، قلباً لها من الحق إلى الباطل.

﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٥﴾ لأن رب العالمين كاف لعباده ولا يحتاجون لغيره ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] فما ظنهم به حين اتخذوا غيره لماذا؟!

﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٩٨﴾ كأنه احتال عليهم لكي لا يذهب معهم للمشاركة في المناسبة التي قيل أنها ما يشبه العيد أو نحوه كانوا منطلقين لإحيائها، فأوهمهم أنه مريض حينما نظر إلى النجوم كما يعمل المنجم ليعرف حالته فتمظهر بأن قد عرف حالته.

﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿١٠١﴾ كان التنجيم كان رائجاً في ذلك الزمان بكثرة، ويمكن أنه كان يعاني من مرض ما، أو أن المرض كناية عما يعايناه في قلبه من الأسى والغىظ على الأصنام وعبادتهم لها.

﴿١٠٢﴾ ﴿١٠٣﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿١٠٤﴾ تركوه وذهبوا، وهنا لاحت له الفرصة لتنفيذ خطته.

تَنْطِقُونَ ﴿٢٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٢٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونِ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٢٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٢٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٨﴾

﴿٢٢﴾ فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾ راغ: تسلل إلى بيت الأصنام بطريقة خفية وكأنهم كانوا قد حضروا لها طعاماً مع علمهم أنها لا تأكل إنما تغفل وعدم تعقل.

﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ اشتد غضبه عليهم حين كانوا يعبدونهم من دون الله.

﴿٢٦﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ راغ بطريقة خفية يكسرهم بقوة يمينه.

﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٢٩﴾ يزفون مسرعين من شدة غضبهم واقتدارهم عليه؛ لأنه ليس إلا فرداً واحداً ولكن كان - بتوفيق الله وعونه - قوياً ومقدماً لم يابه لكثرتهم ولم يبال بهم.

﴿٣٠﴾ قَالَ أَعْبُدُونِ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٣١﴾ ينكر عليهم لأنهم الذين صنعوها بأيديهم أصناماً ثم يعبدونها هذا تغفل عجيب، يجعلونها آلهتهم المألوفة لهم أو لبعضهم.

﴿٣٢﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ الله خلقكم وخلق هذه الأحجار أو نحوها التي تعملونها هو الذي خلقها فكيف تعبدونها.

﴿٣٤﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٣٥﴾ رأوا أن يبنوا بنياناً ويمثلوه ناراً ويلقوه فيها بصورة جماعية ليشارك كل منهم في نصرة آلهتهم.

﴿٣٦﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٣٧﴾ ربما أن كيدهم هذا يتمثل في محاولتهم إحراقه بالنار التي كان في دعوته لهم يحذرهم منها ويدعوهم لما ينجيهم منها، وغاية قصدهم أن يفتنوه عن دينه، أو أنه تدبيرهم لقتله وإهلاكه بالنار وهو أشد قتلة وأعظم نكاية، فأنجاه الله منها.

﴿١٠﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدَيْنِ ﴿١١﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْنُحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٤﴾ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٦﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ

﴿١٠﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدَيْنِ ﴿١١﴾ مهاجر إلى الله من بينهم لأنه قد بذل جهده وهم قد تبين منهم أنهم قد بلغوا الغاية في الكفر، وأنهم لن يؤمنوا، يعني أنه قد يشس من هدايتهم وقد وجب عليه هجرتهم.

﴿١٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣﴾ دعا الله أن يرزقه ولدا لأنه كان قد طعن في السن ولما يولد له ولد.

﴿١٤﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٥﴾ إسماعيل صلوات الله عليه. ركز على صفة الحلم كأنها كانت صفة بارزة فيه مثل أبيه فأشبه والده في حلمه.

﴿١٦﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴿١٧﴾ بلغ درجة الاستطاعة على السعي ﴿١٨﴾ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْنُحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٩﴾ رأى نفسه في المنام وهو يذبحه، فاعتقد أنه سيؤمر من الله تعالى بالذبح، ويمكن أنه ليس مقصوده ﴿٢٠﴾ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْنُحُكَ ﴿٢١﴾ إلا بعد أن تصدق الرؤيا، فكان الرؤيا ليست إلا دليلاً على أن الله سيأمره بذبحه، ولكنه لا بد من أمر من الله آخر غير الرؤيا يصدقها.

ولهذا لم ينطلق إلا من بعد ما أمره بتصدق الرؤيا، الأمر بتصدقها فقط وليس بالذبح، ولهذا قال ابنه: ﴿٢٢﴾ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ﴿٢٣﴾ ولم يقل: (افعل ما رأيت في المنام) فكان تصديقها بتلك الهيئة أنه يضجعه، ويضع السكين في يده على هيئة من يريد الذبح فعلاً.

يَتَابِرَاهِيمُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتَأُ الْمُؤْمِنُ ﴿١٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّهُ

﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ هذا هو الإسلام الصحيح التسليم لأمر الله الذي تجلّى في أبهى صورته أب لا يتردد في ذبح فلذة كبده ويديه هو، وولد يضطجع للذبح قائلاً: افعل ما تؤمر، وكل ذلك فعلوه استسلاماً لأمر الله وانقياداً له.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ الولد والأب سلماً لأمر الله وأخلصاً وانقياداً له ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أضجعه للجبين طرف الجبهة.

﴿وَنَدَيْنَهُ أَن يَتَابِرَاهِيمُ﴾ بعد ما أضجعه للجبين ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا﴾ ليس مأموراً إلا بتصديق الرؤيا، قد أتيت بما أمرت به ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ رفع عنه ذلك الابتلاء وخفف عنه، وذلك التخفيف جزاء لامثاله للأمر، والتصميم على ذبح ولده دون توان.

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتَأُ الْمُؤْمِنُ﴾ الاختبار العظيم الذي بين وكشف حقيقة ما لدى إبراهيم الخليل وابنه من التسليم المطلق لله سبحانه.

﴿وَفَدَيْنَهُ﴾ فدينا إسماعيل ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ كبش للذبح سمين وكبير.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ الناس الآخرين.

﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ يسلمون عليه.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ هذا من الجزاء وهو ثواب عاجل مع

الثواب الآجل.

﴿١١٢﴾ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ وَكُشِّرْنَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَبَرَكَتْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٦﴾ وَخَچَيْنَهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِّنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٧﴾ وَنَصَرْنَهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٨﴾ وَءَاتَيْنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَتِينَ ﴿١١٩﴾ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا

﴿١١١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ إِنَّهُ الْإِيمَانُ أَساس الْخَيْر كُلِّهِ.

﴿١١٣﴾ وَكُشِّرْنَهُ ﴿١١٤﴾ بَعْدَ هَذِهِ الْبَلَايِ ﴿١١٥﴾ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِسْمَاعِيلَ أَكْبَرُ فِي السَّنِّ مِنْ إِسْحَاقَ.

﴿١١٧﴾ وَبَرَكَتْنَا عَلَيْهِ ﴿١١٨﴾ عَلَى إِبْرَاهِيمَ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٩﴾ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا ﴿١٢٠﴾ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِسْحَاقَ ﴿١٢١﴾ مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٢٢﴾ إِنَّهُ شَرَفَ عَظِيمِ الْإِنْتِسَابِ إِلَى إِسْحَاقَ وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَمَعَ هَذَا مِنْهُمْ مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعَهُ مَجْرَدُ نَسَبِهِ.

﴿١٢٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٤﴾ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ إِنْزَالُ التَّوْرَةِ عَلَيْهِمَا وَنَصَرُهُمَا عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

﴿١٢٥﴾ وَخَچَيْنَهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِّنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٦﴾ مِنْ غَمِّ فِرْعَوْنَ وَظُلْمِهِ، وَقَوْمِهِمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ.

﴿١٢٧﴾ وَنَصَرْنَهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٢٨﴾ النَّصْرُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِأَنَّ نَجَاهَهُمْ وَأَهْلَكَ آلَ فِرْعَوْنَ.

﴿١٢٩﴾ وَءَاتَيْنَهُمَا ﴿١٣٠﴾ أَيُّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٣١﴾ الْكِتَابَ الْمُسْتَتِينَ ﴿١٣٢﴾ التَّوْرَةَ الْبَيِّنَةَ الْوَاضِحَةَ.

فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٦﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٧﴾ إِنَّا كَذَّبْنَاكَ
نَجْزَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٨﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ
لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٠﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢١﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا
وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٢﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٤﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٥﴾ وَتَرَكْنَا

﴿١١٦﴾ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ فَضِيلَةٍ لِمُوسَىٰ
وَهَارُونَ وَهَذَا يَرُدُّ عَلَى (السَّامِرِيَّةِ) الَّذِينَ انْضَمُّوا إِلَى السَّامِرِيِّ وَتَرَكُوا هَارُونَ.
﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا ﴿١١٩﴾ عَلَى مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ فِي النَّاسِ
الْآخِرِينَ يَسْلُمُونَ عَلَيْهِمَا.

﴿١٢٠﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢١﴾ إِنَّا كَذَّبْنَاكَ نَجْزَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾
ثَوَابِ الدُّنْيَا مَعَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ.

﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ وَأَسَاسُ الْخَيْرِ كُلِّهِ الْإِيمَانُ.
﴿١٢٥﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ أَرْسَلَهُ
اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ.

﴿١٢٧﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٨﴾ يَخَافُهُمْ مِنَ اللَّهِ كَيْفَ لَا يَتَّقُونَ عَذَابَهُ.
﴿١٢٩﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٣٠﴾ كَيْفَ تَدْعُونَ صُنْمَكُمْ
هَذَا الَّذِي يُسَمَّى بَعْلًا، وَتَتْرَكُونَ اللَّهَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ.

﴿١٣١﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٢﴾ أَعْبُدُوهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَرَزَقَكُمْ، هُوَ الْمَالِكُ لَكُمْ أَمَّا بَعْلٌ فَلَا يَمْلِكُ فِيكُمْ شَيْئًا.

﴿١٣٣﴾ فَكَذَّبُوهُ ﴿١٣٤﴾ لِمَاذَا وَكَيْفَ يَكْذِبُونَهُ؟ وَهُوَ إِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُمْ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَأَنْ صُنْمَهُمْ هَذَا لَا يَعْمَلُ لَهُمْ
شَيْئًا!! ﴿فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٦٦﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّايَاسِينَ ﴿١٦٧﴾ إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٨﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٩﴾ وَإِنْ لَوْطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ
 ﴿١٧٠﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧١﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا
 الْآخِرِينَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٧٤﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴿١٦٨﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَا نَجَاةَ مِنْ
 عَذَابِهِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ.

﴿١٦٦-١٦٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّايَاسِينَ ﴿١٦٧﴾ فعلى قراءة نافع
 ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ يمكن أن إلياس من آل ياسين وعلى قراءة حفص كأنه جمع
 إلياس والمعنى تركنا عليه أي على إلياس والمؤمنين به: سلام على آل ياسين.
 ﴿١٦٨﴾ إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٩﴾ جزاء الخير بالخير الثواب
 بالحسنات لفعل الخير وهذه من حكمة الله وعدله أنه يجزيهم، ولهذا أنه
 جعل الآخرة دار الجزاء ليكافئ المحسنين.

﴿١٧٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ولذلك استحق في الآخرة الثواب
 والذكر الحسن في الدنيا.

﴿١٧٢-١٧٣﴾ وَإِنْ لَوْطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٣﴾ إِلَّا عَجُوزًا
 فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧٤﴾ اذكر إذ نجيناه هذه عبرة لأنه أهلك قومه ويسر له الخروج من
 بينهم في وقت السحر لينجو هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع القوم.

﴿١٧٥-١٧٦﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ * وَإِنَّا لَمَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٧٦﴾ في أسفاركم
 لأنهم حين يسافرون إلى الشام يمرون بقرية قوم لوط ويرون آثارهم، آثار
 القرية. وهذا خطاب لقريش وعبرة لهم يعتبرون بهم حين كذبوا رسوله.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٧﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٣٨﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٠﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤١﴾ *

﴿وَبِالْأَيْلٍ﴾ ﴿١٣٦﴾ تمرّون عليهم أي أنكم تمرّون عليهم ليلاً ونهاراً فلم لا تعتبرون بمصيرهم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ حتى تعتبروا بهم وتحذروا أن يحل بكم مثل ما حل بهم.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ كذلك أرسله الله إلى قومه.

﴿إِذْ أَبَقَ﴾ ﴿١٣٦﴾ اذكر ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ﴾ كأنه مشبه بالعبد الأبق على سيده في هذه الحالة لأنه استعجل بمهاجرة قومه قبل الإذن له من الله وذلك أن قومه عصوه ورفضوا دعوته فغضب وتركهم وذهب، وهو يرى أنه قد قام بالواجب فأبق إلى الفلك السفينة المشحون: الممتلئة بالركاب، ولزيادة الشحن فوق طاقتها كان لا بد من تخفيف حمولتها وليس من خيار إلا التضحية بعدد من الركاب لسلامة الباقيين.

﴿فَسَاهَمَ﴾ ﴿١٣٧﴾ اتخذوا القرعة لتحديد من يضحي بروحه ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ من جملة الذين أدرّسواهم، كأنهم كانوا يخرجونهم عن طريقة الزلق يدفعونه إلى البحر.

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿١٣٩﴾ مستحق للوم لأنه لما يتب من خطيئته المتمثلة في خروجه من بين قومه وتركهم من غير إذن من الله.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ حين قال - وهو في بطن الحوت -: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿١٤٦﴾ فَتَبَذْنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾
 وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

﴿١٤٦﴾ ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ إلى يوم القيامة وما أعظم رحمة الله ورعايته حيث كان من المعلوم أنه يموت فور وصوله إلى بطن الحوت، إلا أنها حصلت له رعاية من الله لأجل أن لا يهلك، ولكي يستطيع أن يدعو الله ويسبح ويتوب من ذنبه ثم أتم عليه النعمة إذ أخرجه من بطن الحوت وهنا إشكال عند النظر إلى قوله: ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وفي آية في (سورة ن): ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَأْمُومٌ﴾ [آية: ٤٩] هذه قال: ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وتلك ﴿لنبد بالعراء﴾ ويمكن الجمع بينهما بأن نقول: لنبد بالعراء، بأن يخرج الحوت نفسه إلى العراء هو ويونس ويبقى هناك إلى يوم يبعثون.

﴿١٤٥﴾ ﴿فَتَبَذْنَهُ بِالْعَرَاءِ﴾ قذفه الحوت إلى العراء وكأنه شاطئ البحر حيث لا يوجد ظل ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ مريض ربما من آثار حرارة بطن الحوت وانعدام الأكسجين فيه.

﴿١٤٦﴾ ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ من الدباء، وهي القرع الذي يؤكل وليس النوع الآخر الذي يتخذ منه آنية. وفيها فائدتان: فائدة أن ورقها الكبار تمتد عليه وتظلل، وفائدة ثانية يأكل من ثمرها وهو في خاصيته بارد يسكن الحرارة وربما ذلك هو ما تتطلبه حالته بعد المكث داخل بطن الحوت.

﴿١٤٧﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ بعد أن تماثل للشفاء بلطف الله وعنايته أرسله الله إلى قومه والمقدر عددهم بـ ﴿مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ وهذه ﴿أَوْ﴾ لا تعني الجهل من الله تعالى أهم مائة ألف أم هم يزيدون على مائة ألف.

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَاتُّوْا بِكِتٰبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا ﴿١٥٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٩﴾ سُبْحٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ

على أساس أنها مدامت عبادة ولد هو ابن الله أو ابنته فلا مشكلة ولا حرج حينئذ، وهذا أقرب عندهم لتقبل الناس للفكرة، لقرب الولد من الوالد، ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ هذا سؤال، بمعنى الأصطفى أي هل اختار، حين جعلوا الملائكة بنات الله سبحانه.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي أنه حكم مقلوب.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ حين نذكركم فترجعون عن باطلكم.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ هذه ثالث حجة عليهم أنهم يتكلمون بغير سلطان ما معهم حجة من الله.

﴿فَاتُّوْا بِكِتٰبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ﴾ إذا كان معكم قرآن من الله أخبر فيه أن معه بنات على ما تدعون فهاتوه.

﴿وَجَعَلُوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ كذلك لأنهم جعلوا له من الجن أولاداً، ولعل ذلك اعتقاد طائفة من العرب، قال سبحانه: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبا: ٤١].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ هؤلاء الجن الذين عبدوهم وهم يعلمون أن لا بد من بعثتهم وإحضارهم يوم القيامة للجزاء وبهذا ينفي كونهم آلهة، وهذا يؤكد أن طائفة من المشركين كانوا يعبدون الجن حقيقة.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ١١١ ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ﴾ ١١٢ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ ١١٣ ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ١١٤ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ١١٥ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ١١٦ ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ ١١٧ ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنْ

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من أن له أولاداً وأنداداً بل هو منزّه عن هذا لأنه لا يشبه المخلوقين.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فهم لا يصفونه بهذه الأوصاف بل ينزهونه عن هذه الخرافات التي يقولها المشركون.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا خطاب للمشرّكين.

﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ﴾ يعني: أنكم لا تضلّون ولا تغفرون بأباطيلكم هذه أحداً.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ من هو أهل للضلال والانحراف عن طريق الحق من المعرضين عن دين الله أما المؤمنون فلن يقبلوا منكم هذه الخرافات.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا حكاية كلام الملائكة يصفون عبادتهم لله أي لكل منا وظيفة مخصوصة كذلك كل نوع أو كل فرد معه وظيفة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ نصف صفوفاً في عبادة الله.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ التسييح له شأن عظيم وهو من أفضل الذكر لله، ولهذا فالملائكة يلزمون التسييح، كما قال: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] وهذا يرد على المشركين الذين عبدوا الملائكة.

الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ

﴿١٧٥﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ۖ الْمَشْرُكُونَ كَانُوا قَبْلَ نَزُولِ الْقُرْآنِ يَقُولُونَ:

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۖ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾

وحين نزل ماذا حصل؟!

﴿فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ كفروا بالذكر القرآن فسوف يرون

نتائج كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾

إن الله ينصر رسله فهو سبحانه يبتليهم ويبتلي بهم وفي الأخير يكون النصر لهم، لكن بعضهم قد يتأخر النصر الميداني ليوم القيامة، قد يكون منتصراً بانتصار قضيته وانتشار المبادئ التي دعا إليها من خلال أنصاره حتى ولو كان هو قد استشهد فلا تنافي بين النصر والشهادة. وفي التاريخ نماذج كثيرة من هؤلاء الأنبياء المرسلين وغيرهم ممن نهج نهجهم من أئمة الهدى.

﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا﴾ وهم المجاهدون في سبيل الله ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الذين

قاموا لنصر دين الله هم جنده لا بد أن يغلبوا أعداء الله إذا جدوا وصبروا.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ رخص له في أن يخرج من مكة ويترك قريشا ويتولى

عنهم لأنه قد أبلغهم وأقام الحجة عليهم ولم يزدادوا إلا عنادا وتمرداً ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تول عنهم إلى حين ترجع مرة ثانية وتفتح مكة إن شاء الله في

المستقبل.

فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ أبصرهم حين تفارقهم وتهاجر عنهم، أبصر حالتهم التي سيصيرون إليها بعد هجرتك ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ يرون تلك الحالة المخالفة للحالة التي هم عليها الآن أي سوف ترى ما سيحل بهم وهذا تهديد مبطن.

﴿أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ هذا في إنكارهم للقيامة حين قالوا: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨] ليس عذاباً سهلاً قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَآتًا أَوْ نَهَارًا مَلَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٥٠] أي شيء يستعجلون منه لأنه ليس إلا شراً مستطيراً.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ عذابنا العاجل ﴿بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يعني ما أسوأه من صباح، ولأنه قد سبق الإنذار القاطع لليلة استحقوا صباحاً شديداً.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ حتى حين إن شاء الله تفتح مكة بعد الهجرة.

﴿وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ في المستقبل من غير تخصيص لحالتهم ما سيكون نتيجة هجرته؛ لأنه قال: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠] ستكون أحوالاً ثانية، أموراً جديدة، نصر وقوة للإسلام، فهي تأكيد وزيادة ليست تخصيصاً بما سيحل بهم ﴿وَأَبْصَرَ﴾ ما ستكون النتيجة حين تهاجر ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كذلك ما ستكون النتيجة.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ﴾ تنزيه لله سبحانه ﴿رَبِّ الْعِزَّة﴾ الذي له العزة العزيز حين جعلوا له بنات وبنين يعبدون من دونه شركاء كل هذا ينافي الاعتراف بعزة الله لأن عزته تقتضي أنه لا يرضى أن يُعبد إلا هو لأنه المالك والرازق لعبادتهم لغيره باطلة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الكلام في شركهم وخرافاتهم.

﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين قد بلغوا وأنذروا وجاهدوا وصبروا وأقاموا الحجة على أعداء الله.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما قد أنزل من الهدى وعلم الناس وأنزل من الكتب والرسل ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المالك لهم، فهو الذي يجعل لهم هداة ودعاة إلى الهدى وأعلاماً، وينزل الكتب والرسل، لأنه المالك لهم المتولي شؤونهم، لأنه لما كان ربهم فأمرهم إليه يقيم عليهم الحجة ويدعوهم إلى الطاعة ويدعوهم إلى التقوى.



التفسير في التفسير



سورة حم



سُورَةُ صَٰٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَوْلَا تَحِيُّنُ الْمَوْتِ لَوَقَفُوا صَعِيدَ الْجُبَّةِ ﴿٣﴾ تَتَجَافَىٰ لَّهُمْ السُّرُورُ ﴿٤﴾ وَأَعْيُنُهُمْ كَالْحِجَابِ ﴿٥﴾ يُدْخِلُهَا السُُّورَةُ فِي الْكُنُوزِ ﴿٦﴾ فَأَنذَرْتُهُمْ نَارَهُمَ الَّتِي هُمْ يُكْفَرُونَ ﴿٧﴾

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ قوله: ﴿صَّ﴾

هو من الحروف، وقد مر الكلام في حروف المعجم التي في أوائل السور.

﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ الأقرب: أنه قسم بالقرآن لأن له شأنًا عظيمًا يستحق أن يقسم به كما يقسم بآيات الله وهو من أعظم آيات الله وسيأتي جواب القسم إنا لنجازين أو لنعاقبن، أو أنه لا إله إلا الله، أو إنك لمن المرسلين المهم ما تستدعيه الظروف وتدل عليه، وكانت الظروف في النزاع بينه وبين الكفار على التوحيد وعلى البعث وعلى الرسالة، فالقسم يتوجه إلى ما فيه النزاع في ذلك الوقت.

وأقسم بالقرآن لأن القرآن هو معجزة الرسول ﷺ، الدال على أنه رسول من الله صادق، والدال على أن هذا القرآن من الله وحي صادق لا يتبدل، فالقسم به مناسب جداً من حيث دلالة على صدق الرسول في دعوته إلى التوحيد، وفي دلالة على صدق الرسول في إنذاره باليوم الآخر والعذاب لأعداء الله المشركين وغيرهم، فكأنه أقسم بالقرآن الدال على أنك رسول من الله صادق فيما تنذرهم به، وفيما تدعوهم إليه، إن هذا هو الحق، أنه لا شريك له، وأنه لا بد من البعث، ولهذا أضرب إلى قوله بعدها:

﴿٢﴾ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ فحين وصف القرآن بالذكر كأنه على طريقة المجاز جعل هو أي القرآن مذكراً يُذَكَّرُ ويَذَكَّرُ للسامعين ما يأتي في اليوم الآخر، ويعلم ويهدي، فكأنه متكلم كما نقول: نطق القرآن بكذا.

جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَجَرٌ كَذَابٌ ﴿١﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٢﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أضرب عن هذا القسم لماذا؟ لأنهم في عزة وشقاق لا ينفع فيهم شيء ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ فلم يعد ينفع فيهم القرآن ولا يؤثر لأنهم في عزة: كبر في نفوسهم، وشقاق لا يريدون الحق وهم في عناد. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هذا يرجع إلى التخويف لأنه الوسيلة المناسبة في التعامل مع المعرضين عن آيات الله أن يخوفوا بالإنذار لأمرين:

أولاً: إقامة الحجة عليهم بأن قد سبق الإنذار.

ثانياً: أن العاقل إذا سمع التخويف يؤثر فيه ويبعثه على النظر في الآيات حتى يعلم أنها صدق وحق ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ هذا تخويف بالعقوبة العاجلة بذكر من مضى ممن أهلكهم الله فنادوا عند نزول العذاب للفرار من العذاب نادوا ﴿وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ ليس الحين حين فرار من عذاب الله لأنه ما منه محيص، إذا نزل لا يدفعه دافع، ولا يمكن معه الفرار.

﴿وَعَجِبُوا﴾ يعني الكفار عجبوا ﴿أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وهذا عكس الصواب، لأن الصواب في المنذر أن يكون منهم؛ ليعرفوه ولا ينكروه ولا يستوحشوا لأنه لو جاءهم جني أو ملك لاستوحشوا منه.

﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَجَرٌ كَذَابٌ﴾ ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ هذا تفریع على إنكارهم للرسول الذي هو منهم، قالوا: ﴿هَذَا سَجَرٌ﴾ لأنه يجذب القلوب ويؤثر فيها بالآيات القرآنية التي تدل على الحق، والإنسان المنصف إذا سمع القرآن تأثر منه، وآمن.

وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ءَالَمِةٍ
 الْآخِرَةِ ۚ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا خَتِلَقُ ﴿٧﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ

فما رأوا ما يصفونه به إلا أنه سحر يأخذ القلوب بطريقة سحرية، لكن لا يصح أن يكون سحراً، لأنه لو أمكن أن يكون سحراً لاستخدموا السحر هم وسحروا الناس، ولتعاونوا مع السحرة وجمعوا قرأنا يسحر القلوب.

﴿٦﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٦﴾ ينكرون وهذا الإنكار عجيب؛ لأنه ليس بشرط أن تكون الآلهة متعددة وليس لذلك معنى من أساسه لأن الإلهية تتفرع على الربوبية والربوبية هي الملك، يعني كونه مالكا لنا وليس المالكون لنا متعددين، المالك لنا هو الله وحده الذي خلقنا ورزقنا، فالأصل في الملك أنه يكون للذي خلق وما من خالق إلا واحد.

﴿٧﴾ وَأَنْطَلَقَ أَلْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴿٧﴾ كبراًؤهم أهل الكبر والعناد ﴿٧﴾ أَنْ أَمْشُوا ﴿٧﴾ امشوا في عنادكم ومقاومتكم لهذه الرسالة ﴿٧﴾ وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ ﴿٧﴾ اثبتوا عليها لا تتأثروا بهذا القرآن ﴿٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٧﴾ الصبر على آلهتهم لشيء يراد أي من شأنه أن يراد ويطلب، وليس أمراً مما لا ينبغي أن يراد ولا أن يثبت عليه، حسب دعواهم.

﴿٧﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ءَالَمِةٍ الْآخِرَةِ ﴿٧﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴿٧﴾ الذي هو توحيد الله وعبادته وحده ما سمعناه ﴿٧﴾ فِي ءَالَمِةٍ الْآخِرَةِ ﴿٧﴾ ما سمعنا إلا الشرك، فهذا قول خارق لأقوال الناس التي نعهدا، فهو قول لم يقل به أحد في هذا الزمان، يريدون تشويبه بأنه قول لم يقل به أحد ﴿٧﴾ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا خَتِلَقُ ﴿٧﴾ اختلاق من القول أي كذب متعمد، ولكن هم الذين كذبوا وصدق الله ورسوله.

مِّن ذِكْرِي ۖ بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ
الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي
الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ

﴿٨﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ﴿٩﴾ همزة إنكار مقصودهم أنه لو كان شيئاً أنزله الله لكننا أحق لأننا كبار قريش وأشرافها أما محمد فليس إلا يتيماً فقيراً لا ينظر إليه لأنه كان الشرف عندهم بالقوة والمال لا بالكمال في الأخلاق والعقل والطهارة ومكارم الأخلاق ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ من ذكري، الذكر لله، لأنهم لا يريدون أن يذكروا الله وإنما يريدون ذكر أسماء أصنامهم ﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ فهم معاندون لا ينتهي عنادهم إلا حين يذوقون العذاب فهو الذي سينهي عنادهم.

﴿١٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ﴿١١﴾ حتى يقسموها هم ويكون الأمر بأيديهم ينزلوا الوحي على من أرادوا، لأن خزائن رحمة الله بأمره هو يجعلها حيث يشاء ﴿الْعَزِيزِ﴾ العزيز سبحانه ومن عزته أن يضع رسالته حيث يشاء هو وليس حيث يشاءون، وحيث يشاء هو: حيث تقتضيه الحكمة وليس على ما تهوى أنفسهم ﴿الْوَهَّابِ﴾ كثير المواهب لعباده فلا تختص هباته لناس دون ناس هو واسع الرحمة.

﴿١٢﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿١٣﴾ هؤلاء المعاندون حين يقولون: أنزل عليه الذكر من بيننا يعني هل يملكون حق التصرف في السموات والأرض حتى يكون لهم حق الاختيار لمن ينزل عليه الذكر؟ إذا ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ يطلعوا في أسباب السموات إذا كانوا هم الولاة وكان الملك - بضم الميم - والأمر لهم.

قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٤﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٥﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا

﴿١٢﴾ جُنْدٌ مَّا﴾ يعني: هم جند أي جند يعني ضعيف قليل، وهذا تحقير لهم وليس تعظيماً ﴿هَذَا لَكَ﴾ في مكة في بقعة حقير قليل في جزء من الأرض ﴿مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ سيهزمون يوم بدر وينتهي الكبر.

﴿١٣﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ سبقوهم في التكذيب وجروا على أنفسهم العذاب ﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾ هو فرعون وصف بذلك إما لأنه كان يعذب بالأوتاد يوئد المعذب بالوتد الحديد، أو أنها الجبال يشبه الأهرام بأنها جبال أوتاد.

﴿١٤﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ الذين أرسل إليهم شعيب ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ أهل الكثرة والقوة وعمروا الدنيا فأهلكهم الباري عندما كذبوا الرسل.

﴿١٥﴾ إِنَّ كُلَّ﴾ كل من الأمم هذه ﴿إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ حق عقابي عليهم استحقوه.

﴿١٦﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾ هؤلاء المكذبون، يحقرهم بقوله: هؤلاء الذين عندك يا رسول الله ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قد استحقوها لأنهم معاندون لا يجدي معهم شيء فليسوا منتظرين إلا عقوبة عاجلة ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ لا تهدأ ثم تعود مرة أخرى بل صيحة واحدة تقضي عليهم بسرعة.

﴿قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ١٦ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ هذا لا يصح أن يكون معناه: عجل لنا قسطنا يعني نصيبنا من العذاب لأنه ليس أمراً مرغوباً ولا مطلوباً حتى يطلب تعجيله، ولا هو من أساليب التكذيب، بل أسلوب التكذيب، مثل قولهم: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨] فكيف يدعون الله يعجل لهم قسطهم من العذاب هذه بعيدة أن يكون معناها التكذيب بالعذاب، فالأقرب أنهم يعنون أنهم سيدخلون الجنة إذا رجعوا إلى الله يوم القيامة، مثل قوله: ﴿وَلَيْتَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخُسَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وحين قال: ﴿وَلَيْتَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] فمقصودهم تكذيب الإنذار وأنهم لابد لهم في الآخرة من الجنة وأنهم يطلبونه أن يعجل لهم قسمهم من الجنة الآن قبل يوم الحساب، وبذلك الطلب يعبرون عن كونهم واثقين بذلك المصير وأنه ما تبقى إلا أن يعجله لهم.

﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من التكذيب والسخرية والاستهزاء والأذية ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ حينما صبر فهو قدوة في الصبر ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ ذا القوة في دينه ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجّاع إلى الله إذا زل فإنه يرجع.

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ كلما سبح داود سبحت الجبال معه ﴿بِالْعِشِيِّ﴾ وهو من الظهر إلى آخر اليوم ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ مع شروق الشمس، وتسبيح الجبال: هو ترديدها صوت النبي داود بالصدى، وكلام الإمام الهادي يحكي بأنه لم يخلق الصدى إلا في زمن داود عليه السلام، وإن الله جعله تكريماً له ثم أبقاها إلى اليوم ذكراً لما أكرم الله به نبيه داود عليه السلام.

﴿١٦﴾ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿١٧﴾ وَهَلْ أَتَيْكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١٨﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿١٩﴾ إِنَّ

﴿١٦﴾ وَالطَّيْرِ ﴿١٧﴾ سَخَرْنَاهَا تَسْبِيحًا ﴿١٨﴾ مَحْشُورَةً ﴿١٩﴾ كلما سبح تمحشرت أكثر حوله تجتمع وتسبح ﴿كل﴾ من الطير ﴿له﴾ لداود ﴿أواب﴾ رجاء إليه يرجعون إليه حين يسبح.

﴿٢٠﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴿٢١﴾ قَوَيْنَا مَلَكَهُ ﴿٢٢﴾ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴿٢٣﴾ العلم ووضع الأشياء في مواضعها، والحكم بالعدل وكمال العقل ﴿٢٤﴾ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٥﴾ الخطاب الذي هو فصل، يفصل في القضايا لأنه يكون صواباً يبين الحق قاطعاً مثل الفصل بين الخصوم، والمواظ على كل خطابه تكون خطاب فصل مقنع.

﴿٢٦﴾ وَهَلْ أَتَيْكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴿٢٧﴾ هذه فيها عبرة في شأن الصبر حينما يضعف الإنسان كيف يكون حاله ﴿٢٨﴾ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢٩﴾ كانوا متخاصمين بمعنى متشاجرين ﴿٣٠﴾ إِذْ تَسَوَّرُوا ﴿٣١﴾ طلوعوا من فوق سور المحراب ونزلوا فجأة بين يدي داود وهو في المحراب.

﴿٣٢﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴿٣٣﴾ لدخولهم من غير المكان المعهود وتسلفهم جدار المحراب المعبد الذي كان يدخل فيه لينفرد للعبادة. والفرع هذا هو ما أدى للعجلة على صرفهم عنه ﴿٣٤﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ ﴿٣٥﴾ فأمّنوه: لسنا إلا خصمين ﴿٣٦﴾ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴿٣٧﴾ يريدون أن يخلصهم من بغى بعضهم على بعض كما زعموا ﴿٣٨﴾ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴿٣٩﴾ لا تبعد عن الحق ﴿٤٠﴾ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٤١﴾ يدعونه إلى أن يهديهم إلى سواء الصراط ترغيباً له؛ لأن يحكم بينهم بالعدل.

هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ

﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا اجعلني كافلاً لها؛ لأنها نعجة واحدة تشغلك، وأنا لدي تسع وتسعون نعجة نرعاهن ونشتغل بهن، فالأفضل أن تضم نعجتك إليهن لكي أكفيك أعباءها فأكفلنيها ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ غلبي في الخطاب ما استطعت أن أجيب عليه لم أدر ما أقول لأن هذا العرض إنما هو إحسان وتفضل منه على أخيه يريد به إسعاده وبره، ولذا لم يجر جواباً. وهذه القضية ليست مهمة تستدعي التقاضي، ولكنها اختبار لداود، كأنه شيء من الباري تعالى أراد أن يبتليه بها.

﴿٢٤﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ﴿٢٥﴾ ظلمه بالسؤال فقط مع أنه لم يكن قد أمره ولا أوجب عليه ولا غصبه إنما سأله ضمها له وكفالتها له!

﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ هذه تكملة الحكم ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أما هم فلا ييغون. وهنا انتبه داود أنه قد غلط ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ وعلم أن هذه القضية بأكملها ليست إلا اختباراً جعله الباري له، وأنه غلط في الحكم والغلط هو حينما استعجل بالحكم للمدعي ولما يسمع جواب الثاني على تلك الدعوى، إضافة إلى تسمية طلب الكفالة ظلماً مع أنه ليس إلا إحساناً ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ من الحكم هذا ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ لله ركوع استغفار، وسمى السجود هنا ركوعاً؛ لدلالته على الخضوع ﴿وَأَنَابَ﴾ إلى الله رجع إليه.

إِنَّا جَعَلْنَكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ

﴿٦﴾ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ الذنب ﴿وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لُزْلَفًا وَحُسْنَ مَقَابِرٍ﴾ زلفى: مقرب إلى الله ﴿وَحُسْنَ مَقَابِرٍ﴾ حسن مرجع في الآخرة.

﴿٦﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ حينما مكّنه الله في الأرض ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أمره الباري أمراً جازماً أن يحكم بالحق ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ هوى نفسك ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حين تتبعه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ فلا تتبع هواك فيضلك عن سبيل الله هذا الخطر العظيم اتباع الهوى؛ لأنه يؤدبك إلى أن تضل عن سبيل الله تغوى عن طريق الحق الذي جعله الله لعباده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ عذاب الآخرة ويمكن أن يعذبهم أيضاً في الدنيا عذاباً معجلاً بسبب أنهم نسوا يوم الحساب، لم يستعدوا له حينما ضلوا عن سبيل الله لأن من شأن من يستعد للآخرة وليوم الحساب أن لا يضل عن سبيل الله بل يحاول أن يتحرى الطريق الذي يرضي الله ويوصله إلى النعيم الأبدي.

﴿٧﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ يعني: ما خلقها إلا لحكمة، ولم يخلقها عبثاً ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الذين يرون أنه خلقها لغير غرض صحيح، ولم يفكروا أنه أحكم الحاكمين لا يخلقها إلا لحكمة وغرض صحيح ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ لأنهم كفروا بالله كأن الذين كفروا هنا إما أنهم كفروا نعم الله بسبب أنهم لم يؤمنوا بالرسول ولا بالقرآن، أو كفروا بالله بمعنى تركوه، مثل قوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [المتحنة: ٤٤] أي تركناكم.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ
الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ

﴿٢٨﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴿٢٩﴾

هذا رد على الكفار الذين يمحذون الآخرة، فقال كيف يصح أن نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض يعيشون في هذه الحياة
ثم يموتون ولا يبعثون بل كانوا سواء لم يفضل المطيع على العاصي والمصلح
على المفسد؟!

﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ هل يصح أن نجعل المتقين الذين اتقوا الله
وأطاعوه واجتنبوا معصيته نجعلهم كالفجار العصاة المتمردين؟! فلا بد إذا من
القيامة ولا بد من الجزاء، ولا بد من البعث، ليميز المحسن من المسيء، ويتصف
للمظلوم من الظالم، ويجازى كل بعمله، وهذا ما تقتضيه العدالة الإلهية.

﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ هذا القرآن الذي هو حجة الله عليهم
﴿مُبْرَكٌ﴾ فيه بركة ولو أنه بالنسبة إلى حجمه صغير وليس مجلدات كثيرة
ففيه علوم غزيرة، وفوائد عظيمة، وبركة وهدى لمن يفهمه ويتبعه ويتمسك
به ﴿لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ﴾ هذا هو المقصود من إنزاله (ليدبروا آياته) يتفكروا في
معانيها وما تؤول إليه مثل الوعد والوعيد كيف مآلها كيف أدبارها، ونهايتها
وأنها تدل على أمور في العاقبة أمور كبار تدفعهم للتوبة والإنابة حينما
يعلمون أنه لا بد من أن يرجعوا إلى الله ويتقوه وإلا فإن الله سيعذبهم
﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أهل العقول يتذكروا لا يكونوا غافلين بل يتذكروا
ما يبعثهم على طاعة الله وتقواه.

عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجَيَادُ ﴿٦٥﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ
عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٦٦﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا
بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ

﴿٦٥﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ قد مضت قصة داود وصبره ووهبنا له
سليمان ابنه ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ﴾ أي سليمان مطيع لله وخاشع لله لم يطغى الملك
الكبير. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إِلَى اللَّهِ مِثْلَ أَبِيهِ.

﴿٦٦﴾ إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجَيَادُ ﴿٦٦﴾ اذكر إذ عرض عليه
بالعشي الصافنات وهي الخيل، كانت الصافنات تعد من أجود الخيل، وأصل
الصفون أنه عندما ينهض يقوم على ثلاث والرابعة تكون برأس الحافر،
والجياذ: جمع جيدة، المقصود بها: الخيل النفيسة التي تميل إليها النفوس.

﴿٦٧﴾ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ إني اشتغلت بها عن ذكر
ربي حين عرضت عليه وأقبل بذهنه إليها تألم وتحسر على ذلك الموقف، ﴿حَتَّى
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ إما أن المقصود حتى توارت الشمس بالحجاب غربت أي
أنني غفلت هذه المدة كلها عن ذكر ربي فتأسف حين غفل عن ذكر الله بسببها
فكانه كرهها أي الخيل لكونها سببت له الغفلة عن ذكر الله الذكر المطلق، أو أن
يكون المقصود: توارت، أي الخيل توارت لكن الأول أقرب.

وهل يلام على حبه الخير؟ نعم حينما يصل حب الخير أي حب الدنيا إلى
درجة أن يشغلك عن ذكر الله ولو كان ذلك الخير حلالاً.

﴿٦٨﴾ ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾ أي الخيل وكأنه قد كان كرهها وغضب منها ولم يعد
يرغب فيها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ البعض يقول: أنه قطعها
بالسيوف وقتلها، والبعض يقول: بل إنما مسح سوقها وأعناقها على ظاهر
اللفظ مسح الغبار منها أو نحوه، والسوق جمع (ساق) والأعناق ظاهر.

أَنَابَ ﴿٢٥٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٥٧﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ

والأقرب: أنه لو كان المسح هنا عبارة عن القطع لما عدي بالباء فالأقرب أن المسح هنا عبارة عن إمرار يده على أعناقها وسوقها لإلصاق ما في يده من ماء أو غيره ولعل في ذلك تقوية لها لأنها معدة للجهاد في سبيل الله، والله أعلم.

﴿٢٥٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴿٢٥٧﴾ كرسية موضع ملكه الذي كان باقياً عليه جعل عليه جسداً لعله لإيهام الحراس ومن حوله أنه لا زال سليمان موجوداً فوق الكرسي، وربما كان الكرسي خلف ستار لا يرى من خلفه إلا شبحاً غير واضح. ولعله لئلا يتفرق جنده، فضلوا يتوهمون أنه سليمان وهو في الواقع قد كان خرج.

قال في القصة في كتاب الإمام الهادي عليه السلام التي رواها ما حاصله: إن ملكه كان في خاتمه ونزعه عندما كان يتوضأ على شاطئ البحر فسقط الخاتم والتقمته السمكة فذهبت هيئته ولم تبق له المعنوية تلك، وأصبح كواحد من الرعية كأنها هذه هي الفتنة، ثم أنه اشترى له سمكة أو اصطادها وما أن بقر بطنها حتى وجد خاتمه فيها فأخذه وأعاد الله عليه ملكه. هذا ملخص ما أورده الإمام الهادي عليه السلام حول الموضوع - والله أعلم.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع إلى الله وتاب، كأن سببها معصية وزلة وقعت منه، وإلا فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢] حين رد على اليهود لما قالوا إنه كفر في آخر عمره، لكن رد الله عليهم فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

أَصَابَ ﴿٦﴾ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿١٠﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي

﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴿١٢﴾ استغفر الباري وطلب منه ملكا عظيما كبيرا لا يأتي لأحد بعده وليس ذلك حسداً منه لمن بعده وإنما قد علم الله بما سيكون لدى الناس الذين بعده من القوة والملك، فطلب ملكا فوق ما يعلمه الله أنه سيأتي لمن بعده ﴿١٣﴾ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١٤﴾ الذي تهب الخير الكثير.

﴿١٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿١٦﴾ رخاء: رخية لا تزعزع البساط ومن عليه كأنه مثل سير الطائرة في الجو، يكونون على البساط وتحملهم وتذهب بهم حيث أصاب: حيثما أراد من الجهات أي أنها تجري كذلك إلى أي مكان ذهب وصار إليه هو وجنوده وعتاده.

﴿١٧﴾ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿١٨﴾ والشياطين سخرناهم له كل بناء وغواص، شياطين يبنون وشياطين يغوصون له في البحر يستخرجون له من خيرات البحر ما أراد.

﴿١٩﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٢٠﴾ سخرناهم له مقرنين في الأصفاد القيود وهم العصاة استطاع أن يقيدهم.

﴿٢١﴾ هَذَا ﴿٢٢﴾ الذي أعطينا سليمان ﴿٢٣﴾ عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ ﴿٢٤﴾ يا سليمان ﴿٢٥﴾ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٦﴾ امنن تعط أو تمسك ما عليك حساب.

﴿٢٧﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٨﴾ كأنها تشير إلى أن الغنى ليس مظنة الصلاح، فجاءت الآية كالاحتراس عند أهل البديع، فلهذا كأنه نزهه

مَسْنَى الشَّيْطَانِ يَنْصَبِ وَعَذَابٍ ﴿١١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ
وَشَرَابٌ ﴿١٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُدْ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولَى
الْأَلْبَسِ ﴿١٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ

مما هو مظنة الغنى، بقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُدْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآءٍ﴾ في الآخرة
يعني أن هذا الملك لا يكون على حساب نعيمه في الآخرة، ومستوى درجته
عند الله، وهذا يرد على اليهود أيضاً الذين قالوا إنه كفر في آخر عمره
﴿وَحُسْنَ مَّآءٍ﴾ حسن مرجع وهو الجنة.

﴿١١﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ كذلك له درجة رفيعة عند الله، اذكر: ﴿إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنَى الشَّيْطَانِ يَنْصَبِ وَعَذَابٍ﴾ أضاف العذاب إلى الشيطان
لأنه السبب في مرضه قالوا: أنه وسوس له إلى أن أحرق دمه، وهو أعني
التمكين والتخلية من الباري بلوى له ولغيره ﴿يَنْصَبِ﴾ أي تعب
﴿وَعَذَابٍ﴾ وهو ألم المرض الذي أصابه وطالت مدته فاستجاب الله دعاءه
حينما شكّا أمره إليه، فقال:

﴿١٢﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ هكذا يجعل الله سبحانه
أسباباً، مثل قوله لموسى: ﴿اضْرِبْ يَعْصَاكَ الْبَحْرُ﴾ [الشعراء: ٦٣] ﴿اضْرِبْ يَعْصَاكَ
الْحَجَرُ﴾ [البقرة: ٦٠] فهذا إنما يركض برجله الأرض ليخرج ماء نبع ﴿مُغْتَسِلٌ
بَارِدٌ﴾ اغتسل به ﴿وَشَرَابٌ﴾ يشرب منه فكان فيه الشفاء وزال منه النصب
والعذاب الذي اشتكى منه.

﴿١٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُدْ أَهْلَهُ﴾ هذا دليل على أن قد شفاه الله وأزال منه
المرض ووهب له أهله أعاد أهله الذين كانوا قد تركوه وتخلوا عنه نتيجة
لشدة مرضه، حيث لم يستطيعوا أن يجالسوه.

صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١١﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿١٢﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿١٣﴾

بل قالوا: إن زوجته فقط كانت توصل له طعامه إلى مكانه خارج المحلة ﴿وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ﴾ أهل كثير ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ ليتذكروا أن الله يعيد اليسر بعد العسر ويهب الكثير ويعود على عباده الصابرين برحمته وهذه عبرة للناس.

﴿وَاخْذُ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ ومن رحمة الله له أن دله على حل للمشكلة التي أحرقت دمه فقال: ﴿وَاخْذُ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ قبضة من الحشيش أو نحوه ﴿فَأَضْرِبْ بِهِ﴾ يضرب زوجته ضرباً غير موجه لكي تطيب نفسه وتزول عنه وسوسة الشيطان ﴿وَلَا تَحْنُتْ﴾ في يمينك، كأنها عطف على (اضرب) كأن المعنى واحد وأنه إذا ضرب لم يحنث؛ لأنه قد كان أقسم أن يضربها مائة جلدة فرحمه الله تعالى وشرع له حلاً لبر قسمه فضربها بالضغث فطابت نفسه حينما علم أنه قد بر يمينه ولم يظلم زوجته.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ هذا هو الشرف العظيم إنا وجدناه بعد الاختبار العظيم وجدناه صابراً صبراً للابتلاء ﴿نِّعَمَ الْعَبْدُ﴾ وهذا شرف عظيم أيضاً عندما يقول الباري ملك الملوك يقول فيه هذا القول: ﴿نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجّاع إلى الله، وفي ذكره بعد سليمان تحقير للدنيا.

﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ﴾ الأيدي كأنها ما قدموه من الأعمال في طاعة الله، والأبصار أهل بصائر هداهم الباري هدى عظيماً.

وَأَيُّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤﴾ وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّغَابٍ ﴿٦﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٧﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ

﴿١٦﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ ﴿١٧﴾ كَانُوا مَخْلَصِينَ خَالصِينَ طَاهِرِينَ مِنَ الْمَعَاصِي ﴿١٨﴾ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الْدَّارِ ﴿١٩﴾ بِالذِّكْرِ الْخَالِصَةِ، ذَكَرَى الدَّارَ الْآخِرَةَ خَالِصَةً كَأَنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَشُوبُونَهَا بِذِكْرِ الدُّنْيَا وَأَغْرَاضِهَا وَأَهْوَائِهَا بَلْ إِنَّمَا يَشْغَلُ أَفْكَارَهُمْ هُوَ ذِكْرُ الْآخِرَةِ خَالِصَةً فَأَخْلَصْتَهُمْ لِلَّهِ أَخْلَصْتَهُمْ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ لِأَنَّ أَصْلَ الْمَعَاصِي كُلِّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَمِلذَاتِهَا، الْخَالِصَةُ أَنَّهُمْ لَا يَفْكُرُونَ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ.

﴿٢٠﴾ وَأَيُّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٢١﴾ عِنْدَنَا أَيُّ فِي حُكْمِنَا وَعِلْمِنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارَ لَهُمْ ثَوَابُ الْأَخْيَارِ وَالْمُصْطَفَيْنَ الَّذِينَ اخْتَرْنَاهُمْ صِفْوَةً. ﴿٢٢﴾ وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ ﴿٢٣﴾ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٤﴾ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٢٥﴾ ذَا الْيَسَعَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَذَا الْكِفْلِ ذَا الْحِظِّ الْعَظِيمِ.

﴿٢٦﴾ هَذَا ذِكْرٌ ﴿٢٧﴾ أَيُّ حِكَايَةٍ وَحَدِيثٍ عَنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ صَبَرُوا وَالسِّيَاقُ كَأَنَّهُ سِيَاقُ فِي الصَّبْرِ وَفَوَائِدِهِ، وَالْحَدِيثُ عَنْهُمْ كَانَ ابْتِدَاءً مِنْ دَاوُدَ حِينَ قَالَ: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ فَهَذَا أَيُّ ذَكَرْنَا لِدَاوُدَ وَمِنْ بَعْدِهِ ذَكَرَ لَكَ نَذْرَكَ بِهِ أَنْتَ وَمَنْ سَمِعَ الْقُرْآنَ ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّغَابٍ﴾ حَسَنَ عَاقِبَةٍ وَمَرْجِعٍ، الْمُتَّقِينَ عَمُومًا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ وَعَدَدْنَاهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، فَهُمْ قَدَوَةٌ لَكَ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا. وَحَسَنَ الْمَآبِ هَذَا فَسِرْهُ بِقَوْلِهِ:

﴿٢٨﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٢٩﴾ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِأَبْوَابِهَا عَمُومًا الْخَارِجِيَّةِ وَالْدَاخِلِيَّةِ.

كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتُ آلَطَّرِفِ أُرَابٍ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا
تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا
وَإِنَّ لِلطَّغِينِ لَشَرَّ مَنَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا

﴿مُتَكِينٍ فِيهَا﴾ معنى: أنهم لا يحتاجون إلى كد وعناء مثل ما في
الدنيا بل هم في راحة في حالات يكونون متكئين على سرر ﴿يَدْعُونَ فِيهَا
بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ يعني معهم خدم ومعهم من يقرب لهم ما يريدون،
ما عليهم إلا أن يطلبوا ذلك.

﴿وَعِنْدَهُمْ﴾ هؤلاء المتقين ﴿قَصْرِاتُ آلَطَّرِفِ﴾ الحور التي تقصر
طرفها على زوجها ليس لها هوى إلا فيه ﴿أُرَابٍ﴾ كلهن في سن واحد؛
لأنه يكون للواحد عدة أزواج، فهن في سن واحد لا توجد كبرى وصغرى
بل كلهن أتراب.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أيها المتقون ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ هذا النعيم هو
الذي كنا وعدناكم في الدنيا كأنه يقال لهم يوم القيامة وهم في الجنة.

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا﴾ في الجنة ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ لا ينقطع أبداً.

﴿هَذَا﴾ هذا ذكر في شأن المتقين، ثم انتقل إلى ذكر الطاغين فقال:
﴿وَإِنَّ لِلطَّغِينِ لَشَرَّ مَنَابٍ﴾ شر مرجع نعوذ بالله.

﴿جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا﴾ يباشرونها بأجسادهم ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ هذا تهكم
بهم مثل قوله: ﴿بَشَرِ الْمُتَأَفِّقِينَ﴾ [النساء: ١٣٨] مثل ما يمهّد الإنسان تحته من
الفراش ونحوه، وهذا إشارة إلى أنه كان ينبغي لهم أن يمهّدوا لأنفسهم ما
داموا في الدنيا لكن لم يمهّدوا لها إلا جمر جهنم.

فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيُبْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا

﴿٥٧﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ أي هذا حميم وغساق فليذوقوه يشربه هؤلاء أعداء الله.

﴿٥٨﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ كلها أنواع من الحميم كأنه ألوان وأنواع. ﴿٥٩﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ إلى جهنم قد لحق أي دفعة جديدة وهم من الأتباع الذين كان غرر بهم وخدعوا كأنه يصف المتقدمين واللاحقين ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ الأولون قالوا لا مرحبا بهم باللاحقين ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ إنهم من أهل النار قد حصل بينهم عداوة بعد أن كانوا في الدنيا أصدقاء ومتعاونين على الباطل.

﴿٦٠﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا﴾ أنتم الذين سببتم لنا هذا المصير والعذاب الأليم. ﴿فَيُبْسَ الْقَرَارُ﴾ لنا ولكم صاروا أعداء قال: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمُ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمُ بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

﴿٦١﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ ﴿قَالُوا﴾ أي المستضعفون: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ صاروا يدعون الله أن يزيد أولئك عذاباً ويضاعفه عليهم، لكنه أجاب: ﴿قُلْ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٣٢﴾ اتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٣٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا إِلَهُ الْوَحِيدِ الْقَهَّارُ ﴿٣٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٣٦﴾

﴿٣٢﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٣٢﴾ يتساءلون أين أولئك الناس الذين كانوا فقراء في الدنيا مساكين؟ يظنون أنهم - بسبب قلة ذات اليد - من الأشرار لأنهم لو كانوا جيدين لكانوا أهل ثروة وممتلكات لأنه ليس المقياس عندهم الإيمان والتقوى وإنما الدنيا فقط.

﴿٣٣﴾ اتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا ﴿٣٣﴾ في الدنيا كنا نسخر منهم ﴿٣٣﴾ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٣٣﴾ بل الحقيقة أنهم اتخذوهم سخرياً، كما قال الله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا ﴿٣٣﴾ [المؤمنون: ١٠٩-١١٠].

والهمزة في قوله: ﴿اتَّخَذْتَهُمْ﴾ هي همزة السؤال، ولا ينبغي أن يقال همزة الاستفهام، والأصل: (اتَّخَذْنَاهُمْ) وسقطت الهمزة الثانية لكونها همزة وصل للتخفيف ﴿اتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا﴾ هل سخرنا منهم وما كانوا من الأشرار ولا أهلاً لدخول النار؟ ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ أم أن أبصارنا زاعت عنهم فلم ترهم هنا وهم معنا الآن في النار؟

﴿٣٤﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٣٤﴾ يعني: أنه لا بد أنهم سيتخاصمون وينقلبون أعداء لبعضهم البعض بعد ما كانوا في الدنيا متحابين متناصرين متعاونين على الباطل.

﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴿٣٥﴾ لكم ليس علي أن أهديكم قسراً ﴿٣٥﴾ وَمَا مِنِّي إِلَّا إِلَهُ الْوَحِيدِ الْقَهَّارُ ﴿٣٥﴾ ليس له شريك، يخاطب بهذا المشركين.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٧٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٨٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٨١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

﴿٨١﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ المالك لها ما له شريك؛ لأن كل ما في الأرض وما فيها له، والسماء وما فيها له ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ العزيز الغالب الذي لا يُنال، والغفار لمن رجع إليه وتاب.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ﴾ ﴿٧٧﴾ نبأ الآخرة هذا الذي بيناه لكم وقرأناه عليكم ﴿عَظِيمٌ﴾ لأنه أمور كبيرة ومهمة وخطيرة أمر الجنة العظيم التي لا ينتهي نعيمها ولا ينفد، وأمر النار العظيم التي لا أشد من عذابها ولا أفدح من مصابها وهو عذاب لا ينفد - أيضاً - ولا يخرجون منها، هذه أمور كبار تستحق الاهتمام.

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ لكنهم معرضون عن هذا النبأ كأنه غير حقيقة ولا صدق.

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ﴾ قبل نزول القرآن لولا أن الله أنزل عليَّ القرآن وبين لي قصتهم ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ تَخْتَصِمُونَ﴾ الملائكة وإبليس وكان بين الملائكة ومن جملتهم.

﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٨٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ.﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ يخبرهم أنه سيخلق آدم، هذا ممد لبيان الخصومة التي ذكرها عندما سجد الملائكة لآدم ورفض إبليس السجود.

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٦﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٧﴾ إِلَّا
إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ يَتَّبِعُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ

﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ أَمْرُهُمْ
بالسجود عندما يوجد آدم من حين تنفخ فيه الروح فليسجدوا سجدة تكريم،
فلهذا غضب إبليس وحسده، وقال: ﴿أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتُ عَلَيَّ﴾
[الإسراء: ٦٢] هذا السجود تعبير عن التكريم، وليس سجوداً بمعنى العبادة.

وهنا ندرك أنه بالإمكان أن يكون سجود ولا يكون عبادة؛ لأن العبادة
معناها: خضوع على معنى الاعتراف بالعبودية، فإذا لم يكن على معنى
الاعتراف بالعبودية فليس عبادة حتى ولو كان خضوعاً، ولهذا لم يكن
سجود الملائكة لآدم عبادة له ولا سجود أبوي يوسف وإخوته عبادة له لأنه
ليس على معنى الاعتراف بالعبودية، والدليل على هذا قول الله تعالى: ﴿لَنْ
يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ
عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ [النساء: ١٧٢] فقال: ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ أقام كلمة (عبادته) مقام
قوله: أن يكون عبداً، دلّ هذا على أن العبادة معناها: الاعتراف بالعبودية،
فمن هنا لم تكن عبادة لآدم بل هي عبادة لله وتكريم لآدم.

﴿٧٦﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٧﴾ امثلوا أمر الله من حين نفخ
فيه الروح سجدوا له.

﴿٧٨﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ ﴿٧٩﴾ لَمَّا كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَكُونُ أَصْلُهُ مِنَ النَّارِ اعْتَقَدَ
أنه فوق أن يسجد لمخلوق من الطين فاستكبر نعوذ بالله ﴿وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ﴾ كفر بالله وقاطع الباري إما على معنى قولهم: كفرنا بكم، أي
تركناكم لأنه تعمد معصيته وقطع الصلة بينه وبينه، أو بناءً على أنه كفر
بنعمة الله عليه فيما قد أنعم عليه في الماضي.

لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ^{٧٥} أَسْتَكْبَرْتُ أَمْ كُنْتُ مِنَ الْعَالِينَ ^{٧٥} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ^{٧٦} قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ^{٧٧}

﴿٧٥﴾ قَالَ يَتِلْبِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدَيَّ ^{٧٥} أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتُ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ أنا الذي خلقته هو الخالق له فكيف يأنف من السجود له مع أن الله هو الذي أبدعه وصوره، ويؤكد كونه الذي خلقه حين قال: ﴿بِيَدَيَّ﴾ .

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي منعك من السجود الكبر ﴿أَمْ كُنْتُ مِنَ الْعَالِينَ﴾ العالي الذي ترفع، كأنه متقارب مع معنى الكبر، إنما قد يكون التعالي هو الترفع وترك السجود لآدم، والاستكبار اعتقاده في نفسه أنه كبير.

﴿٧٦﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴿٧٦﴾ هذا الجواب على قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ عدو الله ورسوله ليس خيراً منه لأن آدم قد نفخ فيه من روحه إذ يمكن في الروح هذه أن تكون فيها مزية على غيرها، ولكن اعتقد أنه لا يمكن أن يسجد له مادام خيراً منه في اعتقاده، وهو غالط فقد سجد الملائكة كلهم ولم يقولوا: أنهم خير منه.

﴿٧٧﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا ﴿٧٧﴾ أبهما في القرآن في (سورة البقرة) وفي كل موضع تذكر فيه، وربما أنها السماء موضع عبادته حيث كان يعبد الله مع الملائكة، طرده منها مثل ما يطرد الإنسان من المسجد عندما يعمل ما يتنافى مع حرمة المسجد وقديسيته، فكذلك السماء فهي موضع عبادة فطرده منها لأنها ليست مكاناً للعصاة، يؤكد قوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ لأن الجن حين يقتربون من السماء لاستراق السمع يرمجون بالشهب.

وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

﴿٧٨﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿﴾ بسبب المعصية والكبر والتعالي.

﴿٧٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴿﴾ الله سبحانه هو عالم أنه سيقول ذلك وهو عالم بما في نفسه، وكأنه يريد أن يعمل حيلة على الباري حتى ينظره إلى يوم الدين وعندما ينظره يقول أنا سوف أغويهم، وهذا يدل على أن فيه جهالة رغم طول عبادته، قالوا قد كان عبد الله ستة آلاف سنة ولكنه ما عرف الله ﴿فَأَنْظِرْنِي﴾ فأنظرني في الحياة لا أموت ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ لأجل أن يغويهم.

﴿٨٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿﴾ إخبار له بأنه منظر.

﴿٨١﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿﴾ يمكن أن يكون يوم القيامة لأن لها أجلاً محدوداً.

﴿٨٢﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿﴾ أقسم أنه سيغويهم أجمعين ذرية آدم أو نفس آدم وذريته.

﴿٨٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِينَ ﴿﴾ الراضين له الذين أخلصهم الله طهرهم وقوى إيمانهم.

﴿٨٤﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿﴾ كل كلامه حق سبحانه.

﴿٨٥﴾ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿﴾ هذا هو جزاؤكم لقد تصور إبليس أنه يفساد عباد الله سوف يلحق الضرر بالله سبحانه حينما لا يشكره العباد ويعبدوه، وهو إنما ضر نفسه لأن كل ذلك هو مما يزيد في عذابه.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ﴿٨١﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٣﴾

﴿٨١﴾ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ انتهت القصة هنا ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ على تبليغ القرآن حتى تعتلوا بأنه سيلحقكم غرم بدفع
الأجرة لي ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ما أنا من الشعراء الذين يتكلفون المعاني
ويتكلفون الألفاظ إنما أقرأ عليكم ما أوحى الله إلي.

﴿٨٢﴾ ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا القرآن ذكر للعالمين كلهم يتذكرون
به ويتبعونه ويهتدون به.

﴿٨٣﴾ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ نبأه يعني إنذاره ستعلمونه سواء
آمنتم به الآن أو لم تؤمنوا به سوف تعلمون بما أنبأكم به من الآخرة
ومصيركم هناك مهما تماديتم الآن في العناد والكفر والإعراض.

وهذا هو ما عناه تعالى بقوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾
ستعلمونه بعد حين يوم القيامة.



التفسير في التفسير



سورة الزمر



سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هذا تنزيل والله هو الذي أنزله، قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الخبر يبين: أن القرآن هو من الله هو الذي أنزله، وقوله: ﴿الْعَزِيزِ﴾ يبين أن هذا راجع إلى عزته، لأن من عزته أن لا يترك عباده مهملين يفسدون في الأرض ويتظالمون، دونما إرشاد، ولا ما يقيم الحجة على الظالم ولا إنذار، ولا تبشير بما سيكون في الآخرة، فعزته اقتضت هذا، وكذلك حكمته اقتضت أن يقيم الحجة على عباده وأن ينذر ويبشر، ويدعوهم إلى الهدى لإصلاحهم ولسعادتهم إذا قبلوا، فهي حكمة عظيمة في إنزال القرآن.

﴿٢﴾ ﴿إِنَّا﴾ الله سبحانه العظيم لأن في هذه ﴿إِنَّا﴾ دلالة على العظمة التي هي من شأنه لحكمته وعلمه وقدرته وكماله سبحانه، فهي كأنها تشير إلى أسمائه الحسنی ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ أنزله بالحق ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾ لأن ما في القرآن من الدعوة إلى عبادته هو الحق ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ تخلص له دينك لا تشرك به.

﴿٣﴾ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ هو الذي يستحق الدين الخالص، وهو الذي له الدين الخالص، أما غيره مما يدعيه المشركون من الشركاء، فليس لهم

سُبْحَنَهُ ٥ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٦ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

من هذا شيء ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء اتخذوهم شركاء، أي هم الذين قرروا أن يجعلوهم أولياء كأن يتولون إصلاح شئونهم ولكنهم لا يملكون لهم نفعاً ولا ضرراً. قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ هذا اعتذار عن اتخاذهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ يقربونا إلى الله قربة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَخْصِمُ بَيْنَهُمْ﴾ هذا خبر المبتدأ وهو: ﴿الَّذِينَ﴾. ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ لأنهم كاذبون في شركهم كاذبون على الله في إثبات الأولاد وكاذبون فيما حرموا مما لم يحرم الله، وكم كذبوا على الله، وكذلك هم لنعمة الله كافرون فهم ليسوا أهلاً للهداية.

٦ ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ هذا رد عليهم في دعواهم اتخاذ الولد لا في دعواهم الولادة، واتخاذ الولد لا يتوقف على الولادة، قال: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١، القصص: ٩] واتخاذ الولد أنه يقرب شخصاً ويتبناه وكان عندهم التبني هذا شائعاً، يقولون: فلان بن فلان، فينسب إليه مع أنه ليس ولده.

فالمعنى: لو أراد الله أن يتخذ ولداً ﴿لَا صَطْفَى مِمَّا تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ لكان اصطفى هو ما يشاء وليس ما يشاءون وينسبون إليه من البنات.

وهذا إشارة إلى الأولاد، أي لكان اصطفى له أولاداً يكونون صفوة بأن يكونوا ذكوراً، وكاملين في أوصافهم لا إنثاءً على ما يدعي الكفار ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عن اتخاذ الولد لنفسه، لأنه سبحانه هو الغني لا يحتاج إلى التبني، لأن الذي يتبنى إنما لأجل أن يستأنس به حين لا يكون معه ابن

كُلٌّ تَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥٦﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۖ زَوْجٌ تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ

ويستريح به بعض الراحة، وهو سبحانه غني لا يحتاج إلى الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ ليس معه شريك ولا ابن ليس معه مشارك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ﴿الْقَهَّارُ﴾ الغالب على أمره القاهر فوق عباده لا يحتاج إلى من يعينه من ولد أو غيره.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ما خلقهم عبثاً فخلقهم هو مقدمة للآخر، لأنه خلقهم لكي يكونوا مقرأ لمن يعبد الله، لأن العبادة هي الغاية من الخلق، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ يبين قدرته العظيمة أنه قدر على خلق السموات والأرض وقدر على تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل يهجم الليل على النهار ويهجم النهار على الليل، وكل واحد يغطي الآخر.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ على طول الدهر ﴿كُلٌّ تَجْرِي﴾ الشمس تجري والقمر تجري إلا أن الشمس تقطع المنازل في سنة والقمر تقطعها في شهر ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ محدود عند الله وهو يوم القيامة الذي فيه ينتهي سيرهما.

﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا ينال، الغفار لمن تاب إليه ورجع إليه حين يذكر عزته، يشير بهذا إلى أنه سيجازي ويعاقب لكن يفتح الباب للتوبة لا يسد الباب عليهم يقول: ﴿الْغَفَّارُ﴾ كثير المغفرة لمن رجع إليه.

لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

﴿٦﴾ ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو أبونا آدم صلوات الله عليه ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ آية ثانية، كل هذه دلائل قدرته سبحانه وفيها أمران: أولاً: أنه لا ينبغي أن يجعل له أنداد التي قد تكون من الحجارة التي لا تسمع ولا تبصر، ثانياً: أنه قادر على البعث والنشور وهم أخطئوا في الاثنتين، فهو قادر على إعادتهم بعد الموت، ولهذا قال: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ فكيف لا يقدر أن يخلقنا مرة ثانية ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا﴾ من النفس الواحدة ﴿زَوْجَهَا﴾ كأنه خلق حواء من جزء من أجزاء آدم كأنها نبتت وتكونت فيه مثل ما يتكون بعض الحيوان في جسم الإنسان فأنشأها منه لا بطريقة الولادة.

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ كأنه حين أنعم الله بها وأعطانا إياها كأنه اعتبره إنزالاً لكونه من عنده فسمى العطاء إنزالاً ﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ فصلها في (سورة الأنعام) ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ يخلقكم بقدرته أنتم والأنعام ﴿خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ خلقاً من بعد خلق حينما يكون عظاماً من بعد ما كان مضغة، ومضغة بعد ما كان علقة، وعلقة من بعد ما كان منياً، خلقاً متطوراً في ظلمات ثلاث هي: ظلمة الجلد، وظلمة الرحم، وظلمة ما بينهما هذه ظلمات ثلاث يصورنا كيف يشاء سبحانه، وهذه قدرة عظيمة.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ ذلكم الله الذي خلقكم، والذي كور الليل على النهار والذي سخر الشمس والقمر، والذي خلق السموات والأرض هو الله ربكم المالك لكم لأنه الذي خلقكم فإذا كان هو ربكم فلا تعبدوا غيره لأن معنى العبادة هو الاعتراف بالعبودية، لأننا لسنا عباداً لغير ربنا الذي هو مالك لنا.

وَزَرًا أُخْرَىٰ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا

فالجاهلية الكفار المشركون جانبوا الصواب عندما جعلوا شركاءهم مالكين لهم بغير حقيقة فهم لم يخلقوهم، كما أنه ليس لهم حق أن يحكموا بأنهم شركاء فالحكم لله وحده ﴿لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فله إذاً ولاية الأمر والنهي، والثواب والعقاب، هو الملك له هذه الولاية ليس لغيره فيها نصيب، فإذا كان الملك له وحده فيوم القيامة يكون مرجع العباد إليه وحده، هو الذي سيحكم فيهم يجازي ويعاقب لأن الملك له وحده أما ملك غيره في الدنيا فليس إلا نسبياً إذا كانت له ولاية شرعية، وليس ملكاً مطلقاً. ﴿فَأَنِّي تُصَرِّفُونَ﴾ فمن أين تصرفون عن الحق إلى الباطل وأنتم تعلمون أنه الذي خلقكم وأنه الذي خلق هذه الأشياء بقدرته، فلماذا تقولون أن هذه الأصنام ستشفع لكم يوم القيامة وليس لهم نصيب من الملك لا يوجد يوم القيامة شفعاء يكون لهم نصيب من الملك فالأمر لله وحده.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ بعد ما بين الحق قال: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ نعمة الله هدايته وإنزاله القرآن ودعوتكم إلى السلامة إن تكفروا نعمته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ ليس به حاجة إليكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ لا يرتضي لكم أن تكونوا كفاراً لنعمه؛ لأن كفر النعمة نقص فيكم وعيب عليكم، وذلك ما لا يرتضيه لعباده لكونه صفة نقص وهو يريد لكم الكمال وعلى قدر عظم النعمة يكون قبح كفرانها.

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ وإن تشكروا نعمة الله يرضى الشكر لكم لأنه سعادة لكم في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الوزرة التي تحمل حملاً ثقیلاً، فهي لا تقدر أن تحمل وزر واحدة غيرها بل كل واحدة تحمل وزرها فقط.

حَوْلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وحده ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة يحاسبكم ويجازيكم ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأنه عالم بما تعملون من صغير وكبير وقديم وحديث هو عالم به لا ينسى سبحانه، ويوم القيامة ينبتكم به ويجازيكم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ عالم بالمكنون الخفي في الصدور.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ عندما يصيبه الضرر يلجأ بالدعاء إلى الله، فالشرك ليس إلا ظاهرة تعصب وقولاً بالأسنة وإلا فليس له حقيقة في وجدان الإنسان ولهذا فإنه إذا مسه الضر الشديد يرجع إلى الباري ولا يرجع إلى الأصنام ﴿ثُمَّ إِذَا حَوْلَهُ﴾ ملكه ﴿نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ لأنه كان يقول: ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢] ثم نسي حينما عادت النعمة، نسي أن يشكر الله، ونسي ذلك الذي كان قد وعد به من قبل ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ كأنها طبيعة في الناس غير المؤمنين، الاقتداء بأهل الأنداد، والأنداد هم هؤلاء الأصنام الذين يجعلونهم شركاء لله ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ما كفاه أنه يضل لوحده هو بل يريد أن يضل غيره.

﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لهذا الذي جعل الله أندادا ليضل عن سبيله: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ هذا الكلام تهديد مثل: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] ﴿قَلِيلًا﴾ ليس أمدك في الحياة إلا قليلاً وينتهي، ثم تصير إلى الله ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ثم تصير إلى النار.

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا
الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٣﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ

﴿١﴾ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ هذا احتجاج على الكفار الذين
ينكرون الآخرة آمن هو قانت بمعنى، خاضع لله خاشع آناء الليل: في أوقات
من الليل في أوله وفي آخره أو في أوله وآخره وأثنائه ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾
يعبد الله ﴿تَحَذِّرُ الْآخِرَةَ﴾ وحذره للآخرة أنه يحاول أن ينال المغفرة من الله
يستغفر ويتوب ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ بسبب أنه قد رجع إليه وعبدته
وأطاعه، فهل هذا يستوي هو وأولئك الكفار والظلمة الذين لا يعبدون الله
بل جعلوا لله أندادا؟

كلاً.. لا يستوون فإذا لم يكونوا سواء فكيف لا تكون الآخرة للتمييز بين
المؤمن المطيع وبين الكافر بنعمة الله؟ قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٨] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذا كأنه يذكرهم في إعراضهم حين لم يفكروا
ولم ينظروا في آيات الله فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ أي أنكم حين عرضتم لا تعلمون بشيء فكنتم جاهلين فكيف
يكون سواء من يعلم ومن لا يعلم ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الذين ينفع
فيهم التذكير وهو من يستعمل عقله، اللب: العقل.

﴿٢﴾ ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ قل يا رسول الله عن الله:
﴿يَعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ يعني: أن المؤمن عليه أن يتقي الله يطيعه
ويتوب إليه إذا ما زلّ.

﴿قُلْ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٢] قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [٣] فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِن

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ إذا أطعتم الله فسيكون لكم في هذه الدنيا حسنة أي تصلح حالتكم وتسعدون في الدنيا، كما في الآية: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] والإحسان من الإنسان: طاعة الله وتقواه والتوبة إليه، والعفو عن الناس وكظم الغيظ وكل الفضائل وهي كثيرة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ لمن أراد الإحسان لأنها إذا ضاقت عليه بين الكفار فليخرج في أرض الله ويهاجر لكي يتمكن من الإحسان وطاعة الباري فلا يكفيه أن يؤمن ويقعد بين الكفار، حتى ولو لم يتأثر بأجواء الكفر إذا كان يتعذر عليه إكمال دينه، والقول بكلمة الحق.

﴿إِنَّمَا يُؤَوِّقُ الصَّابِرُونَ﴾ الصابر على دينه لأنه يكون في وقت غلبة الكفر والباطل فالصابر على دينه يكون في مشقة يحتاج إلى التزود المستمر بالصبر، حتى لا يضعف صبره عن القيام بطاعة الله والهجرة وتحمل مشاقها، والهجرة وإن كانت شاقة فإنها عادة تصلح أموره وتستقيم معيشته فيما بعد كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠] ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ثوابهم بغير حساب، لأنه دائم لا يدخل في حساب لا يستطيع أحد أن يحسبه.

﴿قُلْ﴾ يا رسول الله للمشركين: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ لا أشرك به أحداً.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المسلمين لله الذين أسلموا أنفسهم لله وأخلصوها له وأخلصوا له وجوههم لا يعبدون غيره، هذا الإسلام يكون

الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ

بمعنى إسلام النفس لله، كما قال: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ لأن السَّلَم هو
الخالص، وأسلم: أخلص نفسه لله لم يرتض أن يجعل فيها شركاً لغيره.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لا بد أن أبلغ
رسالاته وأقوم بما أمرني به وأبين لكم بطلان الشرك وبطلان أمور الجاهلية
كلها التي أنتم فيها هذا تكليفي من الله أخاف إن توانيت فيه عذاب يوم عظيم.
﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ قلها مرة ثانية تأكيداً أنني لا أعبد إلا
الله وحده مخلصاً له عبادتي.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّن دُونِهِ﴾ ستصيرون إليه فيجازيكم ﴿قُلْ إِن
الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
الْمُبِينُ﴾ هذا يبين أنكم إذا عبدتم غيره فإنكم ستكونون يوم القيامة خاسرين
تخسرون أنفسكم أي لا تبقى حياتكم ملكاً لكم يوم القيامة فالجرم يوم
القيامة لا يعاد خلقه إلا ليعذب فقط وهذه هي خسارته لنفسه، كما أنه
يخسر أهله لأنه لا يكون بينه وبين أهله أية علاقة فلا يبقى له أهل ولا أولاد
ولا زوجة انقطعت العلاقة، وافترقوا فراقاً أبدياً، فهذه خسارته لأهله، كما
قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبْنَاهُ﴾ [عبس: ٣٤-٣٥] ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ألا.. حرف تنبيه استدعاها إعراضهم
وجهلهم، ذلك الخسران البين لأنه دائم وقد خسر نفسه ولم تعد حياته له بل
لجهنم نعوذ بالله.

تُحَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ^١ يَتَعَبَّدُونَ^٢ فَاتَّقُونَ^٣ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَى^٤ فَبَشِّرْ عِبَادِ^٥ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ^٦ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ^٧ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ^٨ ﴿١٤﴾

﴿١١﴾ هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴿١﴾ لَبِ النَّارِ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ مِثْلُ الظُّلَلِ ﴿٢﴾ ذَلِكَ ﴿٣﴾ الْعَذَابُ الْمَذْكُورُ ﴿٤﴾ تَحَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ﴿٥﴾ يَصِفُهُ لَهُمْ لِأَجْلِ يَحْذَرُوا ﴿٦﴾ يَتَعَبَّدُونَ الْبَارِي بِالْتَّقْوَى، لِأَنَّ عَذَابَهُ شَدِيدٌ لَا أَشَدَّ مِنْهُ، قَالَ: ﴿فَيَوْمِئِذٍ لَا يُعَلِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥].

﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴿١﴾ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ الْأَصْنَامَ وَالشُّرَكَاءَ مَهْمَا كَانُوا بَشَرًا أَوْ غَيْرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴿٢﴾ وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ﴿٣﴾ رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ ﴿٤﴾ لَهُمُ الْبَشْرَى ﴿٥﴾ أَمَّا هُمْ فَهُمْ بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، هَؤُلَاءِ لَهُمُ الْبَشْرَى ﴿٦﴾ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ مَعْنَاهُ بَشَرِ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ اخْتَصُوا بِمِزْيَةِ الْعِبُودِيَّةِ، مِثْلَمَا قَالَ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وَقَدْ بَيَّنَّ مِنْ هُمْ فَقَالَ:

﴿١٣﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴿١﴾ أَيِ الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ ﴿٢﴾ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿٣﴾ هَذَا لِأَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ إِلَّا الْحَقَّ فَهُمْ يَسْتَمِعُونَ لَهُ وَيَصْغُونَ لَهُ بِصَدَقِ ﴿٤﴾ فَيَتَّبِعُونَ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سِلَاسَتِهَا وَتَرْكِيبِهَا حِينَ قَالَ: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ فَكَانَ مَنَاسِبًا ذِكْرَ الْإِثْبَاعِ بَعْدَ ذِكْرِ الْإِسْتِمَاعِ ﴿٥﴾ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿٦﴾ وَهُوَ الْحَكْمُ مِنْهُ الَّذِي اتَّضَحَ أَنَّهُ الْحَقُّ.

﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴿١﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ هَدَاهُمْ حِينَ سَعَوْا لِلْهُدَايَةِ أَوَّلًا ﴿٢﴾ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٣﴾ هُمْ أَهْلُ الْعُقُولِ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ اسْتَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ.

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلَفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ
يَهْبِجُ فَتَرْثُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ

﴿٢٠﴾ أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴿الذين استحقوا كلمة العذاب، وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [مود: ١١٩] وهي تعني أنه قد حكم عليه بالخلود في النار قد صار من أهلها، والجواب محذوف تقديره: فليس سواء هو والمؤمن المتقي الذي يستمع القول فيتبع أحسنه ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ الرسول ﷺ لا يقدر على إنقاذه؛ لأن الحكم لله وحده لا يستطيع أحد يوم القيامة أن ينفع أحداً كما قال سبحانه: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠] لا الرسول ولا غيره.

﴿٢١﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿هذا يبين: أن القيامة هي الحق، حين جعل لكل ما يستحق على ضوء ما قدم لنفسه، فالؤمنون ﴿هُمْ غُرَفٌ﴾ في الجنة ﴿مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ مسقوفة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ منظر جميل حين يرى الأنهار وهي جارية من تحته ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلَفُ اللَّهُ الْمِيعَادُ﴾ وعد الله وعدا لا بد منه لا يتخلف وعده هذا للمتقين.

﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ﴿هذا من نعم الله وقدرته؛ لأنه جمع بين الدلالة على قدرته وعلى نعمته ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فالماء هذا سلكه، جعل له مجاري في بطن الأرض ليكون ﴿يَنْبِيعٌ﴾ أي عيوناً نابعة.

فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

وهذه آية من آيات الله حين صرفه كذلك حتى لا يضيع بين طبقات الأرض وتشربه ويتبدد، بل جعل له مجاري مثل العروق في الجسد قنوات في بطن الأرض، ثم تظهر بشكل ينابيع لأجل منفعة الناس ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ بعد ما يتكون ينابيع يظهره في الأرض فيخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه هذا من دلائل قدرته لأنه يجعله مختلف الألوان؛ لأنه فاعل مختار يفعل الشيء كيفما أراد وليس علة ولا طبيعة لأن الطبيعة تكون بطريقة واحدة لا تختلف وليس لها إرادة.

﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ هم يفسرون ﴿يَهِيْجُ﴾ بمعنى (يبس) ولا أراه كذلك، بل كأنه يهيج يعني يتم صلاحه وينعقد ويحين وقت حصاده ﴿فَتَرْهُ مُصْفَرًّا﴾ حين بلغ الغاية المقصودة منه وهو حصول الثمر المطلوب فيه، فلم يمكث مثل ما كان قبل في نمو وخضرة؛ لأنه قد طاب وحن وقت صرمه.

وهذا هو الموافق لكلام الراغب الأصفهاني في (مفرداته) حيث قال: «يقال: هاج البقل يهيج: اصفر وطاب، قال عز وجل: ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْهُ مُصْفَرًّا﴾» اهـ. يعني: أنه يعرف أنه قد أحصد حين يرويه قد اصفر لا من عطش ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا﴾ عظمًا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأولي العقول.

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ شرح الله صدره وسعه ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ يكون راغباً فيه وعجاً له يسلم نفسه لله ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ النور هو الهداية؛ لأنه قال: ﴿فَمَن يَرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

رَبِّهِمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٨﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٩﴾ كَذَّبَ

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الذين إذا ذكر لم تخف ولم تخشع لأنها
لا تتأثر من ذكر الله فهم بخلاف هؤلاء الذين شرح الله صدورهم للإسلام
﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لأن مقتضى استعمال العقول والهدى أنه إذا
عرف الله أنه يخاف منه لكن هؤلاء ما عرفوا الله ولاذكروه حتى يذكروا
عظمته وقدرته لغفلتهم وقسوة قلوبهم فهم في ضياع.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ الله سبحانه هو نزل القرآن هذا على
هذه الصفة ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ لأن فيه الهدى والنور وكتاب مبارك
وأوصاف كلها جميلة جدا فهو أحسن الحديث ﴿كِتَابًا﴾ جعله كتابا لأجل
توارثه الأجيال ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ في جماله وصدقته وإتقانه ﴿مَثَانِي﴾ يتكرر فيه
المواعظ ويتكرر فيه القصص لأجل ترسخ في القلوب ﴿تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ لما فيه من المواعظ العظيمة النافعة المفيدة بحيث أن
الذين يخشون الله تقشعر جلودهم من بعض المواعظ فيه ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ
وَقُلُوبَهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ بسبب تأثرها من المواعظ فيه تلين: ترغب إلى ذكر الله
﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ المهتدون هم الذين يتأثرون بالقرآن
وتلين قلوبهم وجلودهم من ذكر الله ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ حين لا يهديه الله
﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ لا أحد يهديه لأن الهدى من الله سبحانه.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الذي قد ضل عن
سبيل الله وصار إلى جهنم ويداه مغلولتان لا يجد ما يتقي العذاب به إلا
بوجهه ليس معه ما يتقي به سواه.

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّخَذُوا أَلْعَدَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ
الْحَزْنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾ قُرْءَانًا
عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ

﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ لأن سببه الظلم في الدنيا ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾
ذوقوا لأن هذا جزاؤكم العادل، والجواب محذوف، كأنه يقول: هل يستوي
هو ومن يأتي آمناً يوم القيامة؟ كلا.. لا سواء وهي موعظة عظيمة.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأمم الأولى التي كذبت رسله ﴿فَاتَّخَذُوا
أَلْعَدَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حين أصروا على التكذيب ولم تنفع فيهم
الآيات كذبوا بآيات الله ورسله وكذبوا باليوم الآخر.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْحَزْنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لأن العذاب لما كان بسبب
ذنوبهم كان خزيًا عليهم وهو فضيحة وعار عليهم يستحيون منه ﴿وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا هذا الذي ذكره ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حتى
يحذروه.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾
آيات فيها أنواع من المواعظ، وأنواع من الزواجر، وأنواع من الإنذار
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ كفعل من يرجو أن يتذكروا.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ فهو نعمة على العرب وواضح مفهوم ﴿غَيْرَ ذِي
عِوَجٍ﴾ ليس فيه شيء يخالف الحكمة بل كله حق وصواب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾
حين جعله عربياً لكي يفهمه العرب لعلهم يتقون الله يؤمنون به ويتبعون
هديه.

مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ
رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٦٢﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ
بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ؎ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِي جَاءَ

﴿٦٠﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ ﴿٦١﴾ هذا المثل رد على
المشركين: يعني عبداً مملوكاً لأناس مشتركين فيه وهم ﴿مُتَشَكِّسُونَ﴾
متعاسرون فيما بينهم في هذا العبد المشترك ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ عبداً مملوكاً
﴿لِرَجُلٍ﴾ واحد ليس معه مشارك، فأيهما أحسن حالاً؟! ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا﴾ ليسوا سواء فكيف يرضى الله سبحانه وتعالى - على حسب دعوى
المشركين - أن يكون له شركاء في عبادته وهو حكيم ومن الحكمة والعزة أن
يكون الملك له وحده ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هدايته وتعليمه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ حين لم يستمعوا وأعرضوا عنه ولم يستعملوا عقولهم فما علموا.

﴿٦٢﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ
تَخْتَصِمُونَ ﴿٦٣﴾ ستنتهي الخصومة فيما بينك وبينهم في الدنيا لكن ويوم
القيامة تختصمون عند الله وهو عالم الغيب والشهادة الذي هو على كل
شيء شهيد فهو عالم بالحقيقة يحكم بينكم بالحق.

﴿٦٣﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ لا أظلم منه ﴿كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾
نسب إليه، إما قال: أنه أوحى إليه ولم يوح إليه بشيء، أو أي افتراء على الله،
كما نقل عن الرئيس الأمريكي (بوش الابن) قوله: «إنه يتلقى توجيهات
مباشرة من الله كل يوم» فعمد الكذب على الله دونما حجة ﴿وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ
إِذْ جَاءَهُ ؎﴾ حين جاءه القرآن الذي هو الحق الواضح كذب به.

بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي
عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ
بِكَافٍ عَبْدَهُ ۚ وَتُحَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
مِنْ هَادٍ ﴿٢٥﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ

فلا أظلم من كذب به؛ لأنه الكتاب الذي فيه نجاة الأمة يدفع عنهم
عذاب النار ويبلغهم إلى السعادة الدائمة، فتكذيبه أمر كبير وخطر عظيم فلا
أظلم منه ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ هي تكفيه جهنم مكاناً
وموتلاً، هي حسبه جزاء كذبه وافترائه على الله.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ رسول الله ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ الذي جاء
بالصدق والذي صدق به كلها تعني النبي ﷺ ما أظن إلا أنه النبي؛ لأنه
موصول واحد، لم يقل: والذي صدق به، ولا حجة للمخالفين الذين
يقولون: إنه بمجرد التصديق يصير مؤمناً يستحق الجنة ولو لم يعمل بمقتضى
الإيمان ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ هو الذي اتقى الله حق التقوى.

﴿هُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هذه كلمة جامعة لكل نعيم ولكل
خير ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذه الجنة التي لهم فيها ما يشاءون.

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ كانه في يوم القيامة يكفر
عنه سيئاته بحيث لا تذكر في حساب كأن لم يعمل شيئاً، يعني يغطي ما وقع
منه من سيئة أو زلة ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
والأحسن هنا هو العمل الصالح، وهذا عائد إلى المحسنين.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ هذا رد على المشركين الذين جعلوا مع الله
إلهاً آخر وهم معترفون بالله، ولكن مع اعترافهم بالله يريدون أن يجعلوا معه غيره،

﴿٢٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرَّهُ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي

فقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ فلماذا يحتاج مع الله إلى إله غيره فهو يكفيه؛ لأنه الذي يسمع دعاءه وهو الذي سيستجيب، وهو الذي يرزقه، وهو الذي ينفعه ويدفع عنه الضر، لا يحتاج إلى غيره أبداً وخصوصاً أولئك الشركاء الذين ليس منهم أي فائدة.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ يا رسول الله ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ الشركاء الذين اتخذوهم شركاء أنهم سيضرونك ولكن ليسوا بضارين لأحد إلا الذي يعبدهم لأنه يدخل النار بعبادته لهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الذي رفض هدى الله كيف يهتدي بهدى غيره؟ بمعنى أنهم ضلوا ضلالاً لا أحد يهديهم.

﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴿٣٠﴾ مثل رسوله حين كانوا يخوفونه لأجل أن يضلوه لا يستطيع أحد أن يضلّه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب قاهر فوق عباده لا ينال ﴿ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ يتقمم من تمرّد عليه وعصاه فهو كالوعيد لأولئك الذين يخوفونه.

﴿٣١﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ يا رسول الله ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ هم معترفون بالله مقرون به ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ شركاءكم هؤلاء ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرَّهُ﴾ هل يدفعونه عني.

عَمِلٌ ﴿٢٨٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُّخِيزٌ ﴿٢٩٠﴾ وَنَحْلٌ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٩١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ بِوَكِيلٍ ﴿٢٩٢﴾ اللَّهُ

﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمَسِّكَةٌ رَّحْمَتِهِ﴾ لا يستطيعون أن يدفعوا ضراً قد أراده الله ولا يردون منفعة قد أرادها فتبين أنهم عاجزون لا يملكون ضراً ولا نفعاً ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ سيكفيني لا احتاج إلى غيره ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ عليه لا على غيره وهو الكافي لعباده.

﴿قُلْ يَتَقَوِّمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ﴾ هذا متاركة لهم ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ سأعمل على ما أنا عليه وأنتم على ما أنتم عليه أترككم وتتركوني .. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ * مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُّخِيزٌ وَنَحْلٌ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿يوم القيامة يوم الجزاء يبين لكم الصدق من هو الذي سيعذبه الله ومن هو الذي يسلم من العذاب، وهل تنفعكم أصنامكم أو تشفع لكم أو أنها لا تملك شيئاً﴾.

﴿إِنَّا﴾ أي إن الله جل جلاله لعظمته وحكمته وعزته وقدرته وعلمه ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ ليهتدوا به رحمة للعالمين ﴿بِالْحَقِّ﴾ إنزاله بالحق لأن ملك الملوك رب العالمين هو الذي أنزله الأمر له عليهم يأمرهم وينهاهم ويعلمهم ويهديهم ويتولى شئونهم هو ربهم الله فإنزاله هو الحق ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ اتبع القرآن لأن فيه الهدى والنور ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ نفع نفسه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الهدى أبى أن يستمع إلى القرآن وأعرض عنه ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ضر نفسه ﴿وَمَا أَنتَ بِوَكِيلٍ﴾ لست ملزماً أن تهديهم ما أنت إلا نذير تبلغهم وتنذرهم.

يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٧﴾ أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۚ لَهُ مُلْكُ

﴿٤٧﴾ ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ عند نهاية الأجل سواء حتماً أو خرمًا فالخرم نفسه أجل مسمى ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ يتوفاها ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ وفاة النوم بمعنى: أنها في قبضة الله ليس لها عمل اختياري.

﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ لا يردها إلى الدنيا ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ التي توفاهها بالنوم ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن ينتهي أجلها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إن هذا النوم آية عظيمة حينما يجعله الباري قاطعاً للعمل، فالنائم يكون مثل الميت ثم يتبّه ويستعيد قواه التي فقدتها حال النوم، فهو آية وعبرة لمن تفكر لأنه يشبه الموت والحياة بعد الموت ويذكر بهما كل يوم.

﴿٤٨﴾ ﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أعندهم أنهم سيشفعون لهم ويسلمون من العذاب هذا المذكور في قوله: ﴿فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ الخ [هود: ٣٩].

﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ آتَّخَذُوا﴾ بمعنى (بل) و(الهمزة) للإضراب كأنهم قد علموا أنهم على الباطل لكن هم معتمدون على الشفعاء أنهم سيشفعون لهم ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ اتَّخَذُونَهُمْ شُفَعَاءَ يشفعون لكم وهم لا يملكون شيئاً ليس لهم شيء من الملك، إنما هم عباد أمثالكم ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يعلمون ماذا تفعلون.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّ

﴿١٤﴾ قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ الله وحده أمرها إليه ليس لأحد أن يشفع ليس لأحد شرك في الملك الشفاعة الله لا يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه فالأمر له فيها، وإن لم يأذن ولم يرض فلا شافع ولو كان أكبر ملك ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الملائكة ومن في الأرض كلهم عباده لا أحد شريك في الملك ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ كلكم يا عباد الله ترجعون إليه، يسألهم لأنه ربهم المالك لهم يسألهم ويحاسبهم ويمجازيهم.

﴿١٥﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ تحقير لكفرهم لما كانوا مشركين، كانوا إذا ذكر الله وحده لا إله إلا الله اشمازت قلوبهم: نفرت من هذا الكلام لأنهم لو كانوا يؤمنون بالآخرة لخافوا فأنصفوا واستعملوا عقولهم حتى يعلموا أنه لا إله إلا الله ﴿وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يرتاحون عندما تذكر أصنامهم التي ليس لهم عليها حجة وإنما تعصب أعمى بغير حجة وهوى وعناد.

﴿١٦﴾ قُلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ قد علمت ما وقع مني وما وقع من هؤلاء المشركين أنت عالم بكل شيء عالم الغيب والشهادة ﴿أَنْتَ﴾ الذي أنت عالم بما قد وقع فأنت الشاهد والحاكم ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ أنا وإياهم وكل عبادك تحكم بيننا يوم القيامة ﴿فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا.

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةٌ لَهُ مِنْ سُوءِ
 الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٨﴾
 وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٩﴾ فَإِذَا
 مَسَّ الْأِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ

﴿٤٧﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةٌ لَهُ
 بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٤٨﴾ هذا يوم القيامة يوم عسير على الذين
 ظلموا في الدنيا يتمنون ويرغبون في أن يفتدوا لو كان مع الواحد منهم ملك
 الدنيا كله ومثله معه لدفعه فداء لنفسه من نار جهنم لو كان يقبل منه لأنه
 عذاب شديد نعوذ بالله.

﴿٤٩﴾ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٩﴾ ما لم يكونوا يتوقعون ولا
 كانوا ينتظرون ولا يؤملون فكانت مفاجأة عظيمة عند السؤال وعند
 الحساب والجزاء كل ذلك كان على خلاف ما تصوره، لفرط غفلتهم
 وإعراضهم عن النذير فرأوا من الهول عندما صدر الحكم عليهم بجهنم
 وعندما يساقون إليها وعندما رأوا أن الأمر جد حينما زج بهم داخل جهنم
 ولا شفيع حينها يشفع، فكانت المفاجأة شديدة نعوذ بالله.

﴿٤٨﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴿٤٨﴾ حينما نبأهم الباري بما كانوا
 يعملون وقرؤوا صحائف أعمالهم فرأوا سيئات كبيرة وكانوا متهاونين بها لا
 تشكل عندهم خطورة وهناك ظهر لهم عظمها ﴿٤٩﴾ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٩﴾ صار حجة عليهم ذلك الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن
 والرسول ﷺ كان حجة عليهم يوم القيامة فرأوا نتيجة استهزائهم وإذا بها
 قد أحاطت بهم.

عَلِمَ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣﴾ أَوَلَمْ
يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

﴿١١﴾ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ هذا في الدنيا ﴿دَعَانَا﴾ على عادته
أن يدعو عند الشدة ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾
هذه من جهالته بالله أنه إذا حوله الباري: ملكه نعمة منه من الله لم ينتبه أنها
من الله وأنه يجب عليه أن يشكره ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ إنما حصلت
عليه ببصيرتي وحنكتي وحسن تدبيري! ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ الخير والشر، فإذا
أغدق عليه النعمة فهي فتنة له لأنها اختبار لمدى شكره أو كفره ﴿وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لجهالتهم وإعراضهم عن الله.

﴿١٢﴾ ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ هؤلاء
الأولون مثل قارون قالوها تباهاوا بذكائهم وفطنتهم وخبرتهم في كسب
الأموال وجمع الدنيا ولكن حينما جاءهم العذاب، ضاعت البصيرة وتلاشت
قوتهم أمام عذاب الله فما استطاعوا دفعه ولم يغن عنهم ذلك شيئاً.

﴿١٣﴾ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أصابهم عقاب تمردهم وعنادهم
﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ الذين عندك يا رسول الله الذين حولك هم
كذلك ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ كأن هذا التهديد
بعقوبة عاجلة مثل ما أصاب الأولين لأن هؤلاء تمردوا وعاندوا وأفسدوا
فلا بد أن يصيبهم مثل ما أصاب الأولين، وهذه سنة الله في الذين خلوا من
قبل.

يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾ وَأَنْبِئُوا

﴿٥٦﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿٥٧﴾ ليس يكسب المال بالذكاء والدهاء ولكن الله هو الذي إن شاء بسط الرزق وإن شاء قدره أي نقصه، فإذا جاءت النعمة فهي منه لا دخل لعلم الإنسان وخبرته فيها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ بسط الرزق وتقديره ﴿لَا يَنْتَلِقُونَ أَيُّهَا﴾ هذا صدق وحق، والواقع دليل عليه، حيث نرى بعض الناس تتسهل له أسباب الرزق وبأدنى سبب نرى أمواله تجتمع وتكثر بغير عناية كبيرة ولا بصيرة، وبعض الناس خبير وحاذق ومدبر ولكن لا تيسر له أسباب الرزق فتتعرثر خطواته عن بلوغ آماله ولا يحصل إلا على قدر يسير من المال، فهو دليل على أن هناك يداً متصرفة وقدرة مدبرة تبسط وتقدر وهذه من آيات الله.

﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ هذا ابتداء كلام وهو دعوة إلى التوبة والرجوع إلى الله من قبل الذين قد أسرفوا، سواء المشركين الذين قد أسرفوا وأدوا البنات وفعلوا جرائم كثيرة، أو غيرهم من مرتكبي الذنوب مهما عظمت فلا يجوز أن يقنطوا من رحمة الله لأنه يقبل التوبة يقبل من رجع إليه ولو كانت الذنوب كثيرة وكبيرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ برحمته حين يرجع إليه لا تمنعه كثرة الذنوب من المغفرة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ كثير المغفرة والرحمة لكن ليس الغفران والرحمة بغير رجوع إليه وتوبة، بل هي مثل قول الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] ثم فسرها بقوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤] فكذاك هنا، ولهذا نراه أردفها بقوله تعالى بعدها مباشرة:

إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥١﴾
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٢﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي
جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٣﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي
لَكُنتُ مِنَ الْمَتَّقِينَ ﴿٥٤﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي

﴿٥١﴾ وَأَتَّبِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ارجعوا إليه لأجل يغفر لكم الذنوب التي
كثرت ولو كانت مثل الجبال ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أسلموا له أنفسكم أخلصوها
له لا تجعلوا فيها شركاً لغيره ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ﴾ لأنه إذا قد جاءكم العذاب فلا توبة حينئذ ولا إنابة ولا تسليم
ينفع، ولا ناصر يدفع.

﴿٥٢﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وهو الذي يكون الاهتمام
به مؤدياً للتوفيق والهداية لبقية الأعمال كالجهاد في سبيل الله قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت ٦٩] وهكذا التوحد
وترك التفرق والانفاق في سبيل الله ونحو ذلك ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ يباغتكم في حالة وأنتم لا تشعرون بمجيئه.

﴿٥٣﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ احذروا أن
تصلوا إلى هذه الحالة التي قد تقولون فيها هذا القول، فاحذروا لئلا تقول:
﴿يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي في شأنه في أمره حين عصيته في
الدنيا ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ أقر على نفسه بأنه كان مستهزئاً بآيات
الله وساخراً منها.

﴿٥٤﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمَتَّقِينَ﴾ احذر أن
تصل إلى حالة سيئة تقول عندها كذلك، هذا المجرم حين يرى أولئك المؤمنين

كَرَّةً فَأَكُوتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَأَسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا
عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

الذين اهتدوا بهدى الله واتقوه وسلموا من عذابه ينقلب مدعياً على الله أنه السبب في عدم هدايته مثلهم، لكنه سبحانه قد هداه وجاءه بالآيات الواضحات، وإنما هو الذي عاند وأعرض عنها وأبى أن ينصت أو يفكر أو ينتبه بل مضى في إعراضه وتكبره حتى وصل إلى هذه الحالة والآن يريد أن يكون مع أولئك المهتدين!

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ﴾ لم يتذكر إلا في هذه الحالة ﴿لَوْ أَنَّ﴾ إلى كَرَّةً ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ حِينَ قَالُوا: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] وكذلك هذا قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ عودة إلى دار الخيار ﴿فَأَكُوتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لو تباح لي العودة مرة واحدة فسوف أعمل حتى أكون من المحسنين، أعلى درجة في التقوى والإنابة.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَأَسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ هذا رد على قوله: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ بلى قد هداك وإنما أنت الذي رفضت هدايته أما هو فقد علمك الطريق ودلك عليها ودعاك إليها وأرسل الرسل وبين لك كل شيء، ولكنك أعرضت وتكبرت.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ هم المشركون وقد يكون من جملتهم المجبرة الذين يقولون: إن الله الذي خلق المعاصي وأوجدها فيهم؛ لأن هذا من أشد الكذب على الله سبحانه، فيعرفون يوم القيامة بهذه العلامة.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١٦) اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٧﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ أَغْيَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ بمعنى: أليست تكفي مقرأ لهم؟! بلى.. إن فيها مثنوى كافيا في تعذيبهم تنهي كبرهم وعنادهم وتخزيهم، مثل قوله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا﴾ [المجادلة: ٨] هي عذاب كافٍ ومقر مناسب بقدر معاصيهم وتمردهم وتكبرهم عن الحق.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ ينجيهم بموضع نجاتهم وظفرهم بالخير العظيم ﴿لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ﴾ أي سوء ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لأنه لا يوجد ما يحزنهم ليسوا مثل أهل النار في حزن وبلاء.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فهو الإله لا إله غيره ولا فائدة أو معنى في الرجوع إلى غيره لأنه على كل شيء وكيل يعني: ليس متخلياً عن العالم أو معرضاً عنه، بل هو المدبر لشتون كل شيء.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وإذا كانت المفاتيح بيده فهو بلا شك المالك لها ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ الذين دهم على الخير وبين لهم الحق فرفضوا هدايته ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لأنهم تعاملوا عن معرفة طريق نجاتهم وطريق سعادتهم.

﴿قُلْ أَغْيَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ قل أغير الله الذي هو القادر على كل شيء الذي قدر على خلق السموات والأرض وهو على كل شيء وكيل، فكيف تأمرونني أن أعبد غيره وهو لم يخلق ولم يرزق.

أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِيمِينِهِ ﴿٢٧﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٨﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ
مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا

﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٦﴾ هذا دلالة على قبح الشرك وكونه ظلماً عظيماً
بحيث أنه لو أشرك حتى وهو رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله لو
أشرك لحبط عمله، وكذلك الذين من قبله من الرسل والأنبياء لو أشركوا
لحبط عنهم ما كانوا يعملون تضيع كل أعمالهم التي كانوا يعملونها.

﴿٢٦﴾ ﴿بَلِ اللَّهِ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْ﴾ لا تعبد غيره ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾
له على نعمه ومن جملة نعمه الهدى بالكتاب وما أوحى إليك.

﴿٢٧﴾ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ هؤلاء المشركون والكفار من أهل الكتاب وكل
من شبهه بخلقه ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ لأنهم يشبهونه بخلقه ﴿وَالْأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِّيمِينِهِ﴾ فالعظمة له
سبحانه حيث أن الأرض جميعاً أي كلها - يمكن أن تكون السبع الأرضين -
قبضته يوم القيامة، يعني في قبضته تحت تصرفه وولايته دون غيره.
﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِّيمِينِهِ﴾ واليمين هنا بمعنى القدرة، وهذا كما
قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] تطوى كما تطوى
الورقة ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذه التي جعلوها أندادا له هو
منزه عن أن يكون له ند وشريك.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٢١] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هذا يوم القيامة حين قال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ نفخ في الصور الصيحة الأولى، وهي تكون لهلاك الناس وغيرهم إلا من شاء الله ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ الصيحة الثانية، وهي قوله: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِيَ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكِّرُ﴾ [الفر: ٦].

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين جاء موقف الحساب، موقف العدل والحق حيث لا باطل ولا ظلم ولا فساد وليس للمشركين والمجرمين أي حركة في الباطل ما هنالك سوى هدى وخير وحق وعدل ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال ليُشاهد كل عمله، كأنه - والله أعلم - تعرض الأعمال عرضاً حياً فيُشاهد نفسه وهو يعمل الأعمال في الدنيا كما يشاهد التلفزيون، ولا أرى أنه كتاب حروف لأن الحروف تحتاج إلى تعليم بينما كثير من الناس عامة لا يكتبون ولا يقرؤون.

﴿وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ لأنه موقف محاكمة بين النبيين وأممهم والشهداء الذين يشهدون على أعمال من عايشوهم في الدنيا كما قال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] فالأنبياء يشهدون والأوصياء يشهدون ومن كل أمة شهيد ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ حكم بينهم يوم القيامة في موقف الحكم موقف الحساب موقف السؤال موقف العرض على الله هذا الموقف قضى بين العباد بالحق وهم لا يظلمون لا يظلم أحد ما حصل له من خير أو ثواب فهو له، وما كان عليه من ذنب فلا يزداد عليه مثقال ذرة.

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبُئِسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِيحتْ أَبْوَابُهَا

﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ ما عملته من الخير يسلم لها لا ينقص عليها شيء ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ سبحانه لأنه عالم الغيب والشهادة علمه محيط لا يضيع شيئاً ولا ينقص شيئاً ولا ينسى شيئاً.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ بعد أن حكم بينهم سيقوا زمراً: جماعات وأفواجاً ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتْ أَبْوَابُهَا﴾ حينما وصلوا إليها فتحت أبوابها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ احتج عليهم خزنتها لأن هذا أمر عظيم وورطة كبيرة وقعت فيها دخول جهنم ألم يكن قد جاءكم إنذار من قبل لتحذروها ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ منذرين بحجة واضحة مقنعة لا مجال للتردد في تصديقه ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ حقت عليهم حين كفروا لأنهم رفضوا، والكلمة هذه هي كلمة العذاب: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾

[هود: ١١٩].

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قال الزبانية لهم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها في جهنم ﴿فَبُئِسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ بئس: ما أسوأ هذا المقر مقر المتكبرين، ولكنه موافق للمتكبرين.

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾ وَقَالُوا
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ
 نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٣﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ
 الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٧٤﴾

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ وهم كذلك جماعات
 وإن لم يكونوا مثل جماعات أهل النار بل هم قليل ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
 وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ لا يصلون إلا وقد فتحت لهم الأبواب من قبل، كما قال:
 ﴿جَنَّاتٍ عَذْنٍ مَفْتُوحَةٍ لَهُمْ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] استقبال كريم، لأن فتح الأبواب
 من قبل وصول الوفد يدل على الحفاوة وكرم الضيافة ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأنهم قد عرفوهم أنهم أخیار وأنهم إلى خير ﴿طِبْتُمْ﴾
 عرفوهم أنهم طيبون منذ أن توفتهم الملائكة طيبين ﴿فَادْخُلُوهَا﴾ ادخلوا
 الجنة ﴿خَالِدِينَ﴾ باقین فیها دائماً.

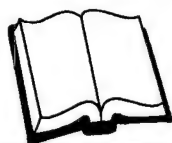
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ أهل الجنة يحمدون الله
 الذي وعدهم الجنة فصدق وعده ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ
 مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ حيثما أراد أن يسكن هنا أو هنا لديه متسع كبير،
 ولديه قصور جاهزة أينما أراد أن يسكن ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هذا الأجر
 العظيم الكبير للذين تعبوا في الدنيا وصبروا حصل لهم ما يستحقونه.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ﴾ في ذلك اليوم ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾
 من حول مكان صدور الوحي، أعتقد أن العرش هو الموضع الذي يصدر
 عنه الوحي يصدر عنه الأمر والنهي والحكم والسؤال كلها مصدرها

يسمى العرش والملائكة حافون من حوله، مثل ما يحف الحجاج بالكعبة، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ على وظيفتهم تلك يعني حتى وهم في الجنة، لأن قلوبهم تحب الله وتحب ذكره والتسبيح بحمده وفيه نعيمهم وسرورهم ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بين العالمين كلهم ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على هذا القضاء العادل وعلى هذا الجزاء الوافر لعباده المؤمنين.



التَّيْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ



سُورَةُ غَافِرٍ



سُورَةُ غَاثِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ
التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ مَا
تُجَدِّلُ فِي ءَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ۝

﴿١﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حَمَّ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿حَمَّ﴾ هي حروف مثل: ﴿الم﴾ ﴿الر﴾ وقد مرَّ الكلام فيها
وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ مثلما قلنا في ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ
مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الباقية: ٢] إلا أنه هنا: ﴿الْعَلِيمِ﴾ لأنه أنزله بعلمه وهو
عليم، والعليم لا يخفى عليه شيء حتى يغلط أو ينقص ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾
بعض الذنب يكون خطأ أو نسياناً ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ كذلك يقبل التوبة،
والتوب: الرجوع إلى الله، فهو يقبله من العبد، ولو كان قد طال به الزمن
وهو منهمك في المعاصي.

﴿ذِي الطَّلَوِ﴾ الغني المالك الواجد الذي عنده الخير الكثير والنعم
الجسام خزائن السموات والأرض بيده ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ هذه
جمعت التوحيد وإثبات القيامة وكون أمورها إليه لا إلى غيره، فهذا يرد على
المشركين في إثبات الشفعاء، لأن المصير إليه وحده لا إلى غيره.

﴿مَا تُجَدِّلُ فِي ءَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كفروا بنعمة الله وكفروا
بالله ﴿فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ﴾ ولو تقلبوا الآن في التجارة والسفر آمنين
متمكنين فذاك أمد قليل ويتتهي، ويصيرون إلى النار.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ^٥ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا

﴿٥﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴿٦﴾ وكانوا في قوة كذلك ﴿٧﴾ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿٨﴾ من بعد قوم نوح، الأحزاب جمع حزب أي جماعة متشايعين متعاونين.

﴿٩﴾ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴿١٠﴾ ما كفاهم أن يكفروا به بل اندفعوا لياخذوه لشدة غضبهم وفرط تعصبهم ﴿١١﴾ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴿١٢﴾ لكي يبطلوا الحق ويسقطوه حتى لا يبقى له دور في الحياة ﴿١٣﴾ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١٤﴾ فذلك هؤلاء سيلقون مصير أولئك لأن منهمجهم واحد في الصد عن سبيل الله.

﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٦﴾ وكذلك كما عذبناهم في الدنيا نعذبهم في الآخرة ﴿١٧﴾ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿١٨﴾ كلمة العذاب حقت عليهم، وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴿٢٠﴾ هؤلاء الملائكة المقربون ﴿٢١﴾ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٢٢﴾ ويسبِّحون لنا كيف يستغفرون للذين آمنوا قالوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَىٰ

معنى ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ وَعِلْمًا﴾ أن رحمته واسعة كما قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] والعرش إذا أثبتنا عرشاً فليس بمعنى (سرير). وإنما عرش بمعنى (مصدر الوحي) حتى ولو كان مكاناً مثل بيت الله في الأرض الكعبة، التي هي قبلة للناس فهو كذلك يكون مصدراً للوحي مقدساً عند الملائكة، وهو يعني: رمز الملك، وتكون عبادتهم لله تتمثل في حمل هذا الرمز.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لأنه من عزته وحكمته أن يعز أوليائه ويكرمهم، مثل ما قال في (سورة التوبة) ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿..إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٧١].

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ قههم ما يسوءهم من كل أهوال القيامة وأفزاعها وكل ما يسوء ينجيهم منه ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ﴾ يوم القيامة فقد رحمته، يعني: قد وضعت له علامة أنه من أهل الجنة وأنه آمن.

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ رحمة الله في الآخرة لأنه من يصرف عنه عذاب جهنم فقد رحمه فهو فوز عظيم، لأن فيه النجاة من النار ولو لم يدخل الجنة فضلاً عن أن يجتمع له النجاة من النار والفوز بالجنة.

إِلَیْمَنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا أَتْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي

﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقَّتْ لَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴿١١﴾ ينادون كأنه يوم القيامة: لملت الله: غضبه عليهم في تلك الحال أكبر من مقتهم لأنفسهم حين مقتوا أنفسهم في الآخرة؛ لأنه ﴿يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] من الندم، فكانه قال: إن الله يمقتكم ويغضب عليكم أكبر من غضبكم على أنفسكم يوم القيامة ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ لا يحتاجون على الكفر دليلاً ولا حجة، وإنما هو هوى يعاندون به الباري الذي خلقهم ورزقهم.

﴿١١﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا أَتْنَتَيْنِ ﴿١٢﴾ كأنه الموتة الأولى قبل إحيائهم في بطون أمهاتهم كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] والموتة الثانية خروج الروح من الجسد والله أعلم ﴿وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَتَيْنِ﴾ الإحياء بعد الموت، وحياتهم الأولى قبل الموت وكلامهم هذا يفيد أن غضب الله قد أشد عليهم وهم يريدون أن لا يغضب عليهم لأنه قد أماتهم مرتين وأحياهم مرتين وقد اعترفوا بذنوبهم.

﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ هل هناك أي طريقة للخروج، وهذا يشير أنهم قد دخلوا النار وليس في المحشر.

﴿١٢﴾ ذَلِكُمْ الْعَذَابُ وَغَضَبُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴿١٣﴾ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴿١٤﴾ حين تكفرون بالتوحيد توحيد الله في العبادة بغير حجة وإنما هوى وعناد ﴿وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ أما الشرك فأنتم تقبلونه وتؤمنون به من غير حجة ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ فهو العلي الكبير قد حكم بحكم الحق.

يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ ﴿١٤﴾ فهو الإله الحق أما تلك الأصنام فهي لا شيء، لا تسمع، ولا تهدي إلى شيء، هو سبحانه الذي يهدي إلى الحق ﴿وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ المطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ بآيات الله حتى يعرف الحق ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ من يرجع إلى الله أما من يعاند ويتكبر فلا يتذكر.

﴿١٥﴾ فَادْعُوا اللَّهَ ﴿١٦﴾ اعبدوه بالدعاء ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مخلصين له العبادة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ لا تبالوا بهم.

﴿١٣﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴿١٤﴾ عظيم الشأن ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ ملك الملوك ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ ينزل الملائكة على الرسل بالوحي الذي فيه الهدى والنور بما يحمله من رعاية لشؤون عباده ويلقيه ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ على الأنبياء والمرسلين على من يشاء فالأمر له يختار من يشاء ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ لأهمية الإنذار فهو ينزل الوحي على من يشاء لينذر يوم التلاق يوم القيامة، يوم تتلاقى الأمم وتجتمع.

﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ ﴿١٦﴾ كلهم قد حشروا ما بقي أحد مختبئاً في بطن الأرض قد حشروا وعرضوا على الله في موقف العرض صفاء ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ لا يخفى على الله منهم أي عمل صالح أو أي زلة قد وقعت منهم في الماضي كل شيء من أمورهم لا يخفى على الله.

لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ﴿٥﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٦﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ هذا سؤال يلقيه عليهم وقت اجتماع العالمين كلهم حين رأوا وتأكدوا أن الحكم له وحده لا شريك له ولا شفيع معه ولا دخل للملك ولا لني ولا لشركاء المشركين ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ الملك له وحده الواحد القهار الغالب على أمره القاهر فوق عباده.

﴿الْيَوْمَ﴾ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ بعملها الصالح أو الطالح ﴿لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ﴾ لا يظلم أحد بنقص من ثوابه، ولا يظلم أحد بزيادة في عذابه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يغلط على أحد ولا يحتاج إلى أن يفكر في الحساب.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ يوم القيامة لأنها آزفة، أي قريبة، قال: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧] بمعنى قربت ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ من شدة الخوف قد انتفخت الرئة وزاحمت القلب فطلع القلب إلى الحنجرة من شدة الخوف ﴿كَظْمِينَ﴾ الخوف الشديد ﴿مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ يعاونهم أو يعطف عليهم، والحميم الصديق الخالص ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ ولا معهم شفيع يشفع لهم ﴿يُطَاعُ﴾ يتدخل ويكون له مشاركة في الملك.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ الباري سبحانه يعلم لحظ العين عند الإشارة السريعة بها ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ما تضمرة القلوب ولا يتكلم به اللسان فهو عالم به سبحانه وهو عالم بكل شيء هو قادر على القيامة لأنه عالم بكل شيء من الأشخاص وأجزائهم وأعمالهم كبيرها وصغيرها قديمها وحديثها وهكذا الأمم الأولون كلهم هو عالم بهم.

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ

﴿٤﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴿٥﴾ يحكم بالحق سبحانه بين عباده يوم القيامة ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴿٧﴾ وهم الذين يدعوهم المشركون ﴿٨﴾ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴿٩﴾ لأنهم عاجزون وليس لهم حكم ولا أمر ولا شيء إنما هم عباد مملوكون ﴿١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ أما شركاؤهم فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يحكمون بشيء.

﴿١٢﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١٣﴾ الأمم الذين قبلهم الذين كذبوا رسلهم ولم يصغوا إلى الإنذار ما زالت آثارهم باقية ﴿١٤﴾ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴿١٥﴾ الأمم الماضية هم عبرة لهم يعتبرون بهم ويحذرون مصيراً مثل مصيرهم لأنهم كانوا أهل قوة وما نفعتهم قوتهم ﴿١٦﴾ وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ ﴿١٧﴾ كان لهم آثار في الأرض حين كانوا يحرقون وينون وينحتون كان لهم آثار بسبب تمكّنهم ﴿١٨﴾ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٩﴾ ما بقي من يقيم لا أصنامهم ولا غيرها.

﴿٢٠﴾ ذَلِكَ ﴿٢١﴾ العذاب والأخذ ﴿٢٢﴾ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿٢٣﴾ فقامت الحجة عليهم ﴿٢٤﴾ فكَفَرُوا ﴿٢٥﴾ والحجة قائمة عليهم وقد أنذرهم وحذرهم ولم يبق لهم عذر ﴿٢٦﴾ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ﴿٢٧﴾ بذنوبهم عقوبة لهم فهولاء ممن بعدهم عليهم أن يعتبروا بهم ﴿٢٨﴾ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٩﴾ سبحانه.

أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَقُرُوتَ فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ

﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾ لست أنت بأول رسول ولست بدعا من الرسل قد أرسلنا قبلك موسى بآياتنا وسلطان مبين لأنه كانت له الآيات التسع، وكان له السلطان: هبة لا يقدر على الاعتداء عليه وقد قتل منهم نفساً وحين وصل إليهم لم يستطيعوا من الهبة أن يعتدوا عليه لأنه مرسل بسلطان مبين: بين واضح أن معه هبة من الله.

﴿١٤﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَقُرُوتَ ﴿١٥﴾ هذا قارون أصله من قوم موسى لكن كان مع ثروته وغناه كأنه مقرب عند فرعون فالرسالة إليهم كلهم ﴿فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ما آمنوا بالآيات وهي آيات واضحة من الله قال - أي موسى - : ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاثِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا ﴿١٧﴾ عاندوا لما جاءهم بالبينات الواضحة التسع ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ أبناء من قد آمن معه من (بنى إسرائيل) عقاباً لهؤلاء الذين آمنوا.

﴿وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ استبقوهن للخدمة ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ هم يريدون أن يكيدوا الإسلام الدين الذي جاء به موسى ولكن كيدهم في ضياع بطل كيدهم كله.

رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣١﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
 الْحِسَابِ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ
 رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ وَإِنْ يَكُ
 كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ
 اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٣٣﴾ يَنْقُومَ لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَهَرِينَ

﴿٣١﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ ۚ يَزْعَمُ أَنَّهُمْ هُمَ الَّذِينَ مَنَعُوهُ
 مِنْ قَتْلِهِ حِينَ قَالُوا: (ارجه وأخاه) لكن الأصل أنها هيئة شديدة لموسى
 حالت دون قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ دليل على أنه يعرفه وأن له كرامة وشأناً
 عند الله عظيماً حين قال: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ولتبرير قتله قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ هكذا الطغاة في كل زمان
 يقبلون الحقائق يجعلون المصلح مفسداً والمفسد مصلحاً.

﴿٣٢﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ ۖ لِأَصْحَابِهِ لَشَأْ يُخَافُوا ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾
 لجأت إليه يحفظني ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ مثل فرعون.

﴿٣٣﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ ۖ قَالَ هَذَا
 بعدما كان سمع فرعون يقول ذروني أقتل موسى فعزم على أن ينصح
 قومه، لأنه قد علم أن عاقبة قتله هي هلاكهم حسب سنة الله في الأمم
 الأولى، فأحب أن ينصحهم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ كيف
 تقتلونه لأنه قال: ربه ﴿اللَّهُ﴾ لا عليكم من كلمته هذه.

﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كيف يكون كاذباً وقد جاء بالبينات
 ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ وعلى فرض أنه كاذب فليست التبعة عليكم

فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٦١﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٦٢﴾ وَيَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ حينما تقتلونوه وهو صادق فيما جاء به ستهلكون، وقد حاول أن يهون العبارة عليهم بقوله: ﴿بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ لتسوغ عندهم وتقبل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ يشير بهذا إليهم حين يكون موسى مصيباً فيردون الحق وقد علموه حقاً لأنه جاء بالبينات وردوها، ورفضوا أن يؤمنوا فهم مسرفون كذابون.

﴿يَنْقُومُ لَكُمْ أَلْمَلُكُ الْيَوْمَ﴾ يذكرهم بالقوة التي هم فيها ﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ غالبين ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ أما الباري فلا نستطيع إن جاءنا عذابه أن يرد عذابه ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾ يعني لا أغرر عليكم إنما أنصحكم وأدعوكم إلى شيء عندي أنه الرأي والصواب ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ أريد رشدكم لأن موسى يريد أن يخرجكم من أرضكم حين نسلم إليه بني إسرائيل، ثم تبين أن فرعون لم يدهم لما يرشدكم حين غرقوا في البحر، قال الله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩].

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أولاً تحذيرهم من العذاب العاجل في الدنيا، وأن يعتبروا بمن مضى من الأمم الماضية.

﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ والأمم الذين من بعدهم كلهم أهلكهم الله بسبب تكذيبهم لرسولهم وهمهم بأن يأخذوهم ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ وإنما هم الذين يجرون الوبال على أنفسهم فهم الذين ظلموا أنفسهم.

عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣١﴾ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٣﴾

﴿٣١﴾ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣١﴾ وهذه الثانية، الأولى التخويف من العذاب العاجل وهذه يخوفهم من العذاب الآجل عذاب الآخرة ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ التناد الذي أخبر به في (سورة الأعراف): ﴿وَنَلَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [آية: ٤٤] ﴿وَنَلَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ [آية: ٤٨].

﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴿٣٢﴾ وهذا يوم القيامة قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبا: ٥١] يهمون بالفرار، كأنه حين يؤمر بهم إلى النار، ولكن ﴿إِنَّ الْمَفْرُ﴾ [القيامة: ١٠] ولا من منقذ أو ناصر.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ لا أستطيع أن أهديكم إذا قد أضلكم الباري لأنكم قد تمردتم عليه وعصيتموه وعاندتموه، فاستحققتم الضلال والخذلان.

﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ﴿٣٣﴾ وأنتم تعلمون أنه رسول ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ بغير حجة من الله وإنما لا تريدون الرسل ولا تريدون الهدى ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ فلا يهتدي للحق لأنه لا يريد الهدى بل يريد الباطل.

الَّذِينَ تَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ

﴿٢٥﴾ الَّذِينَ تَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ هَؤُلَاءِ يستحقون الضلال والخذلان لأنهم يجادلون في آيات الله لكي يبطلوا الحق بعدما تبين لا لحجة عندهم ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ممقوتاً يغضب الله منه والمؤمنون لأنها كبيرة جداً حين يحاول إبطال الحق والهدى والنور الذي فيه الخير للأمم وفيه سعادتها ونجاتها من النار ودخولها الجنة يحاول إبطال الحق وتضييع طريقه ليرجع الناس إلى الباطل ويدخلوا في طاعة الشيطان فيصرون إلى النار هذه أمور كبيرة، الجدال في آيات الله ليس بالأمر السهل ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ يختم عليه لأنه المتسبب في خذلان نفسه لتكبره وظلمه لعباد الله وتجره.

﴿٢٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا ﴿٢٧﴾ وهذا من تكبره قال لهامان وزيره: ابن لي صرحاً قصراً يكون مرتفعاً عالياً ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ﴿أي الطرق كأنه يتصور أنه إذا طلع وارتفع كثيراً في الهواء فإنه سوف يبلغ إلى طريق في السماء ومنها يصل إلى الله جل وعلا؛ لأنه يعتقد أنه في السماء﴾ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴿ليسأله ويتأكد هل فعلاً أنه أرسل موسى؟! متجاهلاً كل الآيات البينات التي دلت على أنه صادق

﴿يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٨﴾ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا تُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَتَتْهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَيَنْقُومِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤٠﴾﴾

وهذه غاية التكبر ﴿وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ يعني: أظن موسى في دعوته الرسالة كاذباً، وقد رد عليه موسى حين قال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ في باطل لا ينفعه ولا يحصل مقصوده وإنما ضياع، هذا التكبر والكيد ليضل به قومه ويضل في نفسه، زين له هذه الطريقة طريقة التكبر يزعم أنه متمكن وأنه قوي ليضل على قومه.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ رجع إلى كلام المؤمن الذي نصحهم، فقد وعظهم مواظ جليلة ونصحهم نصيحة كاملة: ﴿يَنْقُومِ أَتَعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ إني أدعوكم إلى الذي ينقذكم من النار.

﴿يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ﴾ ما هي إلا غرور متاع يتمتع فيها الواحد أمدأ يسيراً، المتاع: عبارة عن شيء قليل منتهي ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ هي دار البقاء التي تستحق أن يعمل لها الواحد بكل جد واجتهاد.

﴿مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا تُجْزَى﴾ في الآخرة ﴿إِلَّا مِثْلَهَا﴾ بقدرها لا يضاف عليها شيء بغير حق ﴿وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَتَتْهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزق كثير واسع لا ينتهي، وهنا أظهر لهم إيمانه لأن الأمر استدعى أن تنتهي حالة العمل السري وكتمان الإيمان، وأضاف ناصحاً لهم:

تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ
إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّرِ ﴿١٧﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي
الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ ﴿١٨﴾ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ

﴿١٧﴾ وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ ﴿١٨﴾ لَأَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ
الذي فيه النجاة من النار إذا آمنوا بموسى واتبعوه ﴿١٧﴾ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿١٨﴾
إلى الشرك وإلى التكذيب للرسول وفسره بقوله:

﴿١٧﴾ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ ﴿١٨﴾ الكفر بالله هنا إما بمعنى معصيته
ومباينته، أو بمعنى الكفر بقدرته من حيث التكذيب بالآخرة لأنه متفرع على
التكذيب بقدره الله على البعث ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ الشرك
بالله بدون دليل على الذين يجعلونهم مع الله شركاء وإنما من عند أنفسهم،
وهذا يقطع حجتهم لأن الحق لله سبحانه الذي خلق ورزق، وكل ما سواه
عبيد له والحكم ليس إلا لله ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّرِ﴾ أدعوكم إلى
الله العزيز الذي يعاقب من عصاه، الغفار الذي يغفر لمن تاب ورجع إليه.

﴿١٧﴾ لَا جَرَمَ ﴿١٨﴾ حَقًّا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من الشرك وطريق النار
﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ ما ينبغي لأحد أن يدعو إليه، لا
يستحق أن يدعا إليه لا في الدنيا ولا في الآخرة، فكله باطل لا ينفع في الدنيا
ولا في الآخرة إنما هو عذاب اليم.

﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ يوم القيامة المرد إليه وهو الذي يحكم في عباده أما
الشركاء فلا يعملون يوم القيامة أي عمل ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ﴾ الذين أشركوا بالله مصيرهم النار.

اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١١﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ
سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٢﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٣﴾ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي

﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ لما أبلغ لهم في البيان وأكمل لهم
النصيحة وهم مصررون على الشرك والتكذيب قال: ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا
أَقُولُ لَكُمْ﴾ يعني يوم القيامة حينما يعاينون الجزاء سيذكرون أنه نصحهم
لو اتبعوه لكانت نجاتهم فيه ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ لأنه قد خاطر بنفسه
في هذه الحال حين صارحهم وأعلن بما يدل على إيمانه، وهم كفار مشركون
فرد أمره إلى الله إن شاء نجاه وإن شاء رزقه الشهادة فما اختاره الله له فهو
راضي به ومفوض إلى الله أمره ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فهو أحكم
الحاكمين فما قضاه في أمري فهو الحق والصواب.

﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا﴾ هذا يدل على أنهم كانوا قد
مكروا به، وحاولوا إما قتله أو حبسه فنجاه الباري مما مكروا ﴿وَحَاقَ بِئَالِ
فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ حين لم يؤمنوا وكذبوا الرسول وعملوا ضده وهموا
بأخذه هو وقومه فعذبهم الباري أولاً بالغرق المؤدي إلى عذاب الأرواح
لأنهم غرقوا وهم مذنبون لم يتوبوا من ذنوبهم فكان أخذاً وبيلاً يؤديهم إلى
العذاب.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ الثاني أنها تعرض عليها أي
على النار أرواحهم الصبح والعشي، وهو من بعد الظهر إلى غروب الشمس
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ هذه عاقبتهم
لكفرهم وظلمهم.

النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

﴿٤٧﴾ وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ ﴿٤٨﴾ اذكر إذ يتحاجون أي آل فرعون فيما بينهم لما صاروا في الآخرة بعد ما كانوا في الدنيا متعاونين على الكفر والباطل صاروا في الآخرة متعادين ﴿٤٩﴾ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴿٥٠﴾ اتبعناكم في الكفر ﴿٥١﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٥٢﴾ تتحملون عنا نصيباً من النار تدفعونه عنا.

﴿٤٨﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴿٤٩﴾ نحن وإياكم ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٥١﴾ ما بقي إلا ما حكم به.

﴿٤٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴿٥٠﴾ الذين في النار ليس خاصا بالفرعون بل عام ﴿٥١﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٥٢﴾ لم يطلبوا إلا يوماً يخفف عنهم.

﴿٥٠﴾ قَالُوا ﴿٥١﴾ قال الخزنة ﴿٥٢﴾ أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿٥٣﴾ ألم يأتكم النذير في الدنيا وقد جاءكم بالبينات على أنه الحق أي الإنذار وأن العذاب لا بد منه لمن كذب الرسل وكفر بنعمة الله ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا ﴿٥٥﴾ وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٦﴾ في ضياع ليس ينفعهم.

يَقُومُ الْأَشْهَدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٣﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

﴿إِنَّا﴾ الله العظيم لعظمته وعدله وحكمته ﴿لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في الدنيا لأنها رحمة للمؤمنين إذا انتصر الرسل ومن آمن معهم في الدنيا لأنه إذا نصرهم كانت رحمة لهم يتقوون في دينهم ويتمكنون من نشر هدى الله ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَدُ﴾ نصرهم أيضا لأننا نتقم ممن ظلمهم.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ يوم القيامة حين يعتذرون: إنا كنا في غواية وجهل، وما كنا عارفين ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الطرد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ جهنم دار الفاسقين أصبحت مقراً لهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ في التوراة وفي الصحف قبل ما تنزل التوراة ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة.

﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ فيها هدى وفيها ذكرى تذكرهم الآخرة، وتذكرهم عواقب الأمور، وتعظمهم، ففيها ذكرى لأولي الأبواب الذين يستعملون عقولهم وهذا يظهر منه أن في التوراة الإنذار بعذاب الآخرة، وليس كما قال في (شرح ابن أبي الحديد) قال ما معناه: إن الله لم يخوفهم بعذاب الآخرة وإنما يرغبهم - إذا آمنوا واتقوا - بالنصر، وإذا لم يؤمنوا وعصوا ينذرهم بسوء الحال والعقوبات العاجلة قلنا: لا يمكن إلا أن ينذرهم لأنها جهنم مصير شديد، وهذه المواعظ لا تنفع مثل الموعظة بالآخرة وعذاب جهنم، فلا بد أن ينذرهم جهنم كما قال عن أهل النار:

وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ۖ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٩] وقال: ﴿قَالُوا أَوْ لَمْ تُكُ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: قد جاء النذير لكل أهل النار وإلا فلن يدخلوا النار إذا لم يكن قد أُنذروهم.

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا رسول الله على القيام بما كلفت ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ وعده بالجنة للمؤمنين بك والسعادة العظيمة والثواب الكبير، ووعيده للكفار الذين كفروا بك بعذاب شديد ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ استعداداً للآخرة ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾ آخر اليوم من بعد الظهر ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾ أول اليوم، ويمكن أن يكون التسبيح هذا في الصلاة ومن بعد الصلاة يسبح أول اليوم وفي آخر اليوم مثلاً من بعد صلاة الفجر إلى أن تشرق ومن بعد العصر إلى أن تغرب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ الكفار الذين يجادلون في آيات الله يقولون ما هي إلا أساطير الأولين ﴿بَغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾ ليس معهم سلطان يردّها ويدل على أنها ليست من الله ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ هذا هو السبب أن في صدورهم كبر يأنفون من اتباع الحق وهم لا يبلغون الدرجة التي في نفوسهم، إذ يعتقدون في أنفسهم أنهم أكابر، لكن ليسوا على ما يعتقدون، ولا يصلون إلى ما يعتقدون في أنفسهم من العظمة ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من الكبر وما يؤدي إليه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لمن استعاذ به ولمن دعاه؛ لأن هذا من الدعاء وهو الذي يستجيب الدعاء.

الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ الذي قدر على خلق السموات والأرض كيف لا يقدر على أن يخلقهم يوم القيامة مرة أخرى واحتج عليهم بذلك لأنهم كانوا مقرين أنه الذي خلق السموات والأرض كما قال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفي ذكره خلقهم مع ذكره لخلق السموات والأرض تصغير لهم حين استكبروا ناسب كبرهم أن يصغرهم بذلك.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ فالمعرض رضي لنفسه بالعمى، والبصير الذي يتفكر ويؤمن أداه نظره وتفكيره إلى الإيمان فلا سواء، ذاك لم يعرف الحق فهو مثل الأعمى، وهذا بصير ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ كذلك ليسوا سواء فلا بد من الآخرة لكي تجزى كل نفس بما تسعى ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ لم يتفكروا لأجل أن يعرفوا أن الله لا بد أن يجازي كلا بعمله وأنه لا بد من الآخرة.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ رتبها على الآيتين قبلها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لم يؤمنوا بها لأنهم معرضون عن الآيات فالباري سبحانه لأنه حكيم لا بد من أن يأتي بها لعزته وحكمته.

دَاخِرِينَ ﴿٦﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا
 إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧﴾
 ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٨﴾

﴿٦﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ﴿٦﴾ يقول لعباده: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فلماذا
 يدعون الأصنام وهي على الدوام لا تستجيب لهم ولا تنفعهم؟! ﴿إِنَّ
 الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ الذين يستكبرون
 عن عبادة الله ليعبدوا أصنامهم سيدخلون جهنم صاغرين أذلاء.

﴿٧﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴿٧﴾ الله المنعم
 عليكم ومن نعمه هذه أن جعل الليل لتسكنوا فيه لأنه لولا ذلك لكانت
 الحياة مجهدة والجسم والدماغ بحاجة لنوم الليل لأن الله جعله للسكنى وهو
 يختلف كثيراً عن نوم النهار وهكذا لفائدة انتظام حياة الناس الاجتماعية
 والمعيشية وغيرها من الفوائد، وفي نفس الوقت جعل النهار مبصراً يصلح
 للعمل والابتغاء من فضله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ منعم بنعم لا
 تحصى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله.

﴿٨﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ ﴿٨﴾ المنعم عليكم الذي نعمه لا تحصى ﴿رَبُّكُمْ﴾ المالك
 لكم الذي يستحق أن تعبدوه ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ خلق كل شيء فهو رب
 كل شيء، وكل شيء ملكه، وكل شيء عبد له ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ من حيث
 أنه المالك لكل شيء فلا إله إلا هو، وكل شيء عبد له فأنتم عباده ليس لكم
 إله إلا هو ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ من أين تصرفون عن الحق؛ لأن ما هناك أي
 حجة ولا شبهة لمن يعبد تلك الأصنام التي يدعونها.

كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ تَجَحَّدُونَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ * قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا

﴿١٣﴾ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ تَجَحَّدُونَ﴾ لأنهم يكونون في ضلال وضياح فهم في أمر مريب مضطرين ليس معهم مستند في شيء فأصبحوا عرضة للأفكار المنحرفة تتخطفهم لأنهم غير معتمدين على حجة ولا على دليل ولا على استعمال عقولهم.

﴿١٤﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ الله لعظمته وقدرته جعل الأرض قراراً لهم ومهداً لتصلح أن تكون سكنى للإنسان وزودها بالماء والأكسجين والتربة الصالحة للإنبات وللمشي عليها، فهي مهيأة للإنسان معدة له ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفاً فيها الشمس والقمر والنجوم.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ فضل الإنسان على الحيوانات في صورته ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من الحبوب والفواكه وجعل لنا أرزاقاً كثيرة طيبة كما فضلهم على الحيوانات لأنه مكنهم أن يزرعوا ومكنهم أن يستخرجوا خيرات الأرض في البر والبحر وأن يتسببوا للحصول على الرزق ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ عظم وجل ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ المالك لهم المنعم عليهم فهو الذي يستحق العبادة وليس غيره لأن غيره لم يخلق ولم يرزق ولم ينعم.

﴿١٥﴾ هُوَ الْحَيُّ﴾ ليس مثل الأصنام التي هي أحجار ليس لها حياة ولا سمع ولا بصر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ العبادة؛ لأن

جَاءَنِي الْيِّنْتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا

الدعاء عبادة حينما تدعونه وحده لا تدعون معه غيره، مخلصين له الدين المعاملة التي هي العبادة والطاعة أخلصوها له لا تدينوا لغيره ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهو المنعم المستحق للحمد والثناء لأنه المنعم أنعم عليكم بالهدى وأنعم عليكم بالرسول والكتاب ودلكم على طريق النجاة وطريق العبادة الخالصة له وحده.

﴿قُلْ﴾ يا رسول الله للمشركين: ﴿إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْيِّنْتُ مِنْ رَبِّي﴾ لأنه قد جاءني البينات من ربي في القرآن فقد نهاني أن أعبد غيره فلن أعبد إلا هو ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أمرت أن أسلم نفسي وأخلصها لله رب العالمين لا أجعل فيها شركاً لغيره.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ هذا من دلائل قدرته سبحانه أن خلقنا من تراب أوله خلق آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ذريته من النطفة ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ يخلقها بعد النطفة علقه وبعد العلقه مضغة ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ من بطون أمهاتكم هذه آيات عظيمة، ثم حين تم خلق الإنسان في بطن أمه أخرج به بقدرته وليس لها قدرة أن تخرجه هي ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ يربيكم في الحياة إلى أن تبلغوا القوة تكونون أقوياء حين تبلغون حد التكليف يتكامل العقل وتتكامل القوة.

قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَجَدَّلُونَ فِي
ءَايَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصَرَّفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ

﴿ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ يعيش الإنسان - بعضهم - حتى يكون شيخاً
فيتحول إلى الضعف بعد القوة، هذه آيات تصرفه فينا منذ أن كنا في بطون
أمهاتنا ثم من بعد تكامل قوة الإنسان ثم من بعد تدهور حالته حين يصير
شيخاً يتصرف فينا سبحانه كما أراد فهو الذي يعيدنا في الآخرة كذلك.

﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل أن يصير شيخاً ﴿وَلَتَبْلُغُوا أَجَلَ
مُسَمًّى﴾ يجعل لكم العيش في الحياة الدنيا لتبلغوا نهاية الأجل المسمى لكم
وهو الموت، أو ليبلغ جنس الإنسان بكله يبلغ أجله فيظل يتناسل إلى قيام
الساعة؛ لأنه قال: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢] والأجل
المسمى هو القيامة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ نعقل عجيب خلقنا، وإبداع
تصويرنا فهي آيات في أنفسنا إذا تفكرنا فيها نعرف قدرته وعلمه وعظيم
إنعامه علينا.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ الذي يحيي يهب الحياة بعد ما كان
الإنسان في بطن أمه ليس بشيء ثم يهب له الحياة، ويميت كذلك هو الذي
يميت فإذا قدر الله إمامته عجز العالم كله عن إنقاذه من الموت. فلا يموت إلا
حينما يقدر له الباري الموت هذه قدرة عظيمة فهو يبين أن أصنامهم ليست
بشيء لا تحيي ولا تميت.

﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ هذا مثل ضربه لفهم مدى
سهولة الأمر عليه بأنه مثل لو قال للشيء: كن.. فكان، ولا يعني أنه يحتاج
إلى قول: كن وإنما متى أراد شيئاً أن يكون كان.

رُسِلْنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَغْصَانُ فِي أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيُّنَا مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَحْجِدُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ تعجب منهم لأنهم يجادلون في الحق لا لأجل شبهة لديهم أو لأن معهم حجة بل جهالة وعمى ﴿أَنِّي يُصْرَفُونَ﴾ من أين يصرفون من الحق إلى الباطل وليس لهم مستند على ما هم عليه ولا يوجد معهم ما يعارض الآيات البينات.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ لأنهم جادلوا فيها ثم كذبوا بالكتاب الذي أنزله (الكتاب) اسم لجنس كتب الله التي ينزلها على الرسل، وبما أرسل به الرسل: الوحي كله كذبوا به ونفوا أن يكون من الله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد بمعنى أنهم سيعلمون أنه صدق بعدما كانوا في الدنيا مكذبين به.

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ الأغلال القيود التي في الأعناق تشد بها أيديهم إلى رقابهم نعوذ بالله ﴿وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ في الحميم.. كأنها كذلك في الأعناق مع الأغلال، كأن الأغلال حلقة كبيرة تجمع اليدين والعنق، والسلسلة قد تكون في الغل مشدودة ليسحب بها في الحميم كأنه يجعل له حوضاً يستحم فيه من الحميم وهو الماء شديد الحرارة، ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ مثلما يسجر الحطب يوقد، يصير وقوداً هو بنفسه يشتعل.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيُّنَا مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ * مِنْ دُونِ اللَّهِ.. ﴿إِهَانَةً لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ لَمْ يَنْفَعُوهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ﴾ ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ ﴿أَقْرَأُوا عَنْهَا أَنَّهُمْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَضَاعُوا مَا نَفَعُوهُمْ﴾ ﴿بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿أَضْرَبُوا وَأَنْكَرُوا عِبَادَةَ الشُّرَكَاءِ بَعْدَمَا أَقْرَأُوا﴾.

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا

﴿٧٥﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هذا العقاب الشديد بسبب أنكم كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق لأنهم كانوا يفرحون حينما يتتصر الباطل، كما قال: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥] أما الفرح بالحق فلا بأس به، والمذموم فرحهم كأنه عبارة عن سرور واطمئنان إلى الباطل ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ في الدنيا المرح سرور يصاحبه نشاط وحركة كما يفعل السكران.

﴿٧٦﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في جهنم ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ما أشنع مَثْوَى المتكبرين موضع مشواهم أي مقرهم، هؤلاء المتكبرون الذين كانوا يتكبرون عن قبول الحق في الدنيا.

﴿٧٧﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فاصبر يا رسول الله على القيام بما كلفت ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي نعذبهم وأنت موجود ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نعذبهم ﴿فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ هم سيرجعون إلينا ولا بد لهم من الجزاء سواء عذبناهم وأنت موجود أو بعد وفاتك.

﴿٧٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ فاقصد بهم في الصبر لأنهم صبروا على دعوة أمهم.

مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ وَيُريْكُمْ ءَايَاتِهِ فَآىَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٧٨﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادة الباري فهو الذي يجعل الآيات، الدالة على صدق الرسول وهي المعجزات، فليست من عند الرسول نفسه، فالرسول لا يستطيع أن يأتي بها، وليست صناعته وإنما الباري هو من يأتي بالآيات والكفار يطالبون النبي نفسه يقولون: هات لنا آية.. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ نزل العذاب أو الهلاك ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ قضى الله بالحق في أولئك الكفار، أهلكهم بالحق لأنهم قد استحقوا ﴿وَحْشِرَ هُنَالِكَ الْمُتْبِطُونَ﴾ وكانت خسارة كبرى عندما جاء أمر الله خسروا حياتهم في الدنيا والآخرة.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ هذه نعمة عظيمة وفوائد الأنعام متعددة في لحومها، وفي ألبانها، وفي أصوافها وأوبارها، وفي ركوب الإبل منها، فهي نعم كثيرة.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ وقد فصلها في سورة النحل ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ حين تسافرون على الإبل فهي تبلغكم حاجاتكم التي تحتاجون إليها كالتجارة أو غيرها ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ الفلك السفائن فسخر له المركب في البر والبحر هذه نعم عظيمة عند ما تسخر للإنسان دون غيره.

﴿وَيُريْكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ فهذه من نعمه لأن الآيات هدى، وتدعو إلى الهدى ﴿فَآىَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ لا توجد آية ينكرها المنصف بحيث يراها لا تدل على شيء.

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٥٨﴾ فَلَمْ

﴿٥٦﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ لو اعتبروا بمن قبلهم لأنهم قد ساروا وسافروا ورأوا بعض آثار الأمم الأولى الذين كذبوا رسلهم فأهلكهم الله فلو اعتبروا بهم فهم عبرة لهم ﴿٥٧﴾ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ كانوا أكثر من هؤلاء وأشد قوة من قريش ومن حولهم فما دفع عنهم ذلك عذاب الله مثل قوم عاد الذين قالوا: من أشد منا قوة فما نفعتهم قوتهم ما أغنى عنهم ما جمعوا من المال ومن الدنيا هلكوا وتركوها.

﴿٥٧﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۚ كانوا يرون أنهم أذكىء ومثقفون فهم قادرون على الجدال والمعارضة للرسول حين جاءتهم رسلهم بالبينات وكان الأخرى بهم أن ينتهزوا الفرصة لمعرفة الحق ويقتبسوا منهم المعرفة والهدى، لأن الرسل قد جاءتهم بما ينجيهم من النار بما يبلغهم السعادة الدائمة، ولكن لسوء تدبيرهم انبروا يعارضون ويمجادلون لاغترارهم بما عندهم من العلم ﴿٥٨﴾ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۚ سبب لهم سخريتهم بالآيات والرسول العذاب العاجل فأحاط بهم فهلكوا ولم يجدوا لهم ناصراً ولا معيناً.

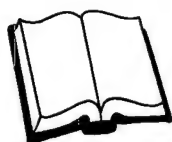
﴿٥٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۚ لما رأوا العذاب ﴿٥٩﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ۚ مثل فرعون حين قال - والأمواج تتقاذفه -: ﴿أَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ قالوها الآن لأنهم مضطرون ملجئون.

يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ
وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿٨٥﴾ فَلَمَّ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا ﴿٨٥﴾ لَأنه إنما أَلْجَأَتْهُمْ رُؤْيَا
بَاسِ اللَّهِ أَيِ عَذَابِهِ ﴿سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ أنه لا يَنْفَعُ الْإِيْمَانُ
حِينَ يَكُونُ مَلْجَأً إِلَيْهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ حُلُولِ بَاسِ اللَّهِ ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ
الْكَافِرُونَ﴾ قَدْ حَلَّتْ بِهِمْ أَفْذَحُ الْخَسَائِرِ؛ لِأَنَّهَا انْتَهَتْ دُنْيَاهُمْ وَفَارَقُوا كُلَّ
خَيْرٍ كَانَ مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ صَارُوا إِلَى عَاقِبَةِ الْيَمَةِ وَشَقْوَةِ مَقِيمَةٍ، وَهَذِهِ هِيَ
الْخَسَارَةُ الْعَظِيمَةُ - نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا.



التفسير في التفسير



سورة فقلت



سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمِلُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْدٌ * تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ﴾ حرفان من حروف المعجم التي تأتي في أوائل السور، وقد مر الكلام فيها في أول (سورة البقرة).

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ﴾ أي هذا كتاب فصلت آياته بمعنى بينت ووضحت للسامعين ليفهموها ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ فصلت وجعلت قرأنا عربيا يقرأ باللسان العربي ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لقوم يعلمون يفهمون ويدرون بمضمون الآيات؛ لأنهم مؤمنون بالقرآن، والمؤمنون يهتدون به ويعلمون معناه.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ هذا القرآن جاء بشيراً، يعني: فصلناه، وجعلناه مفهوما مفصلا لقوم يعلمون مع كونه ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بشيراً بالخير والثواب العظيم للمؤمنين، ونذيراً لأعداء الله الظالمين بالنار بالعذاب والجزاء هذا القرآن يبشر وينذر، ولكن أعرض الجهلة عنه بسبب الكبر والحسد والتعصب لأهتهم ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ بسبب الإعراض لا يستمعون له كي يقع في آذانهم موقع المسموع الذي يقبل كأنهم صم.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ في أغشية وأخبئة ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ لا يصل إليها ما تدعونا إليه من توحيد الله وعبادته وحده، وترك الشرك، وترك

إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۖ قُلْ أَنتَ كَمَا تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ

ما وجدنا عليه آباءنا ﴿وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم خفيف لا نسمع الذي تقول جيداً ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ يحجب عن أفهامنا ما تقول ﴿فَاعْمَلْ﴾ بما أنت عليه ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ بما نحن عليه يعني هذا إصرار على الكفر والعصيان.

﴿٦﴾ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا أدعي أنني ملك ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ الله الذي يوحى إليه ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ استقيموا إلى ربكم راجعين إليه كأنهم عوج لما كانوا معرضين عن طاعة الله وعن الآيات التي أتى بها ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من ذنوبكم من الشرك وما قد وقع منكم من ضلالات ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ وعيد لهم بالعذاب.

﴿٧﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ لأنهم مع شركهم ما قبلوا كتاب الله، ولا قبلوا هدى الله، فلذلك لا خير فيهم لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، ولهذا لا يؤتون الزكاة لأنها مخصصة للفقير وسد خلته وهم قساة لا رحمة فيهم ولا شفقة، فبالإضافة إلى انعدام الإيمان لديهم انعدمت حتى الإنسانية وهذا منتهى السقوط والدناءة.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ بسبب أنهم أعرضوا عن آيات الله فحين كذبوا بآيات الله كفروا باليوم الآخر فاجتمعت منهم الجريمتان جريمة الكفر بآيات الله وجريمة الكفر باليوم الآخر.

﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ هذا في مقابل أولئك، فالمؤمنون الذين عملوا العمل الصالح لهم أجر ما يمن عليهم، بل يقال: هذا جزاء بما كنتم تعملون.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ

﴿قُلْ أَتَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ لأن كفرهم بالآخرة يكون مبنياً على استبعاد القدرة على إعادة الأجسام بعد تبددها في الأرض وضياعها بين التراب، فمعناه إذا: الكفر بقدرة الله، فمن هنا كانوا كافرين بالله سبحانه حين كفروا بقدرته، ومع أنه سبحانه لا يقاس بالخلق في قدرته، فقد خلق الأرض في يومين على ضخامتها وكبرها وهذا دليل على قدرة عظيمة.

﴿وَجَجَعْلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ كذلك هنا اجتمعت فيهم جريمتان جريمة إنكار الآخرة وجريمة أنهم جعلوا له أندادا بسبب جهالتهم جعلوا المخلوقات الضعيفة التي لا تنفع ولا تضر أندادا لله سبحانه ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي خلق الأرض في يومين القادر على كل شيء هو رب العالمين المالك لهم فليس له أنداد.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُسَى مِنْ فَوْقِهَا﴾ عطف على خلق الأرض في يومين، الرواسي هذه الجبال الثابتة الراسخة في أماكنها ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ الأرض جعل فيها ما يحتاج إليه الإنسان في حياته وجهازها له ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ كأنه يعني بذور الحبوب الفواكه يعني أصولها جعلها في الأرض في ذلك الوقت إعداداً للإنسان ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ خلق الجبال في أربعة أيام وخلال هذه الأيام لم يشغله شأن عن شأن ﴿سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ هذه الأيام مستوية لأن الأيام تختلف أحيانا تطول وأحيانا تقصر فهذه أربعة أيام سواء مستوية.

كَرَّهَا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿١٢﴾ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ﴿١٣﴾ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٤﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ

﴿١١﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴿١٢﴾ هذا تمثيل للقصد إليها فحين خلق الأرض في يومين خلق السموات في يومين كأنها نفس اليومين اللذين خلق الأرض فيهما والمراد مقدار يومين لأنه لم تكن الشمس والقمر إلا حين خلق الأرض والسماء.

و ﴿١٣﴾ ليست للترتيب، وإنما للترقي في البداية لم تكن سماء وإنما ماء، ثم أن الرياح مخضت الماء مخضاً شديداً حتى أزيد، فاحترق الزبد فكان منه الدخان، ومن الدخان هذا خلق السموات، وهذا معنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام كما مر في تفسير (سورة الأنبياء).

﴿فَقَالَ هَٰذَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ آتيا بمعنى: كونا، وهذا كأنه تمثيل ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ السموات والأرض الجميع انقاد لقدرته لا معاند لها لأنها قدرة غالبة.

﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ قدرة عظيمة خلق في يومين السبع السموات الواحدة من السبع يمكن أن تكون أكبر من الأرض بكثير ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ خلق فيها الملائكة يعبدونه وهياها لهم ونظم أمرها ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ السماء السفلى التي هي قريبة منا بالنسبة إلى الست العليا زينها بالنجوم ﴿وَحِفْظًا﴾ من الشياطين لئلا تطلع إلى السماء في أول الأمر ثم لئلا تسترق السمع في وقت رسول الله ﷺ ﴿ذَٰلِكَ﴾ كله خلق الأرض والسموات وتجهيز الأرض بالجبال وحاجات أهلها وتجهيز السموات وتزيينها بالنجوم وإعداد أمرها كل هذا ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ جلّ وعلا.

وَتَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ

﴿١٣﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ بعدما بينا لهم قدرة الله وأصروا على أن يجعلوا له أندادا وعلى إنكار الآخرة ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ مهلكة ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ﴾ هذا بمعنى مهلكة وليس يعني التشابه في الشكل والكمية وإنما في الغاية من حيث أنها مهلكة فقط.

﴿١٤﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ رسل متعددة جاءتهم فكذبوا، قالت لهم الرسل: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ هم يعتقدون أن الله في السماء وإذا أرسل رسولا فلا بد أن يكون ملكاً ينزل من عنده، هذا تحكم على الله لا دخل لهم في هذا فهو الذي يرسل من أراد ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ صرحوا بالكفر بما أرسل به الرسل وهو توحيد الله، ثم فصلها فقال:

﴿١٥﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ لأنه ليس لهم حق في أن يستكبروا بسبب قوة أبدانهم ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ اغتروا بقوتهم، ونسوا قوة الله وعزته وقدرته ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ يعني قد علموا أن الله أقوى منهم وأنه الذي خلقهم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ كلما جاءتهم آية جحدوا بها وأنكروا أنها آية، وقالوا: ما جئتنا ببينة .

عَذَابِ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ أَهْلُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا

﴿١١﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا ﴿شديدة البرد﴾ ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ أيام هلاك وشر ﴿لَنُنَدِّقَهُمْ عَذَابِ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ نعذبهم فيها في سبع ليالٍ وثمانية أيام ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ هذا العذاب في الدنيا ليس بديلاً عن عذاب الآخرة إنما هذا عذاب عاجل ولهم عذاب آجل.

﴿١٢﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ ﴿بِالآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ عَلَى صَدَقِ الرَّسُولِ﴾ ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ بالإعراض عن الآيات ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ أَهْلُونَ﴾ كذلك أخذتهم الرجفة لأنهم كانوا متوقعين أنه إذا جاء عذاب أن يكون رياحاً مثل عاد، وقد اعتقدوا أن بيوتهم المنحوتة في الجبال ستحميهم من الرياح العاتية لكن الباري جاءهم بالرجفة فأهلكتهم، عذاب اهون عذاب الذلة والصغار والإهانة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بذنوب كثيرة وليس فقط لإنكارهم القيامة واتخاذ الأنداد.

﴿١٣﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿الَّذِينَ كَانُوا آمَنُوا بِنَبِيِّ اللَّهِ﴾ صالح وكانوا يتقون الله.

﴿١٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ﴿هذا تذكير بالآخرة، كأنه بعد أن يحاسبوا في موقف الحساب ويسألوا، يحشرون إلى النار حين يؤمر بهم إليها﴾ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ كأنه بمعنى: يدفعون مع كثرتهم، الوزع: المنع كأنهم يحاولون الفرار حين يساقون إليها يحاول يفر إلى هذا الاتجاه أو ذاك فيوزع: يرد إلى الخط الموصل إلى النار.

جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾
 وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ
 وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ
 عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ
 كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ
 فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا

﴿٢٠﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا ﴿جَهَنَّمَ نَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
 وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿مَعَاصِيَهُمْ فِي الدُّنْيَا - اللَّهُ أَعْلَمُ -
 إِذَا كَانَتْ أَصْوَاتًا تَصْدُرُ عَنْ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَجُلُودِهِمْ قَدْ يَكُونُ
 كَذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا: أَنْطَقَنَا اللَّهُ .

﴿٢١﴾ وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴿كَانَ الْعَارُ كَانَ فِيهَا أَعْظَمُ فِي
 الْجُلُودِ بِسَبَبِ الْعَوْرَةِ﴾ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿هُوَ مَكْنَهُمْ
 مِنَ النُّطْقِ وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَنْطَقُوا بِالْحَقِّ﴾ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿يَحْتَجُونَ عَلَيْهِمْ
 بِالْخَلْقِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي الدُّنْيَا﴾ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴿وَخَلَقَكُمْ فِي حَالِ أَنْكُمْ إِلَيْهِ
 تَرْجِعُونَ فَلَمْ تَسْتَعِدُوا لِلرَّجُوعِ إِلَيْهِ .

﴿٢٢﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ
 وَلَا جُلُودُكُمْ ﴿الْخَلَلُ فِيكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ فَضَحْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ
 لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿لَفَرَطُ جَهْلِكُمْ بِاللَّهِ .

﴿٢٣﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴿أَوْقَعَكُمْ فِي الْهَلَاكِ
 ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بِسَبَبِ ظَنِّكُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ .

فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٦٤﴾ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٦٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا
الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا

﴿٦٤﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿٦٥﴾ ليس صبراً على أمر سهل بل هو
صبر على النار فهو سواء الصبر وعدمه، لأن النار قد صارت ﴿مَثْوًى لَهُمْ﴾
مقرأ لهم ﴿وَأِنْ يَسْتَعْجِبُوا﴾ وإن يطلبوا من الله أن يجعل لهم التوبة ويقبل
منهم التوبة ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ قال الشريفي في المصابيح: ﴿وَأِنْ
يَسْتَعْجِبُوا﴾ بينائه للفاعل يطلبون أن يرضوا ربهم فيرضى عنهم ويقبل
العتبي وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ اسم مفعول،
أي لم يعطوا العتبي ولم يجابوا إليها.

﴿٦٦﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ﴿٦٧﴾ في الدنيا خذلاناً لهم وزيادة في العقوبة لهم
على إجرامهم يسلط عليهم قرناء من الشياطين شياطين الإنس والجن
﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ زينوا لهم معاصيهم المستقبلية
ومعاصيهم الماضية حسنوها وزينوها لهم حتى لا يرجعوا عنها ولا يتوبوا
﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ﴾ من جملة من مضى قبلهم من الجن والإنس الذين حقت عليهم
كلمة العذاب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ استحقوا أن تشملهم كلمة العذاب.
﴿٦٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْلَبُونَ ﴿٦٩﴾ هذا من شدة عنادهم قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا
الْقُرْآنِ﴾ يريدون أن لا يقع في قلوبهم فيتأثروا به ﴿وَالْغَوَا فِيهِ﴾ قولوا فيه
الكلام اللغو يعني أي كلام المهم أن تجادلوا فيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ حين لا
تسمعون له مع زيادة اللغو فيه تقولون ما هو إلا أساطير الأولين ونحو ذلك.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِغَايَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

﴿١٧﴾ فَلَنُذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لأنهم لا يملكون حجة وإنما مجرد معاندين ومعارضين لآيات الله ليبطلوا الهدى ويطفئوا نور الله في الأرض فهم يستحقون عذاباً شديداً ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ العمل الذي كانوا يعملون من المعاصي والجرائم.

﴿١٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ ذلك الجزاء الشديد هو النار جزاء أعداء الله الذين عملوا ضد حكمه وضد هدايه ﴿هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ دار البقاء في جهنم ﴿جَزَاءُ﴾ هذا العذاب عذاب النار ﴿بِمَا كَانُوا بِغَايَتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ وهم يعلمون بأنها آيات الله وينكرونها وقد علموا أنها آيات الله وأنها من الله.

﴿١٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ هكذا يقولون في جهنم لشدة غيظهم على الذين أضلوهم وأوقعوهم في النار.

﴿رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أولئك الذين كانوا يقولون لنا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآن يبحثون عنهم لأجل يجعلوهم تحت أقدامهم من شدة الغيظ عليهم ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ في جهنم.

﴿فَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿وَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿ثُلَاثًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ ﴿١٢٣﴾ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾ وَلَا

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ هذا عن الطرف الآخر الفائز بالجنة، ليسوا سواء هم والذين كذبوا بآيات الله وجحدوا بها، قالوا ربنا الله عبارة عن التوحيد وعبادته وحده ما نعبد إلا هو لقناعتهم بأنه لا إله إلا هو ﴿ثُمَّ أَسْتَقِمُّوا﴾ على عبادة الله وحده ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ تبشرهم ويمكن أن يكون هذا عند الموت ويوم القيامة في أولها عند تنزلهم من السماء حينما تتمزق السماء ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ (أن) مفسرة لقول الملائكة: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا في القرآن.

﴿لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الملائكة يتولون رعاية أولياء الله فهم محبوبون لهم، وهم يعينونهم في شئونهم بما شاء الله متولون لهم في الحياة الدنيا ولو لم يكونوا يرونهم ولا يسمعونهم ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ما تطلبون لأن معهم خدماً يأتونهم بما يطلبون.

﴿ثُلَاثًا﴾ النزل كأنه ما يجعل للوافد عند وصوله، وهذا كأنه نزل عند وصولهم إلى الجنة ﴿مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ من الله الغفور الرحيم الذي غفر لهم ذنوبهم ورحمهم هذه الرحمة العظيمة.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ لا أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ليرجع الناس إلى الذي خلقهم ورزقهم لأن الخير كله في الرجوع إلى الله

تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا

والطاعة له والتقوى، فلا أحسن قولاً ممن دعا إلى الله، وهذا في مقابل دعوة
المشركين الذين يقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن... الخ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾
ليس دعوة بلا عمل ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أسلمت نفسي لله،
أخلصت نفسي لله.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ هناك فرق بين الكلمة الطيبة
والإحسان، وبين الإساءة والكلمة الخبيثة المؤذية ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
ادفع إساءة غيرك إليك بالتي هي أحسن بالفعل أو الكلمة التي هي أحسن
وليس فقط بالتي هي الحسنى يعني أنها أفضل من غيرها ادفع الإساءة
بإحسانك ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ مفاجأة تكون
إذا دفعت الإساءة بالتي هي أحسن تتفاجأ بأن الذي بينك وبينه عداوة قد
انقلب كأنه ولي: قريب، حميم: صديق خالص.

﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ هذه الكلمة: الدفع بالتي هي أحسن؛ لأنها شاقة على
النفوس ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ الذين صبروا يستطيعون أن يصبروا ويكظموا
غیظهم ويدفعوا بالتي هي أحسن ﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ يلقيها هذه الكلمة التي هي
أحسن ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ذو ثواب عظيم في الآخرة نصيب عظيم.

﴿وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ نَزْغُ الشَّيْطَانِ: وساوسه ونخسه في
القلب بما يسول من المعاصي مما يفسده على أصحابه، ونَزْغُ الشَّيْطَانِ: ألقى
الشر والإغراء وأفسد، وحملك على الغضب لئلا تدفع بالتي هي أحسن.

تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ
خَشِيعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ

والمعنى: أنه يحرضك على أن تقول الكلمة المؤذية ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فلا
ترض له واستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
يسمعك ويعلم إذا استعذت به ورجعت إليه وطلبت أن يحريك من الشيطان.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾ من آيات الله ﴿الَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ دلائل قدرته؛ لأنه قد
قال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ثم عاد ليذكر بشيء من
آياته الليل والنهار ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ آيات عظيمة الشمس والقمر لأن
الشمس تقطع المنازل في سنة والقمر تقطعها في شهر ولهما نفع لكثير من
المخلوقات بحيث أن الحياة لا تصلح بدون الشمس والقمر. هذه آيات
عظيمة ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي
خلق الكل الشمس والقمر والنجوم والنيازك كلها وليس يعني الشمس
والقمر وحدهن، وهذا مثلما قال لزيخاء: ﴿إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] أي
كيد النساء فالحق معها غيرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فلا تسجدوا
إلا له لا تسجدوا لغيره إذا كنتم تعبدونه وحده ولا تعبدون غيره.

﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا﴾ أي الكفار من عبادة الله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ فهناك غيرهم يعبدون الله الملائكة المقربون
يسبحون لله الليل والنهار يسبحون باستمرار ﴿وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ﴾ لا
يسأمون من ذكر الله وعبادته لا يملون.

أَلَمْؤَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٧﴾ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا

﴿١٦﴾ ﴿وَمِنَ ءَايَتِهِ﴾ من آيات الله سبحانه ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ عندما يتأخر المطر ويحل الجذب تراها في حالة من الضعف والانكسار والذلة كأنها ميتة لأنها لا تصلح للإنبات ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ كأنها نشطت للإنبات لما عادت فيها الحياة فكأنها ارتاحت ونشطت لتنبت الشجر ﴿وَرَبَّتْ﴾ تربوا كأنها تزيد ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ أحياها بالمطر أبهم المحيي هنا لأن إحياءها دليل على قدرته على إحياء الموتى كما قال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] حين أبهمه، تعليق على الوصف الذي هو دليل أغنى عن ذكر الفاعل باسمه ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَتِنَا﴾ يميلون إلى الباطل ليطلوا كونها آيات مثل قولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧] ويمكن أن يكون من جملة الإلحاد في الآيات تحويل معناها إلى معنى غير صحيح، كالذين يجادلون في كرامات الأئمة والمجاهدين التي تدل على فضلهم وأن الله معهم، فإنه إذا حولها وحاول أن يطل كونها آيات فقد يكون داخلا في قوله: ﴿يُلْحِدُونَ فِي ءَايَتِنَا﴾.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ نحن عالمون بهم وسنعذبهم وهذا قد تضمنه قوله: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فليختر له العاقل أي الطريقتين ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ هذا تهديد ووعيد شديد ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سيجازيكم بما يناسب عملكم.

جَاءَهُمْ^{١١} وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ^{١٢} لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ^{١٣} تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ^{١٤} مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ^{١٥} إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ^{١٦} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ^{١٧} ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ^{١٨} قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً^{١٩} وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى^{٢٠} أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ^{٢١} وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ الذي هو القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ قالوا ليس من عند الله ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ لا ينال.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ هذا معنى عزته، بمعنى أنه لا يأتيه الباطل يدخل عليه من أي جهة لا من قدام ولا من وراء لأنه ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فهو بصير أحكم آياته.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ يا رسول الله ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ بمعنى أنه ذو مغفرة للمتقين وذو عقاب أليم لأعداء الله المعاندين، فلا مغفرة بدون توبة وعمل صالح، ولا عقاب بدون ذنب.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ مثل التوراة ﴿لَقَالُوا﴾ هؤلاء العرب الذين حولك ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ لولا بينت ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ كيف يكون الكلام أعجمياً والمخاطب عربي؟! ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا القرآن ﴿هُدًى﴾ يهديهم إلى طريق الحق ﴿وَشِفَاءً﴾ لما في القلب من الريب والشكوك.

أَلِكْتَبَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ۖ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ
وَأِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ
فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٦﴾ ۖ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ لبعدهم عن الإيمان صاروا
كانهم لا يسمعون القرآن لأنهم كارهون للاستماع ومعرضون. ﴿وَهُوَ
عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ لأنهم ينظرون إليه نظرة الجدال والتلبس والتشكيك فتضيع
عليهم الفائدة ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ لأن بينهم وبين الحق
مسافة بعيدة فإذا دُعُوا إلى الحق كأنهم دُعُوا من مكان بعيد لا يسمعون.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ من قبلك، التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾
اختلف فيه اليهود كأنهم اختلفوا فيما بينهم يمكن أن السامرية أنكروا صحة
التوراة حين رجع بها موسى، لأنهم أتباع السامري .

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾
[الأعراف: ١٨] فترتب على ذلك أنه يتركهم يعملون في الدنيا ما شاءوا ويؤخر
الفصل بينهم ليوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لحكم بينهم في الدنيا لكن قد
اقتضت حكمته أنه يؤخرهم ليوم القيامة ويملا جهنم من الجنة والناس
أجمعين ﴿وَأِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من التوراة ﴿مُرِيبٍ﴾ شك مقلق حين لا
ينظرون نظراً صحيحاً لأنهم كارهون للحق فكانوا في شك.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ الجزء يوم القيامة
على هذا ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ وحده، ومن عمل سيئاً فعلى نفسه
لا يضر غيره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بل يجازي كلا بما يستحق.

ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا هُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ

﴿٤٧﴾ إِلَيْهِ﴾ لأنه علام الغيوب، فإليه ﴿يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون وكيف تكون لأنه عالم بها على التفصيل ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ لا يكون شيء من هذه الأشياء إلا بعلمه، خروج الثمرة من كمها مثل التمر حين يخرج من أكمامه هذا لا يكون إلا بعلمه سبحانه لا يخفى عليه شيء والناس قد لا يعلمون أنه قد خرج.

وكذلك حمل الأثني تعلق وقد يكون الناس لا يعلمون هل هي عالت أم لا بينما الباري عالم كذلك الوضع هو عالم به سبحانه حين تضع كل أنثى ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ يوم القيامة يبين لهم أن شركاءهم، ما نفعوهم بشيء فيقول: ماذا عملوا لكم؟ ﴿قَالُوا ءَاذَنَّاكَ﴾ أعلمناك وأبلغناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ يشهد أنهم آلهة لا علاقة ولا صلة لنا بهم نحن بريئون منهم.

﴿٤٨﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ ضاع ولم ينفعهم ﴿مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا هُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ أيقنوا أنهم للنار وظنوا قرب العذاب وأنهم في القريب العاجل سيقعون فيها، كما قال: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] ظنوا أنهم سيصيرون إليها ولم يجدوا منها محيصاً أي ملجأ ومفرأ.

﴿٤٩﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ لا يمل من طلب الخير ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ يعتقد ما بقي إلا تلك الحالة، مثلاً: إذا جاء جذب اعتقد أنه لا يأتي مطر، وإذا جاء مرض اعتقد استمراره.

بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سُبُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي

﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴿٥١﴾ هَذَا بالنسبة إلى بعض الجُهلة من البشر إذا أذاقه الله رحمة منه عافاه بعد المرض أو أنعم عليه بعد الفقر ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أنا أستحقه، ولم يقل كذلك بالنسبة للضراء وهي التي يستحقها، لأنه قد عصى الله ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ ينكر القيامة ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ يقول ذلك بعد أن صار في خير، ونسي حالة الضراء، فأغتر بالنعمة حتى وصل به طمعه إلى اعتقاد أن الله لن يعذبه في الآخرة، وأن له الحسنَى ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يوم القيامة لا ينفعه كبره وكفره.

﴿٥١﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ ﴿٥٢﴾ على طبيعة البشر يستغرق في النعمة وكأنه في سكر فيعرض عن ذكر الله وعن طاعته ﴿وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾ تكبر ولا يكتفي بالإعراض فقط ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ رجع يدعو الله، يا الله.. يا الله، تلاشى ذلك الكبر.

﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ ﴿٥٣﴾ هَذَا الْإِنذَار ﴿٥٤﴾ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ﴿٥٥﴾ وهو من الله يعني أمر عظيم وكبير، لأنهم يدعون عدم تأكدهم أنه من عند الله فقال لهم: افرضوا أنه من الله، فكيف حينما يكون من الله وقد كفرتم به يعني أمر عظيم وشقاق بعيد.

الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۖ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٢٣﴾

هذا تنبيه لهم يحثهم لينظروا ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ الكفر بعد ما تبين أن القرآن من الله و﴿ثُمَّ﴾ للترقي لا للترتيب والمهلة في قوله: ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ مثل قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ آيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢] يعني بعد ما تبين أنها من الله أعرض عنها هذه حالة بعيدة وغريبة ما كان يتصور ولا يليق أن تقع.

﴿سَنُرِيهِمْ﴾ هؤلاء الكفار ﴿ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ آيات في الأفاق وآيات في أنفسهم قد تكون مصائب تحصل لهم بسبب كفرهم بالله وآياته ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أي هذا الإنذار وهذا القرآن، فتكون تلك الآيات في الأفاق وفي الأنفس مؤدية إلى الإيمان بأنه الحق ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وهو عالم بما يقولون وعالم بأنك قد أنذرتهم وبذلت الجهد في محاولة هدايتهم وعالم بما قد وقع منكم كلكم فهو شهيد على كل شيء سيثيك على عنايتك وإبلاغك للرسالة، ويعاقبهم على تكذيبهم وإصرارهم على الكفر.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ﴾ في شك ﴿مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لأنهم لما لم يعرفوا أنهم سيلاقونه لم يراقبوه، ولا استعدوا للقاءه، بل كذبوا بالرسول ولم يبالوا وعندهم أنها قضية بسيطة؛ لعدم إيمانهم بأنهم سيرجعون إلى الله يوم القيامة ﴿أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ محيط بأعمالهم وأقوالهم ومحيط بهم، ومحيط بكل شيء، لا يفوته شيء ولا ينسى شيئاً؛ لأنه العليم الخبير سبحانه وتعالى.

التَّيْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ



سُورَةُ التَّيْسِيرِ



سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ ۝ عَسَق ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْ * عَسَق ﴿٢﴾ هذه الحروف من حروف الهجاء مثل ما تقدم في أوائل السور، ويظهر من بعضها أن الله جعلها ليبين أن القرآن أنزل بالفاظه وحروفه أعني ليس الوحي وحي فقط بحيث أن النبي ﷺ هو الذي يعبر عنه، بل الوحي نزل به تماماً بمعناه والفاظه وحروفه؛ فلهذا رتب عليه قوله:

﴿٣﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴿٤﴾ فهو الوحي هكذا بمعنى يوحى إليك وحيًا كاملاً بالفاظه وحروفه ﴿٥﴾ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿٦﴾ من الأنبياء والمرسلين كذلك أوحى إليك مثل ما أوحى إليهم ﴿٧﴾ اللَّهُ الْعَزِيزُ ﴿٨﴾ سبحانه لعزته جعل الرسل وأنزل الكتب وأوحى إلى الرسل لهذا المعنى وهو أنه عزيز لا يريد إهمال عباده وهم عباده المملوكون له لا يريد أن يتركهم يتظالمون ويفسدون من دون إنذار ولا تعليم ولا هدى ولا عَرْض على الخير إن هذا ينافي عزته حين يتركهم يفسدون في أرضه من دون إنذار ولا وعد ولا وعيد ﴿٩﴾ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ فعزته وحكمته اقتضت أن يوحى إلى الأنبياء والمرسلين يوحى إليهم الوحي الذي فيه الهدى والإنذار والتبشير؛ لأنه يترتب عليه الجزاء يوم القيامة، لأنه لا جزاء للعصاة إلا وقد تقدم الإنذار.

﴿١١﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١٢﴾ هو المالك لها كلها ما في السموات وما في الأرض هو الإله وحده لا إله غيره ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ العلي علو الشأن والعظمة، فالعلو له، والقدرة والغلبة، والعظمة كذلك له سبحانه؛ لأنه قادر على كل شيء، وعالم بكل شيء، ووسعت رحمته وعلمه كل شيء، هذه عظمة لا يقاس بها عظمة.

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٧﴾

﴿٦﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴿٦﴾ اعتقد - والله أعلم - أنه لعظمة الله وعلوه أنه يكاد أن يتفطرن خاشعات من خشية الله يتفطرن من فوقهن ﴿٦﴾ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿٦﴾ تذللًا لعظمته يعبدونه سبحانه ويخضعون له ويخشعون له ﴿٦﴾ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿٦﴾ لأن من في الأرض ما قدر الله حق قدره في معاملتهم لله فالغالب منهم الإعراض والكفر والشرك فهم مظنة أن ينزل عليهم العذاب.

لكن كأنهم - والله أعلم - إما أنهم يستغفرون لمن في الأرض لكي لا يعاجلهم الله بالعذاب ولكي يمهلهم ويعرضهم على التوبة ويهدي من يهتدي منهم للتوبة، مثل قول إبراهيم الخليل صلوات الله عليه: ﴿وَمَنْ عَصَايَ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ومثل قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلْتُ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ [الكهف: ٥٨] فعلى هذا يكون الاستغفار لكل من في الأرض جملة، أو لمن في الأرض أي للمؤمنين منهم مثل ما تقدم في (سورة غافر) ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فهي دعوة لعباده إلى مغفرته ورحمته بأن يرجعوا إليه ويؤمنوا به ويتبعوا رسله.

﴿٧﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴿٧﴾ المشركون الذين اتخذوا من دون الله أولياء ﴿٧﴾ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾ ليسوا فائتين عليه هم في اليد ﴿٧﴾ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٧﴾ ما أرسلناك وكيلًا عليهم تضطرهم للهدى، ما عليك إلا أن تبلغهم وتنذرهم وتبشر.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٣٥٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٥٧﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي

﴿وَكَذَلِكَ﴾ على هذا الوصف الذي أوحينا إليك ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة لأنهم أحوج الناس للهدى، وأصلها مقر نبي الله إسماعيل وفيها الكعبة فهي تستحق أن يكون فيها الهدى والنور ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ عسى أن يهتدوا ويرجعوا، ولأنه لا يوجد معهم من قبل كتاب ولا رسول ﴿وَنُنذِرَ﴾ أي وننذر البشر كلهم تنذرهم ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة يوم مجتمع الناس يجمعهم الله ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ما فيه شك ولا ريب، الريب: أصله القلق من الشك.

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ بعد ما يجتمعون يفصلهم يجعلهم فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير فهو يوم عظيم، فهو يستحق الإنذار أن تنذرهم لعلمهم يرجعون ويهتدون إذا كانوا سيقبلون الإنذار، وإلا فهو حجة عليهم يوم القيامة.

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ﴾ الجمع كلهم الفريقين ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على طريقة واحدة مؤمنين كلهم بأن يضطربهم إلى الإيمان قسراً ﴿وَلَكِنْ﴾ أراد أن يجعلهم في خيار يختارون لأنفسهم ومن هنا ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ الذي هو أهل لأن يهديه الله ويوفقه إلى الإيمان والتوبة ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ المعاندون المصرون الذين لم يقبلوا من الله هدى ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يتولى شئونهم ويحسن رعايتهم؛ لأنهم متولون لشركائهم الذين لا ينفعونهم بشيء، والله سبحانه إنما يتولى الصالحين، قال: ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٢﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ

﴿١﴾ ﴿أَمْرٍ﴾ بمعنى (بل) والهمزة (أم) المنقطعة ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ لأنه قال: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فقال: بل ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ لكن ليسوا أولياء حقيقة ولو اتخذوهم أولياء؛ لأنه لا فائدة منهم ﴿فَاللَّهُ هُوَ أَوْلَىٰ﴾ الذي ينبغي أن يتخذ ولياً لأنه عليم بكل شيء وقادر على كل شيء وكريم ورحيم، وولايته نافعة مفيدة ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فالولاية له التي ينبغي أن تطلب ويرغب فيها، دون ولاية المشركين التي لا جدوى منها.

﴿٢﴾ ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ لأن الملك له والأمر له والنهي له والحكم له وحده لأنه المالك فكل ما اختلفنا فيه فحكمه إلى الله مردود إليه يحكم فيه بما شاء ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ هذا على لسان الرسول ﷺ ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ الذي الحكم له وهو الولي وهو على ما تقدم من الصفات ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ عليه وحده توكلت، وكلت أموري إليه اتخذته وكيلا في أموري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ إليه أرجع وأتوب.

﴿٣﴾ ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مخترعها موجدتها بعد العدم ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ جعل الزوجين الذكر والأنثى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ كذلك الثمانية الأزواج من الضأن والمعز والبقر والإبل ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ ينشركم في الأرض ويكثركم في الأرض بطريقة التناسل ﴿فِيهِ﴾

وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

في هذا الزواج، المزاوجة بين الذكر والأنثى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا يقاس به شيء من الأصنام ولا غيرها سبحانه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل كلام ﴿الْبَصِيرُ﴾ وبصير بكل شيء لا يخفى عليه شيء من المراتب.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المملكة له مفاتيحها، كأنه تمثيل لأن من يملك المفاتيح فالحزائن له، ومعنى هذا: أنه المالك للسموات والأرض وما فيهن فالكل عباده، ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ لمن يشاء على ما أراد من الرزق ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من أحوال المكلفين وغيرها فقد تكون المصلحة للإنسان في بسط الرزق وقد تكون المصلحة له في التقدير، فهو بكل شيء عليم يجعلها على ما تقتضيه الحكمة.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ من قبلنا ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني شرع لكم الذي أوحينا إليك وهو ما في القرآن والسنة ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ كله شرع واحد ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ أقيموا دين الله بإحيائه والعمل به واجتناب الميل إلى الباطل حتى يكون الدين قيما لا عوج فيه ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ فهذان أمران شرعهما للأنبياء جميعاً نبينا ﷺ ومن قبله، وهما إقامة الدين، وترك التفرق فيه، لأنه دين واحد دين الله، فالتفرق فيه يستدعي العدول عن الطريق المستقيم من قبل البعض، ولعل من التفرق في الدين ما عليه الناس اليوم من تعدد المذاهب واختلاف العقائد.

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٩﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من توحيد الله وعبادته وحده أمر عظيم كبير ثقیل علیهم جداً ﴿اللَّهُ يُجِيبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يختصه بفيض من رحمته ونعمه يهديه ويبارك فيه ويؤهله ويكمله حتى يصلح للإصطفاء للرسالة، يجعله كأنه جلبه إلى نفسه واصطنعه لنفسه مثل ما قال لموسى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١].

أو يجتبي إليه من يشاء حتى يهتدي لطاعته وعبادته ولو لم يكن رسولا، لكن الأول أظهر لأنه عطف عليه قوله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ فالاجتباء يكون للرسول، والهداية لهم ولأتباعهم، المنيبين إلى الله باتباع الرسل.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ﴾ هؤلاء الأولون بنو إسرائيل وغيرهم ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ في التوراة وغيرها قد جاءهم العلم، فصار الحق واضحاً بيناً ولكنهم تفرقوا كأنه بسبب السياسات والطمع في الملك وبسبب تطويع الفكر حتى يصبح تبعاً للملك وبما يستقيم به الملك وليس جهلاً بالطريقة لأن الحق واضح ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ مثل ما حدث من معاوية وخروجه وبغيه على الإمام علي عليه السلام.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [مود: ١١٩] اقتضت أن يخلي سبيلهم من أراد أن يؤمن ومن أراد أن يكفر ﴿لِّقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ لكان حكم بينهم وهم في الدنيا إلى أن يرجعوا عن غيهم ويتبعوا الطريق الصحيح.

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
 بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُتَخَاوُونَ فِي اللَّهِ مِنْ
 بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ الوارثون
 هم: أهل التوراة الذين جاءوا بعد الأمم المتقدمة الذين لم ينص عليهم من
 هم، مثلما قال: ﴿يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠] أي كفار من
 قبلهم يشبهونهم.

اخلاصة: أن بعض أهل التوراة يشكون في صدق التوراة.

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ لإقامة الدين وترك التفرق، هذا الدين الذي
 شرعه الله لك ادع إليه ﴿وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ﴾ استقم على ما أمرك الله في
 تبليغ الرسالة بما أمرك الله به وفي الدين كله.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أهواء أهل الكتاب هؤلاء المضلين وغيرهم من
 المخالفين ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ القرآن وما قبله من
 الكتب ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ أمرني الله أن أعدل بينكم، وأمرهم أن
 يطيعوه، قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

كما أمره أن يقول لهم هكذا: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ نحن عباده كلنا على
 كلمة سواء بيننا وبينكم ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا﴾ في طاعة الله ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾
 إذا اتبعتم أو عاندتم أعمالكم لكم ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا جدال بيننا
 وبينكم ولا محاجة ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ مصير
 الكل وهو الذي سيحكم.

عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۖ وَمَا يُدْرِيكُ
لَعْلَ السَّاعَةِ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۚ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي
السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ۖ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ

﴿وَالَّذِينَ يُتَخَاوُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ﴾ من بعد ما نزل
القرآن وقامت الحجة على عباد الله وبعد ما استجاب له المؤمنون، وبعد أن
تجلى الحق، فهؤلاء الذين يحتاجون في الله ﴿مُجْتَهِّمٌ ذَا حِصَّةٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾
ساقطة باطلة لا تنفعهم يوم القيامة ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾
نعوذ بالله من غضبه.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ الكتب كلها لأنه يطلق هذا الاسم على
الكتب جملة لأنه مصدر ﴿بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ إنزاله حق، والميزان كأنه الهدى
الذي به بيان العدل، وكيفية العدل، مثل ما قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ
وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] ﴿وَمَا يُدْرِيكُ
لَعْلَ السَّاعَةِ قَرِيبٌ﴾ ما يدريك يا رسول الله لعل الساعة - التي ينكرها
الكفار ويستعجلون بها - قد اقترب وقتها.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ حينما يقولون: ﴿مَتَى هَذَا
الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨] وغيرها ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ حذرون خائفون، الإشفاق: حذر يسيبه الخوف،
ومقتضى هذا أن الذي لا يشفق منها لا يكون مؤمناً لأن الإيمان يكون إيماناً
بالجنة وإيماناً بالنار وهذا ما يبعث على الخوف من النار، والرغبة في الجنة،
فهذا يستدعي الحذر من النار؛ لأنها عذاب شديد.

أَلْقَوُا أَلْعَزِيْزُ ﴿٣٦٣﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ
وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيْبٍ
﴿٣٦٤﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا
كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦٥﴾

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ الذين يمارون يجادلون ويشككون
في الساعة ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ في تيه وغفلة شديدة، فلا بد أن يعلم الإنسان
أن الساعة حق ليحذر من النار، لأنها أمور عظام عظام، من المفروض أن
يسهر الليل، ولا يتهاى بطعام ولا شراب، ولا يستقر ولا يهدأ له بال من
خوف النار، لكن الإنسان في غفلة شديدة، فكيف بمن يشكك فيها لكي
يضل الناس حتى لا يؤمنوا بها فهي غواية بعيدة.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ ولهذا يجعل لهم الإنذار والتحذير والرسول
رحمة بعباده لئلا يدخلوا النار إذا قبلوا وإن عاندوا فهم من جنوا على
أنفسهم ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ هو الرزاق سبحانه ﴿وَهُوَ أَلْقَوُا أَلْعَزِيْزُ﴾
القوي القادر على كل شيء، العزيز الغالب الذي لا ينال.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ وهو طاعة الله وتقواه ﴿نَزَدَ لَهُ فِي
حَرْثِهِ﴾ نزده هدى ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ غرضه الدنيا لا يبالي
بالآخرة ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ نؤته منها ما أردنا من قليل أو كثير مثل ما قال: ﴿مَنْ
كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ [الإسراء: ١٨] ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن
نَّصِيْبٍ﴾ لأنه كان يريد الدنيا فما بقي له في الآخرة ثواب.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ حين لم يقبلوا شرع الله ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل والهمزة
وهو إضراب وسؤال إنكار ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ لا
شيء من هذا، لم يشرعوا شيئاً، ولم يقولوا شيئاً.

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ^١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ

وهؤلاء الطغاة الذين يشرعون ما لم يأذن به الله يسمون شركاء حين جعلوهم شركاء لله في الحكم أشركوا بهم لكن لا اعتقد أنه المقصود في الآية.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [مود: ١١٩] ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جزاء ما ظلموا لا يتركهم في الدنيا يظلمون إلا لأنه سيعذبهم، فلا يصح أن يمكنهم ثم لا يجازيهم لأنه خلاف العدل والحكمة.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ هذا يوم القيامة حين تكون النار أمامهم صاروا مشفقين منها لكنهم أصبحوا في حيرة من أمرهم ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ليس لهم منها مفر، واقع عليهم العذاب ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ هذا في الآخرة نعيم عظيم، وسعادة كبيرة.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة كأنهم مثل الضيف عنده كما قال: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] لأنه الذي يدبر في الجنة نعيمهم وثوابهم ويتولى رعايتهم وتكريمهم في الجنة ليس فقط يوجد لهم الجنة ويطرحهم فيها ولا دخل له في شأنهم بل مثلما يهتم المضيف بضيفه ويحتفي به ويكرمه وهنا سر عظمة الجنة وسر عظمة رضوان الله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الجنة هي الفضل الكبير الذي يستحق أن يعمل له الإنسان وليس هذه الدنيا الفانية المنتهية.

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۚ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٢﴾ أَمْ

﴿ذَلِكَ﴾ النعيم في الجنة هو ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ على هذا التبشير للذين آمنوا وعملوا الصالحات لا أسألكم عليه أجراً ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ المودة لأهل القربى، قرابتي تودونهم؛ لقرباهم مني؛ لأنها أنفع لكم وأقرب إلى هدايتكم، وذو القربى: هم ذرية الرسول ﷺ، والحكمة في ذلك أن الناس إذا أحببهم اتبعوهم فتعلموا منهم واهتدوا بهداهم، بخلاف ما إذا أبغضوهم فإنهم يتباعدون عنهم ويتكبرون لإرشاداتهم ويتركون الاقتداء بهم، بل قد لا يكونون عارفين لهم شخصياً ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ من الذين آمنوا وعملوا الصالحات في مودة ذوي القربى وغيرها ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ نضاعفها له ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لعباده الراجعين المؤمنين ﴿شَكُورٌ﴾ يجازيهم على عبادتهم وطاعتهم له يشكرهم عليها بكرمه وفضله.

هذا يبين لنا: أن الآية خطاب للمؤمنين حين قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لأن السياق قبلها وبعدها في المؤمنين، فقد قال قبلها: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثم قال بعدها: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ فالمعنيون هنا: هم المؤمنون، أما الكفار فليسوا أهلاً لأن يقال لهم: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ.

وهذا يرد على المخالفين الذين يريدون تحويلها عن أهل البيت (عليه السلام) لأنهم زعموا أنها في الكفار، وقالوا: إن المعنى: لا أسألكم إلا أن تودوني في قرابتي والرحامة التي بيني وبينكم ولا تؤذوني في حال خلافتكم لي وكفركم بي.

يَقُولُونَ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ تَحْتَمِ عَلَى قَلْبِكَ ۖ وَيَمَحُ اللَّهُ
الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧٤﴾ وَهُوَ الَّذِي
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾

قلنا: السياق ينافي هذا القول؛ لأن السياق في المؤمنين وليس في الكفار،
ثم أنه لا يصح أن يطلب من الكفار أن يودوه وهم أعظم المبغضين له ﷺ.
وقد رددت عليهم في كتابي المسمى (الغارة السريعة) رداً شافياً.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هذا إضراب ثاني يعني: بل يقول المشركون هؤلاء
الذين قال عنهم أولاً: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ..﴾ يقولون: ﴿أَفَتَرَى عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا﴾ افترى النبي هذا الشرع الذي قال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى
بِهِ نُوحًا..﴾ أم يقولون افترى هذا الكلام على الله كذباً.

﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ تَحْتَمِ عَلَى قَلْبِكَ﴾ لو افترت عليه كذباً فإنه يختم على قلبك
فلا تفهم شيئاً ولا تدلي بأي كلام باطل ﴿وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ وهذا من محو
الباطل حينما بين لهم الحقيقة لأنه رقيب عليه في رسالته ولم يرسله إلا وهو
يعلم أنه سيلغ الرسالة ولا يفترى على الله أي كلمة كذباً ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ يبينه
ويوضحه ويقرره ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بآياته وهداه الذي في كلماته ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ﴾ فهو الخبير بما من شأنه أن يوضح الحق ويبطل الباطل.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ هو سبحانه يقبل توبة من
تاب إليه وهذا دعوة إلى التوبة ليتوبوا إلى الله ويرجعوا إليه ليقبلهم ﴿وَيَعْفُو
عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ يعفو عمن تاب ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ العباد كلهم المطيع
والعاصي فهو الذي سيجازيهم لأنه عالم بما يفعلون لأن القيامة مبنية على
هذا وهو أنه عالم بما يفعلون، وأنه سيغفر للتائبين ويثيب المؤمنين ويعاقب
الكفار والمجرمين.

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ؕ
وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي
الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ؕ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٦٧﴾ وَهُوَ
الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدٍ مَّا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ؕ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ
﴿٦٨﴾ وَمِن ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ؕ وَهُوَ

﴿٦٦﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٦٧﴾ كَانَ معناه يستجيب
إذا طلبوه الهدى وطلبوه الخير يستجيب لهم، يقبل منهم مطلبهم ﴿وَيَزِيدُهُم
مِّن فَضْلِهِ﴾ يضاعف لهم الحسنات ويزيدهم من فضله زيادة فوق ما طلبوا
﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الذين كفروا بالله، بآياته وكفروا بلقائه
بالآخرة لهم عذاب شديد.

﴿٦٧﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴿٦٨﴾ لَأنه قال: ﴿يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠] وهنا يبين أنه لو
بسط الرزق لعباده كلهم لبغوا في الأرض، وهو واضح في كثير من الناس
الذين يبسط لهم في الرزق أنهم ييغون ﴿وَلَٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ من
الرزق ومن الهدى ومن غيره كله بقدر ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ﴾ بضمائرهم وما
تكنه قلوبهم وعالم بنياتهم وما الذي يؤثر فيهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بعباده وما يؤدي
لهدايتهم ولتعليمهم.

﴿٦٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدٍ مَّا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ؕ وَهُوَ الْوَلِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿٦٩﴾ هذا يبين فضله على عباده فهو ينزل المطر في الوقت الذي كان
الناس يستحقون العذاب بسبب القنوط من رحمته، لكنه بكرمه ينزل لهم
الغيث لا يمنعهم قنوطهم من رحمته ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ بالمطر ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ
الْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد المحمود في ولايته لعباده.

عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٦١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ
 دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦٢﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
 ﴿٦٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ

﴿٦٠﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ ﴿٦٠﴾ دلائل قدرته ودلائل فضله ﴿٦٠﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا بَثَّ فِيهِمَا ﴿٦٠﴾ في السموات والأرض ﴿٦٠﴾ مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ ﴿٦٠﴾ يوم
 القيامة ﴿٦٠﴾ إِذَا يَشَاءُ ﴿٦٠﴾ حين يشاء ﴿٦٠﴾ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾ لا يعسر عليه جمعهم مع أنهم كثير وقد
 مضت أمم تلو أمم، والأمة الحالية، والمستقبله لكنه قدير سبحانه على جمعهم
 يوم القيامة.

﴿٦١﴾ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴿٦١﴾ كل المصائب لأنه
 سبحانه كريم ورحيم بعباده لكنهم يتسببون في جلب المصائب على أنفسهم،
 وقد يكون ذلك تأديباً لهم ليرجعوا ﴿٦١﴾ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٦١﴾ لا يعاقبهم على كل
 شيء.

﴿٦٢﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴿٦٢﴾ أي العصاة ما هم بفائتين على الله
 ﴿٦٢﴾ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴿٦٢﴾ يتولى شئونكم ورعايتكم ﴿٦٢﴾ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦٢﴾
 وليس لكم نصير من دونه ينصركم من الله لا ملجأ لكم منه ولا منجى.

﴿٦٣﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ ﴿٦٣﴾ ومن آياته السفائن ﴿٦٣﴾ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٦٣﴾
 يراها الرائي من بعيد كأنها علم راية حينما تكون في حال سيرها وتحركها
 والرياح تدفعها، والآية فيها هي جريتها على وجه الماء ولهذا قال: الجواري
 ولم يقل: السفائن هذه آية باعتبار أنه سخر الرياح تسوقها على حسب مراد
 أهلها، إلى الجهة التي يريدون.

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٢٦﴾ أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿١٢٧﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ تَجَدَّلُونَ فِي ءَايَاتِنَا مَا هُمْ مِنْ مُّحِصٍ ﴿١٢٨﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَالَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢٦﴾ ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ لو شاء أن يسكن الرياح - وهي التي تسوقها ولم تكن يوم ذاك محروقات تدفعها - لظلت راكدة في النهار حين قال: ﴿فَيَظْلِلَنَّ﴾ لأن الظلول يكون في النهار ﴿رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ على ظهر الماء، وهذا مشقة شديدة حيث تنقطع بهم السبل وتصهرهم الشمس بحرارتها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ تسخيرها لتطفو على وجه الماء مع ثقلها، وتسخيرها لتدفعها الرياح لتقطع المسافات البعيدة ﴿لَأَيَّتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ للذين يعقلون ويفهمون الآيات ويؤمنون بها، ويتفعلون بها، الصبارين على طاعة الله وعلى بلائه، الشاكرين له على نعمه.

﴿١٢٧﴾ ﴿أَوْ يُوبِقَهُنَّ﴾ لو أراد أن يوبقهن أي يهلكهن، وليس فقط يظللن رواكد على ظهر البحر ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بذنوبهم ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما يكونون مستحقين له أكثر من إهلاكهن.

﴿١٢٨﴾ ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ تَجَدَّلُونَ فِي ءَايَاتِنَا﴾ حين تأتيهم المصيبة هذه يعلمون ﴿مَا هُمْ مِنْ مُّحِصٍ﴾ ليس لهم ملاذ ينفعهم لا شركاؤهم ولا الذين يدعون أنهم ينفعونهم.

﴿١٢٩﴾ ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ هذا ابتداء كلام.. ما أُوتِيتُمْ في هذه الدنيا ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ليس إلا متاعاً قليلاً وينتهي لأنه متاع، قال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] لأنه قليل بالنسبة إلى الآخرة ولأنه مؤقت محدود ينتهي بالموت.

يَغْفِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ الثواب العظيم في الآخرة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ لأنه دائم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يكلون أمرهم إليه، ويطيعونه في السراء والضراء والأمن والخوف لا يرددهم راد من طاعته وتقواه لأنهم متوكلون عليه.

﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبِئُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ وهذه من صفاتهم أنهم يَحْتَبِئُونَ كبائر الإثم والفواحش لأنهم مؤمنون ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ إذا ظلموا وتمكنوا من العقاب قد يغفرون لمن كان قد ظلمهم في الماضي ليثابوا على الغفران.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ اتقوه وأطاعوه في كل ما أمر ونهى في الدين كله ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ صلاتهم قيمة كاملة بشروطها وفروضها لا ينقصونها ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ المشترك بينهم ﴿شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ لا يستبد به واحد دون واحد بل يتشاورون في أمورهم عامة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحلال ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله وفي سبيل الله لأن الإنفاق مهم يترتب عليه الجهاد في سبيل الله الذي فيه عزة المسلمين.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ هم ينتصرون من الباغي لا يتركونه يفسد في الأرض ويظلم المؤمنين.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الحق أنه إذا اعتدى عليهم معتدي وأرادوا الاقتصاص منه أن تقابل السيئة بمثلها بقدرها ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿١٦﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿١٩﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ

يبين بهذا أن قوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ لا يعني وجوب ذلك، ولكنه خلق وسجايا المؤمنين العفو عند المقدرة، وفي هذا أجر كبير وفضل عظيم، وكل ذلك لا بد أن يكون في إطار المصلحة العامة للإسلام والمسلمين ﴿إِنَّهُ لَا تَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فلذلك لا بأس بالجزاء والاقتصاص من المعتدي.

﴿٢٠﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٢١﴾ بعد ما ظلم إذا انتصر على الظالم فما عليه من جناح أو مؤاخذه حين يقتص ممن بغى عليه.

﴿٢٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿٢٣﴾ هؤلاء هم الذين قامت عليهم الحجة حجة الله لأنهم ظلموا وبغوا وأفسدوا في الأرض فهم الذين يستحقون أن يعاقبوا أو يقتص منهم ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿٢٤﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ عَفَى عَنِ الضَّعِيفِ وَمَنْ تَقْتَضِي المصلحة العفو عنه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من الأمور المعزومة الشاقة والتي تحتاج إلى عزم وقوة إرادة وصبر، وهي فضيلة عظيمة لا تنال إلا بإرادة قوية مثل ما قال المتنبي:

ذريني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل

﴿٢٥﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ ﴿٢٦﴾ بأن يستحق الخذلان وتركه للشيطان يغويه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ ما بقي له من ولي يتولاه ويحسن رعايته ويهديه،

عَلَيْهَا خَشَعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿١٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ

وإنما يبقى العوبة في أيدي الشياطين ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ في الآخرة حين يرون العذاب حيث جهنم قد تراءت لهم ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ مرجع إلى دار الخيار حتى نؤمن وتتبع الرسول لكن لا جدوى.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ على جهنم، لأنها في المحشر تكون قباهم يرونها ويسمعون صوتها قبل دخولها ﴿خَشَعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ متذللين منكسرين ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ينظرون إلى النار من طرف خفي، نظرات خفية لأنه منظر مهيب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في الآخرة قالوا: ﴿إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ هذا هو الخسران حقاً ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم لا ينقطع وكلمة ﴿أَلَا﴾ هي كلمة إعلام لأجل لفت الانتباه لما بعدها لأهميته والظلم من أعظم الذنوب وهو يعم المعاصي كلها، وهذا إعلام للظالمين وتقرير لمصيرهم في الآخرة وهو جهنم نعوذ بالله منها.

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يوم القيامة لا يوجد معهم من ينصرهم من دون الله ينجيهم من عذابه ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يخذله ﴿فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ليس معه طريق بل قد ضاعت عليه الطريق ولا يجد من يرشده ويبدله عليها.

أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا

﴿٤٧﴾ ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ مادمتم في دار الخيار في هذه الدنيا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ يوم القيامة لا أحد يرد أمر الله فيه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ لا ملجأ لكم تلجئون إليه، ولا من نكير يعترض ويستنكر على دخولكم النار أي ليس هناك من يدافع عنهم.

﴿٤٨﴾ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ رفضوا الاستماع للآيات ولم يقبلوا الإنذار ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ ليس عليك أنك تحفظهم حتى لا يدخلوا النار ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ تبلغهم ما أوحينا إليك من الإنذار وأسباب الهداية إذا قبلوا ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا﴾ طبيعة الإنسان عندما تغمره نعم الله أن يفرح بها ويطمئن إليها ويتخيل أنها كذلك باستمرار ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ إما مرض أو عرض ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ يقنط ويئس من رحمة الله سمي القنوط كفرًا لكنه هنا لا يعني أنه كافر جاحد لله.

﴿٤٩﴾ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كلها لله وحده لا شريك له فيها ﴿تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ هذه واضحة أنه يجعل له أولاداً إناثاً أو يجعل له أولاداً ذكوراً.

وَإِنَّمَا يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿٥٠﴾ أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً ﴿٥١﴾ أَوْ يَجْعَلُ لَهُ ذَكَورًا وَإِنثَاءً مَعًا ﴿٥٢﴾ وَجَعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴿٥٣﴾ لَا يُلِدْ أَصْلًا ﴿٥٤﴾ إِنَّهُ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ بِكُلِّ حَالَةٍ وَبِكُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ فِي جَعْلِ الْإِنثَاءِ أَوْ جَعْلِ الذَّكَورِ أَوْ تَزْوِيجِ الذَّكَورِ وَالْإِنثَاءِ ﴿٥٦﴾ قَدِيرٌ ﴿٥٧﴾ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلِهَذَا يَخْلُقُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْإِنثَى فِي كُلِّ زَمَانٍ لَا يَنْقُطِعُونَ، لَا يَنْقُطِعُ الْإِنثَاءُ، وَلَا يَنْقُطِعُ الذَّكَورُ حَتَّى يَتَنَاسَلَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يَرِيدُهُ اللَّهُ لَهُ وَهُوَ الْأَجَلُ.

﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴿٥١﴾ إِمَّا بِأَنْ يُوحِيَ إِلَيْهِ مِثْلَ مَا أَوْحَى إِلَى مُوسَى حِينَ سَمِعَ الصَّوْتَ فِي الشَّجَرَةِ ﴿٥٢﴾ أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ ﴿٥٣﴾ يَسْمَعُ الصَّوْتَ فَقَطْ، مِثْلَ مَا قَالُوا: إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ الْوَحْيَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴿٥٤﴾ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴿٥٥﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿٥٦﴾ فَيُوحِي ﴿٥٧﴾ إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ ﴿٥٨﴾ بِإِذْنِهِ ﴿٥٩﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٦٠﴾ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ ﴿٦١﴾ وَالْعَرَبُ يَسْمُونَ خَفِي الدَّلَالَةِ وَحْيًا، حَتَّى سَمُوا الْكِتَابَةَ وَحْيًا، كَمَا قَالَ:

... كَمَا ضَمَّنَ الْوَحْيَ سَلَامَهَا أَيَّ حَجَارَهَا.

﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا ﴿٥٣﴾ بِوَسْطَةِ جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿٥٤﴾ رُوحًا ﴿٥٥﴾ الْقُرْآنَ كُلَّهُ رُوحٌ، لِأَنَّهُ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ وَهْدَى وَنُورٌ ﴿٥٦﴾ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ وَشَأْنُهُ ﴿٥٧﴾ مَا كُنْتَ تَدْرِي ﴿٥٨﴾ قَبْلَ نَزُولِهِ عَلَيْكَ ﴿٥٩﴾ مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴿٦٠﴾ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ

القرآن ولا تدري قبل نزول الوحي ما الإيمان ﴿وَلَيْكِن جَعَلْنَاهُ﴾ هذا الروح الذي أوحينا إليك من أمرنا القرآن، جعلناه ﴿نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ المؤمنين الذين يقبلون الهدى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إذا قبل منك هؤلاء الذين حولك فأنت ستهديهم لأنك تهدي إلى صراط مستقيم.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هو دين الله فأنت تهدي إليه وهم باتباعهم لك سيهتدون ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ كلها ترجع إليه؛ لأن الأمر له في كل شيء، والحكم له في كل شيء، ومصير العباد إليه في الآخرة، والحكم له يوم القيامة يجازي كلا بعمله.



التيسير في التفسير



سورة الزخرف



سُورَةُ الزَّخْرَفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ

﴿١﴾ ﴿٢﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمَّ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ أقسم الله بالقرآن لأن له شأنًا عظيمًا وهو آية من آيات الله العظمى، والباري يقسم بآياته الدالة عليه ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ معنى (مبين) بين أنه كتاب واضح، آياته ودلائله مفهومة للناس ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ إن الله الذي أنشأه جعله قرآنًا عربيًا بلسان العرب ليفهموه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تعقلون معناه وتفهمونه وتتبعونه.

﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ وَإِنَّهُ ﴿٥﴾ أي القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ كأنها هناك في السماء نسخة من القرآن ﴿لَدَيْنَا لَعَلِيَّ﴾ علي له شأن رفيع لأنه حاكم ومتبع ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه محكم أحكمه الباري.

﴿٨﴾ ﴿٩﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٨﴾ بمعنى: أنه لا بد أن يأتيكم الهدى ونعرضه عليكم حتى ولو كنتم قوما مسرفين لن نترككم لأنكم مسرفون بل لا بد أن نقيم عليكم الحجة.

﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ أولئك الأولون المسرفون كنا نرسل إليهم الرسول لنقيم عليهم الحجة ونعرض عليهم الهدى.

بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِي

﴿٧﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ لم يمنعه استهزاؤهم
بالرسل من متابعة إرسال الرسل.

﴿٨﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴿٩﴾ يعني: أشد من هؤلاء الذين في زمن
النبي ﷺ ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوماً جبارين ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾
القضايا الواقعة على الأولين وقصصهم قد مضوا وصاروا مثلاً للآخرين.

﴿٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴿٧﴾ هؤلاء قريشاً ومن حولهم ﴿مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ مقرين أن الله الذي خلقهن.

﴿٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٩﴾ مهدها وجعلها للإنسان حتى
كانها مهداً، المهاد أصله الفراش للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً
﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تتمكنون من السفر من بلاد إلى بلاد لقضاء حاجاتكم
ونحو ذلك؛ ولأن كل بلاد تختص بشيء من المنتجات دون الأخرى فيسافر
الآخرون لجلبها إلى بلادهم.

﴿٩﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴿١٠﴾ بقدر
أي بمقدار يكون إنزال المطر بحيث لا يضر في نزوله، ويحصل به المقصود يسقي
البلاد التي ينزل إليها ويرويههم ويشربوا ولأنعامهم وأموالهم، وهو ينزل
﴿بِقَدَرٍ﴾ مثل ما ينزل من الغريال ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾
مثل ما أحيا الأرض بعد موتها كذلك يحيي الموتى يبعثون بعد الموت.

خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوْدَأَ عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا ۖ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ الذي خلق الأصناف كلها أصناف المخلوقات وجعلها أنواعا بقدرته لأنها بفعل فاعل مختار يفعل الشيء كيف ما شاء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ في البر ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ نعمة للإنسان دلائل قدرة الله سبحانه ونعمته الذي هيأها تصلح للركوب والسفر هذه الإبل، و هيأ السفائن بالرياح.

﴿لِتَسْتَوْدَأَ عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ الإبل والسفائن ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ تذكروا حين أنعم عليكم بهذه التي تركبونها في التنقل لحاجاتكم؛ لأنها نعمة عظيمة تحمدون الله عليها ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ إما الأنعام أو السفن ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ما كنا له مطيقين الإبل لا نستطيع تسخيرها بقوتنا لركبها ونسافر عليها لو لم يسخرها الباري وكذلك السفن لا نستطيع أن نسيرها في البحر لو لم ييسر الباري الرياح تسوقها.

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ليعوض هذه الإبل التي نركبها، يعوضها في الآخرة مقابل ما تحملت في الدنيا من المشقة.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ هؤلاء المشركون جعلوا لله من عباده جزءاً وهو القادر على كل شيء والمنعم عليهم والعالم بكل شيء ما له نديد لكن جعلوا له من عباده جزءاً، لأنهم جعلوا أنفسهم وفيما ذراً من

أَتَّخَذَ مِمَّا تَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَدَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ
وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ
إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ

الحرث والأنعام شركا بعضها للأصنام وبعضها لله حين قال: ﴿وَمَا نَرَى
مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ٩٤] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ بين الكفر للنعمة لأن تلك الأصنام ما خلقت ولا رزقت
والباري الخالق الرازق فالكل له.

﴿١٦﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا تَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَدَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ على ما تقولون، كيف
تفكرون حين تقولون: اتخذ له البنات وأنتم يصفىكم بالبنين يهب لكم
البنين، لما زعموا أن الملائكة بنات الله.

﴿١٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ بالبنات التي قد جعلها
الله ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ حين يقولون له: قد ولدت امرأته وجاءت بنت
﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء غيظاً.

﴿١٨﴾ أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ كأنه يقول: هل ولد له من ينشأ في
الحلية المرأة التي تنشأ في الحلية ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ وهي امرأة
فيها عيٌ ليست مثل الرجل في الخصام.

﴿١٩﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ هذه جهالة كبيرة
بغير مستند أصلاً، لم يستحيوا أن يجعلوهم إناثاً بغير مستند، وهم يكرهون
الإناث ولا يريدون أن يأتي لهم إناث، ولكنهم يجعلون لله إناثاً.

الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْتَهُمْ ۖ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١﴾
 أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا
 وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا
 مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
 وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٤﴾ * قُلْ أُولَٰؤِ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا

﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ هل مكنهم الله أن يعاينوا كيف خلق الملائكة؟ كلا..
 لم يروهم ولم يدروا كيف هم ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ حين جعلوهم إناثاً
 ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ يوم القيامة عن هذه الدعوى.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ مقصودهم أن الله تعالى راضي
 بعبادتهم للشركاء، وإلا لكان منعهم قسراً عن عبادتها، لكن حكمة الله لا
 تتعدى إقامة الحجة عليهم بالكتاب والرسول وتركهم بخيرين ﴿مَا لَهُمْ
 بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أنه راضي لهم بتلك العبادة للشركاء ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا
 يَخْرُصُونَ﴾ تخمين وظن.

﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ هل معهم
 كتاب من قبل هذا القرآن يستغنون به عن هذا القرآن ويكون فيه ما يدعون
 لله من البنات، أو من الأصنام، يعني من الشركاء

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ هذه حجتهم أنهم قالوا
 وجدنا آبائنا على أمة على طريقة مأمومة مقصودة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ
 مُّهْتَدُونَ﴾ نحن سوف نتبعهم ونقتدي بهم وهذه ليست حجة وإنما تقليد.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا
 وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ الأمم الأولون كذلك

وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ^{١٤} قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ^{١٥} فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ^{١٦} وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ^{١٧} إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ^{١٨} وَجَعَلَهَا

لا تكون معهم حجة على باطلهم، وإنما بسبب الترف الذي يستدعي أن يعارضوا أنبياءهم ويكذبوهم لا يحتاجون إلا بأنهم وجدوا آباءهم على طريقة وأنهم بعدهم متبعون لهم.

﴿قُلْ أُولُوْ جِثَّتُمْ بَأْهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ﴾ هــ لـ يستصرون على تقليدهم في الشرك والباطل بينما أنا جئتكم بالهدى من الله ربكم فكيف تتبعونهم وتتركون الهدى الذي من الله الذي هو (أهدى) هذا اسم التفضيل لا يشترط فيه المشاركة، هذا هو الهدى وذاك هو الباطل ليس فيه شيء من الهدى، واسم التفضيل قد يكون فيه المشاركة وزيادة، وقد يكون فيه الزيادة خاصة بدون مشاركة.

﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ من التوحيد وعبادة الله وحده والقرآن فنحن بالكل ﴿.. كَافِرُونَ﴾ * فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ.. ﴿ من الأولين، والآخرين سنتقم منهم إذا لم يؤمنوا ﴿فَأَنْظُرْ﴾ يا رسول الله ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ لم نهملهم، ولم نتركهم يكذبون ويتمردون على الله ويهمون بأنبيائهم، بل نأخذهم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ وهذا حجة على العرب المشركين لأنهم يتمنون إليه ويدعي بعضهم أنهم على ملته وهو غلط؛ لأن إبراهيم قال لأبيه وقومه: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ من شركائكم.

كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨٥﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ
 حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٨٦﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
 وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٨٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ
 الْقَرِيبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٨٨﴾ أَهُمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم
 مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ

﴿٣٨٩﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ۚ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَنِي الْمَالِكُ لِي هُوَ رَبِّي فَأَنَا سَابِعُهُ
 وَحْدَهُ ۚ فَإِنَّهُ سَيَّهَدِينَ ۚ لعبادته.

﴿٣٩٠﴾ وَجَعَلَهَا التَّوْحِيدَ وَإِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَالْبَرَاءَةَ مِنَ الشَّرِكِ وَأَهْلِهِ
 ﴿٣٩١﴾ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۚ إِبْرَاهِيمَ أَوْصَىٰ ذَرِيَّتَهُ بِذَلِكَ وَذَرِيَّتَهُ
 أَوْصُوا مِنْ بَعْدِهِمْ.

﴿٣٩٢﴾ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ الَّذِينَ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾
 مِنْ قَبْلِهِمْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فَكَانَ لَهُمْ رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، يَأْكُلُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ
 آمَنِينَ لِحَرَمَةِ وَقْدَاسَةِ الْكَعْبَةِ ۚ .. حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَهُمُ
 الْحَقُّ ۚ بَعْدَمَا قَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ فِي الْمَاضِي إِلَى الْآنَ ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ﴾ الْقُرْآنَ
 ﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ جَحَدُوا آيَاتِ اللَّهِ.

﴿٣٩٣﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ لِأَنَّهُمْ
 كَانُوا يَحْتَقِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ لِأَنَّهُ فَقِيرٌ، وَلَيْسَ الْكَمَالُ وَالشَّرَفُ عِنْدَهُمْ إِلَّا
 بِالْمَادَةِ وَبِالْسُّطُوَّةِ مَهْمَا تَحُلَىٰ بِالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَالصِّفَاتِ الشَّرِيفَةِ فَلَا
 يَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ كَمَالًا، فَاقْتَرَحُوا أَنْ تَكُونَ الرِّسَالَةُ لْغَيْرِهِ مِنْ كِبَارِ الْقَوْمِ إِمَّا مِنْ
 مَكَّةَ أَوْ مِنَ الطَّائِفِ.

بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۖ وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٨٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ
يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ
فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٨٧﴾ وَلِلْبُيُوتِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ

﴿٣٨٦﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ ۖ هذا إنكار عليهم أي لا يحق لهم التدخل في تحديد من يرسل الله هو الذي يختار له رسولا كيف يشاء، وذلك فضول منهم ﴿لَخَنَّ قَسَمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كما أنه الذي قسم بينهم معيشتهم فهناك منهم الأغنياء وهناك الفقراء قسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فكذاك هو الذي يتولى وضع الرسالة في محلها.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ رفعنا بعضهم بالمال والقوة ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ يستقوي الظالم على الضعيف منهم يسخره بجعله يخدمه مجانا استرضاء له وتقرباً إليه لأنه عظيم في نظره لما يملكه من المال والثروة، فهم لا يستحقون الكرامة لأنهم كفار لهذا تركهم الباري هكذا القوي يسخر الضعيف.

﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ الرحمة التي أنت فيها يا رسول الله وفي أسبابها وطريقتها أفضل مما يجمعون من الدنيا مما يعدونه شرفاً وعظمة.

﴿٣٨٧﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يبين أن المال لا قيمة له ولا كرامة له عند الله فالغني ليس له عند الله مزية، بل لو لا أن الناس سيفسدون وينحرفون كلهم لجعل للكفار لبیوتهم في الدنيا ﴿سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ مصاعد أو نحوها تكون من فضة يصعدون من فوقها.

﴿١٦﴾ وَزُحْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿١٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٢٠﴾ وَلَنْ

﴿٢١﴾ وَلَبِئْسَ أَجْرُهُمْ أَوْبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٢٢﴾ أَبوابا كذلك من الفضة وسررا من الفضة، عليها يتكئون.

﴿٢٣﴾ وَزُحْرَفًا ﴿٢٤﴾ لجعلنا لهم زحرفاً زينة عظيمة، أو زحرفاً بمعنى الذهب ﴿٢٥﴾ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٢٦﴾ ليس إلا متاع الحياة الدنيا لا قيمة له عند الله ﴿٢٧﴾ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ في الجنة عند ربك حيث يكون المتقون ﴿٢٩﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٣٠﴾ [الفر: ٥٥] فهي مخصصة للمتقين، للذين يستحقونها وهي أشرف وأفضل من كل نعيم.

﴿٣١﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴿٣٢﴾ يتعامى عنه، شبهه بالذي فيه عشوة لا يبصر جيداً ﴿٣٣﴾ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴿٣٤﴾ عقوبة له نرسل الشيطان ونسلطه عليه ولا نمنعه من التسلط عليه، كما يسلط الذئب على الغنم ﴿٣٥﴾ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ملازم له حتى يغويه.

﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴿٣٨﴾ الشياطين يصدونهم عن السبيل عن سبيل الله عن طريق الحق ﴿٣٩﴾ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٤٠﴾ يعتقدون أنهم سائرون في الطريق الصحيح، والواقع عكس ذلك.

﴿٤١﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا ﴿٤٢﴾ يوم القيامة هو وقرينه ﴿٤٣﴾ قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴿٤٤﴾ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴿٤٥﴾ هكذا كانت النتيجة لما شاهد العذاب ورأى أنه قد أغواه

يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٦﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ
 الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ
 بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٨﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ
 مُقْتَدِرُونَ ﴿٩﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿١٠﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١١﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ

وسبب له عذاب جهنم، فقال لقرينه الذي كان في الدنيا قريناً سيئاً: يا ليت
 بيني وبينك بعد ما بين المشرقين مثل ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبَيَّنَّ
 الْقَرْيُنُ﴾ أنت.. قرين سيء أورده جهنم.

﴿٦﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٦﴾ يوم
 القيامة ليس بنافع لهم سيعذبون كلهم لا أحد ينقص من عذاب أحد كل له
 عذابه وافياً.

﴿٧﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ
 مُبِينٍ ﴿٧﴾ لأنهم كالصم والعمي لا يقبلون منك أي نصيحة ولا تستطيع أن
 تهديهم يا رسول الله.

﴿٨﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٨﴾ الباري سيتقم منهم حتى
 ولو بعد وفاة رسول الله ﷺ.

﴿٩﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ﴿٩﴾ يعذبهم في حياة الرسول ﷺ ﴿فَإِنَّا
 عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ هو مقتدر يعاقبهم في حياته أو بعد وفاته.

﴿١٠﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴿١٠﴾ استمسك بالقرآن وبكل ما أوحى
 الله إليك ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لأنك في الطريق الواضح، فابته
 عليه.

قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا

﴿٤٥﴾ وَإِنَّهُ ﴿المقصود القرآن﴾ لَذَكَّرَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿القرآن شرف ورفعته لهم هذا الوحي الذي أوحى الله إلى رسوله لأنهم يخلفون الهدى لمن بعدهم، ومن بعدهم يخلفونه كذلك لمن بعدهم فكان شرفاً لهم عظيماً.﴾ ﴿٤٦﴾ وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴿بمعنى: أن الرسل كلهم كانوا يدينون بعقيدة التوحيد لله والدعوة إلى عبادته وحده ولا يوجد رسول يدعو إلى الشرك.﴾

﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ﴿التسع﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴿وزرائه وأعدائه من الكبراء﴾ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿يقول لهم أنا رسول الله المالك للعالمين كلهم وهو المالك لكم أنتم وأنا رسوله.﴾ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿كذبوا بكونها آيات وادعوا أنها سحر وصاروا يضحكون منها استهزاء بها وسخرية.﴾

﴿٤٩﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴿لا تأتي الآية الثانية إلا وهي أكبر من الأولى آيات عظيمة﴾ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿أرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ليرجعوا إلى الله ولم يجد نفعاً فيهم.﴾

﴿٥٠﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴿لما جاءهم العذاب وعدوه بأنهم سيهتدون إذا كشفه عنهم﴾ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴿يتصورون أن معه دعاء

عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ
 آلِيَسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ
 أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ

معيناً قد علمه الله به، به يستجيب له في أي لحظة ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ إذا
 كشفت عنا هذا العذاب.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ نكثوا العهد،
 وأخلفوا الوعد فلم يؤمنوا بعد كشف العذاب.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ استمر في طغيانه ﴿قَالَ يَنْقُومِ آلِيَسَ لِي
 مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يريد أنه أفضل من
 موسى، لأنه كان المقياس عنده هو المادة، وأضل قومه حينما حول أفكارهم
 إلى المادة، ومضى يقارن بين نفسه وما يملكه من الدنيا وبين موسى. موسى
 ذلك الرجل المسكين، لأنه ظهر كما قيل وكانت عليه جبة من الصوف وفي
 يده عصا مثل البدوي، فكيف يتساوى هو مع فرعون الذي له ملك مصر،
 وهذه الأنهار في مصر تجري من تحته كأنه النيل وجداول ماء ربما كانت هناك
 في مصر ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني: أني في ملك عظيم، أفلا أكون أشرف منه
 لأن الشرف عنده بالمادة.

﴿أَمْ﴾ بمعنى (بل) والهمزة إضراب ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
 مَهِينٌ﴾ أنا أفضل من هذا الذي هو مهين يقصد موسى عليه السلام، يريد أن الفقر
 منقصة وضعة ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ لأنه كان في لسانه رته أي عقدة لا يطاوعه
 لسانه في الكلام حسب مراده، لكن كان معه أخوه هارون يعبر ويوضح إذا
 احتاجوا للتوضيح.

أَسْوَرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٧﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ
فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اٰنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَمَّا
ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ
أَمَّ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا

﴿٥٧﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ
مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٨﴾ هلا كان معه - إذا كان رسولا صادقا - أساور من ذهب تزين
معصمه، أو تأتي الملائكة معه يشهدون له ويقولون إنه رسول من الله.
﴿٥٩﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ ﴿٥٩﴾ جعل فيهم الخفة خفة العقل بتغريبه عليهم
بهذا الكلام حصل فيهم الخفة والخفة تكون عبارة عن خفة العقل ﴿فَاطَاعُوهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ كانوا خبيثه وفجرة من قبل.
﴿٦٠﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا ﴿٦٠﴾ فلما أغضبونا بتمردهم على الله، ومحاولتهم أن
يقضوا على موسى ومن معه ﴿اٰنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
أغرقناهم في اليم كلهم عجلنا لهم العقوبة.

﴿٦١﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا ﴿٦١﴾ يعتبر بهم من بعدهم ﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ مثلاً
يضرب لمن بعدهم كذلك يكونون آية لمن بعدهم.
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴿٦٢﴾ جعله الله آية ومثلاً لبني إسرائيل
للدلالة على قدرة الله سبحانه في الخلق والإنشاء؛ لأنه وجد من غير أب
﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ﴾ من هذا المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ بضم الصاد: يعرضون عن هذه
الآية أو ﴿يَصِدُّونَ﴾ بالكسر: من الضجيج.

﴿٦٣﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمَّ هُوَ ﴿٦٣﴾ أي عيسى ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾
لأنه إذا قال عيسى خير لزمه - حسب زعمهم - الإقرار بالوهمية أصنامهم
مشاركة لعيسى بزعمهم ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أهل جدل وخصام.

عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ تَخْلُفُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي

﴿٥١﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ ﴿٥٢﴾ لَيْسَ إِلَهًا وَلَا رَبًّا بَلْ هُوَ عَبْدٌ ﴿٥٣﴾ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴿٥٤﴾ بالهداية التي هي أكبر النعم ﴿٥٥﴾ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٦﴾ في الدلالة على قدرة الله حين خلقه من غير أب.

﴿٥٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴿٥٧﴾ بَدَلًا عَنْكُمْ ﴿٥٨﴾ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ تَخْلُفُونَ ﴿٥٩﴾ يَخْلِفُونَكُمْ وَنُرْسِلُ إِلَيْهِمْ مَلَكًا مِنْ جَنْسِهِمْ؛ لَأَنَّهُمْ اسْتَغْرَبُوا حِينَما أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ مِنْ جَنْسِهِمْ، واقترحوا أن يكون ملكاً.

﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ ﴿٦١﴾ الْقُرْآنَ ﴿٦٢﴾ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ ﴿٦٣﴾ لِأَنَّهُ بَيْنَ أَنَّهَا كَائِنَةٌ وَأَنَّهُ لَا بَدَ مِنْهَا وَبَيْنَ مَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ فَأَعْطَى عَنْهَا مَعْلُومَاتٍ كَافِيَةً ﴿٦٤﴾ فَلَا تَمُوتُ بِهَا ﴿٦٥﴾ لَا تَشْكُوا فِي الْقِيَامَةِ ﴿٦٦﴾ وَاتَّبِعُوا ﴿٦٧﴾ اتَّبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذَا عَلَى لِسَانِهِ ﴿٦٨﴾ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٩﴾ اتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَاتَّبِعُوا الرَّسُولَ.

﴿٧٠﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴿٧١﴾ لَا تَرْضَوْا لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَصُدَّكُمْ ﴿٧٢﴾ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٧٣﴾ عَدُوٌّ بَيْنَ الْعِدَاةِ لَا يَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَدْخُلُوا النَّارَ.

﴿٧٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ ﴿٧٥﴾ لَمَّا جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ الْوَاضِحَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ ﴿٧٦﴾ قَالَ ﴿٧٧﴾ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٧٨﴾ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٧٩﴾ وَقَالَ لَهُمْ:

وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ إِلَّا الْخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٩﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٥﴾ على ما أمره الله أن يقول حين قال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

﴿١٥﴾ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ من بين بني إسرائيل كان فيهم أحزاب مختلفة كل فرقة على طريقة يتعصبون لها ويدعون إليها ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالكفر والتكذيب لعيسى وأمه ويلهم ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ وعيد لهم بالعذاب يوم القيامة.

﴿١٦﴾ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ كأنه قد رجع الكلام إلى زمن النبي ﷺ بعد ما جاء التوضيح لهم في هذه السورة وغيرها ولم يقبلوا صاروا وكأنهم منتظرين القيامة ليتأكدوا هل هي حقيقة أم لا وعندما تقوم القيامة سيتأكدون من أنها صدق وحق!

﴿١٧﴾ ﴿إِلَّا الْخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ الذين كانوا في الدنيا أخلاء في يوم القيامة يصيرون ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ كما قال إبراهيم: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [النكبات: ٢٥] ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ أما هم فتبقى أخوتهم لا تضعف ولا تتغير.

﴿١٨﴾ ﴿يَعْبَادِ﴾ خطاب للمتقين يوم القيامة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ صاروا آمنين مطمئنين.

أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨﴾
وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ
كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا

﴿١١﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقَايَتِنَا﴾ هذا تفسير للمتقين الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا
وصدقوا بأنها آيات من الله ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ أسلموا أنفسهم لله لم
يجعلوا فيها شركاً لغيره.. يقال لهم:

﴿١٢﴾ ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ أزواجهم اللاتي كن معهم في
الدنيا إذا كن صالحات ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تسرون سرورا يظهر على الوجوه.

﴿١٣﴾ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ بصحاف الفواكه ونحوها من
النعيم مما يشتهون ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ كذلك من ذهب ﴿وَفِيهَا﴾ في الجنة ﴿مَا
تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ معدة لهؤلاء المتقين ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ برويته والنظر إليه
لذة للعيون مناظر جميلة جداً ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ باقون دائماً ولا
يفنى نعيمها ولا تفنون.

﴿١٤﴾ ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ هي ﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقال لهم:
إن هذه الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون، أي إنها جزاء لكم بما كنتم
تعملون فتزداد سعادتهم عندما يشعرون بأنها جعلت جزاء لعملهم في الدنيا.

﴿١٥﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ أنواع كثيرة ﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ هذا يحقق أنهم
متنعمون بأبدانهم مع الأرواح مثل ما كانوا في الدنيا وفيه رد على اليهود
الذين قالوا: لا تنعم في الآخرة إلا الأرواح.

يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ

﴿٧٥﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾ هذا يوم القيامة مقابل ما وضعه من حال المتقين وما صاروا إليه من النعيم العظيم، فالجرمون على الضد من ذلك وهم أهل الجرائم المعاصي الكبائر في عذاب جهنم خالدون باقون فيه أبداً.

﴿٧٥﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ ﴿٧٦﴾ فضلاً عن انقطاعه بل لا يفتري لا يخفف ﴿٧٧﴾ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٨﴾ حاثرون سكوت حيرة غالب على أحوالهم لأنه ليس معهم حجة ولا ما يقولون وإنما عذاب شديد نعوذ بالله.

﴿٧٦﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴿٧٧﴾ بالعذاب ﴿٧٨﴾ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٩﴾ لأنهم كفروا بنعمة الله أجرموا جرائم كبيرة وهي ظلم عظيم خلاف العدل بل حيف وجور في معاملتهم لله، وكذلك ظلموا أنفسهم لما جروا عليها هذا العذاب الشديد، وهذه الآية وأمثالها من القرآن كثير يقول: ﴿٧٩﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿٨٠﴾ [مؤد: ١٠١] في سور متعددة، فهي حجة على المجبرة من أعظم الحجج؛ لأنه ليس هنا إلا إثبات ونفي، فلو لم يكونوا هم الذين أوجدوا المعاصي وفعلوها باختيارهم لما كانوا هم الظالمين لأنه يكون هو الذي خلقها - حسب زعم المجبرة - فإذا كان هو الذي خلقها فلا يمكن أن يقول إنهم هم الظالمون.

﴿٧٧﴾ وَنَادَوْا ﴿٧٨﴾ فِي النَّارِ أَهْلُهَا نَادُوا ﴿٧٩﴾ يَمْلِكُ ﴿٨٠﴾ خَازِنُ النَّارِ ﴿٨١﴾ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴿٨٢﴾ اطلب منه أن يقضي علينا يميتنا ﴿٨٣﴾ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿٨٤﴾ إنكم باقون في العذاب يرفض طلبهم يخبرهم أنهم باقون وأنه لا سماع لهذا الكلام.

جِئْنَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أُبْرِمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ مَخُوضًا

﴿٧٨﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ رجع الكلام يخاطب قريشاً ومن معهم ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الإنذار لأعداء الله، والتبشير لأولياء الله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ لم تصغوا للحق حتى تعلموا أنه حق.

﴿٧٩﴾ ﴿أَمْ أُبْرِمُوا أَمْرًا﴾ بل كادوا كيداً للإسلام وللرسول ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ فَإِنَّا نكيد لهم كيداً أعظم من كيدهم.

﴿٨٠﴾ ﴿أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ مما يقولونه في الرسول وفي آيات الله هؤلاء المكذبون الكفار ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ فيما بينهم حين يتناجون في مؤامراتهم ضد الرسول ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعها ونعلم بكل شيء ﴿وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما يتلفظون به.

﴿٨١﴾ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ لأنني عابد لله وحده فعبداء الله هي أولى من عبادة الولد، يعني حتى لو كان له ولد فلست مخطئاً بعبادتي لله بل أنا أول العابدين السابق إلى العبادة حين أعبد الله وحده.

﴿٨٢﴾ ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا تنزيه لله عن أن يكون له ولد لأنه رب من في السموات ومن في الأرض وهو رب السموات والأرض مالك لها ﴿رَبِّ الْعَرْشِ﴾ رب الملك ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يقولون وينسبون له من الولد.

وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٣٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ
 وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩٨﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
 ﴿٣٩٩﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ

﴿فَذَرَهُمْ تَخَوْضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ يقول لرسول الله ﷺ اتركهم يخوضوا
 ويلعبوا بمعنى لست أنت الوكيل عليهم تكلم أفواههم حتى لا يقولوا شيئا،
 اتركهم وشأنهم في الخوض في الآيات وتناجيهم بالباطل وتلاعبهم وغفلتهم
 عن الآخرة ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ يوم القيامة يوم الجزاء.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ الله سبحانه كل
 أهل السموات يدعونه إلهاً، وأهل الأرض يدعونه إلهاً، لا ينكرون أنه إله
 وإنما يدعي بعضهم شريكاً له ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ أموره مبنية على الحكمة ليس
 فيها ما هو مخالف للحكمة ﴿الْعَلِيمُ﴾ لا يخفى عليه شيء فدعواهم أنه
 راضي لهم بالشرك غير صحيحة؛ لأنها تنافي الحكمة.

﴿وَتَبَارَكَ﴾ عظم وجل عن أن يكون له نديد من هذه المخلوقات
 الضعيفة كما يدعي المشركون ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه
 المالك للسموات والأرض فالأمر والنهي والولاية والتصرف له فيها وحده
 دون غيره ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ما بين السموات والأرض من الشمس والقمر
 والنجوم وكل ما بينهما ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ مع سعة ملكه هناك سعة
 علمه بكل شيء في الكون حتى الحبة في ظلمات الأرض، وكذلك عالم
 سبحانه بالقيامة متى تكون وعالم بكل تفاصيلها ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وإليه
 وحده ترجعون يوم القيامة لا ترجعون إلى غيره فلا نديد له ولا شريك.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾
 وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ
 فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿٨٦﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ ﴿٨٦﴾ شركاؤهم الذين يدعونهم من دون الله لا يملكون الشفاعة ليسوا إلا عباداً مثل غيرهم مملوكين لا حق لهم أن يشفعوا عند الله ﴿٨٧﴾ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ هذا استثناء منقطع بمعنى: لكن، أي سيكون هناك يوم القيامة من يشهد عليهم بما رأوهم يعملونه من الأعمال السيئة، مثل قول عيسى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا فَعَلْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] وكذا شهادة الملائكة، الذين قال عنهم: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنطار: ١١-١٢].

﴿٨٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿٨٧﴾ كذلك هؤلاء الذين يجعلون لله شركاء لئن سألتهم من خلقهم لقالوا: الله الذي خلقهم، فإذا كان هو الذي خلقهم فهو المالك لهم فلماذا يجعلون لغيره فيهم شركاً وهم لم يخلقوا حتى جزءاً منهم فهذا باطل لا معنى له ولا أصل ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ فمن أين يؤفكون وقد أقروا أن الله الذي خلقهم ثم يجعلون لغيره شركاً فيهم.

﴿٨٨﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ أرى أنه عطف على قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فهو يملك أن يقول: ﴿يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يشهد عليهم أنهم ما كانوا يؤمنون وهو عكس الشفاعة ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ وبقيله ﴿يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ - وعلى قراءة الفتح - يكون المعنى: إلا من شهد فهو لا يملك إلا القول: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ قد تمت الحجة عليهم تم البيان الواضح الكافي فما بقي إلا الإعراض عنهم ﴿وَقُلْ سَلِّمْ﴾ لا تقسو عليهم، كأن هذا كان في بداية البعثة في مكة والوضع حيثئذ يستدعي اللين معهم ولم تكن الحرب قد قامت بينه وبينهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فسوف يعلمون بالحقائق كلها سوف تنكشف يوم القيامة ويتبين لهم من هو الحق ومن هو المبطل ومن هو الصادق ومن هو الكاذب.



التيسير في التفسير



سُورَةُ الْفُجَّارِ



سُورَةُ الدُّجَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

﴿يَسْمُرُ﴾ يَسْمُرُ الرَّحْمَةُ الرَّحِيمُ حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ هَذَا قَسَمٌ
بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ الْكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ، بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ يُكْتَبُ لِتَوَارِثِهِ الْأَجْيَالِ
﴿الْمُبِينِ﴾ يَعْنِي مَعَانِيهِ بَيْنَهُ وَاضِحَةٌ.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ هذا جواب القسم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ **إِن** الله أنزله ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ وهي ليلة القدر فيها بركات ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ **إِن** هذا شأننا وستتنا الإنذار للأمم وليس أن نهملهم ونتركهم بغير نذير فمن هنا نزلنا الكتاب للإنذار.

﴿فِيهَا يُفَرَّقُ﴾ هذا وصف لليلة القدر: فيها يفرق يفصل يُسَيِّن ﴿كُلُّ أَمْرٍ﴾ من تدبير الباري لشيئون الخلق من الأرزاق والآجال ونحو ذلك كأنه لللسنة حتى تأتي ليلة القدر في السنة المقبلة. وقوله: ﴿حَكِيمٍ﴾ على ما اقتضته الحكمة.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ هذا القرآن من أمور الله ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ هكذا سنتنا إرسال الرسل فانزلنا القرآن إليك لإرسالك إلى أمتك.

﴿٦﴾ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ انظر كيف خاطب الرسول ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أنزلناه رحمة للأمة للعالمين مثل قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فإنزال القرآن عليه رحمة لأنه هدى ونور، وإذا اتبعه الناس صلحت دنياهم وسيدخلون الجنة وينجون من النار.

بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٥﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٧﴾ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي
 السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩﴾ رَبَّنَا

﴿٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٥﴾ هذا ابتداء كلام في توحيد الله سبحانه أي
 الله سبحانه رب السموات والأرض مالكا ﴿٦﴾ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٦﴾ هو مالك ما بينهما
 ما بين السموات والأرض ﴿٧﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ تفكرون بعقولكم وتوقنون
 لأن فيها آيات بينات تدل على الباري وعلى أنه ربهم رب العالمين.

﴿٨﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿٨﴾ ترتب على كونه رب السموات والأرض المقصود
 هو أنه ربهما ورب من فيهما حين قال: وما بينهما فكلها مملوكة له ﴿٩﴾ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ ﴿٩﴾ لا إله يعبد يستحق العبادة إلا هو ﴿١٠﴾ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وجه الخطاب إلى من في زمن الرسول ﷺ فقال:
 ﴿١١﴾ رَبُّكُمْ أَي هو المالك لكم ﴿١٢﴾ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾ الذين تقتدون
 بهم في الشرك هو ربهم المالك لهم فالعبادة لا يستحقها إلا هو لأنه المالك.

﴿١٣﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ ﴿١٣﴾ إضراب بل هم في شك مع الآيات البينات الدالة
 على توحيد الله ﴿١٤﴾ يَلْعَبُونَ ﴿١٤﴾ يلعبون مع كونهم في شك من الإيمان ولم
 يعرفوا الحق مع هذا فإنهم يلعبون لا يفكرون ولا يطلبون معرفة الحق وإنما
 هم غافلون معرضون.

﴿١٥﴾ فَأَرْتَقِبْ ﴿١٥﴾ هذه من الآيات التي تكون عقوبات عاجلة ﴿١٦﴾ يَوْمَ تَأْتِي
 السَّمَاءُ بِدُخَانٍ ﴿١٦﴾ ينزل من السماء يمكن أن يكون المعنى من جهة علو لا
 نفس إحدى السبع السموات ﴿١٧﴾ مُبِينٍ ﴿١٧﴾ بين كونه دخاناً لا إشكال فيه بحيث
 لا يحتمل أنه غبار أو ضباب بل هو بين أنه دخان.

أَكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو

ولا أظن أن ذلك قد حصل، لأنه لو كان قد حصل لاشتهر بين الأمة، وبعضهم قالوا إنه قد حصل أيام كان النبي ﷺ في مكة، وأنه دعا على قريش وجاء عليهم سنون شديدة وعمهم هذا الدخان ونسبوا الخبر إلى ابن مسعود.

وقوله: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ مثل قوله: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ يصح أن يرتقب ولو لم يدركه، بل يحتمل: أن يدركه وأن لا يدركه، ولا يعني ﴿فَارْتَقِبْ﴾ سوى الدلالة أنه أمر مستقبل.

﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يصف هذا الدخان أنه ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ ويقولون: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لأنه يضايقهم جداً.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ حينها لجئوا إلى الباري على عادة البشر إذا جاء أمر عظيم يلجئون إليه ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ إما في تلك الحال صاروا يدعون أنهم مؤمنون لكي يكشف عنهم العذاب وإما في المستقبل القريب سنؤمن فاكشفه عنا.

﴿أَنَّى﴾ من أين ﴿لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ لأنهم قد كانوا خذلوا وأوصدت دونهم أبواب الهداية ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ جاءهم وجاء أسلافهم الذين في وقت الرسول ﷺ وهم على طريقتهم في التكذيب والكفر، فالآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ بين واضح أنه رسول بما يحمله من الآيات، ولكنهم كذبوه قالوا ساحر ومجنون.

الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ

﴿١٥﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ ۖ وَأَعْرَضُوا ﴿١٦﴾ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۚ إِنَّمَا هُوَ مُعَلِّمٌ مَعْلَمٌ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ الَّذِي عَلَّمَهُ الْآخَرُونَ وَمَجْنُونٌ لَا يَعْقِلُ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَكُونُ مَجْنُونًا وَهُوَ قَدْ جَاءَ بِالْحَقِّ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمَجْنُونِ أَنْ يَخْلُطَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ!

﴿١٥﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٦﴾ هَذَا بَعْدَ مَا يَنْزِلُ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ وَبَعْدَ أَنْ يَطْلُبُوا أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ وَيَعْدُوهُ بِالْإِيمَانِ قَالَ: ﴿١٦﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ ۚ سَنَكْشِفُ هَذَا الدِّخَانَ ﴿قَلِيلًا﴾ مَدَّةً قَلِيلَةً فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ لِأَنَّكُمْ سَوْفَ تَرْجِعُونَ إِلَيْنَا وَنَجَازِيكُمْ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى.

﴿١٦﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ۚ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ أَنَّهُ ظَرْفٌ لِلْعَوْدَةِ أَيْ عَائِدُونَ فِي ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ فِي الْقِيَامَةِ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى حِينَ تَمْلَأُ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ هَذِهِ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى، قَالُوا فِي حَدِيثٍ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَأَدَمَ: أَخْرِجْ بَعَثِ النَّارَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ فَيَقُولُ كَمْ؟ فَيَقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ» بَعَثَ النَّارَ: بِمَعْنَى لَا يَنْجُو مِنَ النَّارِ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، هَذِهِ بَطْشَةُ كُبْرَى، وَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ كَثْرَةَ أَهْلِ النَّارِ، انْظُرْ إِلَى سُورَةِ الْوَاقِعَةِ كَيْفَ جَعَلَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ وَالْقِسْمَ الثَّلَاثَ لَمْ يَقُلْ فِيهِ ثَلَاثَةٌ وَلَا قَلِيلٌ بَلْ كُلُّ الْبَاقِيْنَ، قَالَ فِي السَّابِقِينَ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الوَاقِعَةُ: ١٣-١٤] وَقَالَ فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الوَاقِعَةُ: ٣٩-٤٠] أَمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فَهُمْ مَنْ تَبَقَّى فَبَيْنَ أَنَّهُمْ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ يَنْتَقِمُ مِمَّنْ تَمَرَّدَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَعَادَاهُ لِأَنَّ مَعَادَاةَ دِينِهِ مَعَادَاةَ اللَّهِ.

﴿٧﴾ أَنْ أَدُّوْا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم رَسُوْلٌ أَمِيْنٌ ﴿٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوْا عَلَى اللَّهِ ۖ
 إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ﴿٩﴾ وَإِنِّي عٰذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُوْهُ ﴿١٠﴾ وَإِنْ
 لَّمْ تُؤْمِنُوْا لِي فَاَعْتَرِلُوْنَ ﴿١١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هٰتُوْا قَوْمٌ مُّجْرِمُوْنَ ﴿١٢﴾ فَاسْرِ

﴿٧﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾ قبل هؤلاء الذين معك المكذبين لك قد فتنا قبلهم ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ حين كذبوا الرسول وهموا به ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُوْلٌ كَرِيْمٌ﴾ موسى صلوات الله عليه.

﴿٨﴾ ﴿أَنْ أَدُّوْا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾ مضمون الرسالة: أولاً: أن يسلموا إليه بني إسرائيل لأنهم عباد الله وليسوا عباد فرعون ﴿إِنِّي لَكُم رَسُوْلٌ أَمِيْنٌ﴾ من رب العالمين أرسلني إليكم لتسلموهم إلي ولا تظلموهم.

﴿٩﴾ ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوْا عَلَى اللَّهِ﴾ هذا الثاني مما تضمنته الرسالة: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوْا عَلَى اللَّهِ﴾ لا تترفعوا على أمره وعلى رسوله وهداه وما جاء به أنتم لستم إلا عبيد الله ﴿إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ﴾ لأنه جاءهم بسلطان من الله جعل له هبة وقوة في نفسه وأماناً لا يخاف، مع أنه قد قتل منهم نفساً، ومع أن فرعون جبار عنيد، هذا السلطان يعد آية لوحده، ومعه الآيات التسع.

﴿١٠﴾ ﴿وَإِنِّي عٰذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُوْهُ﴾ وإني قد دعوت الله أنه ينجيني وهو ربي وربكم المالك لنا كلنا، عذت به أن ترجموني، حين قال: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [القصاص: ٣٣] ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ قَدْ كَلَّا... [الشعراء: ١٤-١٥] سبق من الله أن آمنه.

﴿١١﴾ ﴿وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا لِي﴾ وقد جاءكم الآيات البينات ﴿فَاَعْتَرِلُوْنَ﴾ اتركوني وأنا أترككم.

بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿١٢﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿١٣﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿١٥﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَنِكَهِينَ ﴿١٦﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ۖ آخَرِينَ ﴿١٧﴾ فَمَا بَكَتْ

﴿١٢﴾ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ حين تمردوا عليه وتوعدهم فرعون بقتل الأبناء واستحياء النساء، وحين تجبر وتكبر، وقال: ساحر كذاب، وهنا لجأ موسى عليه السلام إلى الدعاء دعا ربه ﴿أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ ليسوا سوى ظلمة فجرة متمردين يطلب من الله أن يعذبهم ويفصل بينه وبينهم.

﴿١٣﴾ ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ أمره الله تعالى أن يسري بأصحابه ليلًا لأن خطة فرعون ضدهم ستنفذ في الصباح.

﴿١٤﴾ ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ اضربه بالعصا حتى يفترق فرقتين ليغرق فرعون وقومه ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ وعده الله أنه بمجرد أن يضرب البحر يجعله فرقين تلتقيان في الأخير على العدو فيغرق.

﴿١٥﴾ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَنِكَهِينَ﴾ حين أغرقهم الله، ولأن فرعون كان قد جمعهم من كل مكان ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٥٣] فأغرق الله هذه الجموع كلها، وبقي ما خلفوه من الجنات مع توفر الماء الكثير للري إضافة إلى المقام الكريم بما يعنيه ذلك من وسائل العيش والرفاهية والنعيم.

﴿١٦﴾ ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ۖ آخَرِينَ﴾ هلكوا وتركوها فأورثناها قوماً آخرين من غيرهم، وليس المقصود أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون، لكنهم لما تمكنوا في الأرض تمكنا كبيراً كانت مصر من جملة ما ورثوه، واستولوا عليه سواء دخلوا مصر أولم يدخلوا.

عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٧﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْؤًا مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا

﴿٢١﴾ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ السياق في آل فرعون حين أهلككم الله ما أسفت عليهم السماء ولا الأرض أي ليسوا بمن يؤسف عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ حين جاءهم الغرق ما أنظرهم الباري ليتوبوا، ولم يمهلهم ويؤخر العذاب حتى يؤمنوا ويرجعوا إلى الله فقد مكث موسى يدعوهم فترة طويلة دون جدوى.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ رجع الكلام في نجاة بني إسرائيل كان فرعون يعذبهم عذاباً مهيناً إهانة شديدة حين يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم وغير ذلك.

﴿٢٣﴾ ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ تفسير للعذاب المهين أنه من فرعون هو الذي كان يعذبهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ مترفعاً على عباد الله ﴿مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ مسرف في القتل، مكث في الباطل.

﴿٢٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ﴾ بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ على علمنا ببني آدم لكن من بني آدم اخترناهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بإزالة الكتب عليهم وإرسال رسلهم منهم.

﴿٢٥﴾ ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ الهدى والنور والخير ليتفكروا ويهتدوا آيات كثيرة مثل التوراة وغيرها ﴿مَا فِيهِ بَلَتْؤًا مُّبِينٌ﴾ فيه إحسان عظيم بين والبلاء هنا يعني الإحسان.

نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ
تُبَّعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٠﴾

﴿٢٥-٢٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٢٥﴾
هذا ابتداء كلام في المشركين الذين حول النبي ﷺ.

﴿٢٦﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ يتحكمون على الله بهذا
الاقتراح: أنه إذا كان صادقاً بأنهم سينشرون بعد الموت فان عليه الآن أن
يأتي بآبائهم.

﴿٢٧﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تَبَّعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٢٧﴾
يعني أن هؤلاء أهل لأن يعذبوا بكفرهم هذا وتمردهم على الله كما عذب
من قبلهم فليسوا بأفضل من قوم تبع والذين من قبلهم فقد أهلكهم الله
لأنهم كانوا مجرمين.

﴿٢٨﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ ﴿٢٨﴾ هذا احتجاج
يرد عليهم حين قالوا: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ﴾ فخلقهما ليس إلا مقدمة وبداية
للاخرة لنجازي كلا بعمله ولو كانت المسألة هي مجرد أن يخلقوا ويموتوا لما
كان هناك فائدة من هذا العمل كله بل يكون عبثاً ولعباً.

﴿٢٩﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿٢٩﴾ بالحكمة والحق والصواب ﴿وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنهم لا يفكرون بعقوبتهم، بل يستمرون على
جهلهم، ثم صرح بالهدف من الخلق فقال:

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
 إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾
 كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ
 الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ

﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة الذي سيفصل بين عباده يحكم بينهم
 بالحق في كل ما كانوا يختلفون فيه من الأديان والحقوق وغير ذلك
 ﴿مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ميقات العالمين كلهم موعدهم.

﴿٤١﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ لأن الأمر
 فيه لله وحده فحيث لا ينفع القريب قريبه ولا المولى مولاه لا أحد ينفع
 أحداً كل واحد يبحث عن الخلاص لنفسه.

﴿٤٢﴾ ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ لكن من رحم الله فهي الأصل رحمة الله فقط في
 ذلك اليوم ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب القاهر فوق عباده الذي لا
 ينال، الرحيم لمن تاب إليه ورجع إليه.

﴿٤٣﴾ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ * طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ بعد الحديث عن ذلك
 اليوم يوم الفصل، بدأ الحديث عن المصير الأليم في جهنم مقر ذلك الأثيم
 صاحب الإثم الذي كان في الدنيا مشركاً أو صاحب جرائم فهذه شجرة
 الزقوم طعامه.

﴿٤٥﴾ ﴿كَالْمُهْلِ﴾ المهل: حثل الزيت، آخره الذي يكون أسفل الإناء
 أسود ﴿.. يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ مثل غليان الماء الحار.

﴿٤٧﴾ ﴿خُذُوهُ﴾ يؤمر الملائكة أن يأخذوه ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾ خذوه وجروه إلى
 نار جهنم بعنف وإهانة وذلك عند مجيئهم إلى جهنم ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾
 كأنه أسفل سافلين لأنه قد يكون فيها سهول وجبال، فالمستوي منها يكون
 هو الأسفل وهو الأشد عذاباً. نعوذ بالله.

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٢٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ

﴿٢٤﴾ ثُمَّ صُبُوءًا فَوْقَ رَأْسِهِ ﴿٢٥﴾ كَأَنَّهُ مِنْ عَالِي لَنَزَلٍ عَلَى رَأْسِهِ بِقُوَّةٍ ﴿٢٦﴾ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٢٧﴾ مِنَ الْحَمِيمِ الْعَذَابِ لَهُمْ وَإِضَافَتُهُ، مِثْلُ قَوْلِ عَنَتْرَةِ: فَرَكْتَهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشِنُهُ يَقْضِمُنْ حَسَنَ بَنَانِهِ وَالْمَعْصَمِ

يعني: يَقْضِمُنْ بَنَانَهُ الْحَسَنَةَ وَالْمَعْصَمِ.

﴿٢٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٢٩﴾ يُقَالُ لَهُ - زِيَادَةٌ فِي الْإِهَانَةِ - : ذُقْ ﴿٣٠﴾ الْعَذَابِ ﴿٣١﴾ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٣٢﴾ هَذَا تَهْكَمُ بِهِ أَنَّهُ كَانَ يَزْعَمُ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ عَزِيزٌ وَأَنَّهُ كَرِيمٌ.

﴿٣٣﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ هَذَا الْعَذَابُ هُوَ مَا كُنْتُمْ تَشْكُونَ فِيهِ لِأَنَّهُمْ مِنْ حَيْثُ شَكَا فِي الْآخِرَةِ شَكَا فِي الْعَذَابِ بَلْ يَطْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ إِنْ صَارُوا إِلَى الْآخِرَةِ.

﴿٣٥﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٣٦﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقَرٌ إِقَامَتُهُمْ أَمِينٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ لَا يَنَالُهُمْ أَيُّ شَرٍّ فَهُمْ آمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَمِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ.

﴿٣٧﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٣٨﴾ تَجْرِي الْأَنْهَارُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ فَتُظِلُّ خَضِرَاءُ بِاسْتِمْرَارٍ لَا تَتَسَاوَقُ وَرَقُهَا وَلَا يَنْقُطُ ثَمَرُهَا.

﴿٣٩﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴿٤٠﴾ هَذَا مِنَ الْحَرِيرِ وَكَأَنَّهُ نَوْعَانِ: غَلِيظٌ وَرَقِيْقٌ، السُّنْدُسُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الرَّقِيقُ وَالْإِسْتَبْرَقُ: الْغَلِيظُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مُتَقَابِلِينَ ﴿٤١﴾ الْإِخْوَانُ الْمَتَاخُونَ فِي اللَّهِ يَوْمَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا، كُلُّ يَرَى فِي الْجَنَّةِ أَخَاهُ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْ يَرَى كُلَّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ فِي نَعِيمٍ فَيَكُونُ فِي الْجَنَّةِ فِي مَكَانٍ يَقَابِلُهُ فَيَرَاهُ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ لِأَنَّ الْغُرَفَ تَكُونُ فِيهَا النُّوَافِذُ كَبِيرَةً.

فَلِكِهْمَ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ
وَوَقَّعَتْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾
فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُم مَُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٥٥﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٦﴾ إضافة إلى ذلك النعيم زوجناهم
بحور عین، الحور: جمع حوراء والحور في العين: شدة بياض الأبيض، مع
شدة سواد الأسود فيها، والعيناء: واسعة العين.

﴿٥٧﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ﴿٥٨﴾ يدعون الخدم فيقربون لهم ما يطلبون
من كل فاكهة ﴿٥٩﴾ ءَامِنِينَ ﴿٥٩﴾ ليسوا كما في الدنيا يتناول الإنسان الفاكهة وهو
خائف من ضررها أحيانا، بل هم آمنون من ضررها ومن كل بلاء.

﴿٥٩﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴿٥٩﴾ بعد دخولهم الجنة
لم يبق موت.

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ منقطع، بمعنى: لكن الموتة
الأولى لا بد منها، مثل قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] بمعنى أن المؤمنين حتى هم لا بد أن يموتوا، وأجرهم
إنما هو في الآخرة وليس في وقايتهم من الموت ﴿وَوَقَّعَتْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾
الفائدة الكبرى في الجنة أنهم نجوا من عذاب الجحيم.

﴿٥٩﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ﴿٥٩﴾ هذا فضل عظيم لما هداهم للجنة وبلغهم إليها
﴿ذَٰلِكَ﴾ يا رسول الله الذي أرسلك لتهدي الناس إليها ويدخلها المؤمنون
ويتنعمون فيها ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ دخول الجنة والنجاة من النار لأنه
سعادة دائمة.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ هذا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربي الذي يفهمه قومك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ينتفعون به ويهتدون ويستعملون عقولهم ليؤمنوا ويتركوا الشرك.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ الآخرة ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ ليروا هل يكون الوعد بالقيامة صدقاً.



التفسير في التفسير



سورة الحجاب



سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ۝ وَآخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْدٌ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ.. ﴿٢﴾ الكفار
ينكرون أن القرآن من الله، وهذا يبين أنه من الله سبحانه، ودليل صدقه
عجزهم عن أن يأتوا بسورة من مثله، وهذا دليل على أنه ليس من قول
البشر لأنه لو كان من قول البشر لأمكن أن يتعاونوا على الإتيان بمثل أقصر
سورة منه ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهذا يبين أن عزته وحكمته تقتضي أن ينزل
الكتاب لعباده لينذر ويبشر ويهدي وليس من حكمته أن يهملهم ويتركهم
يفسدون في أرضه دونما إنذار بالعقاب والجزاء فالحكمة تدل على أنه
سبحانه لا بد من أن ينزل الكتاب ويرسل الرسول لينذر الناس ويبشرهم
ويعلمهم الخير ويهديهم إذا قبلوا فنفعه لهم هم.

﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ هذه الدلائل على قدرته
سبحانه وعلمه وعلى أنه الخالق الرازق المنعم على عباده في السموات
والأرض، فمثلاً: النجوم يهتدون بها، والشمس تنفع للتدفئة وللترية
وللشجر .. وغير ذلك من المنافع، والأرض كذلك فيها منافع كثيرة للبشر
شجرها وثمرها وأرزاقهم فيها متوفرة وأشياء كثيرة لا يسع المجال لذكرها
وهي آيات عظيمة لمن تفكر.

﴿٤﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ ۝ لأنه كما قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
[الذاريات: ٢١] خلق الإنسان آية عظيمة لأن الجهاز الواحد منه إما جهاز البصر،

فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ تِلْكَ
 آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ
 ﴿٦٧﴾ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦٨﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا

أو جهاز السمع، أو جهاز النطق كلها آيات عظيمة في خلق الإنسان تدل
 على قدرة وعلم وإنعام على عباده ﴿وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَآئِبَةٍ﴾ كذلك ما يبت من
 دابة في الأرض وينشرها ويكثرها إنها آيات عجيبة لأنها مختلفة في صنعها
 بقدرته وحكمته ﴿آيَاتُ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يستعملون عقولهم حتى يحصل لهم
 اليقين بقدرة الله وعلمه فإذا تبين أنه القادر على كل شيء والعالم بكل شيء
 والخالق لكل شيء تبين أنه هو الإله، لأن هذه الأصنام لا تقدر ولا تعلم
 وليست بشيء، ولا يعقل أن تكون أندادا لله سبحانه.

﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ كل واحد يخلف الآخر كما قال: ﴿وَهُوَ
 الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرْ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]
 باعتبار أنها آية، وباعتبار أنها نعمة الليل يسكنون فيه، والنهار يسعون
 لأرزاقهم يبتغون من فضله ﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ
 الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وهكذا من آياته المطر الذي أنزله بقدر يسوق السحاب
 إلى الأرض التي هي بحاجة إلى المطر وينزله بقدر فأحياها وأنبت فيها الحب
 والفواكه وغيرها من حاجات الإنسان لياكلوا من ثمره، وهي آيات دلائل
 على أنه الخالق المنعم الرازق ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ شرقية وغربية وجنوبية
 وشمالية ليس هذا إلا بفعل فاعل مختار صرفها كل هذه ﴿آيَاتُ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ من القرآن هذا ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ لأنها جاءت
 بالحق حين تبين الآيات الكونية، وتبين أن الله الخالق المنعم الرازق القادر على

كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّنْ وَرَآيِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾

كل شيء، وأنه هو الإله وحده وأنه الذي ينشرهم يوم القيامة ويحاسبهم ويجازيهم فهو الحق الذي جاء به القرآن ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ الذي هو أحكم الحاكمين الحكيم الحميد الذي أنزل هذا القرآن نعمة لعباده فإذا لم يؤمنوا بآياته هذه التي أنزلها فبأي شيء يؤمنون بعدها.

﴿وَيْلٌ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كذاب يقلب الحق باطلاً والباطل حقاً أثيم يتحمل إثماً كبيراً وكثيراً.

﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ يسمع آيات الله فيعرض عنها هذا الإعراض جريمة كبيرة لأن الآيات تهدي وهو يرفض الهدى ويرده ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على الإعراض ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ يتمادى في الكبر والإعراض لثلاث تبطل عليه عبادة الأصنام ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ لعدم تأثيره بها نتيجة إعراضه عنها وكراهته لها ﴿فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جزاء على هذا الإعراض والإصرار.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ يتطور في كفره وعناده ليصل إلى مستوى أنه إذا سمع من آيات الله شيئاً وعلم بها يستهزئ بها وهو يعلم أنها من آيات الله، هذه جرأة كبيرة ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يناسب كبرهم ويهينهم.

﴿مِّنْ وَرَآيِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ كأنها طالبة لهم تطردهم ولا بد أن تدركهم، هذا أوضح من تفسيرهم للوراء هنا بقدام؛ لأنها جعلت كالتالِب لهم، مثل قول

هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ هَذَا الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

أمير المؤمنين: «وأنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه» ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هذه أموالهم التي كسبوها واشتغلوا بها وأحبوها وجعلوها الخير كله لا تنفعهم يوم القيامة، ولا تدفع عنهم أي شر وكذلك ما اتخذوا من دون الله آلهة.

﴿هَذَا هُدًى﴾ هذا القرآن هدى لمن اهتدى به للمؤمنين الذين يقبلونه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ يردون الهدى ولا يقبلونه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ﴾ من أقدار، زقوم وغساق وغيرها ﴿أَلِيمٌ﴾ شديد الألم.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ المسخر هو الله، يبين لنا أنه المنعم علينا وأنه الإله وأنه الذي يبعثنا ونرجع إليه، هذه قضيتان يمضي السياق لإثباتهما وهما: كونه الإله الواحد، وأنه الباعث لنا الذي نرجع إليه، لأن المشركين منكرون للبعث وكان السياق في ذكر دلائل قدرته ونعمته لإثبات الأمرين.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ فهذه نعمة عظيمة ودليل على قدرته، حيث أن البحر يتحرك ويتموج ولكن لا إلى حد يمتنع السفر فيه على السفن، والتي تسوقها الرياح فيه بقدرة الله.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ تسافرون لحاجاتكم من أرض إلى أرض للتجارة أو غيرها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته حينما تعلمون أنه المنعم عليكم فتعبدوه وحده.

مِنَّهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٣٣﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا

﴿٣٢﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ كذلك سخرها مثل الشمس والقمر والنجوم كل واحد منها له دور معين في نفع البشر ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ وكذلك سخر ما في الأرض من النباتات والحيوانات والمعادن كلها مسخرة للإنسان على اختلافها في منفعتها للإنسان، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الذين يتفكرون بعقولهم فيفهمونه ويتفكرون ويهتدون.

﴿٣٣﴾ ﴿قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ هذا في أول الإسلام حينما كان المسلمون لا يزالون قلة ومستضعفين أمرهم بالتروى والتحمل عندما يسئ إليهم الكفار حتى لا يدخلوا في حرب وهم غير مؤهلين ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يجزي الكفار بما أساءوا ويجزي المؤمنين بما صبروا وأحسنوا.

﴿٣٤﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ طاعة الله وتقواه ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ نفع نفسه بها؛ لأنه سيذهب إلى الآخرة وقد فاز بالجنة ونجا من النار ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ فعلى نفسه كذلك الضر عائد عليه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وحده ﴿تُرْجَعُونَ﴾ لا ترجعون إلا إليه ويسأل ويحاسب ويجازي.

﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ فليست بأول إنسان ينزل عليه، وليس القرآن أول كتاب، فقد أنزلنا على بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة، فكان فيهم أنبياء متعددون.

أَخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾

﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ حين أعطاهم المن والسلوى وغيرها ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ بإنزال الكتب وإرسال الرسل وجعل الأنبياء منهم في الماضي.

﴿وَأَتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ في التوراة وغيرها من الكتب، من
أمر الله وتشريعه ﴿فَمَا أَخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾
اختلفوا بغياً بينهم بعد ما قد علموا بالحق، ورأوه واضحاً في التوراة وغيرها
فاختلفوا بسبب اختلاف الأهواء والسياسات السائدة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ إن الله الذي يحكم بينهم يوم
القيامة وينصر الحق ويعاقب على الباطل.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ بعد ما آتيناهم الكتاب والحكم
في الزمان الأول، فأنت يا رسول الله في هذا الزمان قد جعلناك على شريعة
من الأمر بإنزال هذا الكتاب والوحي إليك.

الشريعة: طريقة واضحة واسعة، كان أصلها شريعة الماء، طريقه الواسعة
﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ اتبع هذه الشريعة التي جعلناها لك من الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم هؤلاء المشركون الذين لا يعلمون بشيء وإنما هم جاهلون.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ لن يكفوا عنك شيئاً من
عذاب الله لو عذبك ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ هم الذين
يتآخون ويتآزرون على الباطل.

هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
 اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً
 مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ ﴿٢﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ المتقون فقط هو وليهم أما الظالمون فهم
 خارجون عن ولاية الله إنما يتولون بعضهم البعض في الدنيا ويوم القيامة
 يتعادون كما قال: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمُ بَبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمُ
 بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصِيرٌ لِلنَّاسِ﴾ لأنه ينور قلوبهم ويهديهم إلى
 الحق، يهدي للتي هي أقوم، فهو بصائر للناس لكافة الناس لأنه ميسر وهذا
 يدل على إمكانية فهمه للجميع، ولا يختص بفهمه أفراد معينون ﴿وَهُدًى
 وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فهو هدى ورحمة لمن يوقنون بآيات الله ويوقنون
 بأنه من الله ويؤمنون به وبالأخرة فهو هدى لهم يهتدون به ورحمة ينجون به
 من عذاب الله ويدخلون الجنة.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هؤلاء الذين ينكرون القيامة وينكرون
 الجزاء، سؤال يوجههم هل يظنون أن الله سوف يجعلهم كالمؤمنين سواء بأن
 يموتوا ولا يبعثوا ليحجزوا على ما اجتروحوا من السيئات كلا.. لا بد من
 الجزاء يجزي المؤمنين بالجنة ويمجزي الكفار الذين اجتروحوا السيئات بالعذاب
 فلا بد من البعث ﴿سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا سيء لأنه خلاف
 الحق والعدل، لأن من عدله أن الله يجزي المؤمنين بالخير والكفار بالعقوبة
 ولا يجعلهم سواء.

بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنْ
 اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ
 عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالُوا مَا
 هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ
 مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ

﴿١٦﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لم يخلقهما عبثاً لأن نتيجة إنكارهم للبعث والجزاء أن يكون
 خلقهما لغير فائدة، وهو ما خلقهما إلا لأجل عبادته يعبدونه ثم يجازي كلا بما
 يستحق المطيع والعاصي.

﴿١٧﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ هؤلاء المشركون الذين اتخذوا
 أهتهم أهواءهم على خلاف ما يقتضيه العقل والحكمة بل على هواهم.
 ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ باستحقاقه الإضلال، علم سبحانه أنه لا يريد الحق
 ولا يريد الهدى، وأنه مستحق للخذلان ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ لأنه
 يكره الحق فكان سمعه مختوم عليه لا ينفذ إليه القرآن وقلبه كأنه مختوم لا
 يدخله الهدى والنور ولا يقبل إلا الباطل فقط ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾
 كان على بصره غشاوة لا يرى طريق الحق ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ﴾ كيف لأحد أن يهديه وقد خذله الله وسلط عليه الشياطين فلم
 يبق مجال للهدى وقد فاتته هداية الله.

﴿١٨﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ مع إشراكهم بالله كذلك أنكروا القيامة
 ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت جيل ويحيى جيل آخر ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أنكروا كون
 الآجال بيد الله وأضافوا ذلك إلى الدهر ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا
 يَظُنُّونَ﴾ لا علم لهم في إنكارهم للقيامة، وكون الآجال بيد الله، وإنما تخمين.

حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّنُوا بِعَابَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدُ تَخَسَّرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا

﴿٢٥﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّنُوا بِعَابَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ حينما يسمعون آيات الله وهي تبين لهم أنه لا بد من القيامة وأن الله يبعث من في القبور وأنه يجازي كلا بعمله لا يجدون حجة للرد على ذلك إلا قولهم: ﴿٢٧﴾ اتُّنُوا بِعَابَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ أعيدوهم إلى الحياة الآن، يريدون أن يتحكموا على الله سبحانه.

﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ﴿٢٧﴾ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿٢٨﴾ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا بَدَّ مِنْهُ ﴿٢٩﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ أَنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ ﴿٢٧﴾ وَحْدَهُ ﴿٢٨﴾ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢٩﴾ فالمرجع إليه يوم القيامة وحده يرجعون إليه فيحاسبهم ويجازي كلا بعمله ﴿٣٠﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴿٣١﴾ يُومِئِدُ تَخَسَّرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣٢﴾ حين تقوم الساعة ويرجع الناس إلى الله وحده لا تنفعهم لا الشركاء ولا غيرهم قد خسروا أنفسهم وأهلبيهم.

﴿٣٢﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ﴿٣٣﴾ كَأَنَّهُ حين تصرخ جهنم لأنه قال في حديث في (مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام) ما معناه: «إنها تصرخ جهنم صرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه» فكانها تبطل القوة من شدة الفزع.

نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَحْمَتِي ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاَسْتَكْبَرُوا وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا قِيلَ

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ الكتاب المتضمن كل ما كانوا يعملون في الدنيا يدعون إليه ليشاهدوا أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] كل واحد يقرأ كتاب عمله ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ليس مجرد حساب إنما حساب يتبعه الجزاء.

﴿١٦﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كل ما تضمنه كتابنا هو حق لا مغالطة فيه، فقد كنا نأمر بتسجيل ما كنتم تعملونه في الدنيا، ثم ينتقل الكلام إلى تقرير المصير فيقول:

﴿١٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَحْمَتِي ۚ فِي رَحْمَتِي ۚ فِي جَنَّتِهِ ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الفوز البين الواضح لأنه سعادة دائمة لا يموت المؤمن ولا ينقطع عنه الثواب ولا يخرج من الجنة فهو فوز بين واضح لا أوضح ولا أبين منه فوز.

﴿١٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاَسْتَكْبَرُوا وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ احتج عليهم يوم القيامة بأنه قد جاءهم الرسل، وقد تليت عليهم آيات الله التي فيها الحجة القاطعة المقنعة لو أرادوا الحق يقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاَسْتَكْبَرُوا﴾ عن قبولها، يستكبرون على الله سبحانه الذي خلقهم ورزقهم فيأنفون من أمره ومن وحيه وهو ربهم المالك لهم ليسوا إلا عبيداً له ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أهل جرائم عظيمة.

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿١٦﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٧﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿١٨﴾ ذَالِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ

﴿١٦﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي في الدنيا ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ كان القرآن وكان الرسول يقول لكم إن وعد الله حق وأنه سيأتي بالقيامة ويأتي بالجزاء ويأتي بالجنة والنار ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ أنكرتم ورفضتم الإيمان بها ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قُلْتُمْ نَظَن، وذلك معاندة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ والسبب أنهم معرضون رافضون لأن يتأملوا أن الله أصدق القائلين لا يمكن أن يقول ذلك في القرآن إلا وهو الحق لأن القرآن منزل منه سبحانه والدليل عجزهم عن أن يأتوا بمثل سورة منه.

﴿١٧﴾ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي جزاء ما عملوا، وسوءه ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كل ما كانوا يستهزئون به من العذاب الموعود به والقرآن والرسول لأنهم عذبوا بسبب استهزائهم به ولم يجدوا لهم منه مخرجاً كأنه أحاط بهم.

﴿١٨﴾ ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ﴾ في العذاب كأنهم منسيون حينما يتركون في العذاب دون التفات إلى دعائهم وشكواهم ﴿كَمَا نَسِفْنَا﴾ في الدنيا ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ لقاء الله في الآخرة فالיום نساكم النسيان هذا كأنه من يوم المحشر حينما يتركون هناك لا ينظر إليهم أحد ولا تقضى لهم حاجة فصاروا كالمنسيين ﴿وَمَاْوَاكُمُ النَّارُ﴾ تدخلونها وتأوون إليها لا مأوى لكم إلا هي ﴿وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ لا ينصركم أصنامكم ولا غيرهم.

اللَّهُ هُزُوا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ فَالْيَوْمَ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٦٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾

﴿ذَلِكُمْ﴾ سببها ﴿يَأْنِكُمْ أَخَذْتُمْ﴾ آيَتِ اللَّهِ هُزُوا ﴿لم تنظروا في الآيات﴾ نظر اعتبار وطلب للحق لتتهدوا بها، وإنما اتخذتموها هزوا كلما علمتم شيئا من آيات الله اتخذتموه هزوا ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بما أقبلتم عليها ونسيتم الإعداد للآخرة ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يقال لهم: توبوا إلى الله، أو لا يطلب منهم أن يتوبوا إلى الله.

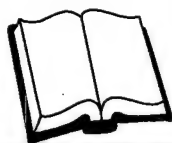
﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ على هذا القرآن وعلى هذا الهدى وعلى إرسال الرسل ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾ المالك لها الذي لا إله إلا هو ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المالك لهم كلهم.

﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ﴾ العظمة والجلال ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه قادر على كل شيء وعالم بكل شيء وله الملك على كل شيء، فعظمته لا تقاس بها عظمة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ عزته وحكمته اقتضت أن يرسل الرسل وينزل الكتب فله الحمد على عباده لأنه المنعم عليهم.

الحمد لله رب العالمين



التَّيْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ



سُورَةُ الْحَقَّافِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا
مُعْرِضُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ

[illegible]

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ فهذا دليل على أنه لا بد من الآخرة، ولا بد من الجزاء، الثواب للمؤمنين والعقاب للمتمردين على الله أعداء الله، لأنه ما خلق السموات والأرض هكذا لعبا يعيشون ثم يموتون دونما بعث ولا جزاء، بل خلق السموات والأرض وما بينهما ليعبدوه، قال الله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والأمر بعبادته وحده هو الذي يترتب عليه الجزاء الثواب والعقاب فمن
الجهتين: جهة الحكمة في أمرهم بعبادته، وجهة الحكمة في الجزاء، من هاتين
الجهتين دل على أنه سبحانه واحد لا شريك له في ملكه، ودل على أنه لا بد
أن يبعثهم ويجازيهم، فخلق السموات والأرض بالحق لهذين الأمرين
لعبادته وللجزاء ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ما خلقهم للبقاء هذا الخلق ليس إلا
موقتاً، سماه الباري وحده وعينه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾
مع أنهم أنذروا أمراً عظيماً لكنهم معرضون عن التفكير والاستماع للإنذار
بالأمرين: توحيد الله سبحانه والإنذار بالآخرة فكفروا لأنهم لم يخافوا.

﴿الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٢﴾

﴿١﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ هؤلاء أصنامكم ﴿أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ لأنه لا تصح عبادتهم إلا إذا كانوا مالكين لكم أو لبعضكم وكيف يكونون مالكين لكم أو لبعضكم وهم لا يخلقون شيئا ﴿أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ هل خلقوا من الأرض بعضها؟ هل خلقوا من السموات بعضها؟ كلا.. لا قدرة لهم على شيء.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ انتقال من سؤال إلى سؤال: هل لهم شرك في السموات بأن خلقوا بعضها فكانوا مشاركين فيها ﴿أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن تستغنون به عن هذا القرآن، ويدلكم على صحة عبادة غيره ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ بقية من علم بعد الأنبياء الأولين تفيد علما يقينا وليس مجرد ظن ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ولكن ليس معهم شيء من العلم وإنما يقولون وجدنا آباءنا على أمة فيقلدونهم فقط.

﴿٢﴾ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِّن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ فبين ضلالهم في عبادتهم للأصنام بأنهم يدعونهم وهم لا يستجيبون لهم في الدنيا، وفي يوم القيامة يكفرون بعبادتهم، فهذا ضلال كبير لأنه ضياع ليس معهم فيه أي فائدة ﴿وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ هذا المدعو الذي يدعونه لا يعلم أنهم يدعونه؛ لأنه لا يسمع، قال الله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كُفَرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِ أَتَّبِعُ

﴿٦﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ ﴿٦﴾ يوم القيامة ﴿٦﴾ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كُفَرِينَ ﴿٦﴾ صارت تلك المعبودات معادية للمشركين يكفرون بعبادتهم لهم في الدنيا غير شاكرين لهم عليها، بل يتبرؤون منها، مثل قول الشيطان: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وفي بعض التفاسير ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ يعني: أن العابدين كانوا أعداء للأصنام، على عكس الأول، لكن الأرجح هو الأول.

﴿٧﴾ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ما كفاهم أنهم أعرضوا عن تفهم تلك الآيات ليعرفوا أنها الحق بل زادوا على ذلك أنهم كانوا إذا تتلى عليهم الآيات يقولون: ما هذا إلا سحر مبين بَيِّنٌ أَنَّهُ سِحْرٌ.

﴿٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ ﴿٨﴾ بل يقولون، هذا انتقال ﴿٨﴾ افْتَرَاهُ ﴿٨﴾ افترى القرآن هذا على الله تقوله ﴿٨﴾ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴿٨﴾ لو افتريته لعذبي أو ختم على قلبي، لأنه لا يصح أن يتركني أكذب عليه وقد جاء بالمعجزة على يدي ﴿٨﴾ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴿٨﴾ من الأقوال في شأن القرآن، كقولكم مرة: أنه سحر، ومرة: أنه شعر.. وغير ذلك، كل أقوالكم فيه هو عالم بها.

إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءَ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿كَفَىٰ بِهِءَ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد أنني قد بلغتكم القرآن الحق، وأنكم أنتم الذين أعرضتم بغير حجة وجادلتم وافتريتم بغير حجة ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ إذا رجعتم إليه سيقبلكم ولن يسد باب التوبة في وجوهكم وليس الإنذار هذا كله إلا لكي ترجعوا إليه وتوبوا.

﴿١﴾ ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ لست أول رسول يرسله الله فلماذا تستنكرون رسالتي وتستغربونها وتتعجبون منها لا معنى لذلك لأنه قد أرسل من قبلي رسلاً إلى الأمم الماضية فلست بأولهم ﴿وَمَا أَدْرَىٰ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في المستقبل لأنني لا أعلم الغيب، الغيب لله وحده، وهو الذي يثيب ويعاقب أما أنا فلا أعلم ماذا سيفعل بي وبكم ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾ فلست أعلم الغيب إنما اتبع القرآن وما أوحى الله إلي ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لا ادعي شيئاً غير أنني رسول من الله أنذركم.

﴿٢﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءَ﴾ بهذا يزجرهم عن الإعراض حتى يعلموا أنه من الله وأنه الحق ويؤمنوا يعني أنه أمر عظيم وشقاق بعيد أن تعارضوا الباري ربكم الذي خلقكم ورزقكم تعارضوه في حكمه، في قرآنه ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ شهد هذا الإسرائيلي في عهد النبي محمد ﷺ على أن هذا الذي في القرآن يوجد مثله عندهم في التوراة، فهو مصدق لما عندهم، من البعث والتوحيد وكل ما فيه من الأصول ﴿فَقَامَنَ﴾ هذا زجر عن الإعراض، معناه: أن الحق واضح، وأن هذا الشاهد حين أنصف وفكر في الحق عرف أنه الحق من الله

لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ۖ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكَ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ ۖ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَنُشَرِّى لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

﴿وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ استكبر المشركون ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ هؤلاء المستكبرون غلب عليهم الكبر، فلم يكونوا يستحقون الهداية، وإنما يستحقون الخذلان.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ هكذا قال الكفار لأنهم مستكبرون، يحتقرون المؤمنين بالذات لكونهم فقراء مستضعفين وقالوا في الذين آمنوا: لو كان هذا القرآن وهذا الإيمان، واتباع الرسول لو كان خيراً لما كانوا أول المؤمنين به، بل لو كان خيراً لكنا قد سبقناهم إلى الإيمان به، لأننا أكثر ذكاءً وفطنة من هؤلاء كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣] ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ۖ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكَ قَدِيمٌ﴾ لم يهتدوا بالقرآن واستمروا على عنادهم فلا أمل في تراجعهم عن موقفهم لأنه قد مضى عليهم وقت طويل منذ سماعهم له ولم يرجعوا.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ ۖ كَتَبَ مُوسَىٰ﴾ مثل ما قال: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ يَدْعَا مِنْ الرُّسُلِ﴾ فكذلك هذا القرآن ليس أول كتاب بل من قبله كتاب موسى ﴿إِمَامًا﴾ متبوعاً مأموماً ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن اتبعه ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كَتَبَ مُّصَدِّقٌ﴾ مصدق لما بين يديه من الكتاب ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال كونه لساناً عربياً تفهمونه إذا كنتم جادين في مسألة الإيمان ﴿لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لأنه لما كان بلسانهم صار منذاراً لكونهم يفهمونه، فهو منذر لكل ظالم بالعذاب الأليم ﴿وَنُشَرِّى لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ بالجنة.

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٢﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ

﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿﴾ هذا كناية عن كونهم قالوا: لسنا عابدين إلا له، ولا إله إلا هو، فنحن مسلمون له مخلصون له عبادتنا لأنه ربنا الذي خلقنا المالك لنا فهذا كناية عن هذه المقالة ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على عبادة الله وحده ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا يخاف عليهم من العذاب لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿٣٣﴾ أُولَئِكَ ﴿﴾ أهل هذه الطريقة ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون منها ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثواباً على ما قدموه من الأعمال الصالحة.

﴿٣٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴿﴾ أن يحسن إليهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وهذا يدل على أن الأم أولى من الأب، يعني هي أحق بالزيادة في البر والإحسان لأنها حملته كرها ووضعت كرها لأن حملها يكون على مراحل كل مرحلة أصعب من التي قبلها، ابتداءً بمرحلة العلوق، والتي فيها يتغير مزاجها وتعاف الكثير من المأكولات وغيرها. ثم مرحلة الثقل ومتاعبها، إلى وقت الوضع ومشاقه، دع عنك ما بعد ذلك من الحضانة والرضاع وما يليها..

عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَاَمِنْ إِنَّ

﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الحمل والرضاع ثلاثون شهراً كان الرضاع سمي فصلاً باعتبار أنها تستمر في الرضاع حتى تفصله ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قوته، في مرحلة الشباب، وهو يبدأ منذ أن يبلغ النكاح، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ يستمر في شبابه حتى سن الأربعين، وفي سن الأربعين يتكامل عقله فهو أقرب إلى أن يهتدي وينيب إلى ربه.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ بمعنى: اهدني لشكر نعمتك ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ شكر النعمة علي وعلى والدي أشكرها لأن النعمة على الوالدين نعمة على الولد لأنهم أصله ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ وأوزعني أن أعمل صالحاً ترضاه ﴿وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ لأنني قد أوشكت على بداية الضعف والحاجة إلى الأولاد لخدمتي فأصلح لي فيهم ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فاستجب دعائي.

﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذه الطريقة ﴿الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ وهو العبادة لأنها أحسن ما عملوا عبادة الله وحده ﴿وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لأنهم قد تابوا لما قال: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ هم ضمن أصحاب الجنة ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ﴾ هذا الوعد الذي وعدهم الله، حين قال: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ هو وعد لا يختلف أبداً ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ كانوا في الدنيا يوعدون به سيتحقق في الآخرة.

وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ تَمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذَهَبْتُمْ طَبِيبَتَكُمْ فِي

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهِي أَفٍ لَكُمْ﴾ هذا الولد العاق لوالديه يتأفف تضجراً منهما قائلاً لهما: ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ كيف تعداني بأني سأخرج من قبري ﴿وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ القرون الأمم الماضية ما خرجوا من قبورهم فلماذا أنا سأخرج ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ من هذا الكلام المقلق لهما كأنهما قد خافا عليه من أن يعجل له العذاب جزاء كلامه هذا، فيقولان له: ﴿وَيْلَكَ﴾ دعاء عليه، ولكن القصد منه الحث الشديد له ليؤمن ﴿ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ آمن بالآخرة لأن الله قد وعد بها وبالبعث بعد الموت.

﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا﴾ أي الوعد الذي في القرآن ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كفر بالقرآن إضافة إلى كفره بالآخرة - نعوذ بالله - هذه طريقة عاق والديه.

﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذه الطريقة ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب قد صدقت عليهم ودخلوا فيها، وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [مرد: ١١٩] ﴿فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ ضمن أمم قد دخلوا فيها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ إنهم كانوا في الدنيا خاسرين لما كفروا.

﴿وَلِكُلِّ﴾ من المؤمنين والكافرين كلهم لهم ﴿دَرَجَاتٌ تَمَّا عَمِلُوا﴾ كل يجازى بقدر عمله من ثواب أو عقاب ﴿وَلِيُوفيَهُمْ﴾ حينما يجعل لكل على قدر درجته يوفيهم ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ الصالحة والسيئة ﴿وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ﴾ لا ينقص على أحد مما يستحق شيء.

حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿١﴾ وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا

﴿١﴾ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ لأنهم في الحشر يجاء بهمهم قال سبحانه: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] كما قال: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] فكانهم سوف يرونها ويسمعونها، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَّانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] كأن هذا هو العرض عليها قبل دخولهم فيها.

فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ﴾ التي كان بالإمكان أن تحصلوا عليها لو آمنتم واتبعتم الرسول لكن أذهبتموها وأنتم لا زلتم ﴿فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾ لما كفرتم فما بقي لكم شيء ﴿وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ بجاتكم الدنيا ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ عذاب الهوان والذلة والصغار ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ تستكبرون ولستم كباراً لستم إلا عبيداً لله، فأنتم الآن تستحقون الإهانة وهذا عذاب الهون يهينكم في مقابل الاستكبار ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ تخرجون عن طاعة الله إلى معصيته، وإلى الخبث والفجور.

﴿٢﴾ ﴿وَادْكُرْ﴾ يا رسول الله ﴿أَخَا عَادٍ﴾ هو نبي الله هود ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ الأحقاف: الحبل الذي أنذرهم فيه، والأحقاف: جمع حقف من الرمل الذي تجمع فيه الرياح فيكون كثباناً مستطيلة متعجرة ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْنُّذُرُ﴾ قد مضت عليهم نذر متعددة وليس هو فقط لعله لطول أعمارهم ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ من قدامه ومن ورائه لعله إلى غيرهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ هذا حاصل الإنذار: أن يعبدوا الله وحده وأن لا يشركوا بالله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ بسبب الشرك.

لِتَأْفِكُنَا عَنْ ءَاهِتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرْنَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ

﴿٢٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا ﴿٢٣﴾ جِئْتَنَا لِنَقْلِبُنَا وَتَحُولُنَا ﴿٢٤﴾ عَنْ ءَاهِتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴿٢٥﴾ من شدة الإصرار على عبادتها والتعصب لها صارت دعوته لهم بالتحول عن عبادتها في نظرهم جريمة كبيرة فتحذوه بذلك ﴿٢٤﴾ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٥﴾ فأت باللعذاب الذي تعدنا به.

﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴿٢٣﴾ هو وحده من يعلم متى يأتي العذاب، ويعلم مقدار ما تستحقونه ﴿٢٤﴾ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴿٢٥﴾ أما أنا فليست وظيفتي إلا أن أبلغكم ما أرسلت به وليست الجيء بالعذاب ﴿٢٤﴾ وَلَكِنِّي أَرْنَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٥﴾ لأن هذه جهالة كبيرة أن يطلبوا منه أن يجيء بالعذاب.

﴿٢٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا ﴿٢٣﴾ فلما رأوا العذاب وهو عارض كأنه معترض في الجو شبه السحاب الغليظ ﴿٢٤﴾ مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴿٢٥﴾ مقبلاً إليهم ﴿٢٤﴾ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴿٢٥﴾ ظنوا أنه سحابة ممطرة ففرحوا بها لما يعانونه من الجذب ﴿٢٤﴾ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ﴿٢٥﴾ العذاب الذي استعجلتم به ﴿٢٤﴾ رِيحٌ ﴿٢٥﴾ شديدة ﴿٢٤﴾ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ هي في نفسها عذاب إلا أنه على التجريد وهو نوع من البديع ولأنها استمرت عليهم وكأنها كانت باردة جداً وقوية جداً.

﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴿٢٥﴾ البيوت والشجر كل شيء مما شأنه أن يدمر ﴿٢٤﴾ فَأَصْبَحُوا ﴿٢٥﴾ بعد ثمانية أيام ﴿٢٤﴾ لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ ﴿٢٥﴾ خراباً.

مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا تَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ نعذبهم لا نهملهم وإنما نؤجلهم نهملهم مدة وبعدها نعذبهم هذا إنذار لمن في زمان رسول الله ﷺ يخبرهم أنها سنة الله سبحانه أن يعذب الكفار المتمردين عليه إذا استمروا في التمرد ولم يجد فيهم الإنذار وحينما يهمون برسولهم أن يأخذوه.

﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ أي الأمم الماضية مثل قوم عاد وغيرهم مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا لم نمكنكم فيه (إن) نافية يعني مكناهم أكثر مما مكناكم، فكانوا أقوى منكم ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾ مع قوتهم المادية كان لديهم قوة إدراك ومعرفة لو استعملوها ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما نفعتهم لأنهم عطلوها لعدم استعمالها ﴿إِذْ كَانُوا تَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ لجحودهم بقدرة الله ضاعت الحكمة والبصيرة وحسن التدبير ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وحاقت بهم الآيات التي كانوا يستهزئون بها، وعذبوا بسببها.

﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾ التي تمرون بها وترونها على طريقكم مثل قرية قوم لوط ونحوها ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ صرفنا الآيات لهم للأولين لما حولكم من القرى، يعني: أهلكناهم بعد ما صرفنا لهم الآيات فما قبلوها.

أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِنْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا يٰقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾ يٰقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلهَةً﴾ بهذا يبين للكفار الذين في وقت الرسول ﷺ أنها لا تنفعهم أصنامهم كما لم تنفع أولئك الأولين أصنامهم فهلا حين نزل العذاب دفعته عنهم إن كانت تنفع ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ ضاعوا عنهم لم يعملوا لهم أي شيء كأنهم غير موجودين ﴿وَذَٰلِكَ إِنْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وضاع إنكهم ذلك الذي كانوا يقولون به من خلال كفرهم وعنادهم انتهى وتلاشى.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ أذكر يا رسول الله إذ صرفنا: هذا الكلام يدل على عظمة القرآن ومدى تأثيره حتى على هؤلاء النفر من الجن ممن أنصتوا له وتفهموه فأصابوا الطريق الصحيح ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ عند النبي ﷺ ﴿قَالُوا أَنصِتُوا﴾ لا يتكلم أحد لكي يستمعوا جيداً ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ انتهت تلاوة القرآن ﴿وَلَّوْا﴾ عن الرسول ﷺ ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ لقومهم.

﴿قَالُوا يٰقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ كأنهم ما كانوا متبعين لعيسى ولا كانوا مؤمنين به، ربما لم يكونوا يعلمون إلا بموسى وبالتوراة ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب لا يتعارض معه بل ما في الكتب السابقة من الوعد والوعيد والتوحيد هذه الأصول، يوجد في القرآن ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لا عوج فيها.

بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٦٠﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ تَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٢﴾

﴿٦٠﴾ يَفْقَهُونَ أَجَبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴿٦١﴾ القرآن أو الرسول الداعي إلى الله بهذا القرآن لا فرق ﴿٦٢﴾ وَآمِنُوا بِهِ ﴿٦٣﴾ بالرسول وبالقرآن ﴿٦٤﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿٦٥﴾ فائدة الإيمان: أن يغفر لكم من ذنوبكم التي ارتكبتوها في الماضي ﴿٦٦﴾ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٦٧﴾ لتسلموا من عذاب النار.

﴿٦٨﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴿٦٩﴾ من لا يحب داعي الله فلن يفوت على الله لا مفر له منه ومن عذابه ﴿٧٠﴾ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴿٧١﴾ ليس له من دون الله أولياء ينفعونه ويحسنون رعايته وينقذونه من النار ﴿٧٢﴾ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٣﴾ ضياع بين لما صدوا عن الحق وعدلوا عن طريق السعادة إلى طريق الشقاوة هذا ضياع بين.

﴿٧٤﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ ﴿٧٥﴾ أن الذي خلق السموات والأرض ما عبي في خلقهن لم يتردد بل خلقها بقدرته مع ضخامتها واتساعها وكبرها لم يشق ذلك عليه أو يتردد في كيفية خلقها ﴿٧٦﴾ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ تَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٧٧﴾ فكيف لا يكون من كان كذلك قادراً على أن يحيي الموتى فالعملية هذه أسهل من خلق السموات والأرض كما قال: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَلَةُ بُنْهَاءُ﴾ [النازعات: ٢٧] ﴿بَلَىٰ﴾ أي أنه قادر سبحانه ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قدير على كل شيء، وليس فقط خلق الإنسان بعد الموت.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ العرض على النار تقدم الكلام في تفسيره.. وفي ذلك الموقف يقرون أنهم كانوا منكربين له فيقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ هذا العذاب الذي أنذرناكم في الدنيا ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أقروا به بل صاروا يقسمون بالله أنه حق.. ربما تصوروا أن ذلك سينفعهم ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ لا محيص عن العذاب الذي كانوا في الدنيا يكفرون به.

﴿فَأَصْبَرَ﴾ الخطاب لمحمد ﷺ ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أهل الثبات والصبر، وقوة الإرادة، مثل نبي الله نوح، ونبي الله إبراهيم ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ العذاب لقومك ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ هذا تعبير عن قرب العذاب المعد لهم في الآخرة، وحين يرونه يتصورون أنهم ما لبثوا في بطن الأرض أي من بعد موتهم إلا ساعة من نهار.

﴿بَلَّغٌ﴾ هذا القرآن بلاغ وإنذار لهم يبلغهم ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ بعد هذا البيان، وهذا الإنذار، وهذه الحجج الواضحة ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الفجرة الخبثة البعيدون عن قبول الحق.

التفسير في النفس



سورة محمد



سُورَةُ مُحَمَّدٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْنَثْتُمْهُمْ فَشْدُوا

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾ أبطل فائدتها، وهذا قد يعم الأعمال التي يقدر أن فيها ثواباً مثل إطعام الجائع وإغاثة الملهوف، وكذا الأعمال التي يعتقدون أنهم سينتصرون بها مثل الإنفاق في الحرب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] فالإنفاق هذا باطل ما انتفعوا به أي أن قوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ أعم من مجرد الإحباط.

﴿٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿٢﴾ ءَامَنُوا ﴿٢﴾ بهذا القرآن الذي أنزل على محمد ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ القرآن الحق من ربهم ﴿كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يعني: أنها مغفورة وكأنها مغطاة لا يرونها ولا تذكر لهم يوم القيامة ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ إما بمعنى حالهم التي يكثر بها ويهت بها، وإما حالهم بمعنى ضميرهم ليكون ضميرهم صالحاً أي نياتهم و يقينهم مثل ما قال في الدعاء: «اللهم بلغ بإيماني أكمل الإيمان وأجعل يقيني أفضل اليقين، وانه بنيتي إلى أحسن النيات».

﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿٣﴾ هذا هو السبب في إحباط عملهم أنهم اتبعوا الباطل، والسبب في

الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَتًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْلُوَنَّ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ

تكفير سيئات المؤمنين أنهم اتبعوا الحق من ربهم ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ الأمثال هنا يعني كأنه يجعل لهم قواعد وقوانين بينها للناس فمثلاً: الذين كفروا لما بين سبب إضلال أعمالهم فإن هذا يشمل كل من وقع منه الكفر والصد عن سبيل الله، وكذلك الذين آمنوا يشمل كل من وقع منه الإيمان والعمل الصالح والإيمان بما نزل على محمد، كأنها قواعد كلية نافعة، وكلمات جامعة.

﴿١﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ كأنه تفريع على إبطال أعمال الكفار. فعند المباشرة والقتال اضربوا رقابهم ضرباً ﴿حَتَّى إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُمْ﴾ أبطلتم قوتهم وانهاروا كالمریض المشخن ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ قد حان وقت الأسر ﴿فَإِمَّا مَتًّا بَعْدُ﴾ بعد الأسر هذا الذي هو بعد الإثخان ﴿مَتًّا﴾ تمنون عليهم بإطلاقهم بدون فداء ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾ أن تطلقوا سراحهم مقابل فدية يدفعونها. تقبلوا منهم فدية وتطلقوهم بها ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ هذا الشأن كله ابتداء من الأمر بضرب الأعناق حتى يشخوهم ثم الأسر يطبق هذا القانون مادامت الحرب قائمة، لأنه قال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم هكذا فيهم بسبب أن الله أراد ابتلاءنا بعضنا ببعض ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ لأهلكهم بغير حرب ﴿وَلَكِنْ لَيَبْلُوَنَّ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ يبلوكم بالقتال ويبلوهم كذلك ليكون عقاباً عاجلاً لهم، لعلهم

عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا هُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا

يرجعون؛ لأنه قال: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ يَأْتِيَكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ القتال فائدة لكم لأن الذين قاتلوا في سبيل الله لن يضل أعمالهم لا يضيعها عليهم بل ستحفظ لهم وتنفعهم يوم القيامة وكذلك تنفعهم في الدنيا، وهذا التفسير يتناسب على القراءتين، أما ﴿قَاتِلُوا﴾ فواضح، وأما ﴿قَتَلُوا﴾ فالمعنى: أصيبوا بقتل بعضهم.

﴿سَيِّدِهِمْ﴾ هداية في الدنيا بسبب الجهاد؛ لأنه قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ﴾ يمكن أن الأقرب في هذا إصلاح ضمائرهم باليقين والإخلاص أو يصلح بالهم يصلح حالهم بمعنى يعيشون حياة طيبة.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ﴾ هذا بسبب أنهم جاهدوا في سبيل الله ﴿عَرَفَهَا هُمْ﴾ أحد المعنيين إما عرفها لهم بمعنى: أنه يدخل وهو عارف لممتلكاته وجناته وقصوره وكل ما أعد الله له. وإلا عرفها لهم من العرف لأن عرفها طيب قالوا ريجها يوجد من مسير خمسين سنة، والإمام الهادي فسر العرف في ﴿عَرَفَهَا هُمْ﴾ بهذا من العرف أي الطيب قال: بمعنى طيبها لهم، ولكنه فسر الطيب مرة ثانية بإكمال ما فيها من النعيم ولم يخصه بالرائحة الطيبة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ هذا حث على الجهاد ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾ بأن تجاهدوا في سبيله لإحياء دينه وحماية دينه، فهو سينصركم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ في الجهاد يعني يثبت أقدام الإنسان مثل ما قال: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٧٢] لأن الإنسان إذا ثبت كان أقرب إلى السلامة من بأس العدو، وإذا تعثر وسقط كان مظنة أن يقتل في الحال.

أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١﴾ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ

﴿٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ﴿٩﴾ هذا دعاء عليهم بالتعس، أي بالهلاك اللازم دلالة على غضب الله عليهم ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ أبطل عليهم منفعتها وفائدتها.

﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿١١﴾ لأنهم كرهوا القرآن الذي أنزله الله ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ لما كرهوه، فهذا سبب لضلال أعمالهم، وكفرهم، لأنهم لو أحبوه لآمنوا به واهتدوا.

﴿١٢﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١٣﴾ من الذين كذبوا رسلهم وكفروا بما أنزل الله كيف كان عاقبتهم ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لأن آثار الدمار لبيوتهم وقراهم لا تزال باقية على الطرق بعضها على طرقهم حين يسرون في الأرض ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ هؤلاء الكافرون سيحل بهم ما حل بأمثالهم من الأولين، كما قال: ﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

﴿١٤﴾ ذَلِكَ ﴿١٥﴾ إهلاك الأعداء ونصر المؤمنين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الذي يتولى رعايتهم الحسنة ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ لأنه وإن كان مالكا لهم لكنه قد تركهم من حسن الرعاية، لأن المولى هنا من الولاية التي هي حسن الرعاية مثل ما قال في الدعاء: «اللهم أهدني فيمن هديت، وتولني فيمن توليت» ومثل ما قال: ﴿إِنْ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] أي يحسن رعايتهم ويتولى شئونهم لإصلاحها.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ
مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ
﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا
أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ

﴿١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ﴿١٣﴾ هذه السعادة الأبدية التي ينبغي أن يسعى لها الإنسان لأنها جمعت
بين سلامة من النار ونعيم دائم في الجنة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في هذه الدنيا
﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ بما أنعم عليهم وهو متاع قليل يعني عجالة تنتهي هذا شأن
المتاع يكون عجالة تنتهي عن قريب ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ لأنهم لا
يدرون ما يفعل بهم لجهلهم بما يصيرون إليه من العذاب الشديد فأشبهوا
الأنعام التي تأكل ولا تعلم أن السكين ينتظرها لتذبح ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾
هم منهمكون في التمتع بالمأكول والمشرب في الدنيا غافلين عن الآخرة بينما
مقرهم ومثواهم المعد لهم هو النار فهذه حالة سيئة جداً حينما لا يتلافون
أنفسهم ويتوبون إلى الله.

﴿١٣﴾ وَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ بِمَعْنَى وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ
الَّتِي أَخْرَجْتِكَ﴾ أشد من مكة ومن قوة أهل مكة ﴿أَهْلَكَنَاهُمْ﴾ أهلكناهم
حين كذبوا الرسل وهموا بهم، وقد قامت عليهم الحجة ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾
ما بقي معهم ناصر لا من شركائهم ولا غيرهم.

﴿١٤﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا
أَهْوَاءَهُمْ﴾ ليس سواء المؤمن الذي على بينة من ربه، وهي القرآن الذي جعله

وَأَنهَرُ مِّن لَّبَنِ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَرُ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَرُ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٣٥﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ

الله بينة تدل على طريق الحق وتهدي الإنسان، فالإنسان المتبع له يكون على بينة من ربه ليس ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ لأن الشيطان زين لهم ذلك العمل السيئ، ولأنهم يهوونه اتبعوه دونما دليل ولا حجة على صحة عملهم ذلك، فلا يستوي هو ومن كان يعمل ما يعمل وهو على بينة من ربه، هذا يدل على أن الإنسان لا ينبغي إلا أن يكون على بينة من ربه فيما هو عليه من دينه لا ينبغي أن يكون لمجرد الهوى أو العصبية.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ هذا وصفها وسماها مثلاً ﴿الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ في كثير من الآيات القرآنية يقول: أعدت للمتقين، جعلها للمتقين، وقد وصف المتقين في (سورة آل عمران) حين قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا...﴾ [آية: ١٣٣-١٣٥] إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ...﴾ [آية: ١٣٥-١٣٦] إلخ.

هؤلاء المتقون الذي لا يصرون على المعاصي وإذا زلوا تابوا، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] هذا وعد الله للمتقين ﴿فِيهَا أَنهَرُ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ ليس فيه رائحة سيئة أو تغير شيء من أوصافه ﴿وَأَنهَرُ مِّن لَّبَنِ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ كذلك لازال طرياً على أصله.

إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَإِنْفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ

﴿وَأَنْهَرُ مَنْ خَمِرَ لَذَّةُ الشَّرْبِ﴾ الذي يشربها يجد فيها لذة ليست كريهة فيشربها للتلذذ بشربها ﴿وَأَنْهَرُ مَنْ عَسَلَ مُصْفًى﴾ خالص من الشمع ومن الشوائب ﴿وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أنواع الثمرات وهي كثيرة جداً الفواكه وغيرها ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ولهم فيها مغفرة من ربهم وهي أفضل ما هنالك، فيها ينجون من العذاب ويخلدون في الجنة لأنهم صاروا في رضوان الله ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ أهم سواء، هذا وصف للجنة التي وعد المتقون فهل يستوي حال من هو خالد في النار مع حال من هو خالد في الجنة؟ كلا.. لا يستوون - نعوذ بالله - الخلود في النار أمر عسر جداً، لو لم يمكث فيها المعذب إلا يوماً واحداً لكان ينبغي أن يحذره طول عمره فما بالك إذا كان مئات السنين وآلاف السنين ملايين السنين - نعوذ بالله - ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ مقابل شراب أهل الجنة الأنهار المذكورة.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ هؤلاء الكفار ﴿مَنْ يَسْتَمِعْ إِلَيْكَ﴾ حين تقرأ القرآن وحين تأتي الناس بالهدى من عند الله تبلغهم ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَإِنْفًا﴾ ماذا قال قبل قليل؟! بينما لم يخرجوا من عنده إلا قبل لحظات، هكذا يكون حال الواحد منهم لأن قلبه غافل، ولا اتساع فيه للموعظة ولا رغبة لديه في الهداية بل يمر على مسامعه ولا يفهمه أو ينسى بسرعة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليها فلا يدخلها الهدى هذا تمثيل فقط ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ هذا هو السبب في ذلك اتباع الهوى هو الذي أضلهم كما قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً
فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ
وَمَثْوَىكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ

﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ آهْتَدَوْا ﴿١٨﴾ حِينَ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ ﴿١٩﴾ زَادَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ
الاستماع ﴿هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ كأنه بمعنى آتاهم إما هداهم للتقوى
في الدنيا، أو آتاهم ثواب تقواهم في الآخرة.

﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴿١٨﴾ لَأَنَّهُمْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ
ولم ينتفعوا بالقرآن الذي هو الحجة الواضحة والآية البينة فظلوا فقط
ينتظرون القيامة ليتأكدوا من صدق مجيئها!! ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ هي
قريب؛ لأنه قد جاء أشراطها الشروط التي لا يمكن أن تحيى إلا بعد تحققها
وهي الإنذار والتبشير وإقامة الحجة على العباد، كما قال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فأشراط قيام الساعة قد
وقعت ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ فكيف يصح أن يتذكروا ويهتدوا بعد
قيام القيامة؟ فالتفكير حيث لا ينفع، والتوبة غير مقبولة.

﴿فَأَعْلَمَ﴾ ﴿١٩﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿٢٠﴾ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿٢١﴾ كما أنزل الله في
القرآن ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ والإستغفار من الصغائر
التي تجوز على الأنبياء واستغفاره للمؤمنين سكن لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ
وَمَثْوَىكُمْ﴾ والله يعلم ما أنت عليه وما عليه الكفار فهو يعلم أين تتقلبون
وأين تصيرون في الدنيا ويعلم مثواكم في الآخرة، الذي هو المشوى الحقيقي
الدائم، ويمكن أنها عامة مثواهم في الدنيا ومثواهم بعد الموت ومثواهم في
الآخرة لكن من الغلط قولهم: «شييع الميث إلى مثواه الأخير» هذا كفر
بالآخرة لأنه ليس بالأخير، وقد تكون هذه العبارة مأخوذة من كلام الكفار.

تُحْكِمَةُ وَذِكْرٍ فِيهَا الْقِتَالُ^١ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ
الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ^(١) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ
الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ^(٢) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ لأنهم يزدادون هدى وإيماناً فهم يكونون راغبين في نزولها ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكِمَةٌ وَذِكْرٌ فِيهَا
الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوْتِ﴾ الذين في قلوبهم شك من هم فاقدون للإيمان، لكرهتهم للقتال في
سبيل الله عند ما تنزل آية يذكر فيها الأمر بالقتال فمن شدة كراهتهم للقتال
ينظرون إليك كما ينظر المغشي عليه من الموت الذي يشخص ببصره إلى
جهة واحدة لا يتحول عنها وذلك غضب منهم على الرسول ﷺ ﴿فَأُولَئِكَ
لَهُمْ﴾ دعاء عليهم بمعنى: كَيْدَ لَهُمْ.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كأنه بمعنى أنهم يعدون بالطاعة ويظهرون
الطاعة والقول المعروف خداعاً ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا
لَهُمْ﴾ فهم إنما يتمظهرون بالطاعة والقول المعروف لكن وقت الجِدِّ والصدق
في مواقع الجهاد تبخر تلك المظاهر الزائفة ويتلاشى ذلك الحماس ويلوذون
بالفرار، مع أن الأفضل لهم أن يصدقوا مع الله ويثبتوا وقد رفع قوله:
﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ﴾ على أنه الخبر والمبتدأ محذوف تقديره: شأنهم أو أمرهم
طاعة معروفة وقول معروف. هذا احتمال والاحتمال الثاني أن يكون معنى
قوله: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ أي أحق لهم وأحسن وأفضل لهم طاعة وقول معروف
لكن على هذا الاحتمال لا يصح أن يترتب عليه قوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ
صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿١٧﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آرَتُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿١٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي يقرب منكم إن توليتم أيها المنافقون أمور الناس وصارت مقاليدها بأيديكم ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ وهذا السؤال كأنه سؤال تقرير، على أنهم إن تولوا سعوا في الأرض فساداً، وقد كانوا كذلك عندما تولوا، والكل يعرف تاريخ (بني أمية) وظلمهم لأهل البيت (عليهم السلام).

﴿أُولَٰئِكَ﴾ أهل هذه الصفة الذين يفسدون في الأرض ويقطعون أرحامهم ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ أي طردهم من رحمته فخذلهم وأضلهم بالخذلان فلا يسمعون الحق سماع انتفاع ولا يبصرونه كذلك.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ دليل على أن القرآن معد ليفهموه لو تفهموا لكنهم معرضون عنه ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ كأن على قلوبهم أقفالاً ما تفتح ليدخلها القرآن وتفهمه ربما لشدة كراحتهم للقرآن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آرَتُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ هؤلاء المنافقون كأنهم ارتدوا عن الإيمان مع أنهم قد رأوا الهدى في القرآن وبأن لهم أنه من الله وبعد هذا ارتدوا ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ سهل لهم الردة وهون أمرها عليهم ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ الإملاء الإمهال كأنه مد لهم في الآمال بمعنى مناهم طول العمر.

لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِسْرَارَهُمْ ﴿٢١﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَرَهُمْ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ تُخْرِجَ
اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَّفْنَاهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٥﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ

﴿٢١﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي للكفار
﴿سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ وبهذا صاروا مرتدين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِسْرَارَهُمْ﴾ يعلم إن كانوا أسروا هذا القول للكفار.

﴿٢٢﴾ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾
عقوبة عاجلة إذا توفتهم الملائكة يعذبونهم عند الوفاة.

﴿٢٣﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ أي بسبب أنهم اتبعوا ما
اسخط الله أي أغضبه ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ وكرهوا ما يرضيه ﴿فَأَحْبَطَ
أَعْمَلَهُمْ﴾ التي كانوا عملوها قبل ردتهم.

﴿٢٤﴾ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أم بمعنى بل والهمزة: بل
أحسب الذين في قلوبهم مرض النفاق وسوء النية ﴿أَنْ لَنْ تُخْرِجَ اللَّهُ
أَضْغَنَهُمْ﴾ الضغن الحقد لعلها أحقادهم على الرسول وعلى المؤمنين هل
ظنوا أن لن يظهر الله تلك الأضغان.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ أريناك المنافقين هؤلاء واحداً واحداً بطريقة
واضحة ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلاماتهم ﴿وَلَتَعَرَّفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾
فلتات اللسان التي تدل على نفاقهم من الكلام الذي يبدي ما يضمرون من
الشر، كما قال أمير المؤمنين: «ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر على صفحات
وجهه وفتات لسانه» ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ كلكم المؤمن والمنافق وغيره.

مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ ﴿٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ ﴿٦١﴾ * يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٦٣﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ

﴿٦٠﴾ وَلَتَبْلُونَكُمْ﴾ بالأمر بالجهاد في سبيل الله ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ حتى يبين خبركم، فيعرف المجاهد الصابر، ويتميز عن القاعد غير المجاهد ﴿وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ كان معناه: نعلم سرائركم لنجازي عليها، وإما بمعنى: ما أخبر به عنكم، أو ما تحبرون به عن أنفسكم وهو الأظهر، لأنهم يقولون: طاعة وقول معروف، فتوعدهم بالتمحيص ليتبين الصادق من الكاذب.

﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أعرضوا عن سبيل الله أو صدوا غيرهم ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ عارضوه وعاندوه وكأنهم من المنافقين ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ في القرآن لأن فيه الحجة البينة ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ ليسوا مبطلين لدينه ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ﴾ فهذا يظهر أن المعنيين بذلك هم المنافقون، حيث قال: ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ﴾ لأنهم كانوا قد أسلموا مثل ما قال: ﴿ذَلِكَ يَأْتُهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾.

﴿٦٢﴾ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ احذروا أن تبطلوا أعمالكم بالنفاق ومشاقة الرسول كما فعل هؤلاء المذكورون.

﴿٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ يحذرنا من أن نخدو حذو هؤلاء الذين كفروا وصدوا، أي أعرضوا عن سبيل الله بعد ما كانوا قد آمنوا ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ما رجعوا بل أصروا على ما هم عليه حتى ماتوا ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لأنهم ما توا قبل أن يتوبوا.

الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَزِيْرَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴿٢٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٢٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَتُخْرِجْ أَضْغَنْتَكُمْ ﴿٢٧﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ

﴿٢٥﴾ ﴿فَلَا تَهْنُوا﴾ رجع الأمر إلى الجهاد حين حث على الجهاد في قوله: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ ﴿فَلَا تَهْنُوا﴾ الوهن: اللين ضد الصلابة، أمرهم بأن يستمروا في صلابتهم في دين الله وضد أعداء الله ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ الصلح ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ والحال أنكم الأعْلون بنصر الله، وكونه معكم لأنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي هذا نهى واضح عن طلب الصلح حتى ولو كانوا ضعفاء في العدة والعدد لكون الله معهم، والقصد النهي عن طلب السلم وليس نهياً عن قبوله إذا عرض عليهم، كما قال: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاِجْتَحِ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿وَلَنْ يَزِيْرَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ الله غير مضيع لأعمالكم، والموتور هو الذي يُقتل قريه يسمونه موتوراً والذي يحبط عمله ويبطل عليه يشبه بالموتور.

﴿٢٦﴾ ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾ هذا ترغيب في الجهاد لكون الدنيا ليست بشيء وإنما هي متاع قليل ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ إذا آمتم واتيتم الله يعني لا يسألهم أموالهم كلها، بل المطلوب أن ينفقوا بعضاً منها .

﴿٢٧﴾ ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يستقصي عليكم في تسليمها كلها ﴿تَبْخُلُوا﴾ بها وترفضوا ﴿وَتُخْرِجْ أَضْغَنْتَكُمْ﴾ أي بسبب طلب المال كله يقع ضغنكم على الرسول ﷺ .

تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٢٨﴾

﴿هَآأَنَتُمْ هَآؤَآءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فبين أنه بالنسبة للإنفاق في سبيل الله فإنهم مدعوون إليه لكنه لا يستقصي عليهم بإنفاق المال كله ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾ يرفض الإنفاق ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ لأن الإنفاق فائدته لنفسه، والجهاد كذلك منفعة عائدة عليه في الدنيا عزة وتحراً، وفي الآخرة ثواباً وأجرأ عظيمأ. ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ ليس بحاجة إلى إنفاقكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه، المحتاجون إليه.

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عن الطاعة ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ البديل لا يكونون أمثالكم ييخلون إذا دعوا إلى الإنفاق في سبيل الله، ويتأقلون عن الجهاد إذا دعوا لمقاتلة أعداء الله بل يجاهدون وينفقون في سبيل الله.



التَّيْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ



سُورَةُ الْفَتْحِ



سُورَةُ الْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ جَل جلاله وعظمته وقدرته وعلمه ﴿١﴾ فَتَحْنَا لَكَ ﴿٢﴾ فتح لرسوله ﴿١﴾ فَتَحًا مُبِينًا ﴿٢﴾ فتحاً بيناً كما وعده.

واختلف المفسرون في الفتح هذا قال بعضهم: إنه فتح الحديبية، وبعضهم قال: إنه فتح مكة، وهو الأقرب: أنه فتح مكة، وهو الذي قد كان رأى أنه فتحها كما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾.

والحديبية هي كانت قبل، حيث كان النبي ﷺ وصل الحديبية وهي حول الحرم يريد دخول مكة للعمرة ومعه جيش كبير، فعلم المشركون بمقدمه، واعتبروا دخوله بذلك العدد مجرد عرض قوة، فأخذتهم الأنفة وحمية الجاهلية، وهموا بقتاله إذا أصر على الدخول، ولحرص النبي ﷺ على قداسة الحرم، وأمله أن يفتحها بأقل قدر ممكن من القتلى لحرمة الحرم، ولأنه منذ البداية لم يأت لقتال فقبل بالمصالحة على أن يعود هو ومن معه هذه السنة ثم يدخلوا في السنة القادمة ومعهم السيوف في أغمارها ويعتمروا ويبقوا في مكة ثلاثة أيام ثم يعودوا، وتحقق كل ذلك.

ثم إن قريشاً نكثت عهدها مع النبي ﷺ حينما أعدت على قبيلة خزاعة المتحالفة مع النبي ﷺ فقرر ﷺ دخول مكة وفتحها عنوة ففاجأهم بالهجوم بقوة كبيرة وكان الفتح المبين وبقليل من القتلى كما كان يطمح ﷺ فهذا هو الفتح المذكور في الآية - والله أعلم.

نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

﴿٢﴾ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ لأن المجاهد يغفر له كما قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الصف: ١٢] ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بتمكين دين الله وكثرة المسلمين وقوتهم ﴿وَهَدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ زيادة على ما قد هداه من قبل يضيف له هداية في بقية عمره إلى الصراط المستقيم.

﴿٣﴾ ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ لأنه بالفتح فتح مكة انتشر الخبر في أرجاء الجزيرة العربية وشكل خطوة كبيرة للدعوة الإسلامية ارتفعت به معنويات المسلمين وتحطمت شوكة المشركين المعاندين.

﴿٤﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يمكن أنه أنزلها وقت دخول مكة لتهدأ نفوسهم دون الأخذ بالثأر ممن كان قد ظلمهم من كفار قريش قبل الهجرة أو أنه أنزلها في الحديبية، لأنه تحول الموضوع إلى قصة الحديبية، حيث نزلت السكينة ليطمئنوا إلى الرضا بالصلح، لأنه حصل امتعاض كبير لدى المسلمين بسبب الصلح واعتبروه مذلاً لهم فأنزل السكينة عليهم لتسكن نفوسهم إليه ويرضوا به والأول أقرب.

﴿٥﴾ ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ لرضاهم بحكم الله ورسوله، لأنه من خصال الإيمان ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جنود السموات الملائكة، وجنود الأرض المؤمنون المجاهدون ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ عليماً بما تقتضيه الحكمة عليماً بكل شيء وحكيماً في أفعاله وأمره وتصرفاته.

خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۚ بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٧﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا ﴿٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٩﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

﴿٦﴾ ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الذين جاهدوا معك ﴿جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ كأنه تعليل للفتح أي كان الفتح ليغفر لك وليدخل المؤمنين.. الخ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ بفضل الجهاد ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ هو الفوز العظيم لأنها السعادة الدائمة أما الدنيا فلو نال الإنسان منها ما نال فهي إلى زوال.

﴿٦﴾ ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ هذا في مقابل قوله: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ الخ ﴿وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ يعذبهم في الآخرة يدخلهم النار وقد يعذبهم كذلك في الدنيا عذاباً عاجلاً ﴿الظَّالِمِينَ﴾ بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوِّءِ كأنهم لم يكونوا مصدقين بأن الله سوف ينصر رسوله، ويعز دينه وكانوا متربصين بالإسلام والمسلمين. ويتظنون غلبة الكفر.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ﴾ حلت عليهم هم لا على رسول الله ﷺ والمؤمنين وهذا دعاء عليهم ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ على المشركين والمنافقين ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ طردهم من رحمته كان ذلك من جملة عذابهم في الدنيا ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ نعوذ بالله ما أسوأها من مصير.

﴿٧﴾ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعز بهم دينه ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا﴾ هو عزيز حكيم وهذه صفة لازمة له جل وعلا وليس بحاجة إلى جنود السموات والأرض ليعتز بهم.

وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا

﴿١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا ﴿٢﴾ عَلَى مَنْ رَأَيْتَ مِنْ قَوْمِكَ، لَأَنَّهُ قَالَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] يشهد يوم القيامة على من رآه بما رآه إما خيرا وإما شرا ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ تبشر المؤمنين بالجنة، ونذيرا تنذر أعداء الله بالنار.

﴿١﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿٢﴾ أَرْسَلْنَا الرَّسُولَ لِهَذَا الْغَرَضِ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ تعضدوه، وتنصروه، وتقووه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تعظموه أي الرسول ﷺ، كَانَ الضَّمَاثِرُ هَذِهِ عَائِدَةً لِلرَّسُولِ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ تسبحوا الله التسبيح هو التنزيه لله سبحانه عن كل نقص ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ بكرة أول اليوم من الصباح، وأصيلا من بعد الظهر إلى وقت المغرب، والتسبيح هو من أفضل الذكر لما يعنيه من التقديس والتنزيه والتعظيم له جل وعلا، وقد خصه الله بالذكر في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴿٢﴾ هَذَا الْكَلَامُ عَنْ (بيعة الحديبية) ومعنى مبايعتهم لله التمثيل لتحقيق أنها له، وكانت مبايعة على الثبات في القتال مع الرسول ﷺ حتى النصر أو الشهادة ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ العهد هذه البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ضررها عليه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ أن يثبت ولا يفر ﴿فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وعندما هرب بعضهم ناداهم العباس بأمر النبي ﷺ في يوم حنين كما روي: يا أهل الشجرة، ذكرهم العهد فقالوا: لبيك.. لبيك، ورجعوا مسرعين.

فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا السَّوْءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿٣﴾ وَلِلَّهِ

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ المخلفون: الذين آثروا البقاء في بيوتهم وتخلفوا عن الخروج للقتال مع المجاهدين ﴿شَغَلْتْنَا أَموالنا وَأَهْلوانا﴾ اعتذروا بأنهم كانوا منشغلين عن الخروج بالأموال والأهالي فتخلفوا لذلك ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ هم ليسوا حريصين على أن يستغفر لهم وإنما يريدون تغطية نفاقهم.

﴿يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ﴾ حين يطلبون أن يستغفر لهم ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وهو عدم المبالاة بنتيجة تخلفهم ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ يخوفهم من الله، أي من هو الذي سيدفع عنكم عذابه إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعاً؟ الأمر له فيكم ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ رد على اعتذارهم، فهو عالم بخبركم، وما تكنه صدوركم، وبكذبكم في دعوى الاشتغال بالأموال والأهليين.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أظهر العليم الخبير ما تكنه صدورهم وبين السبب في تخلفهم عن الخروج للجهاد، وهو أنهم قد اعتقدوا أن تلك المعركة ستستأصل شافة المسلمين، ويقتلون عن آخرهم ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ لكراحتكم للإسلام ﴿وَظَنَّتُمْ ظَنًّا السَّوْءَ﴾ وهو أن دين الله سينتهي ونوره سينطفئ ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ وكنتم قوماً هالكين فاسدين في دينكم لستم أهل دين أصلاً.

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَكَانَ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ
 لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا
 كَذٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا
 يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلَىٰ

﴿١٣﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ بَلْ نَافِقٌ ۖ أَظْهَرَ خِلَافَ مَا يَبْطِنُ
 ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ سواء نافع، أو أظهر كفره.

﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ الْمَلِكُ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ ۚ يَغْفِرُ
 لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ إِذَا أَرَادَ أَن يَعَذِّبَكُمْ فَأَمَرَ لَهُ، ومشيتته على
 الحكمة، وليست اعتباطاً أو مجرد صدفة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لمن
 تاب إليه ورجع إليه، هو يفتح باب التوبة لمن عصاه.

﴿١٥﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ۚ هَؤُلَاءِ
 الَّذِينَ تَخَلَّفُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، سيقولون في المستقبل وحينما تكونون قد وعدتم
 بغنائم في معركة ما ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ دعونا نخرج معكم نجاهد لننل من
 الغنائم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ الذي قال: ﴿قُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ
 أَبَدًا وَلَكِن تَفَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ٨٣].

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ هو كلام لا يتبدل يعني
 في منع الخروج معه ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ لا تريدون أن ننال من
 الغنائم حسداً لنا ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأنهم قد سمعوا أنه قد
 قال قبل: ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا...﴾ الخ، وعلموا أنها عقوبة على قعودهم.

بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَأِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى
الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

﴿١٦﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ ﴿١﴾ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأُولَئِكَ
الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ استدعون في المستقبل ﴿إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ
شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ فَإِنْ أَسْلَمُوا كَفَيْتُمْ مَوْنَةَ الْقِتَالِ ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا
يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
يقال: إنه جيش أسامة الذي دُعُوا أَنْ يَنْفِذُوهُ فِي مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَتَخَاذَلُوا رَغْمَ إِيحَاكِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَنْفِيزِهِ وَتَحْذِيرِهِ مِنَ التَّخَلُّفِ عَنْهُ.

﴿١٧﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ
حَرْجٌ ﴿فِي عَدَمِ الْخُرُوجِ لِلْقِتَالِ، لَكِنْ بِذَلِكَ الشَّرْطِ الْمَذْكُورِ فِي (سُورَةِ التَّوْبَةِ):
﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١].

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بَأْنِ يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ وَيُقِيمُ بَوَاجِبَهُ إِذَا قَدْ وَجِبَ
عَلَيْهِ الْجِهَادُ ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا
أَلِيمًا﴾ لَيْسَتْ مَسْأَلَةُ الْجِهَادِ مَسْأَلَةُ مَزَاجٍ، بَلْ مَنْ يَجَاهِدُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ
يَتَوَلَّ يَدْخُلُ جَهَنَّمَ بِدُونِ تَأْوِيلَاتٍ وَلَا تَعْلِيلَاتٍ لِأَنَّ الدِّينَ لَمْ يَقُمْ إِلَّا عَلَى
الْجِهَادِ وَلَوْلَا لَكَانَ الْإِسْلَامُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ
اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

الشَّجَرَةَ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هذه تسمى (بيعة الرضوان) لما بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، لكن الرضا من الله إنما هو عن المؤمنين، وليس عن كل المبايعين على ما يظهر؛ لأنه قال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النية على الثبات والصبر في الجهاد ومن كانت نيته كذلك فهو مؤمن مرضي عنه ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ للرضا بحكم الله ورسوله في القبول بالصلح، والعودة من الحديبية واطمأنوا إلى هذا، مع شعورهم بقوتهم وتمكنهم من اقتحام مكة وفتحها. ولكن الأمر أمر الله ورسوله فاطمأنوا إليه وسلموا تسليماً حينما نزلت السكينة ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أعقب تلك الحادثة فتح مكة.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ كأنها غنائم يوم حنين وكانت كثيرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ عزيزاً لا يُنال، وحكيماً في أفعاله وأقواله وتصرفاته كلها على ما تقتضيه الحكمة.

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وعد المسلمين مغانم كثيرة وتحقق الوعد في فتوح الشام، فحصل لهم مغانم كثيرة جداً جداً ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غنائم حنين ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ في وقعة حنين وقد كانت تجمعت قبائل كثير ضدهم يقال: إنهم كانوا أربعة وعشرين ألفاً، كانوا قد تجمعوا ليحاربوا النبي ﷺ فنصره الله عليهم، وكانوا قد جلبوا إلى المعركة غنمهم وبقرهم وأنعامهم ليقاتلوا قتال المستमित دون ماله، فكانت غنائم للمسلمين.

قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴿١﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢﴾ وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٣﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٤﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿٥﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ

﴿وَلَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان هذا النصر وهذه الغنائم التي حصلت على ما وعدهم به.. آية وعبرة للمؤمنين ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ كمال الإيمان وطاعة الرسول.

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ ووعدكم مغايم أخرى مما لم تقدروا عليه حينئذ ولكن قد أحاط الله بها تعبير عن تهية أسبابها حتى كأنها في اليد ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ فنقوا بوعده.

﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ﴾ الراجع أنه يوم الحديبية حين تصالحوا كان الكفار قد أظهروا أنهم سيقاتلون إذا لم يرجع النبي ﷺ، فلو قاتلوكم لولوا الأدبار، لكن الرسول ﷺ لا يريد أن يكثر القتلى في مكة ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ لو قاتلوكم لقتلوا وهربوا وشردوا ولا من ناصر ولا ولي لهم.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ في نصر الله لأنبيائه ورسله، كما قال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُارُ﴾ [غافر: ٥١] سته نصر الرسل والمتبعين لهم ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ لا تبدل أبداً.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ هو الله سبحانه بحكمته والطفه كف أيديهم عن قتالكم

الْحَرَامِ وَأَهْدَىٰ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالُ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبُكُمْ مِنْهُمْ مَّعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ

حيث قذف الرعب في قلوبهم حتى سارعوا إلى الأمان، حين قال لهم النبي ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن».

وكل ذلك بحكمة الله سبحانه، وكف أيديكم عن مقاتلتهم بعد أن أعلن أحد من كان مع النبي ﷺ اليوم يوم الملحمة، فرد عليه النبي ﷺ: «كلا.. اليوم يوم الرحمة» وأعلن الأمان على ما سبق وحين اجتمعوا عنده قال لهم: «ما أنتم قائلون»؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال: «قول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] اذهبوا فأنتم الطلقاء».

والقصد من هذا كله: أن النبي ﷺ أراد أن لا يكثر القتل عند الكعبة احتراماً لها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ يدبر لأعمالكم ما يناسبها وما يليق بها من الجزاء ونحوه.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَهْدَىٰ﴾ صدوكم عن العمرة (يوم الحديبية) وصدوا الهدي حال كونه ﴿مَعْكُوفًا﴾ محصراً وقد كان موجوداً مع النبي ﷺ ﴿أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ﴾ منعه من بلوغ محل فحره وكأنه بعد إبرام الصلح تم الاتفاق على السماح بنحره في طرف من الحرم، فنحروا وتحملوا من الإحرام ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ في مكة ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لم تعلموا بأنهم قد آمنوا فيما لو دخلتموها بالقوة والحرب ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ تدوسهم أقدامكم، كناية عن هلاكهم بمعة الجيش

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٦﴾ لَقَدْ

﴿فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنه ضرر عليكم حين تقتلونهم إما
لأنهم نقص من المؤمنين، أو لأجل السمعة حين يقولون قتلهم وهم قد آمنوا
فيشوهون بذلك سمعة الرسول والمسلمين عموماً فهذه هي المعرة كما يظهر،
وهناك من يقول أن المعرة هي الدية، ولكن لا نستطيع أن نجزم بلزوم الدية
وهم لا زالوا قاطنين بين الكفار ولما يتميزوا عنهم - والله أعلم.

﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ حين فتح مكة بالطريقة تلك التي
كف أيديهم عنكم ليهتدي ويسلم من هداه الباري للإسلام ﴿لَوْ تَرَىٰ أُولَٰئِكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا لَوْ تَمَيَّزُوا عَنِ الْكُفَّارِ بَحِثْ لَا يَكُونُ قَتْلُهُمْ خَطَاً
وَارِداً﴾ ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ لسلطانكم على الكفار
لتقتلوهم شر قتلة.

﴿٦﴾ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ بسبب
أنفتهم من أن يدخل النبي ﷺ مكة في تلك الكثرة والقوة، قد أمتلأوا حمية
وغضباً ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ لتطمئن
قلوبهم إلى الصلح والرضا به ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ وهي (بسم الله
الرحمن الرحيم) بعد أن رفض الكفار إثباتها في عريضة الصلح لعدم إيمانهم
بالرحمن، ولكن المؤمنين لزموا هذه الكلمة (البسملة) حتى وإن لم تثبت خطأ
في وثيقة الصلح ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾
على مقتضى علمه بالحكمة من الصلح حتى لو بدا مؤلماً للمؤمنين في بعض
بنوده فوفقهم سبحانه لالتزام كلمة التقوى فكانوا أحق بها وكانوا أهلاً لها
دون الكفار المعاندين.

صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرَّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿٤٧﴾ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٤٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٤٩﴾

﴿٤٧﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرَّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿٤٧﴾ هذه الرؤيا لما
كان قد رأى النبي ﷺ من قبل أنهم يدخلون مكة إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ
رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ بعد الإحرام ﴿٤٨﴾ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴿٤٨﴾ علم مما تقتضيه
الحكمة ما لم تعلموه أنتم ﴿٤٩﴾ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٤٩﴾ فجعل من
دون ذلك الفتح الذي هو تصديق للرؤيا وهو الفتح البين جعل من دونه
فتحاً قريباً يمكن أن يكون (فتح الحديبية) باعتبار أنه كان بمثابة خطوة أولى في
طريق الفتح الكبير كونه طرح قضية دخول مكة -ولو في العام القادم- كأمر
واقع حيث تنازل الكفار قليلاً عن تكبرهم لما ظهر لهم من قوة المسلمين
وأذعنوا للأمر الواقع وهو الدخول في العام المقبل والله أعلم.

﴿٤٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴿٤٨﴾ فالرسول ﷺ،
صادق في رؤياه لأن الله أرسله بالهدى ودين الحق، كان هذا رد على الذين
كانوا قد تشككوا في صدق الوعد بالدخول لما قالوا: كيف يمكن أن نرجع
من الحديبية وقد وعدنا أننا سوف ندخل المسجد الحرام إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ
محلقين رؤوسنا ومقصرين؟

﴿٤٩﴾ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴿٤٩﴾ يظهر دين الإسلام على الأديان كلها -
حسب تسمية أهلها لها دينا وإلا فلا يوجد دين حق إلا دين الإسلام.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۖ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۚ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾

أما بالنسبة لإظهاره على الأديان فقد أظهره الله واستمر على قوته وظهوره فترة من الزمن حتى قامت الحجة على أهل الأرض حين بلغهم القرآن الكريم ولا يلزم لصدق وعد الله بإظهاره أن يدوم كذلك ولكن تبقى فيه القابلية للظهور والغلبة متى ما جاء من يؤمن به فكراً ويطبقه عملاً ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على الرسول والمؤمنين وعلى الكفار.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه صفتهم وأرى أن قوله: محمد مبتدأ وقوله: رسول الله ليس إلا صفة لمحمد، والخبر هو: أشداء على الكفار والذين معه هم المؤمنون القائمون معه المجاهدون ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أصحاب غلظة وقوة على الكفار، وهذه وما بعدها هي من الصفات المهمة التي يجب التأسي بهم فيها ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ لأن ذلك من أعظم القوة التي يتحقق بها النصر على العدو وبدونه تتصدع قوتهم مهما توفرت الإمكانيات.

﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أهل صلوات وتهجد وعبادة وليس فقط الصلوات المفروضة ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ بعبادتهم لله ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علاماتهم ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ السجود لله، إما نور الوجه، وإلا أثر السجود يتبين ويظهر في الجبهة ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ وصفهم

الذي وصفوا به ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾ هكذا على ما ذكر الله أنهم أشداء على الكفار رحاء بينهم تراهم ركعا سجداً ﴿وَمَثْلُهُمْ﴾ ووصفهم ﴿فِي الْإِنْجِيلِ﴾ كَرَزَعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾ أخرج فراخه، بعض الزرع مثل القمح (البر) حين تنبت الزرعة تكون وحدها ثم ينبت بجوارها فروع تقوم معها هذا الشطأ يعني الزرع الذي ينبت بجواره ويقوم معه من عروقه ﴿فَفَازَرُهُ﴾ زاده قوة بتجمعه وتكائفه كأنه يمتص غذاءه من الأرض بقوة ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ تكاثف وكثر ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ جمع ساق، هذا الزرع استوى كمل وتم نموه ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ هذا الزرع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ يغيط بهم بالرسول والمؤمنين يغيط بهم الكفار لما تكاثفوا وتقوا إلى ذلك الحد. قوله ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ قد يكون تعليلاً لقوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ وإنما القصد: يعجب الزراع تمام الوصف وصف الزرع.

وقوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ قد يكون عائداً إلى الموصوف وهو محمد ﷺ والذين معه، الذين شبههم بـ (الزرع) لأنهم بتكاثرتهم وتكاتفهم صاروا قوة تغيط الكفار ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ أي من رسول الله ﷺ والذين معه وعدهم ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ و(من) هنا للبيان وليست للتبويض ولا للكل ويجهل الذين يقولون: إذا كانت للبيان فيلزم أنهم كلهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ لأن المقصود ليس إلا بيان أن من كان منهم بهذا الوصف فهو من أهل الجنة سواء كلهم أو بعضهم.

التفسير في النفس



سورة الحجرات



سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿١﴾ هذا أول الآداب التي يجب التزامها لتعاملهم مع الله ورسوله أن لا يقدموا لا يسبقوا بكلام بين يدي الله ورسوله إذا كان هناك موقف حضر فيه الرسول ﷺ وحضروا عنده للبحث في موضوع ما، أن لا يسبقوا الرسول بالكلام بل يدعوه هو الذي يتكلم ﷺ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اتقوه بامثال أوامره ونواهيه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ما تكلمتم به وسبقتم به الرسول فهو سوف يسمعه لا يخفى عليه، هذا تخويف وتحذير بأنه سبحانه العالم ﴿يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩].

﴿٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴿٢﴾ وهذا أدب ثاني إذا كانوا يتحدثون عند الرسول ﷺ أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته حتى لو جرى هذا الكلام فيما بينهم حين يكلم بعضهم بعضا بحضرته، بل يلتزموا الأدب ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ إذا كلمتموه فلا ترفعوا الصوت بالمستوى الذي يكون منكم عند حديثكم لبعضكم البعض يعني اخفضوا أصواتكم عنده حين تكلموه وتادبوا ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي لئلا تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون؛ لأنه قد يسبب قلة الأدب لحبوط عملهم هذه قالوا: نزلت في أبي بكر وعمر، رواها الناصر عليه السلام في (البساط) ورواها غيره.

أَمَتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٥﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنْ

﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ هؤلاء الذين يغضون أصواتهم بمعنى يخفضونها ﴿٤﴾ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴿٥﴾ تَادِبًا واحتراماً له وإجلالاً، فهؤلاء أهل التقوى الذين اختبر الباري قلوبهم وامتنحها للتقوى.

﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ وهذا من قلة الأدب الذين ينادون الرسول ﷺ من وراء الحجرات: يا محمد، يدعونه ليخرج إليهم، الحجرات أسوار تمنع الداخل وتستتر أبواب البيوت ﴿٨﴾ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٩﴾ لأن من اللازم احترام الرسول ﷺ، وأن ينتظروه إلى أن يخرج تلقائياً.

﴿١٠﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴿١١﴾ تركوا الاستعجال ﴿١٢﴾ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ﴿١٣﴾ يخرج الرسول تلقائياً ﴿١٤﴾ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿١٥﴾ أفضل من قلة الأدب هذا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ فليستغفروا ويتوبوا وهو سيغفر لهم لا يعتقدوا أنه ذنب وخطيئة غير مغفورة لهم.

﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ ﴿١٩﴾ إذا جاء فاسق بخبر مهم فلا نقبله مباشرة بل نتبين هل هو صدق؟ أم كذب؟ لئلا نصيب قوماً بجهالة حين نصدقهم فنصيب قوماً بسبب خبره الذي انكشف كذبه فقبول الخبر دونما تأكيد من صدقه جهالة ﴿٢٠﴾ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٢١﴾ حين ينكشف أنه كذب أو خطأ.

الْأَمْرِ لَعْنَتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي

﴿٧﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ هذا مقدمة لقوله: ﴿لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعْنَتُمْ﴾ فيكم رسول الله ليس كغيره لأنه يتنزل الوحي عليه، وعنده نظر ثاقب ورأي صائب فلو كان يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم لأصابكم العنت، العنت شدة الضر ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ جعله محبوباً تأنسوا به، لأن المؤمن يحب الإيمان ليدخل الجنة وينجو من النار ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ جعله حسناً جميلاً في قلوبهم وهذا شأن المؤمن الذي يؤمن بالجنة والنار.

﴿وَكَّرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ﴾ الكفر: مثل كفر النعمة والجحود بالرسول أو بالقيامة كل هذا الكفر مكروه عندهم تنفر منه قلوبهم ﴿وَالْفُسُوقَ﴾ كذلك الخروج عن طاعة الله إلى حد الخبث والفجور ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾ عصيان الرسول فيما دون ذلك فهذه كلها قد كرّها الباري لديهم وهذه نعمة من نعمه يتمن عليهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ بسبب هذه النعمة قد صار الإيمان سهلاً، وإذا جاءت منهم زلة يتوبون.

﴿٨﴾ ﴿فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ فضلاً من الله حين أنعم عليهم بأسباب الجنة وما يؤدي إليها ونعمة عاجلة في الدنيا تصلح بها دنياهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يضع الأمور في مواضعها ويهدي من كان مظنة أن يهتدي على ما يعلم هو وعلى ما تقتضيه حكمته.

حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ

﴿١٠﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴿١١﴾ طائفتان سواء كانتا جماعة في مقابل سلطة، أو طائفتان فتنان اقتتلوا فأصلحوا بينهما ليتركوا القتال، ويرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله على ما أمر كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] منعهما من القتال ونصلح بينهما بإرجاع قضيتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله.

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ فإن بغت بعد ما يتضح الحق لها وقد علمت أن الحق للطرف الآخر ورفضت ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ لأجل ترك البغي ﴿حَتَّى تَفِىءَ﴾ حتى ترجع ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ إلى الحق الذي في كتاب الله وسنة رسوله ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ فإن رجعت إلى الحق وتركت البغي ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ أصلحوا قضيتهم وحلوا مشكلتهم لئلا يرجعوا مرة ثانية إلى القتال ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ بمعنى اعدلوا يمكن أن يكون الأمر بالقسط عائد إلى الكل من المتنازعين والمصلحين فالكل مأمورون بالإقسط وهو العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وهذا مرغب عظيم في الإقسط.

﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴿١١﴾ هذا ترغيب في الإصلاح إذا كان بين فئتين من المؤمنين بين طائفتين من المؤمنين اختلفوا في أي أمر أدى إلى القتال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ اتقوا الله رجاء رحمته، ورحمته هي دخول الجنة والسلامة من النار.

وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَبِ بِيُسُ الْإِسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَنِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ لا يسخر رجال من رجال، هذه من الآداب التي أدب الله بها المؤمنين لكي يستمروا على المؤاخاة ويتوحدوا ولا يتفرقوا لأن الله قد نهاهم عن التفرق لأنه من أهم أسباب الضعف وإذا ضعفوا قوي عليهم عدوهم، ولهذا لا بد من ترك كل ما يؤدي إلى التفرق ولو كانت تبدو أموراً بسيطة يتساهل الناس فيها مثل السخرية والغيبة، فهي تؤدي إلى التباغض، والتباغض يؤدي إلى التفرق ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ قد يكون يعني يقرب أن يكون الذي تسخر منه خيراً منك.

﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾ لا يسخر نساء من نساء ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عسى يقرب أن تكون تلك المسخور منها أفضل ممن تسخر منها قد تكون أحب إلى الله إذا كانت تقية مطيعة لله ورسوله ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تطعنوا في أعراض بعضكم البعض لا يسب أحدٌ أحداً وعبر بالنفس لكون المؤمنين كالنفس الواحدة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَبِ﴾ نهى عن أن يدعو احد الآخر باللقب السيئ المذموم لأنه يعد إساءة إليه، وهو مما يؤدي إلى التفرق حتى ولو كان صاحبه قد استساغه لأن القرآن قد نهى عنه.

﴿بِيُسُ الْإِسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَنِ﴾ كأنه يحذرنا أنا إذا لم نجتنب ذلك سينطبق علينا اسم الفسوق بعد ما كنا مؤمنين ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ من هذه الأشياء ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فقد ظلم وبهذا نعرف أنها ليست سهلة بل هي ظلم لكونه معصية.

أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ

﴿١٢﴾ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴿١﴾ لأن أغلب الظن يكون خطأ بعيداً عن الصواب ﴿٢﴾ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴿٣﴾ لأنك قد تظن به سوء وهو بريء فهذا إثم لأنه بريء.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ لا تفتشوا عن الأمور التي لا يجب المؤمن أن يطلع عليها أحد ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ ولا يغتصب المؤمن صاحبه المؤمن، هذه كلها تؤدي إلى فساد ذات البين بينما صلاح ذات البين هو مما أمر الله به في القرآن كما قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] فالغيبة ربما أن النمام سمعك فمضى ينقل ذلك لمن اغتیب فيؤدي للشحناء ثم التفرق.

﴿أُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ هذا تشبيه للمغتتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتاً، كأنه يأكل لحم أخيه ميتاً حين يهتك عرضه ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ هذا طبعاً أنكم تكرهون أن يأكل لحم أخيه ميتاً، فكيف لا تكرهونه بينما هما سواء الغيبة وأكله لحمه ميتاً، يعني يحق للمؤمن أن يكره اغتيا ب أخيه المؤمن كما يكره أكل لحمه ميتاً، وذلك من أبشع الصور التي قد يتصورها الإنسان فهو والمغتتاب سواء لا فرق في البشاعة بينهما.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ اتقوا الله توبوا إليه واتقوه باجتناب هذه الأشياء المنهي عنها وتوبوا إليه إنه تواب رحيم.

عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٢﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿٣٢﴾ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴿٣٣﴾ أَصْلَكُمْ واحد آدم وحواء ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴿٣٥﴾ لأنه يعرف الإنسان بكونه من شعب كذا، ثم بكونه من قبيلة كذا، فهي طريقة للتعارف بين الناس ﴿٣٦﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ ﴿٣٧﴾ كانوا يتفاخرون بأبائهم الكفرة لكونهم ظلمة يسفكون الدماء، أو كانوا مطعمين الطعام يتفاخرون بهم وهم حِمَم جهنم، بينما الفخر الحقيقي هو في الفضل والكرامة عند الله فمن كان أتقى فهو أكرم عند الله ولا يصح أن يستدل بها على نفي التفاضل لأن التفاضل في النعمة قد نص عليه القرآن قال الله تعالى في (بني إسرائيل): ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] فضَّلهم في النعمة حين جعل الرسالة والنبوة فيهم، بالنسبة للتفاضل بالأنساب هو من طريقة التفاضل بالنعمة، فبعض الأنساب فيهم الكرم، وفيهم الشجاعة، وفيهم محاسن الأخلاق، وفيهم الوفاء، فتبرز فيهم هذه الصفات الحميدة أكثر من غيرهم من الأنساب فهذا إنما هو تفاضل في النعمة، بالنسبة لفضل (أهل البيت) هو فضل في النعمة من حيث أنهم مظنة الهدى والتقوى فيهم أكثر من غيرهم، يعني إذا نسبنا الفضل إلى جملتهم فهو فضل النعمة، وإن نسبناه إلى الأفراد منهم فعلى قدر التقوى يكون الفضل ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٩﴾ عليم بالمتقين وخبير بما في ضمائرهم.

﴿٣٨﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ﴿٣٩﴾ هذا بداية بحث في تحديد مفهوم الإيمان، فهؤلاء الأعراب كانوا قد أسلموا وشهدوا بالشهادتين غير أنه لم يكن قد دخل الإيمان في قلوبهم، فرد الله عليهم: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ قد

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

أسلموا حين شهدوا بالشهادتين يعني قد خرجوا من الشرك فتكون معاملتهم كمعاملة المسلمين والإسلام درجات أولها النطق بالشهادتين ثم درجة إسلام النفس لله بالقيام بالواجبات واجتناب المحرمات، ثم إسلام النفس لله أن يجعل كل أعماله وكل نياته على ما يرضي الله هذه الدرجة العليا، وهي تعم حتى المباحات لأنها بالنسبة له تكون تبعا للطاعات في نيته.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ هذه عبارة جميلة ليس فيها ما يؤسهم من الإيمان أي أنه لحد الآن لم يدخل الإيمان في قلوبكم ويمكن أن يدخل فيما بعد، لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام ﴿وَأِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ بأن تؤمنوا وتتقوا ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ لا ينقص عليكم من أعمالكم شيئاً ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذا رجع العبد إليه يوفر له أعماله ولا ينقص منها شيئاً ولا يمنعه ما قد سبق قبل التوبة من توفية الثواب.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ هذا رد على الأعراب حين قالوا: ﴿أَمْنًا﴾ يحدد فيه مفهوم الإيمان ومن هم المؤمنون حقيقة، ويبين صفاتهم، وأنها الإيمان الراسخ في القلب الثابت الذي لا يخالجه شك ولا ريب، ثم جاء بالصفة الثانية، فقال سبحانه: ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فالجهاد مقياس دقيق لمعرفة الإيمان، به يتميز المؤمن الصادق، فالجهاد في سبيل الله تدفعه معرفته بالله ورسوله للغيرة على الدين فيجاهد لذلك، كما يدفعه إيمانه باليوم الآخر إلى الرغبة فيما أعد الله للمؤمنين في الجنة والخوف مما توعد به العاصين من عذاب جهنم مما يجعله يجود بماله ونفسه في سبيل الله للفوز بالجنة والنجاة من النار.

فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ۚ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿١١﴾ يَمُنُّوْنَ عَلٰىكَ اَنْ اَسْلَمُوْا قُلْ لَا تَمُنُّوْا عَلٰى اِسْلَامِكُمْۙ بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلٰىكُمْ اَنْ هَدٰكُمْ لِلْاِيْمٰنِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٢﴾ اِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ بَصِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿١٣﴾

﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم، إذا قالوا آمنا فهم الصادقون أهل هذه الصفة ولا يعذر الإنسان عن الجهاد، إلا أولئك الذين استثناهم الله من الضعفاء والمرضى، بشرط النصح لله ورسوله، ومن لا يجد الأنصار عليه أن يعمل ويجد في توفيرهم، وتوفير الإمكانيات اللازمة للجهاد، لكي ينجو من عذاب الله.

﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ وما تكنه صدوركم حينما قلتم ﴿آمَنَّا﴾؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ۚ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ﴾ أطيعوه وأصلحوا أنفسكم واتقوه فهو يعلم بكل شيء لا يحتاج إلى أن تخبروه بدِينكم.

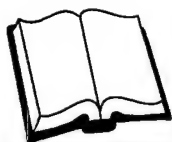
﴿يَمُنُّوْنَ عَلٰىكَ اَنْ اَسْلَمُوْا﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ وقالوا قد أسلمنا يعتقدون أن عليه أن يرى لهم فضلاً باعتبارهم قد أحسنوا إليه ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لهؤلاء الذي منوا عليك: ﴿لَا تَمُنُّوْا عَلٰى اِسْلَامِكُمْۙ بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلٰىكُمْ اَنْ هَدٰكُمْ لِلْاِيْمٰنِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾ أنكم قد آمنتم حين قلتم أنكم آمتم أي حتى لو كان الأمر كذلك فالمنة لله لأنه الذي يهدي للإيمان فالفضل والمنة له سبحانه وتعالى، فضلاً عن أن إيمانكم لما ثبت في قلوبكم.

﴿اِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ هذا عائد إلى السورة كلها، كأنه ملخص لما تحدثت عنه فما هو في علمه سبحانه مثل ما وقع من القتال

بين الناس، وما وقع من تنازع وغيبة وسخرية، إضافة إلى سوء الأدب ورفع الصوت عند رسول الله ﷺ إلى آخر ما تعرضت له السورة هذه فهو عالم به كله وبغيره من غيب السموات والأرض ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يجازي على كل شيء بما يناسبه من كبير أو صغير، يعني: هو بصير بكل عمل سبحانه وتعالى.



التَّيْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ



سُورَةُ





سُورَةُ قَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَاتٍ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَاتٍ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ عندى أنه من حروف المعجم التى تأتى فى أول السور، إما من التعجيز بالقرآن الذى هو حروف معدودة ينطقون بها، وإلا إشارة إلى أن الله أوحى القرآن بألفاظه وحروفه - والله أعلم.

﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿٢﴾ أقسم بالقرآن المجيد وجواب القسم محذوف تقديره: إنك لمن المرسلين حذف للاكتفاء بالظروف التى نزل القرآن خلالها وهى التى كان الناس بين مصدق ومكذب برسالة الرسول وقد أظهر جواب القسم فى قوله تعالى: ﴿يَسْ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣] لأن القرآن هو الآية الدالة على أنه رسول من الله وهو المعجزة الكبرى، فأقسم به لذلك ولهذا رتب عليه قوله:

﴿٢﴾ ﴿٣﴾ بَلْ عَجِبُوا هَؤُلَاءِ الْكَافِرَ ﴿٤﴾ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴿٥﴾ لأنه ليس بدعاً من الرسل ولم يكن هناك ما يدعو للعجب بعد ما تبين أنه آية من الله أنه كلام الله لا كلام البشر فلا مبرر للاستغراب هذا لأنه قد جاء بالبينة معه إضافة إلى كونه منهم يعرفونه تمام المعرفة ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ جعلوا الإنذار بالآخرة شيئاً عجيباً.

﴿٢﴾ ﴿٣﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٤﴾ كيف نعود أحياء بعد أن متنا وقد تحولت أجزائنا إلى تراب فالعود إلى الحياة أمر بعيد مقصودهم أنه لا يمكن، فهذا احتجاج منهم لإبطال النبوة، والتكذيب بالقرآن، لأنه أنذر بالبعث بعد الموت، حتى ولو كان قد تبددت أجزاؤهم وضاعت بين التراب، أو صارت تراباً.

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ^١ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ^٢ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ^٣ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ^٤ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ^٥ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ

﴿١﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴿٢﴾ هذا رد عليهم بأن ذلك ليس بعيداً لأن الله عالم بالأجزاء كلها التي قد تحولت إلى تراب ﴿٣﴾ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ يعني: لا ننسى شيئاً، مثل ما قال موسى: ﴿عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢] والكتاب كناية عن كونه محفوظاً في علمه سبحانه، لا ينسى جزءاً من الإنسان فضلاً عن أن ينسى إنساناً، وكذلك لا يغلط في شيء، فلا معنى إذاً للعجب.

﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴿٥﴾ هذا هو السبب في العجب أنهم كذبوا بالقرآن لما جاءهم وهو الآية الكبرى الواضحة البينة التي قد عرفوا أنهم عاجزون عن الإتيان بسورة من مثله ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ فصاروا في أمر مضطرب مختلف كل مرة يروجون لدعاية ضد الرسول ﷺ، فمرة يقولون: ساحر، ومرة: شاعر، وأخرى: مجنون.

﴿٦﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٧﴾ لأنهم استبعدوا البعث بعد أن تكون قد أكلتهم الأرض، استبعدوه بالنسبة إلى قدرة البشر، فليظنوا إلى قدرة الله إلى خلق السموات فوقهم كيف بناها الباري ووسعها وزينها بالكواكب والشمس والقمر، وهي على كبرها واتساعها لا توجد فيها فطور أو نحوها، بل هي بحكمة البناء.

﴿٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَلِيَنْظُرُوا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ وَسَعَتُهَا لِلْبَشَرِ ﴿٩﴾ وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴿١٠﴾ جبلاً راسيات في أماكنها ثابتة ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أنواع الثمار والأشجار والفواكه الحسنة النظرة التي نوعها بقدرته، هذه كلها دلائل قدرته ونعمته على عباده.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾^(١)
 وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا
 كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿٢﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿٣﴾

﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ هذا الخلق خلق الأرض والسماء
 وما أنبت في الأرض ﴿تَبَصَّرَةٌ﴾ ليصبروا ببصائر العقول يبصروا الآيات
 فيعرفوا قدرة الله سبحانه ﴿وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ وتذكيراً لكل عبد
 منيب راجع إلى الله غير مصر على الكفر، فالراجع إلى الله هو الذي يهتدي
 إلى الحق أما المعاند فهو بعيد من الهداية.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا﴾ وهذه آية عظيمة إنزال الماء من
 السماء وفيه بركة لأنها تنبت به الأشجار وتحيا به الأرض بعد موتها ويأتي
 منه رزق للعباد فهو رحمة لهم.

﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ زُرُوعاً وَبَسَاتِينَ وَغَيْرَهَا تَحْيَا بِالماءِ هَذَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ
 وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ الحب من الزروع التي تحصد.

﴿وَالنَّخْلَ﴾ وأنبتنا به النخل ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ عاليات في الجو طوالاً
 ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ الطلع: هو الثمر في بداية نموه يكون في أكمامه، نضيد:
 كثير متزاحم متداخل بعضه في بعض بقدرة الله.

﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ فهو آية وفي نفس الوقت ليزكرنا نعمه بالآية والنعمة
 على عباده الذي حق عليهم أن يشكروه ولا يكفروه ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ بالمطر
 هذا ﴿بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ كانت قد ماتت حينما لم تعد تنبت شيئاً لأن تربتها غدت
 مثل الرماد، فأحيانا فأنبتت ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ خروجكم من الأجداث من
 القبور هكذا مثل إحياء الأرض بعد موتها.

وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ
الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِّنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ

﴿١٣﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ هذا انتقال إلى الوعيد
لأنه إذا لم ينفع عرض الآيات على العقلاء ليتفكروا فلا بد من الوعيد لكي
يخافوا فينظروا فأخبر: أن هذه الأمم كذبت رسلها وكذبت بالآخرة.

﴿١٣﴾ ﴿وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ كذلك كلهم كذبوا بالرسل.

﴿١٤﴾ ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الأيكة: شجر ملفف وهم الذين أرسل لهم نبي
الله شعيب ونزل عليهم عذاب يوم الظلة ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ من اليمن، القوم هم
الذين كذبوا أما تبّع فقد قالوا إنه كان مؤمنا ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ فسر بهذا
قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي أنهم كذبوا الرسل وتبع تكذيبهم بالرسل
تكذيبهم باليوم الآخر ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ حق عليهم وعيدي وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

﴿١٥﴾ ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ هذا رد عليهم حين قالوا: ﴿أَيْنَمَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا﴾ الخ، يعني: ما تعايينا في خلقهم أول مرة فإذا كنا قد قدرنا على
خلقهم أول مرة، فكذلك نحن قادرون في المرة الثانية ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ملتبس عليهم مسألة الخلق مرة ثانية، ولهذا تمردوا على الله
لأنهم ما خافوا الآخرة.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

مِّنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هذه كلها من دلائل قدرته سبحانه على الإعادة بعد الموت:

أولاً: خلق الإنسان وهو آية كبرى.

الشَّهَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ
 سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ
 يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَاقِبٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنْتَ فِي

ثانيًا: إحاطة علمه سبحانه بكل شيء بكل خفي حتى ما توسوس به
 نفس الإنسان، كما أنه سبحانه أقرب إلى الإنسان من جبل الوريد، وهذا
 تمثيل لكونه لا يخفى عليه شيء من أمر الإنسان، وأنه ليس بعيداً عنه.

﴿١٧﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴿١٨﴾ كأنه بمعنى اذكر حين يتلقى.. وفيه لفظة إلى
 ضرورة الإعداد لليوم الآخر، والمتلقيان هما الملكان الكاتبان لأعماله ﴿١٩﴾ عَنِ
 اليمينِ وَعَنِ الشَّمالِ ﴿٢٠﴾ عن اليمين ملك وعن الشمال ملك مهمتهما تسجيل
 كل قول نطق به وكل عمل عمله من خير أو شر ﴿٢١﴾ قَعِيدٌ ﴿٢٢﴾ يبقى معه أينما
 حل وارتحل مثل الجليس.

﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴿١٨﴾ لكون الإنسان معد للآخرة
 وسيحاسب يوم القيامة فالحافظان موجودان يرقبان كل كلمة وحركة
 ﴿٢١﴾ عَتِيدٌ ﴿٢٢﴾ أي حاضر معد لكتابة ما سمع.

﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴿٢١﴾ لكون الإنسان أيضاً معد للآخرة
 لا بد أن يموت، فالسكرة جاءت الإنسان بالحق لأنها حق من الله سبحانه
 أحكم الحاكمين ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ﴿٢٣﴾ أيها الإنسان ﴿٢٤﴾ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿٢٥﴾ ما كنت تهرب
 منه من قبل كأنه ليتذكر الإنسان مدى هوانه وذلتة حين يشعر بأنه أصبح
 فريسة للموت ولا يقدر أن يدفع الموت عن نفسه.

﴿٢٦﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿٢٧﴾ هذه النفخة الثانية كأنه يعني الصيحة في قوله:
 ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿٢٨﴾ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٩﴾ اليوم الذي وعد الله
 به وتوعد العصاة.

غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ﴿٢٧﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٨﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٩﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي

﴿٢٦﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ مجيئهم إلى موقف الحساب كل نفس معها سائق يسوقها إلى محل الحساب، وموقف العرض على الله، ثم إلى النار إذا كان من أهلها، أو إلى الجنة إذا كان من أهلها فلكل نفس سائق يسوقها وشهيد يشهد عليها بعملها.

﴿٢٨﴾ لَقَدْ كُنْتَ ﴿٢٩﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿٣٠﴾ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ﴿٣١﴾ رأيت الحقائق الآن في الآخرة وتجلت الأمور التي كنت في غفلة منها ﴿٣٢﴾ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٣٣﴾ اليوم صرت تبصر جيداً. كما عبروا حين قالوا: ﴿٣٤﴾ رَبُّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿٣٥﴾ [السجدة: ١٢] لما عاين ما وعد الله به أصبح بصره ثاقباً لكن لا فائدة له في الإبصار حينئذ، مادام لم يستخدم سمعه وبصره يوم كان في الدنيا.

﴿٣٦﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ ﴿٣٧﴾ كَأَنَّهُ يَعْنِي الْمَلِكَ الْحَافِظَ لَهُ: ﴿٣٨﴾ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ﴿٣٩﴾ هذا كتاب عمله وكل ما أحصيته عليه حاضر مسجل فيه، كأنه يسلمه إلى العبد في موقف العرض.

﴿٤٠﴾ أَلْقِيَا ﴿٤١﴾ كَأَنَّهُ أَمْرٌ لِلْحَافِظِينَ أَنْ يَلْقِيَا هَذَا الْمَجْرَمَ ﴿٤٢﴾ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٤٣﴾ كان الإلقاء عندما يوصلانه إلى باب جهنم فيؤخذ بناصيته وهي مقدمة شعر الرأس أو بالأقدام أو بهما جميعاً فيرمى به في جهنم نعوذ بالله، كما قال: ﴿٤٤﴾ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٥﴾ [الرحمن: ٤١].

﴿٤٦﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴿٤٧﴾ ما كان عنده رغبة لفعل الخير لأنه غير مؤمل في ثواب ولا خائف من عقاب فهو مناع للخير الذي أمر الله به، مثل: إطعام المسكين

الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٣٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ
بَعِيدٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٣٨﴾ مَا

يمنع لا يعطي أحداً شيئاً ﴿مُعْتَدٍ﴾ يعتدي على عباد الله يظلمهم ﴿مُرِيبٍ﴾ إما
مرتاب في نفسه أي صاحب ريب، أو مريب يقلق منه المجاور والمصاحب له لا
يؤمن شره بل هو مريب لا يأمنه جليسه ولا صاحبه ولا جاره.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ هذا في
المشرك خاصة أنه يلقي في العذاب الشديد، لأنه جعل مع الله إلهاً آخر فيلقى في
العذاب الشديد أي أن عذاب المشركين أشد بالنسبة إلى غيرهم. وهذا رد على
من قال إن الذي لا يؤمن بأن عيسى إله سيدخل جهنم، بل العكس هو الحق،
فالذي يقول إن عيسى إلهاً هو الذي يستحق أن يدخل جهنم.

﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ هذا قرينه الذي كان في الدنيا يضلّه. وهو المقصود
بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْلَمُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾
[الزخرف: ٣٦] وقال - أيضاً - في شأنه: ﴿يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُشَسِّقُ
الْقَرِينَ﴾ [الزخرف: ٣٨] وهو إما من شياطين الإنس أو من شياطين الجن ﴿رَبَّنَا
مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ يريد أن يتصل منه لئلا يحمل شيئاً من ذنوبه إضافة إلى حمله
هو ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ هو نفسه في ضلال بعيد أي بعيد عن
الطريق.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ قد قدمت
إليكم في الدنيا بالوعيد فالمستضعف غير معذور كان عليه أن يسمع كلام
الله، ويتبع هدى الله، ويرفض تضليل أولئك الذين كان يعتقد أنهم كبار
وعظماء من الطغاة والمستكبرين الذين خضع لهم وأطاعهم.

يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢١﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ
 آمْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٢٢﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٢٣﴾
 هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٢٤﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ
 بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٢٦﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ

﴿٢١﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَى﴾ في كل ما تقدم من الوعيد في الدنيا، لا
 تراجع عنه ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ إنما بالحق نعذبكم التابع والمتبوع.

﴿٢٢﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ لأنه قد أقسم أنه سوف يملؤها من الجنة
 والناس فكانه يدل على اتساعها حين يقول لها ﴿هَلِ آمْتَلَأْتَ﴾ لكثرة من
 قد دخلها من أمم ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ بمعنى أنها واسعة وفي نفس
 الوقت حريصة على دخول أعداء الله فيها.

﴿٢٣﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قربت فهي غير بعيدة عنهم
 لأنهم أهلها المستحقون لها فكانها لما خلقت لهم كانت قريباً منهم.

﴿٢٤﴾ هَذَا﴾ خطاب للمتقين ﴿مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ لكل أواب
 رجاء إلى الله تواب من الذنوب ﴿حَفِيفٍ﴾ كأنه يعني حافظاً لحدود الله،
 محافظاً على طاعة الله.

﴿٢٥﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ كلها من صفات المتقين من خشي
 الرحمن وهو في الدنيا، ولا يزال كل شيء غائباً عنه، لم ير الجنة ولا النار ولا
 رأى الآخرة وأهوالها بل لا تزال كلها غائبة عنه ولكنه رغم ذلك كان مؤمناً
 بها فخشي الرحمن في الغيب ﴿وَجَاءَ﴾ يوم القيامة إلى موقف العرض على
 الله ﴿بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ بقلب راجع إلى الله طاهر سليم من الدنس والذنوب.

فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

﴿٢٥﴾ اَدْخُلُوهَا﴾ ادخلوا الجنة ﴿بِسَلَامٍ﴾ كانه يسلم عليهم خزنتها يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] تكريماً لهم ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ الخلود هنا كانه بمعنى السلامة من كل آفة ومن كل شر، مثل ما قال امرؤ القيس:

وهل يعمن إلا سعيد مخلد قليل هموم ما بيت بأوجال

﴿هُم﴾ للمتقين ﴿مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ ما أرادوا فهو موجود في الجنة ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ عند الله مزيد أكثر مما تطلبه نفوسهم كانه من أنواع النعيم الذي لا يعرفون عنه شيئاً بعد، كما قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ رجع الكلام إلى هؤلاء الكفار الذين قالوا: ﴿أَيْنَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ ﴿هُم أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أشد من هؤلاء الذين في وقت النبي ﷺ في البطش كانوا جبارين ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ بحثوا عن أي ملجأ أو مفر من عذاب الله فما وجدوا من ملاذ ولا من محيص.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ تعذيب الأمم الماضية، أو إن في ذلك: الكلام الذي قلناه من أول السورة واحتجنا به عليهم ﴿لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ لأنه احتجاج نافع مفيد لأهل القلوب الواعية ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ يستمع للقرآن ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قلبه حاضر.

بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٢٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٢٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴿٣٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٣١﴾

﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿٢٨﴾ عودة إلى الاحتجاج على قدرته سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، الأرض في يومين، والسماء في يومين، ويمكن أنها نفس تلك اليومين؛ لأنه لا يشغله شأن عن شأن، وما بينهما هي الجبال والنجوم والشمس والقمر ونحوها في أربعة أيام، ويمكن أن تكون الشمس والقمر خلقنا مع السماء والأرض.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ما أصابنا أي تعب في خلقها وإن كان خلقها في ستة أيام على عظمها وسعتها، وهذا كأنه رد على اليهود حين قالوا: إنه أكمل خلقها يوم الجمعة، ويوم السبت استراح من التعب وأسبت - تعالى الله عن ذلك -

﴿فَأَصْبِرْ﴾ يا رسول الله ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبهم بالرسالة ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ في صلاة الفجر و يمكن من بعد صلاة الفجر وقبل الغروب صلاة العصر ومن بعدها التسبيح هو مهم وعبادة مهمة لها شأن عظيم انظر كيف قال: ﴿كَمْ نُسَبِّحُكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرُكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣-٣٤] فأفرد التسبيح بالذكر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ في أثناء الليل ﴿وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ﴾ روى في المجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: «أنها الركعتان بعد صلاة المغرب يصلي سنة المغرب، وأدبار النجوم: سنة الفجر».

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي
وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَشْقُقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشَرٌ
عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿١٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۚ فَذَكِّرْ
بِالْقُرْءَانِ مَنْ تَخَافُ وَعِيدِ ﴿١٥﴾

﴿١٢﴾ وَأَسْمَعَ يَوْمٍ يُنَادِ الْمُنَادِ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٢﴾ كَأَنهَا
الصَّيْحَةُ لِقُوتِهَا يَسْمَعُ كُلُّ وَاحِدٍ الصَّوْتِ مِنْ مَكَانِهِ.

﴿١٣﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ﴿١﴾ الصَّيْحَةُ دَعْوَةُ النَّاسِ لِيُخْرِجُوا مِنَ الْقُبُورِ
﴿٢﴾ بِالْحَقِّ ﴿٣﴾ لِأَنَّهَا حُكْمُ اللَّهِ وَالْأَمْرُ لَهُ وَلَهُ الْمُلْكُ فَهِيَ بِالْحَقِّ حِينَ دَعَاهُمْ
لِيُخْرِجُوا مِنَ الْقُبُورِ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٥﴾ يَوْمُ
الْخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ.

﴿١٤﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ۚ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿١﴾ هَذَا قَرَارٌ بَعْدَمَا بَيْنَ الرَّدِّ عَلَى
هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَمَصِيرُ الْعَالَمِينَ كُلُّهُمْ عَائِدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ فَيَسْأَلُهُمْ وَيَجَازِي كُلًا بِعَمَلِهِ.

﴿١٥﴾ يَوْمَ تَشْقُقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ ﴿١﴾ أَكَّدَ الْخُرُوجَ إِنَّهَا تَشْقُقُ الْأَرْضَ
وَتُلْقِيهِمْ مِنْ بَطْنِهَا ﴿٢﴾ سِرَاعًا ﴿٣﴾ يُخْرِجُونَ مُسْرِعِينَ مُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ مُنْقَادِينَ
بِدُونِ عِنَادٍ ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٥﴾ حَشَرَهُمْ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ
ثُمَّ إِلَى مَوْقِفِ الْجَزَاءِ عَلَيْنَا يَسِيرٌ سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ لَيْسَ بِشَاقٍ عَلَيْهِ.

﴿١٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١﴾ حِينَ يَنْكُرُونَ الْبَعْثَ وَيَنْكُرُونَ الرِّسَالَهَ
وَكُلِّ أَقْوَاهُمْ الْبَاطِلَةَ ﴿٢﴾ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴿٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا مُنْذِرٌ تَبْلِغُهُمْ وَلَا
عَلَيْكَ أَنْ تُجَبِّرَهُمْ.

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ تَخَافُ وَعِيدِ﴾ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد، من يخاف وعيد الله، يعني: هم الذين سوف ينتفعون بالقرآن فذكرهم به، أما أولئك المعاندون فلا تبال؛ لأنهم مصرون على الإعراض عن هدى الله.



التيسير في التفسير



سورة الزلزال



سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذَرِيَّتِ ذَرَوًا ﴿١﴾ فَالْحَمِلَتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقْسِمَتِ
أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوْفُقٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالَّذَرِيَّتِ ﴿١﴾ هذا قسم بالرياح ﴿الَّذَرِيَّتِ﴾
التي يرسلها الباري بقدرته، ويصرفها كيفما شاء، وقوله: ﴿ذَرَوًا﴾ تأكيد
لكونها تذرّوا التراب الغبار وتذرّوا بعض هشيم النبات الخفيف مثل:
الحشيش والأشياء الخفيفة، بمعنى: تطير بها في الهواء.

﴿٢﴾ فَالْحَمِلَتِ ﴿٢﴾ وهذا قسم أيضا بالحاملات ﴿وِقْرًا﴾ وهي السحاب
التي قال الله: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثُّقُلَ﴾ [الرعد: ١٢] ﴿وِقْرًا﴾ موقرة بالماء.

﴿٣﴾ فَالْجَرِيَّتِ ﴿٣﴾ كذلك قسم بالسفن الجاريات على وجه الماء تسيرها
الرياح بقدره الله تجري بها جرياً ﴿يُسْرًا﴾ بسهولة على الركاب.

﴿٤﴾ فَالْمُقْسِمَتِ ﴿٤﴾ الملائكة قالوا: إنها تقسم ما أمر الله به أن تقسمه بين
العباد مثل تقسيم الأرزاق، ولكنه قال: ﴿أَمْرًا﴾ فأبهمها فنتركها على إبهامها.

﴿٥﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ هذا جواب القسم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ إما من
النعيم أو من العذاب ﴿لَصَادِقٌ﴾ بمعنى: عذاب صادق في كونه عذاباً،
شديداً ليس سهلاً أو نعيم صادق كذلك، هذا إذا تركناها على ظاهرها
ويحتمل ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي الوعد نفسه ﴿لَصَادِقٌ﴾ أي صدق.

﴿٦﴾ وَإِنَّ الدِّينَ ﴿٦﴾ الجزاء يوم القيامة يديننا ربنا مثل ما دناه بالطاعة يديننا
بالجزاء لأن الدين أصله المعاملة ندين الله ويدين لنا، ندين له بالطاعة، ويدين
لنا بالجزاء قال الشاعر:

الْحُبُّكَ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُفِّكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ
الْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ
﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

ولم يبق سوى العدو ن دناهم كما دانوا

فالدين في الدنيا طاعة الله، والدين في الآخرة جزاء المطيع، أو العاصي
﴿لَوْعٌ﴾ لا بد من الجزاء كأن السموات والأرض إنما خلقت لأجل الجزاء.
﴿٧﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبِّكَ ﴿٨﴾ هذا قسم ثاني والحبك الصنعة المحكمة المتقنة
المحبوكة.

﴿٨﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٩﴾ وهذا جواب القسم أي تتكلمون في
الرسول وفي القرآن بأقوال مختلفة لا يشد بعضها بعضاً، بل أقوال مختلفة مرة
يقولون: شاعر، ومرة يقولون: ساحر، ومرة يقولون: مجنون، ليست أقوالاً
متفقة على معنى واحد.

﴿٩﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ ﴿١٠﴾ يغتر به وينقلب عن الحق إلى الباطل ﴿مَنْ أُفِّكَ﴾ من
اغتر وانقلب.

﴿١٠﴾ قُتِلَ الْخَرَّصُونَ ﴿١١﴾ هذا شبه لعن ليس على المعنى الأصلي وهو
الدعاء عليهم بالقتل وإنما صار في معنى قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾
[البرج: ٤] إما ذم، أو على معنى: لعن، أو نحوها، والخراصون: جمع (خراص)
قال الإمام الهادي عليه السلام في (تفسيره): «الكذابون».

﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴿١٢﴾ يَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ لا يفكرون ولا ينظرون
مع كونهم في جهل لكنهم لا يطلبون المعرفة.

﴿١٢﴾ يَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ مع جهلهم وسهولهم يسألون ويمجادلون في اليوم الآخر
﴿أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ﴾ مثل قولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨،
وغيرها] أيان بمعنى متى يوم الدين لنرى مدى صدق المنذر.

تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ ؕ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْآلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٨﴾

﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٦﴾ هذا جواب ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ هو ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يعذبهم الله في جهنم.

﴿١٧﴾ ذُوقُوا ﴿١٨﴾ يقال لهم: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ بمعنى عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ حين كنتم تقولون: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ وتستعجلون به مبالغة منكم في التكذيب به.

﴿١٥﴾ إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ في مقابل ما أخبر به من مصير الكافرين ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين تحن الأرض أي تغطيها، ﴿وَعُيُونٍ﴾ جداول الماء تسقيها.

﴿١٦﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴿١٧﴾ منتفعين به يأكلون ويتلذذون بما أنعم الله به عليهم من كل شيء، وليس كما في الدنيا قد يكون الإنسان غنياً ولكنه يضطر للحمية من كثير من الملذات خوفاً من المرض إذا كان يعاني من مرض السكر أو نحوه، أما الجنة فلا يضرهم شيء ولا ينقص عليهم شيء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ هذا هو السبب في نعيمهم وهذا الجزاء الكريم وهو أنهم كانوا قبل ذلك في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ جادين في طاعة الله، واجتناب الظلم لعباد الله، والإحسان إلى من هو أهل للإحسان.

﴿١٧﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْآلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٨﴾ مثلاً يقوم الثلث الأخير أو نحوه، فيكون نومه قليلاً بالنسبة إلى مقدار عادة عامة الناس في النوم لأنه قال: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢٠] فقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثنى القليل، ثم قال: ﴿يَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢٣] فجعل القليل نصفه تقريباً، فهو قليل بالنسبة إلى عادة معظم الناس في النوم، ومعنى ﴿يَهْجَعُونَ﴾ ينامون، كأن الهجعة رقدة خفيفة، ولعل هذا في وقت وجوب القيام في أول الإسلام فنسخ كما تفيد (سورة المزمل).

وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا

﴿١٨﴾ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وقت السحر وبدايته عندما تطلع نخلة الفجر وهي الضوء العمودي المنبعث من جهة المشرق، فالمتقون يداومون على الاستغفار في هذا الوقت لأنهم يكونون خائفين من ذنوبهم.

﴿١٩﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ يجعلون فيه جزءاً معيناً للسائل وهو من يجرؤ على السؤال وللمحروم وهو الفقير الذي يستحي أن يسأل، ولا يلتفت أحد لمعرفة وضعه المادي.

﴿٢٠﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ بعد ذكر الوعد والوعيد بدأ يذكر الدليل على قدرة الله عليه ليصدقوا أنه كائن لا بد من وقوعه فأخبر سبحانه أنه قادر على كل شيء ودليل ذلك ما نراه في الأرض من عجيب الخلق وبديع الصنع مما لا يحصى.

﴿٢١﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وفي أنفسكم كذلك آيات عظيمة في خلق الإنسان وما ركب منه من أجهزة جهاز البصر، جهاز السمع، جهاز النطق، جهاز الأكل وغيرها، آيات عظيمة وفي كل جهاز منها آيات عظيمة إذا تفكر الإنسان.

﴿٢٢﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ مكتوب لكم رزقكم وما توعدون في المستقبل في الآخرة، كأنه في السماء بمعنى مكتوب.

﴿٢٣﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ بعد ما ذكر الآيات التي تدل على قدرة الله على البعث والجزاء الذي وعد به أقسم أن ذلك الجزاء حق متيقن مثلما هم متيقنون من الكلام الذي تنطق به أفواههم.

عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ

﴿٢٥﴾ هَلْ أَتَيْتَ حَدِيثَ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٦﴾ الملائكة الذين وفدوا على إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه وعليهم - وحين دخلوا عليه توهمهم رجالاً فأضافهم وأكرمهم وإن لم يأكلوا ففيما فعله من تقرب العجل لهم وحسن الاستقبال غاية الإكرام.

﴿٢٧﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴿٢٨﴾ سلموا عليه بالنطق ﴿٢٩﴾ قَالَ سَلَامٌ ﴿٣٠﴾ رد السلام عليهم وقال: ﴿٣١﴾ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٣٢﴾ يعني: لا سابق معرفة لي بكم.

﴿٣٣﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴿٣٤﴾ قبل أن يعرفهم، راغ إلى أهله: بمعنى أنسل بصورة خفية لكي لا يعرفوا أنه بصدد الذهاب للذبح لهم وهذه من عادات الكرماء ﴿٣٥﴾ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٣٦﴾ كأنه جاء به من المطبخ وهو حيثذ جاهز للأكل.

﴿٣٧﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٣٨﴾ لما لم يمدوا إليه أيديهم.

﴿٣٩﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴿٤٠﴾ لما لم يأكلوا أنكرهم لأنه لم يكن قد عرفهم من قبل وآثر قبل التعرف عليهم أن يكرمهم ويعجل قراهم كما هي عادة الكرماء قال حاتم الطائي:

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً رشدت ولم أقعد إليه أسائله

فأطعمته من كبدها وسنامها شواء وخير البر ما هو عاجله

﴿٤١﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴿٤٢﴾ وأخبروه أنهم ملائكة ﴿٤٣﴾ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٤٤﴾ صاحب علم يمنحه الله إياه من لدنه.

فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿١١﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ
 الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا إِنَّا
 أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿١٤﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿١٥﴾ مُّسَوِّمَةً
 عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿١٦﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ فَمَا

﴿١١﴾ فَأَقْبَلَتْ أُمُّرَاتُهُ فِي صَرَّةٍ ﴿صِيحَةٌ﴾ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
 عَقِيمٌ ﴿أنا عجوز وأيضاً عقيم لا تنجب أصلاً، ولعل تصرفها بهذه الطريقة
 الصاخبة لتعرف ما إذا كان الولد منها أو أنه سوف يتزوج من جديد فيولد
 الغلام من ضررتها، كما هي عادة النساء حيال مثل هذه الأمور.﴾

﴿١٢﴾ قَالُوا كَذَلِكَ ﴿ستنجين ولداً حتى وأنت عجوز وكنت عقيماً
 أيضاً﴾ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿قد وعد الله بذلك.﴾

﴿١٣﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿ما الأمر المهم الذي جئتم من
 أجله؟ وفي هذا لفظة لطيفة فحواها: أنه لا يتصور أن الذي جاء بهم مجرد
 البشارة بالغلام وإن كان الأمر عنده هو عظيماً لكن باعتبار مستوى هؤلاء
 الرسل وعظمتهم.﴾

﴿١٤﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿نحن منطلقون إلى (قوم لوط).﴾

﴿١٥﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿حجارة أصلها من طين ولكنها قد
 تمجّرت.﴾

﴿١٦﴾ مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴿فيها علامات كالخطوط تتميز بها عن غيرها
 من الحجار وهي معدة من عند الله﴾ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿أولئك (قوم لوط) الذين
 أسرفوا في المعاصي.﴾

وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾
فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنَيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي

﴿٢٦﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في القرية التي قد فهم من السياق أنها
قريتهم ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لينجوا من العذاب وهم آل لوط.

﴿٢٧﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا﴾ القرية هذه ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ واحد ﴿مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
وهو بيت لوط عليه السلام، وبقية البيوت محكوم عليهم بالعذاب، ولعل في قوله:
﴿مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ دون أن يقول: (من المؤمنين) إشارة إلى أن زوجته لم تكن
مؤمنة وإنما كانت قد أسلمت بالنطق بالشهادتين.

﴿٢٨﴾ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ القرية ترك فيها ﴿آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾
بقايا خراب تذكر الناس ما وقع على قوم لوط، ولا يتذكر ويتفجع بها إلا
الذين يخافون العذاب الأليم من الله تعالى.

﴿٢٩﴾ ﴿وَفِي مُوسَى﴾ آية كذلك ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ﴾ لأنه قد كان
فر منهم وخاف أن يقتلوه بعدما قتل منهم نفساً، ولكنه جاء إليهم بسلطان
هيبة منحه الله إياها ليتسنى له تبليغ الرسالة دون أن يجرؤ أحد أن يمسه بسوء
فألبسه رداء الهيبة ﴿مُبِينٍ﴾ بين وواضح أن معه سلطاناً من الله سلطه وقواه.

﴿٣٠﴾ ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ فرعون ﴿بِرُكْنَيْهِ﴾ بمعنى أعرض ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾
قال إن موسى ساحر لما رأى الآيات العجيبة، أو مجنون، وفي كلامه هذا
منتهى السخف، لأنه لا تناسب بين ما ادعاه من السحر أو الجنون فأين
المجنون من الساحر وخداعه ومكائده العجيبة؟!

أَلَيْمٌ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٥٢﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ ﴿٥٣﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا

﴿٥١﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ فَبَدَذْنَهُمْ فِي أَلِيمٍ﴾ في البحر اختصر القصة فأخبر أنه أهلكهم ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ وهو لا يزال حاملاً لذنبه وما يستحق الذم عليه، ولم يتب منه، هذه المصيبة الكبرى، إنه أخذ وبيل إنه أخذ يؤديهم إلى عذاب دائم.

﴿٥٢﴾ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وهم كذلك فيهم آية عظيمة حين جاءت تلك الرياح المدمرة، أرسل عليهم الريح العقيم أي التي لا تبشر بخير بل بالشر، لأن الرياح تكون مبشرة بالمطر.

﴿٥٣﴾ ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ﴾ تدمر كل شيء من الشجر والمباني، والناس والدواب، وكل ما أتت عليه دمرته، وقوله: ﴿كَالرِّمِيمِ﴾ كأنه العظم الرميم المهشم.

﴿٥٤﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ كذلك الآية العظيمة حين أخذتهم الصاعقة بسبب كفرهم، ومعاندتهم لرسول الله، وعقرهم للناقة ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا﴾ بالإيمان آمنوا بالله ورسوله، ولا تقربوا الناقة لتسلموا من العذاب ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ حتى تنتهي آجالكم.

﴿٥٥﴾ ﴿فَعَتَوْا﴾ تمردوا وعاندوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فرفضوا ولم يقبلوا أمر ربهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الرجفة العظيمة.

﴿٥٦﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ بل بقوا جاثمين ما استطاعوا أن يقوموا ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ عجزوا عن أن يدفعوا عن أنفسهم العذاب،

قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ

هذه آيات للذين يخافون العذاب الأليم، العاجل في الدنيا، وهو تحذير
للموجودين في وقت رسول الله ﷺ ولمن بعدهم.

﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي عذبناهم من قبل قوم موسى، وقبل هؤلاء
الذين عددهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ خبيثة عصاة.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ هذا حديث عن قدرة الله تعالى وأنه الذي
بنى السماء بأيد: بقوة (الأيد) القوة، قال:

فَأَتَتْ أَعَالِيهِ وَأَدَّتْ أَصُولَهُ وَأَدْلَى بِقَنَوَانٍ مِنَ الْبَسْرِ أَحْمَرَا

كأنه في وصف نخل أدت أصوله بمعنى قويت ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ جعلها
واسعة؛ لأن السماء مشتملة على الأرض والنجوم والشمس والقمر
والجرات بكاملها.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ﴾ مهدناها للإنسان جهزناها له
باحتاجاته التي يحتاجها من الماء والأكسجين والتربة التي تصلح للزراعة والمشى
عليها مهدها أي فرشها كما يمهّد ويفرش للصبي.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ هذه قدرة عظيمة تنوع المخلوقات
وجعل زوجين من كل شيء لنعرف أنه فاعل مختار يخلق ما يشاء كيف ما
شاء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لأجل أن تذكروا فتعرفوا الله وتعرفوا نعمته عليكم،
لتشكروه.

إِلَهَاءَ آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ

﴿٥١﴾ ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يخاطب أهل المعاصي والشرك والجرائم ويدعوهم إلى التوبة إلى الله والفرار من عذابه، ويؤكد لهم أنه نذير ﴿مِّنْهُ﴾ من الله لهم.

﴿٥١﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ لا تشركوا به ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لتجتنبوا الشرك.

﴿٥٢﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذب هؤلاء وعاندوا كذب الذين من قبلهم .. مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ.. ﴿٥٣﴾ ولأنهم يتوارثون هذا القول، وهو قولهم: ساحر، أو مجنون، فكانهم تواسوا به ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بل توافقت قلوبهم على الطغيان فاتفق كلامهم لأنها تشابهت قلوبهم.

﴿٥٤﴾ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ هاجر من مكة لا داعي لأن تبقى عندهم قد بلغت وأدبت واجبك ولم يجد معهم شيء ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ما عليك من ملامة في الخروج والبعد عنهم لأنك قد بلغت الرسالة، وقمت بالواجب عليك.

﴿٥٥﴾ ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا تعتقد أن الهجرة تعني نهاية الدعوة بل استمر في التذكير والتعليم.

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فلهذا لا بد من الاستمرار في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، واستمر أنت على عبادة الله.

مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ
الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ
﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥٧﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ أَنَا مَا خَلَقْتَهُمْ لِأَجَلٍ
أَنْ يَرْزُقُونِي، وَلَا لِأَجَلٍ أَنْ يُطْعَمُونِي، سبحانه هو يطعم ولا يطعم.

﴿٥٨﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴿٥٨﴾ الَّذِي يَرْزُقُ عِبَادَهُ ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ الْقَوِي سبحانه
لا يثقل عليه شيء ولا يشق عليه شيء ﴿الْمَتِينُ﴾ ذُو الْاِقْتِدَارِ وَالشَّدَّةِ كَأَنَّهُ
مِثْلُهُ لِمَعْنَى الْقَوِي لَا يَوْجَدُ كَثِيرٌ فَرَقَ بَيْنَ الْمَتِينِ وَذُو الْقُوَّةِ فَهُوَ تَأْكِيدٌ.

﴿٥٩﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴿٥٩﴾ أَيِ قِسْمِهِمْ مِنْ
الْعَذَابِ وَنَصِيبِهِمْ مِنْهُ وَالذُّنُوبُ: هُوَ الدَّلُو الْمُتَمَلِّئَةُ حِينَهَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ عَلَى
بُثْرِ الْمَاءِ، فَيَنْتَظِرُ كُلُّ وَاحِدٍ نَوْبَهُ لِيُدْلِيَ بِدَلْوِهِ وَيَحُوزَ نَصِيبَهُ مِنَ الْمَاءِ، كَمَا قَالَ:
لَكُمْ ذُنُوبٌ وَلَنَا ذُنُوبٌ فَإِنْ أَيْتَمَ فَلَنَا الْقَلِيبُ

فهذا تمثيل لقسمة الماء بالدلو، يعني أن هؤلاء المشركين سينالهم نصيبهم من
العذاب مثل ما جاء لمن قبلهم ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِي بِالْعَذَابِ.

﴿٦٠﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
فَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْعَذَابِ الْعَاجِلِ ﴿فَوَيْلٌ﴾ دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ
الْعَظِيمِ الَّذِي يَأْتِي بِعَذَابِهِمْ، لِأَنَّهُ ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾

التفسير في التفسير



سورة الطور



سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالطُّورِ ﴿١﴾ الظاهر: أنه الطور المعهود الذي واعد موسى ربه للميقات فيه أقسم الباري سبحانه به.

﴿٢﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ هذا الكتاب يمكن أنه من كتب الله سبحانه، إما القرآن أو غيره.

﴿٣﴾ فِي رَقٍّ ﴿٣﴾ (الرق) الذي يكتب فيه وهو جلد رقيق كما الورقة مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ إما ليكتب وإما ليقرأ.

﴿٤﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ عندي أنه الكعبة التي هي معمورة بالحج والعمرة، هذا هو المتبادر عند العرب أن البيت المعمور هو الكعبة.

﴿٥﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ السماء.

﴿٦﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ كأنه المراد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] حين تسجر البحار يوم القيامة وعندي أن تسجيرها إشعالها ناراً حتى تنتهي، لأن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ولأن في باطن الأرض برأ وبحراً كثيراً من البترول، فإذا جاءت الزلزلة تفجر البترول بين البحار وأمكن أن تحترق، وقد تكون كذلك البراكين التي تتفجر بالنار بين البحار.

﴿٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ هذا جواب القسم أي الذي قد وعد الله به أعداءه لا بد من وقوعه.

لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾
فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

﴿٨﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ وهذا يرد على المشركين الذين قالوا إن شركاءهم
سيشفعون لهم عند الله فيدفع عنهم العذاب.

﴿٩﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ كأنها تضطرب حين تتمزق وتتفتح أبواباً
مثل قوله: ﴿أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾
[الملك: ١٦] تتموج مع تمزقها.

﴿١٠﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ كذلك لأنها قد طُحِنَتْ وصارت غباراً يحمله
الهُوى فهذا ظرف لوقوعه حين قال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ في هذا اليوم
يوم القيامة.

﴿١١﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ دعاء عليهم بالويل والهلاك، أو هو وعد
لهم بالهلاك بمعنى العذاب الشديد. المكذبين الذين كذبوا بآيات الله وكذبوا
باليوم الآخر، وهو مترابط إذا كذبوا بآيات الله كذبوا باليوم الآخر.

﴿١٢﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يخوضون في آيات الله بأقوال مختلفة مرة
يقولون أساطير الأولين وكل مرة ولهم دعوى مخالفة للأولى. ﴿يَلْعَبُونَ﴾ غير
جادين لمعرفة حقيقة الأمر فلم ينظروا أو يفكروا ولم يستعملوا عقولهم حتى
يعلموا أنه الحق.

﴿١٣﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ أذكر يوم يدعون، الدُّعْ: هو
الدفع بعنف وقت سوقهم إلى نار جهنم.

أَفْسَحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَيَكْهِنُونَ بِمَا آتَاهُمُ رَبُّهُمْ وَوَقْلَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا

﴿١٥﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسَحَرُ هَذَا..﴾ أي القرآن هل هو سحر، بحسب ما كانوا يقولون ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أم أنكم لا تبصرون أنه حق وصدق وليس سحراً، والآن يعرفون الحقيقة حين يقال لهم:

﴿١٦﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ سواء الصبر وعدمه لأنه عذاب شديد كما قال: ﴿فَلْيَنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [نصحت: ٢٤] يعني ليس صبراً على شيء ينفع فيه الصبر لأنها جهنم ﴿إِنَّمَا تُحْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأنها جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا.

﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ هذا في مقابل ما ذكر عن أهل النار. ﴿فَيَكْهِنُونَ﴾ فرحين مستبشرين ﴿بِمَا آتَاهُمُ رَبُّهُمْ﴾ من النعيم والجنات ﴿وَوَقْلَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ نجاهم منه وهذا أكبر فائدة حين نجاهم من النار.

﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هنيئاً لكم هذا النعيم الذي أنتم فيه وهو لكم جزاء على ما كنتم تعملون.

﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ كأن الغرفة نفسها يكون فيها سرر مصفوفة يتكئ على أيها شاء ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ الحور العين نساء أهل الجنة ذات الحور في الأعين، والعين واسعات الأعين.

بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴿١١﴾ كُلُّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿١٢﴾
وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٣﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ
وَلَا تَأْنِيْمٌ ﴿١٤﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿١٥﴾ وَأَقْبَلَ

﴿١١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١٢﴾ من أهل الجنة ﴿١٣﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيْمَنِ ﴿١٤﴾ كذلك
كان ذريتهم مؤمنين مثلهم ﴿١٥﴾ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴿١٦﴾ في الجنة لتقر بهم أعينهم
حين يجتمعون معهم في الجنة ﴿١٧﴾ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ ﴿١٨﴾ ما نقصنا عليهم ﴿١٩﴾ مِّنْ عَمَلِهِمْ
مِّنْ شَيْءٍ ﴿٢٠﴾ مقابل أنا قد قربنا أولادهم منهم ﴿٢١﴾ كُلُّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢٢﴾
كل واحد محضر بعمله، فعملهم لهم لا ينقص عليهم منه شيء الآباء
وأولادهم.

﴿٢٣﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ ﴿٢٤﴾ أهل الجنة كلهم مدداً يكون مستمراً ﴿٢٥﴾ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ
مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٦﴾ قدمت الفاكهة قبل اللحم كأنه المناسب في أكل الفاكهة أن
تكون الأولى وتفتح الشهية للحم، واللحم بعدها يكون مكملًا للغذاء.

﴿٢٧﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴿٢٨﴾ الكأس من الخمر كأنه يأخذه واحد والثاني
ينازعه ليأخذه هو تنازع مزاح لا تنازع شقاق ﴿٢٩﴾ لَا لَغْوٍ فِيهَا ﴿٣٠﴾ هذه الخمر عند
شربهم لها لا يصحبها كلام سيئ كما هي عادة خمر الدنيا يصحبها شتم
وكلام شنيع ﴿٣١﴾ وَلَا تَأْنِيْمٌ ﴿٣٢﴾ كأن يقول يا عدو الله يا فاجر يا خبيث، كعادة
السكراني في الدنيا يتلاعنون، يؤثم بعضهم بعضاً هذه خمر الآخرة لاشيء
فيها من هذه الأمور السيئة.

﴿٣٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴿٣٤﴾ لخدمتهم ﴿٣٥﴾ غِلْمَانٌ هُمْ ﴿٣٦﴾ مملوكون لهم ﴿٣٧﴾ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ
مَّكْنُونٌ ﴿٣٨﴾ نفس الغلمان لشدة بياضهم وصفاء أجسادهم مثل اللؤلؤ المكنون
المغطى في أخبثه بعيداً عن الغبار أو نحوه فهو محتفظ بصفائه ورونقه.

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ

﴿٢٥﴾ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ كأنه يتساءلون في أسباب دخولهم الجنة، ولعله لما يرون من قلة أهل الجنة، فيسأل كل واحد صاحبه: كيف جئت وكيف توصلت إلى هذا النعيم المقيم؟

﴿٢٦﴾ قَالُوا﴾ أجابوا أن السبب هو: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ كنا في حذر من عذاب الله، حذرين متورعين.

﴿٢٧﴾ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أنعم علينا ووقفنا فدخلنا الجنة ﴿وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ نجانا من عذاب النار التي فيها السموم، كأنه الهواء الحار الشديد الحرارة الذي يدخل في المسام أو داخل الأنف مع التنفس.

﴿٢٨﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ هذا كأنه السبب الأول مع الحذر أننا كنا ندعو الله أن يوقفنا ويحسن خاتمتنا وينجيننا من النار، كنا ندعوه ونحن في الدنيا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ﴿الْبَرُّ﴾ المحسن المتفضل الرحيم بعباده المؤمنين الذين يرجعون إليه.

﴿٢٩﴾ فَذَكِّرْ﴾ يا رسول الله إذا كانوا يريدون أن يدخلوا الجنة ويسلموا من النار، ذكرهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ما أنت بكاهن ولا مجنون كما قال الكفار، بل إنك رسول من الله فذكرهم فأنت بنعمة ربك كامل العقل راجع العقل.

تَرْبُصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٦٠﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلِمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٦١﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ دَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٢﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٦٣﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٦٤﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٥﴾ أَمْ

﴿٦٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ ﴿شَاعِرٌ﴾ الْكُفَّارُ ﴿شَاعِرٌ﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا نَبِيٌّ لَيْسَ إِلَّا شَاعِرًا نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ﴾ نَنْتَظِرُهُ حَتَّى تَأْتِيَ مَنِيتُهُ وَيَمُوتَ وَتُنْهَى قَضِيَّتُهُ.

﴿٦١﴾ قُلْ تَرْبُصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿انْتَظَرُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنْتَظِرِينَ لِلْمَوْتِ﴾.

﴿٦٢﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلِمُهُمْ عَقُولَهُمْ ﴿بِهَذَا﴾ الْكَلَامَ حِينَ يَقُولُونَ: شَاعِرٌ أَوْ كَاهِنٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أَيُّ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ، هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ، فَالطَّغْيَانُ يَحْمِلُهُمْ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ، وَقَدْ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ.

﴿٦٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ دَ تَقُولُ هَذَا الْقُرْآنَ قَالَهُ هُوَ وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لَيْسُوا أَهْلًا لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ، فَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهُمْ عَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ.

﴿٦٤﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴿بِمَعْنَى فِي دَرَجَتِهِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْإِحْكَامِ، وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ﴾ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿أَنَّهُ إِنَّمَا تَقَوَّلَهُ فَلْيَتَقَوَّلُوا إِذْنًا مِثْلَهُ﴾.

﴿٦٥﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴿بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَهُوَ رَبُّهُمْ الْمَالِكُ فَهُوَ إِلَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا أَنْ يُعْبَدُوا الْأَصْنَامَ الَّتِي هِيَ لَا شَيْءَ﴾ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿أَمْ هُمُ الَّذِينَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ أَوْ خَلَقُوا شَيْئًا غَيْرَهَا حَتَّى يَتَحَكَّمُوا عَلَى اللَّهِ﴾.

عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصْطَرُونَ ﴿٢٧﴾ أَمْ هُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّقْتُلُونَ ﴿٣٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٣١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ هُمُ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ

﴿٣٣﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿٣٤﴾ حتى يتكبروا هذا التكبر ﴿٣٥﴾ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ لا يقبلون الأدلة التي تفيد اليقين.

﴿٣٧﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴿٣٨﴾ تكون قسمة رحمته بأيديهم بأن يكونوا هم الذين يقسمونها كيف ما أرادوا، حين قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] غير محمد، لكن الأمر لله ورحمته بيده يختص بها من يشاء ﴿٣٩﴾ أَمْ هُمُ الْمَصْطَرُونَ ﴿٤٠﴾ الأرباب الذين يدبرون أمر الربوبية في كل شيء.

﴿٤١﴾ أَمْ هُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴿٤٢﴾ يصعدون فيه إلى السماء يستمعون إلى الملائكة مباشرة وليسوا بحاجة إلى هذا القرآن ﴿٤٣﴾ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ ﴿٤٤﴾ إذا كان الأمر كذلك فليأت مستمعهم الذي يستمع إلى الملائكة ﴿٤٥﴾ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٦﴾ بدليل بين واضح على ما يدعيه من أنه قد استمع وسمع كلام الملائكة.

﴿٤٧﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ ﴿٤٨﴾ أم له البنات على ما تدعون سبحانه ﴿٤٩﴾ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٥٠﴾ يستهجن كلامهم ويبين أنهم على غير الطريق المستقيم.

﴿٥١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ﴿٥٢﴾ حين تدعوهم إلى الإيمان هل تسألهم أجراً مقابل الرسالة ﴿٥٣﴾ فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّقْتُلُونَ ﴿٥٤﴾ قد ثقل عليهم المغرم فاعتلوا عن الإيمان بسبب غرامة تركوا الإسلام خشية دفعها لثقلها عليهم.

﴿٥٥﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ ﴿٥٦﴾ فليسوا بحاجة للرسالة ولا هم بحاجة للرسول ﴿٥٧﴾ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٥٨﴾ هذا جواب يدل على أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما احتاجوا إلى الكتابة ليحتفظوا بالمعلومات.

سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٣﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٤﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا

﴿٤٢﴾ أَمْ يُرِيدُونَ ﴿٤٣﴾ بتقولاتهم هذه على الرسول ﴿كَيْدًا﴾ للنبي والرسالة لكي يبطل أمره، مثل قولهم: ﴿وَالْقَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [نصفت: ٢٦] ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ هم كادوا أنفسهم، لأنهم بذلك يسببون لها جهنم.

﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴿٤٣﴾ يتجهون إليه بالعبادة ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يشركون به من هذه الأحجار التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، ولا ينبغي ولا يليق أن تجعل أندادا لله سبحانه.

﴿٤٢﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٣﴾ من شدة عنادهم لو كان العذاب نازلاً عليهم قطعاً من السماء لقالوا إنه ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ وليس عذاباً مثل ما قال قوم عاد: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤].

﴿٤٢﴾ فَذَرَهُمْ ﴿٤٣﴾ على ما هم عليه لست مكلفاً بأن تضطرهم إلى الإيمان غصبا، ذرهم أتركهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يوم القيامة الذي يصعقون فيه لشدة أهوالها، والصعقة: هي الغيبوبة التي تأخذهم من شدة الخوف والهول.

﴿٤٢﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴿٤٣﴾ كلما كادوا به في الدنيا وعملوا من المكر لا ينفعهم يوم القيامة، أو يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ليس معهم من ينصرهم لا أصنامهم ولا غيرها.

عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

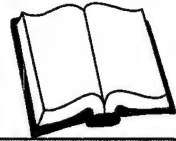
﴿٤٧﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ لَهْمٍ وَأَمْثَلِهِمْ كُلِّ طَاغِيَةٍ وَظَالِمٍ ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ فِي الدُّنْيَا مُعْجَلًا تَأْدِيًّا لَهُمْ وَتَنْبِيْهًا لِيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَهُوَ نِعْمَةٌ عَلَيْهِمْ لَأَنَّ فِيهِ تَذْكَيرًا لَهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ لِيَنْجُوا مِنَ النَّارِ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ.

﴿٤٨﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴿حَتَّى لَوْ تَعَبْتَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ﴾ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ تَحْتَ مَرَاqَبَتِنَا لَا يَغِيبُ عَنْنا مِنْ أَمْرِكَ شَيْءٌ، ثَوَابُكَ لَكَ وَعَمَلُكَ لَكَ، وَأَجْرُ تَعَبِكَ لَكَ لَا يَضِيعُ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ كَأَنَّهُ الْقِيَامُ فِي الصَّلَاةِ.

﴿٤٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴿كَذَلِكَ رُبَّمَا أَنَّهُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ أَوْ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ﴾ ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ فِي الْحَدِيثِ فِي (مَجْمُوعِ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «إِنْ إِدْبَارَ النُّجُومِ: يَعْنِي سَنَةَ الْفَجْرِ - أَيِ الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَهَا».



التيسير في التفسير



سورة النجم



سُورَةُ النَّجْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
أَهْوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرْقٍ

(سورة النجم) يظهر منها أنها من أول ما نزل في (مكة)

بدليل وصف نزول جبريل عليه السلام، لتعليم النبي ﷺ واستعمال الاسم النكرة، أعني كان
العرب ما كانوا قد عرفوا بجبريل عليه السلام

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿٢﴾ والقسم: قسم
بالنجم، قال الإمام الهادي عليه السلام: إنه عام لكل نجم مثل: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ
الْإِنْسَانَ.. ﴿٣﴾ عام لكل إنسان ليس المقصود به نجماً معيناً، أقسم به إذا هوى إذا
غرب من حيث دلالة على أنه مسخر من الله سخره للطلوع والأفول
وسيره فهو دليل على ملكوت الله أي أن هذه النجوم كلها مملوكة لله
وجواب القسم قوله:

﴿٤﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴿٥﴾ الخطاب لقريش ومن حولهم يؤكد لهم أن
صاحبهم الذي يدعوهم إلى توحيد الله وترك الشرك والباطل الذي هم عليه
أنه ما ضل فيما اتاهم به وبلغهم، ما ضل عن الطريق ولا عن الصواب
﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ يمكن أن معناه: ما خاب بل رشد بالتبليغ والإنذار.

﴿٦﴾ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ أَهْوَىٰ﴾ فيما يبلغكم وفيما يقوله لكم لا ينطق عن
هوى نفسه.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّ هُوَ﴾ هذا القرآن وهذا الكلام الذي يبلغكم عن الله ﴿إِلَّا وَحْيٌ
يُوحَىٰ﴾ إليه إلى النبي ﷺ من الله تعالى، وسمي الوحي وحياً لأنه باعتراف
أنه خفي، والعرب تسمي الدلالة الخفية وحياً.

فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ يعني: علم النبي ملك شديد القوى، ونحن لا نعرف تفاصيل عن قوة جبريل عليه السلام، إلا أن منها قوة النزول وقوة الطلوع وقوة التعليم.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ المرة، قالوا: إنها القوة العظيمة ﴿فَاسْتَوَى﴾ استوى جبريل وظهر للنبي على الهيئة المناسبة للنبي.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ استوى وهو لا يزال في الأفق الأعلى في الهواء.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ بعد ما استوى وتهايا للنزول ﴿دَنَا﴾ قرب من الأرض ﴿فَتَدَلَّى﴾ إلى جهة النبي ﷺ ليصل إلى حوله.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ قرب منه مقدار مسافة قوسين فالمسافة فيما بين جبريل ومحمد ﷺ مثل مسافة القوسين، أو مثل مسافة ما يبلغ القوس الأول ثم القوس الثاني عند الرمية بهما ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ من قاب قوسين يعني أو أقرب، وهذا التردد لا يعني الشك في المسافة بل قد يعني أنه تارة يقرب فيصير أقرب من قاب قوسين، وتارة يبعد فيصير قاب قوسين مقدار قوسين.

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ﴾ رجع الكلام إلى الوحي؛ لأنه قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ فأوحى الله بواسطة جبريل ﴿مَا أَوْحَى﴾ وهو ما يبلغه الرسول إلى أمته.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ فؤاد النبي ﷺ ﴿مَا رَأَى﴾ لأنها رؤية بصر وقلب، ما كذب فيها ليست خيالية بل هي رؤية حقيقية لأن البصر قد يخدع مثل أن يرى السراب ويظنه ماء، فهذا ما كذبه البصر بل هي رؤية حقيقية.

﴿١٢﴾ أَفْتُمِرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٥﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٦﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٧﴾ مَا

﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ أَفْتُمِرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٤﴾ هذا إنكار عليهم حين انطلقوا يمارونه ويجادلونه ويشككون عليه في شيء قد تيقنه ورآه رؤية حقيقية ببصره وقلبه.

﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٥﴾ هذه ليست هي النزلة الأولى، بل قد نزل إليه جبريل عليه السلام مرة أخرى.

﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٦﴾ رآه عند ﴿سِدْرَةِ﴾ والسدرة: شجرة العلب يسمى ثمرها الدوم أو النبق ﴿الْمُنْتَهَىٰ﴾ لعله منتهى جبريل حين نزل إلى الأرض هذا أقرب عندي، وكأن الآخرين من المفسرين اعتمدوا روايات غير موثوقة حين جعلوا سدرة المنتهى شجرة فوق السبع السموات؛ ولأنه قال: ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فصرح بالنزلة، وكذلك اعتمدوا في تحديد مكان السدرة على روايات في تفسير قوله:

﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٧﴾ فجعلوا الجنة حقيقة هناك فوق السبع السموات، لكن الجنة عرضها السموات والأرض فكيف يمكن تحديدها بأنها هي عند سدرة المنتهى، لا أن سدرة المنتهى عندها! هذا بعيد، وعندي أن المقصود أن هذا الوحي الذي جاء به جبريل حين نزل فكأنه جاء بالجنة لأنه جاء بتعريف طريقها وتعليم أسبابها مثل ما قال في الحديث: «الجنة تحت ظلال السيوف» «الجنة تحت أقدام الأمهات» بمعنى سبب الجنة، كما يبعد أن تكون بمعنى بستان في مكان ما في الدنيا، وكذا كونها جنة مؤقتة في السماء تستقر فيها أرواح الأنبياء والشهداء لأنه قال جنة المأوى ولا من جنة مأوى إلا المعهودة التي قال في (سورة النازعات): ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [آية: ٤١] والله أعلم.

زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿٤﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿٥﴾ أَفَرَأَيْتُمْ
 آلَتَ الْغُرَى ﴿٦﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَى ﴿٧﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴿٨﴾
 تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٩﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا

﴿٩﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٠﴾ اذكر.. وذلك عند نزول جبريل عليه السلام،
 وحين غشي السدرة من البركات والخير والهدى والنور شيء عظيم مع
 نزوله على السدرة على ضخامته وعظمه.

﴿٤﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿٥﴾ ما زاغ بصر الرسول، مثل قوله: ﴿مَا
 كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ يعني: ما زاغ بصره حتى يرى الشيء على غير حقيقته،
 ولا طغى، مثلاً بأن يكبر الشيء الصغير مثلما يرى بالمجهر.

﴿٥﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿٦﴾ رأى آيات كبرى عظيمة لعلها
 نفس جبريل لأنه من آيات ربه وقد يكون جبريل عند نزوله أراه آيات من
 آيات ربه ليعلم أنه رسول من الله.

﴿٦﴾ أَفَرَأَيْتُمْ آلَتَ الْغُرَى ﴿٧﴾ بعد ما بين أنه رسول حق من الله
 سبحانه عاد إلى ذكر أصنامهم التي يعبدونها: اللات والعزى ﴿٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ آلَتَ
 وَالْعُزَى * وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَى ﴿٩﴾ أصنام مؤنثة معددة يعبدونها، ويعينون
 لكل أناس إلهاً هذا ضلال كبير.

﴿٨﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴿٩﴾ حين جعلوا الملائكة، وكذلك هذه الأصنام
 أنثوا كأنهم جعلوها رمزاً للملائكة احتج عليهم كيف يجعلون لله ما
 يكرهون وهي الإناث ولهم الذكور فقال:

﴿٩﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿١٠﴾ بمعنى جائرة بعيدة عن الصواب فاسدة.

أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿١٢﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ﴿١٣﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿١٤﴾ وَكَرَّمْنَا فِي السَّمَاءِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ

﴿١٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴿١٣﴾ ما هي بشيء، بل هي مثل ما كانت قبل التسمية سواء فكما أنها قبل التسمية لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر، وليس منها أي فائدة إلا إذا بنوا بها بنيانا فبعد التسمية هي كذلك لم يحدث شيء إلا الاسم قلدتم آباءكم في ذلك ﴿١٤﴾ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴿١٥﴾ ما أنزل بها من حجة تدلكم على عبادتها.

﴿١٥﴾ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴿١٦﴾ لا يوجد سلطان ليس معهم إلا ظن وتخمين لاستمرارهم وآبائهم من قبل على عبادتها ﴿١٧﴾ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴿١٨﴾ وما تهوى أنفسهم لما اعتادوها وألفوها صارت أنفسهم تهواها وصاروا يتعصبون لها.

﴿١٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٠﴾ هذا الذي جاء به الرسول ﷺ وجاءت به الرسل من قبله - صلوات الله عليهم - وهو إبطال الشرك والإنذار بالآخرة.

﴿٢١﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ﴿٢٢﴾ كلا.. لأن الحكم ليس إلا لله وحده، وهم إنما يمتنون أنفسهم بالجنة إذا رجعوا إلى الله كما قال: ﴿وَلَكِنَّ رُجُوتُ إِلَهِ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠] وهذا غير صحيح إنما هو أمني.

﴿٢٣﴾ فَلِلَّهِ ﴿٢٤﴾ وحده ﴿٢٥﴾ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٦﴾ فإذا كانت الآخرة والأولى له وحده فهو الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء وليس على ما تمنوا.

يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى ﴿٣٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٣٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿٤٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

﴿٣٦﴾ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أملاك كثيرة جداً لو شفعوا في واحد فإنها ﴿لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ لا تدفع شيئاً ولا تنفع أحداً ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ لا تغني إلا من بعد أن يأذن لمن يشاء، وأيضاً من بعد أن يرضى بشفاعته وليس فقط يجامل أو يخرج حتى يوافق جل سبحانه بل لا بد أن يكون قد رضي به، حتى يجتمع الإذن والرضا.

﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى﴾ رجع الحديث إلى هؤلاء المشركين الذين يقولون في الملائكة أنهم بنات الله سموهم تسمية الأنثى.

﴿٣٨﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ ليس معهم أي علم وإنما خرافات جاهلية ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ الظن لا يدفع الحق ولا يبطل الحق مثل قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَّا نَصِيًّا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧] تكفوننا وتحملون عنا نصيباً من النار.

﴿٣٩﴾ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي تولى عن القرآن، لأنه الحجة على الرسالة، الذي جاء ليدل على أنه رسول، وقد عجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله.

﴿الن﴾ الْأَرْضَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى
الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ
الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَّةٌ فِي بُطُونِ

والذكر هو القرآن قال سبحانه: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ
عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه: ٩٩-١٠٠] والآية الثانية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا﴾
[طه: ١٢٦] فبين أن الذكر هو القرآن وفي آيات (فصلت): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [آية: ٤١] فأعرض عن من تولى عن ذكرنا
الذي هو حجة على أنك رسول من الله، وتولى عنه لئلا يؤمن بأنك رسول
ولا يؤمن بما جئت به.

﴿..وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ..﴾ لأنهم في
غفلة عن الآخرة لم يعلموا بالجنة ونعيمها وما فيها من الملك العظيم لا
يفكرون إلا في الدنيا فصارت مبلغهم من العلم غاية ما يعرفونه ويريدونه
ويرغبون فيه مثل البهائم التي لا تعرف ولا يهتمها إلا المرعى والماء وحاجاتها
تلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ يبين
لك أنهم ضلّال وأنهم جهال لا يعلمون بشيء لأنه يقول ذلك وهو عالم
بالناس كلهم من ضل عن سبيله ومن اهتدى.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الجن والإنس والملائكة وكل
ما في السموات والأرض هو لله وحده ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا
وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ما خلقهم إلا لهذا الشأن ما خلقهم عبثا
ولعبا ثم فسر ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ فقال:

﴿أَمْهَتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿١١﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ ﴿١٣﴾ ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ ﴿١٤﴾ ﴿أَمْ لَمْ

﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿يَحْتَبُونَهَا كُلَهَا﴾ ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ ﴿١٦﴾ الزلات التي تأتي ولا يصرون عليها مثل ما قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فهذا عندي أنه اللمم بمعنى أن تلك الزلة إذا تابوا منها ولم يصروا عليها فإنها لا تخرجهم عن جزاء الإحسان هذا الذي قد وعدهم به.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقبل التائب ولو تاب من ذنوب كثيرة، فهو واسع المغفرة ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من التراب ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الإنسان في بطن أمه يسمى جنيناً لأنه مخفي مستجن لا يرى ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يمتدح الإنسان نفسه أنه مؤمن متقي لا يعصي الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ لأنه يكفيننا علمه إذا كنا مؤمنين، فالباري هو العالم بنا لا يحتاج إلى التزكية.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ تولى عن الحق هذا كأنه قصة لشخص ما.. تولى.

﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾ كأنه أعطى عطية لواحد على أن يحمل عنه ذنوبه، جهالة منه ﴿وَأَكْدَى﴾ وأخيراً أكدى أي قطع ومنع ما كان يعطي من القليل، يقولون شاة مكديّة حينما ينقطع لبنها.

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ هل هو عالم بأن غيره يمكن أن يحمل ذنوبه عنه حين يعطيه ذلك العطاء.

﴿وَالْأُنثَىٰ﴾ ٥٤٠ ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ٥٤١ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَىٰ﴾ ٥٤٢ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ ٥٤٣ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَىٰ﴾ ٥٤٤ ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ ٥٤٥ ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ﴾ ٥٤٦ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ ٥٤٧

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ هذا من دلائل قدرته ودلائل عظمته.

﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ نطفة مستوية في رأي العين نطفة الذكر ونطفة الأنثى لا يوجد تمييز ولا فرق، ثم ميز بينهما الباري وخلقهما، وجعل هذا ذكراً وتلك أنثى.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ﴾ على الله ﴿النَّشَأَ الْآخِرَىٰ﴾ البعث بعد الموت، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا يَمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الوهاب المعطي المنعم على عباده ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ هو مثله القني الذي يتقناه الإنسان من غنم أو بقر أو نحوها. فهي من الله.

﴿وَأَنَّهُ﴾ أي الله الذي هو ربنا ﴿هُوَ رَبُّ الشَّعَرَىٰ﴾ النجم الذي يعبد بعض الجاهلية، فالله هو رب هذا النجم الذي هو مثلهم مملوك لله، سبحانه.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ أهلكهم سبحانه بذنوبهم حين كذبوا الرسل، يقولون: أن هناك عاد إرم وعاد شداد فلعل عاداً الأولى هي عاد إرم التي ذكرها في (سورة الفجر).

﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ﴾ كذلك أهلكهم فما أبقي عليهم يعني استأصلهم وقضى عليهم ولم يبق على أحد منهم.

﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّيْهَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا

﴿٥٢﴾ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أهلكهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ كلهم كذبوا الرسل وهمت كل أمة برسولهم فأهلكهم الباري ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ قوم نوح كانوا أظلم وأطغى من هؤلاء الذين ذكروا قبلهم.

﴿٥٣﴾ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ كذلك ﴿أَهْوَى﴾ بمعنى أهلكها، المؤتفكة كأنهم أناس كانوا على حق ثم انقلبوا إلى الباطل لأنه سماهم المؤتفكة ولا يصح عندي أنهم قوم لوط كما يزعم من بنى على أنها كانت سبع قرى وحملها جبريل على جناحه إلى عنان السماء ثم قلبها.

فهذه القصة مخالفة لما في القرآن الذي صرح بأن عذابهم كان بالرجم بحجارة من سجيل وأخبر أن آثارهم باقية حين قال: ﴿وَأَنكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَيَاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨] يعني أنه بقي منها من نفس بيوتهم بقايا تدل على تعذيبهم، وعلى قولهم: إنه حملها فوق جناحه وقلبها لا يمكن أن يبقى لها أثر، كما أن القرآن أخبر أنها لم تكن إلا قرية واحدة حين قال: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: ٥٦].

﴿٥٤﴾ ﴿فَغَشَّيْهَا﴾ من العذاب ﴿مَا غَشَّى﴾ مثل قوله في قوم فرعون: ﴿فَغَشَّيْهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيْهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

﴿٥٥﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ﴾ فبأي نعم الله عليك ﴿تَتَمَارَى﴾ أي تشك، لأن نعم الله على رسول الله ﷺ نعم عظيمة ومن أعظمها هذا الهدى الذي جاءه من الله.

مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

﴿٥٩﴾ هَذَا القرآن ﴿٥٨﴾ نَذِيرٌ مِّنَ النَّذَرِ الْأُولَى ﴿٥٧﴾ مطابق للنذر الأولى مما جاء به الرسل الأولون.

﴿٥٧﴾ أَرَفَتِ الْأَرْفَةُ ﴿٥٦﴾ قربت القيامة؛ ولأنها أمر عظيم عظيم فينبغي الحذر والاستعداد لها مادام قد أخبر سبحانه بأنها قد قربت.

﴿٥٨﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٩﴾ لا يقدر أحد أن يردّها من الله، سيأتي بها الباري ولا من أحد يردّها.

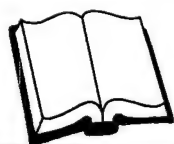
﴿٥٩﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٨﴾ القرآن العظيم الذي هو خارق في حكمته وإحكامه بحيث ما استطاعوا أن يأتوا بسورة من مثله ﴿تَعْجَبُونَ﴾ فقط يتعجبون منه ولا يؤمنون به.

﴿٦٠﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٥٩﴾ ما كان ينبغي لكم إلا أن تبكوا على أنفسكم لأنكم سائرون على طريق النار نعوذ بالله، فما يحق لكم إلا أن تبكوا على أنفسكم لا أن تضحكوا.

﴿٦١﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦٠﴾ لاهون لاعبون مثلما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

﴿٦٢﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ ﴿٦١﴾ إيماناً به وبرسوله وبكتابه، ولا تسجدوا للأصنام ﴿وَاعْبُدُوا﴾ اعبدوا الله، أو: واعبدوا الله عبادة خالصة.

التفسير في التفسير



سورة القمر



سُورَةُ الْقَمَرِ

آيَاتُهَا
٥٥

مُتَشَبِّهَاتُهَا
٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ ۖ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ ﴿١﴾ اقتربت القيامة، لأنها أمر كبير وعظيم جداً، فقرَّبها على قدر عظمتها وأهميتها ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ انشقاق القمر منصوص عليه أنه قد انشق، وظاهره أنه قد وقع، ولا يبعد أن الشامة التي في القمر هي من أثر الانشقاق - والله أعلم.

وأما في (تفسير الإمام الهادي) فهو جعل انشقاق القمر مثل ونفخ في الصور ونحوها، يعني: أنها من أهوال القيامة وأنها ستأتي عند القيامة، لكن عندي أن انشقاق القمر أمر لا يصل إلى حد أن يكون من أهوال القيامة لأن أهوال القيامة قد يمكن أن تتصادم الشمس والقمر، كما قال: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩] لعله يعني تدمر كلها.

﴿٢﴾ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً ﴿٢﴾ من آيات القرآن من كتاب الله، أو آية من معجزات الرسول ﷺ من بقية المعجزات من غير القرآن لأن القرآن مسموع لا مرئي فيمكن أنه يراد آية من آيات النبوة المعجزات الأخرى مثل فيضان الماء من بين أصابعه ﷺ، وقالوا إن انشقاق القمر من معجزاته، وإذا كان من المعجزات فهو مناسب لقوله ﴿وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً﴾ يعني يروا هذه المعجزة: انشقاق القمر ﴿يُعَرِّضُوا﴾ لا يفكرون فيها حتى ينظروا ما تؤدي إليه وما تدل عليه ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ لما كان القرآن يتنزل شيئاً فشيئاً فلعل المعجزات تأتي تباعاً كل مرة تأتي معجزة، فلهذا قالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ يعني يتكرر إنزال الآيات كل يوم.

جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿١﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ﴿٢﴾ فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ ﴿٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكَرٍ ﴿٤﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ

﴿١﴾ وَكَذَّبُوا ﴿٢﴾ لما كذبوا بالآيات كذبوا بما تدل عليه من القيامة والنبوة وكون القرآن من الله كلها كذبوا بها ﴿٣﴾ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٤﴾ ليس معهم دليل ولا حجة يعتمدون عليها وإنما اتباع للأهواء ﴿٥﴾ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٦﴾ كل أمر مما قد قالوا به أو فعلوه مستقر ثابت لا يفوت على الله بل هو محفوظ لأنه بكل شيء محيط لا يفوت عليه شيء.

﴿١﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ ﴿٢﴾ النذر التي تنذرهم عذاب الله ﴿٣﴾ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ أصل النبا الخبر المهم، وهذه الأنباء: أنباء القيامة، وأنباء الجنة والنار، وأنباء الأمم الماضية، وما قد وقع عليهم بسبب تكذيب الرسل، هذه كلها فيها ﴿٥﴾ مُزْدَجَرٌ ﴿٦﴾ أي ما يدعوهم إلى الإنزجار.

﴿١﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ﴿٢﴾ القرآن الذي جاءهم هو ﴿٣﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ﴿٤﴾ من الله تعالى ﴿٥﴾ فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ ﴿٦﴾ فهي إنذارات عظيمة ينبغي أن ينزجروا لها لكن لم تجد نفعا لإصرارهم وتكذيبهم وإعراضهم، المهم أنها ما أثرت فيهم النذر.

﴿١﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴿٢﴾ يا رسول الله حينما لم ينصفوا ولم ينظروا ولم يفكروا في الآيات بل ظلوا معرضين مصرين فتول عنهم لا تجادلهم ﴿٣﴾ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴿٤﴾ انتظرهم لهذا اليوم، إحالة الأمر ليوم ﴿٥﴾ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكَرٍ ﴿٦﴾ يوم القيامة تنكره نفوسهم؛ لأنه يوم عسير على الكافرين غير يسير فيه أهوال مفزعة.

يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ * كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا

﴿٧﴾ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ من الخوف قد بدت آثار الذلة عليها ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ لكثرتهم وانتشارهم في الأرض وقت خروجهم، ذاهبين إلى موضع الحساب، والعرض على الله.

﴿٨﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ قال الإمام الهادي في (تفسيره): مسرعين، وهو مناسب لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المارج: ٤٣] مع أنه في أمر مخوف جداً لكن من الذلة قد انقادوا واستسلموا فانطلقوا مسرعين في مشيتهم ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ الذي يدعوهم إلى محل العرض على الله ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ قد عرفوا أنه يوم القيامة وقد جاءهم الإنذار في الدنيا وعرفوه أنه يوم الأهوال العظيمة فهو ﴿عَسِرٌ﴾ عليهم ليس معه يسر، وإنما عسر خالص.

﴿٩﴾ كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قبل هؤلاء الذين في زمن الرسول محمد ﷺ كذبوا بالآيات ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ كذبوا نوحاً عليه السلام، وهو عبد الله كأنها تفضيل له بهذا الاسم، مثل قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] يعني: أن له شأنًا عظيماً وهو مقرب عند الله، والتكذيب جريمة كبيرة ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ ما كفاهم أن يكذبوه حتى قالوا: إنه مجنون ﴿وَازْدُجِرَ﴾ زجره وحملوه على أن يمتثل الزجر يعني يترك الدعوة.

أَبْوَابِ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ
 قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ
 كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي

﴿١١﴾ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ لا أنصار معي يدفعونهم وأنا ضعيف وهم
 أقوياء ﴿فَانْتَصِرَ﴾ انتصر لدينك يا رب.

﴿١٢﴾ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ﴾ كناية عن نزول الماء من كل آفاق
 السماء ﴿مُنْهَرٍ﴾ أي غزير.

﴿١٣﴾ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تنبع من كل مكان حتى من تنور نوح نبع
 الماء ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ قد قدر الباري أن ينبع الماء من
 الأرض وينزل من السماء ليغرقوا ﴿قُدِرَ﴾ بمعنى (كتب) كقوله:

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر في الصحف الأولى التي كان سطر

أمرك هذا فاجتنب منه التبر

﴿١٤﴾ ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ نبي الله نوح ﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ على سفينة ذات
 الألواح ﴿وَدُسُرٍ﴾ كأنها مسامير تضم الألواح إلى اللوح، وتضم بعضها إلى بعض.

﴿١٥﴾ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ تحت رقابتنا تحت رعاية الله تجري فوق الماء لم تكن
 واقفة في مكانها إنما جرت حيث أراد الباري أن يوصلها ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ
 كُفِرَ﴾ نجاته ومن معه في هذه السفينة كان جزاء لني الله الذي كان كفره
 قومه، جحدوا نبوته وكفروا بإنعامه عليهم وإحسانه إليهم والسعاية في
 نجاتهم من النار، وإنقاذهم من عذاب الله ولم يترك وسيلة إلا وعملها فهو
 أحسن إليهم إحساناً عظيماً، وصبر عليهم زمناً طويلاً، ألف سنة إلا خمسين
 ولم يجد ذلك نفعاً فهذا جزاء لني الله نوح نصره عليهم.

وَنُذِرِ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿١٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٤﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي

﴿١٥﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا ﴿١٦﴾ هَذِهِ السَّفِينَةُ ﴿١٧﴾ لَأَنهَا بَقِيَتْ عَلَى الْجُودِيِّ زِمْنًا طويلاً ويقال إنه بقيت أجزاء منها إلى اليوم في أحد المتاحف كانه في روسيا كما قيل فبقيت كذلك آية تذكر بعذاب الله على قوم نوح ونجاة نوح ومن آمن معه ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ كان كلمة ﴿مُدَكِّرٍ﴾ افتعال للمطاوعة، أعني أنه فعل المطاوعة من قولهم: ذكرناه فاذكر أصله أذتكر، ثم تصرف فيها فصارت اذكر، وهو يفيد: أنه تذكر مطاوعة وقبولاً للتذكيرنا وإيماناً به.

﴿١٦﴾ فَكَيْفَ ﴿١٧﴾ انظروا وفكروا كَيْفَ ﴿١٨﴾ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿١٩﴾ التي قد تقدمت إلى قوم نوح هل كانت سهلة أم كانت شديدة فليحذروا أن يقع عليهم مثلها، وهو تحذير لكل المكلفين وليس لمن في زمن النبي ﷺ فحسب.

﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴿٢١﴾ لِيَذْكُرَ بِهِ النَّاسُ وَتَهْتَدِي بِهِ قُلُوبُهُمْ ﴿٢٢﴾ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٣﴾ هل من قابل للتذكير ينتفع به .

﴿٢٤﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ﴿٢٥﴾ جَعَلَهُمْ عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ حِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ﴿٢٧﴾ عَلَيْهِمْ ﴿٢٨﴾ وَنُذِرِ ﴿٢٩﴾ نذري التي تقدمت إليهم كيف آلت بهم.

﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴿٣١﴾ فَسَّرَ الْإِمَامُ الْهَادِي (الصرصر) بالباردة، وهو ظاهر لأن من شأنها إذا كانت رياحاً شديدة أن تكون باردة ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ يوم شؤم عليهم يعني: يوم تعذيبهم، وهو يومهم الذي وُعدوا به لما كذبوا وسماه يوماً، مثل قوله: ﴿وَذَكَّرْهُمْ يَوْمَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥].

وَنُذِرُ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَبْتَ ثُمُودُ
بِالنُّذُرِ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ وَسُعْرٍ ﴿١٩﴾

فهو يسمي وقت العذاب الشديد يوماً، وكذا وقت الحرب كما يقال: (يوم صفين) (يوم الجمل) مع أنه عدة أيام، فكذلك هذا ﴿فِي يَوْمٍ خَسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ وهو أيام استمرت الرياح عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَكَمَانِيَّةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧].

﴿تَنَزَّعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعٍ﴾ يصف قوتها أنها تنزع الناس من الأرض ترفعهم في الهواء وترمي بهم كأنهم أعجاز نخل لضخامتهم مثل النخلة حين تنقعر أي تقلع يجذورها.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ما كان سهلاً بل كان أمراً عظيماً فاحذروه.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ هذا تأكيد لما سبق من أن الله قد يسره وسهله لفهمه والتذكر به لينتفع به الناس ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ فهل من أحد يتذكر ويقبل هذا التذكير ويؤمن وينتفع به.

﴿كَذَبْتَ ثُمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ بعد عاد.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ نبي الله صالح، ليس إلا وحده يريد أن يفرض نفسه علينا، كأنهم اعتبروها دكتاتورية، ولكن لم يلتفتوا إلى أنه ليس إلا مبلغاً عن الله، والباري قد ارتضاه لرسالته لأنه خير من يؤديها وليس بخائن لرسالته، كما أنه ليس طالباً للسلطة والملك وإنما جاء برسالة يبلغها عن الله ﴿إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ﴾ إذا اتبعناه فإننا حينئذ في غواية عن الحق وعدول عن الصواب ﴿وَسُعْرٍ﴾ عذاب كأنهم يقولون ذلك محاكاة له لعله كان يخبرهم بأنهم في ضلال وسوف يصيرون إلى سعر إلى نار الله المستعرة.

أُؤَلِّقِي الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٦٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنْ
الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٦٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٦٧﴾
وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٦٨﴾ فَتَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٦٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٧٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً

﴿٦٥﴾ «أُؤَلِّقِي الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا» كيف يصح أن يلقي الذكر عليه من بيننا، يعنون أنهم أفضل منه وأولى بأن يلقي إليهم الذكر لو كان هناك ذكر ﴿٦٦﴾ «بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ» فيه أشر والأشر كأنه أخو البطر أو شدة البطر.

﴿٦٧﴾ «سَيَعْمُونَ غَدًا» أي يوم القيامة وعبر بغدٍ للدلالة على قربها ﴿٦٨﴾ «مَنْ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ» هو أم هم، بل هم الكذابون الأشرون.

﴿٦٩﴾ «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ» آية وهي كذلك فتنة لأنهم مكلفون بأن يتركوها ترعى وتشرب الماء في يومها المعين لها، فهي فتنة لهم إن صبروا عليها وآمنوا بها كآية من الله نجوا، وإلا فهي سوف تؤدي إلى هلاكهم ﴿٧٠﴾ «فَارْتَقِبْهُمْ» انتظر أمرهم مع الناقة ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ اصبر على ما أنت عليه في شأنهم.

﴿٧١﴾ «وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ» بينهم وبين الناقة، كما قال: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] يوم لها ويوم لهم، وقالوا أنها في اليوم الذي يكون الماء مخصصاً لها فيه يكتفون بلبنها عن الماء ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ كل من الناقة والقوم يحضر في يومه المعين للاستئثار بالماء فيه.

﴿٧٢﴾ «فَتَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ» الشقي أشقى ثمود ﴿فَتَعَاطَى﴾ تناول ما ليس له فيه حق واجترأ على هذا الأمر العظيم ﴿فَعَقَرَ﴾ عقر الناقة.

وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦١﴾ كَذَبْتَ قَوْمٌ لُوطٌ بِالنَّذْرِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٦٣﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٦٤﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ يقول الله فكيف كان عذابي سؤال يبعث على التفكير والنظر في كيف كان هل كان سهلاً أم كان شديداً لأنه أمر عظيم حينما تجاهلوا الإنذار حتى عمهم العذاب الأليم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ على ثمود صيحة شديدة الصوت كأنها أدت إلى رجفة شديدة هلكوا منها ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ قال الإمام الهادي عليه السلام: «والعذاب الذي نزل بهم فهو ما ذكر الله من الصيحة الواحدة، والصيحة فهو الأمر الذي نزل بهم فأهلكهم، وهشيم المحتظر فهو دقاق ما قد بلي من الشوك والعيذان الذي احتظر به المحتظر على نفسه وغنمه ثم طال عنده فبلي وتفتت، وهو شيء كانت العرب تفعله يجمع الرجل منها الشوك والعيذان فيحضره حظيرة على غنمه حتى لا يخرج منها شيء، فشبّه الله هؤلاء الذين أهلكهم بهشيم ذلك الشوك الذي جعل حظيرة بعد فنائه وبلائه» انتهى من (تفسير أهل البيت) [ج ٢/ ص ٢٥٧].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ هو يكرر هذا الآية لأن الإنسان في غفلة يحتاج إلى التكرار مثلما النائم الذي لا يستيقظ بسهولة. ﴿كَذَبْتَ قَوْمٌ لُوطٌ بِالنَّذْرِ﴾ كذلك مثل ما كذب من قبلهم ومن بعدهم بالنذر، جعل التكذيب بنوّة رسولهم لكونه بشراً تكذيباً للرسول جميعاً. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ هذا يدل على أن عذابهم كان بالحاصب وهو ريح شديدة تحمل تلك الأحجار المسومة وتقذفهم بها وتساقط أعالي بيوتهم وتجعلها أسافلها لشدتها ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ أخرجهم من القرية وقت السحر.

وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ
 فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ
 مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ
 مُدْكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ

﴿٣٦﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا النجاة هذه ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ ننجيه من
 العذاب إذا عذبنا غيره نخرجه من بينهم وننجيه لأنه شكر نعمة الله.

﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ أنذر قومه ﴿بَطْشَتَنَا﴾ بطشة الباري ﴿فَتَمَارَوْا
 بِالنُّذُرِ﴾ فتماروا: شكوا ولم يصدقوا بالنذر.

﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ هذه جريمة كبيرة آذوه أذية عظيمة، وقد
 كان الملائكة جاءوه في صورة أضياف ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ ردها إلى داخل
 رؤوسهم فصارت مطموسة لا تبصر ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ كان هذا بداية
 العذاب تلاه الحاصب، وهو قوله:

﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ عند شروق الشمس ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾
 عذاب ثابت؛ لأنه يصيرهم إلى عذاب الله الدائم فَمِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا إِلَى
 عَذَابِ الْآخِرَةِ.

﴿٤٠﴾ فَذُوقُوا﴾ الخطاب لقوم لوط ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي نتيجة
 تكذيبهم النذر.

﴿٤١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدْكِرٍ﴾ هل من أحد يقبل هذا
 التذكير ويؤمن به ويتأثر به.

﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ كذلك جاءهم الرسول المنذر.

أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿١٧﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْرٌ لَّكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿١٨﴾
 أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿١٩﴾ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٢٠﴾ بَلِ
 السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ
 يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٢٢﴾ إِنَّا كُلَّ

﴿١٧﴾ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ لأنه جاءهم موسى بتسع آيات فكذبوا بها كلها ﴿فَأَخَذَتْهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ أخذ العزيز المقتدر يكون أليماً وشديداً مكان العزة والقدرة.

﴿١٨﴾ ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ هذا خطاب للذين في وقت النبي ﷺ من الكفار ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ﴾ الذين قد أهلكناهم من الأمم الماضية حتى يأمنوا أن يحصل لهم مثل ما حصل لأولئك قبلهم من العذاب ﴿أَمْرٌ لَّكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ هل في الكتب براءة لكم من عذاب الله وسخطه.

﴿١٩﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هؤلاء الكفار ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جيش كبير مجموع ﴿مُنتَصِرٌ﴾ سوف نتصر وندفع العذاب عنا.

﴿٢٠﴾ ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ يهربون كأنه يشير إلى وقعة بدر التي كسرت كبريائهم ودمرتهم.

﴿٢١﴾ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ إضراب عن الحديث في العذاب العاجل وانتقال إلى تهديد بعذاب آجل أشد قد وعدوا به ولا بد أن يصلوا إليه ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى﴾ داهية دهايا مهلكة ﴿وَأَمَرُّ﴾ أشد مرارة من العذاب العاجل.

﴿٢٢﴾ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الجرائم الفجار أعداء الله ورسوله ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ ضياع عن الحق ﴿وَسُعُرٍ﴾ عذاب النار، هذا السعير يأتي عليهم في:

شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾ وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٢٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٢٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٢٥﴾

﴿١٩﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴿٢٠﴾ حين يسحبون بالسلاسل، ويقال لهم - زيادة في إهانتهم -: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ حين تمس أجسادكم تباشرها سقر جهنم.

﴿٢١﴾ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٢٢﴾ خلقنا كل شيء بحكمة وليس لعباً ولا عبثاً فالحكمة هي في الجزاء جزاء كل نفس بما عملت.

﴿٢٣﴾ وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً ﴿٢٤﴾ حين نأمر بالقيامة أن تقوم، يعني ليس ثقیلاً عليه ولا يحتاج إلى زمان طويل، بل في لحظة يأمر فتقوم ﴿كَلِمَةً بِالْبَصَرِ﴾ في سرعتها.

﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ﴿٢٦﴾ الأمم الماضية الذين هم مثلكم سواء في طريقتكم في الشرك والتكذيب ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ هل تتذكرون بما جرى عليهم.

﴿٢٧﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ ﴿٢٨﴾ كل ما قد فعلته تلك الأمم الذين أهلكناهم هو مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ سيلقونه يوم القيامة.

﴿٢٩﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٣٠﴾ كل عمل صغير أو كبير أمرنا به أن يسطر في الصحف.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا الله في الدنيا يكون مصيرهم في الآخرة ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أنهار تروي الجنات وتزينها فتكون الشجر خضراء مثمرة باستمرار.

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ جيد مطابق لما وعدهم الله، فهو مقعد صدق تكاملت فيه كل معاني الكرامة والتكريم لأنهم هناك حلوا ضيوفاً نزلوا ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فهم ضيفانه في رحمته وفي محل فضله وإحسانه، وهو ملك الملوك المقتدر على كل شيء فكل شيء سهل عليه، فيعطيه من فضله ما لا يحصر، أضف إلى ذلك النعيم المادي شرف هذا المقعد لكونه عند ملك مقتدر، فيتسمنون ذروة الشرف والعزة والكرامة لكونهم ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ وفضله وإحسانه كبير على قدر عظمتهم وجلاله وكرمه ويخلدون هنالك عنده تحفهم رعايته وينعمون برحمته وإحسانه فهم في نعيم دائم وملك كبير.



فهرس تقريبي لأهم المسائل والمواضيع التي تضمنها هذا المجلد

م	الموضوع	اسم السورة	رقم الآية
١	تفسير «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت..»	الأحزاب	٣٣
٢	اختصاص التسبيح من بين الأذكار	الأحزاب	٤١ - ٤٢
٣	معنى الصلاة على محمد *	الأحزاب	٥٦
٤	معنى «المرجفون»	الأحزاب	٦٠-٦٢
٥	بيان «الذي اصطفينا من عبادنا»	فاطر	٣٢
٦	معنى حضوره سبحانه في موقف الحساب	يس	٥٣
٧	معنى «حافين من حول العرش»	الزمر	٧٥
٨	تفسير «يلحدون في آياتنا»	فصلت	٤٠
٩	تفسير «البطشة الكبرى»	الدخان	١٦
١٠	الخطأ الفاحش في قولهم «شيء إلى مثواه الأخير»	محمد	١٩
١١	معنى «ليظهره على الدين كله»	الفتح	٢٨
١٢	«إن أكرمكم عند الله أتقاكم» تدل على نفي التفاضل	الحجرات	١٣
١٣	معنى «سدره المنتهى وجنة المأوى»	النجم	١٤ ، ١٥

محتويات الجزء السادس			
الصفحات		السورة المفسرة	رقم السورة
إلى	من		
٣٤	٥	سورة لقمان	٣١
٥٦	٣٥	سورة السجدة	٣٢
١١٨	٥٧	سورة الأحزاب	٣٣
١٥٢	١١٩	سورة سبأ	٣٤
١٨٤	١٥٣	سورة فاطر	٣٥
٢١٠	١٨٥	سورة يس	٣٦
٢٤٢	٢١١	سورة الصافات	٣٧
٢٦٨	٢٤٣	سورة ص	٣٨
٣٠٢	٢٦٩	سورة الزمر	٣٩
٣٣٢	٣٠٣	سورة غافر	٤٠
٣٥٢	٣٣٣	سورة فصلت	٤١
٣٧٦	٣٥٣	سورة الشورى	٤٢
٤٠٠	٣٧٧	سورة الزخرف	٤٣
٤١٤	٤٠١	سورة الدخان	٤٤
٤٢٨	٤١٥	سورة الجاثية	٤٥
٤٤٤	٤٢٩	سورة الأحقاف	٤٦
٤٦٠	٤٤٥	سورة محمد	٤٧
٤٧٦	٤٦١	سورة الفتح	٤٨
٤٨٨	٤٧٧	سورة الحجرات	٤٩
٥٠٢	٤٨٩	سورة ق	٥٠
٥١٦	٥٠٣	سورة الذاريات	٥١
٥٢٨	٥١٧	سورة الطور	٥٢
٥٤٢	٥٢٩	سورة النجم	٥٣
٥٥٦	٥٤٣	سورة القمر	٥٤
٥٥٧		فهرس بأهم المسائل والمواضيع	
٥٥٨		فهرس بمحتويات المجلد	